2274
87559
385

2274.87559.385
Sharif, Ibrahim
al-Sharq al-Awsat

DATE	ISSUED TO
AUG 2 1966	Bindery

2274.87559.385
Sharif, Ibrahim
al-Sharq al-Awsat

DATE	ISSUED TO
AUG 2 1966	Bindery

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 074331750

السلسلة السياسية

٨

For Favour of Exchange
Central
University of Baghdad

الشرق الأوسط

تأليف
الدكتور ابراهيم شريف

١٩٦٥
بغداد
وزارة الثقافة والارشاد

السلسلة السياسية :

من أجل أن تسود الحقيقة ..
ومن أجل أن تتوضح المفاهيم بمعناهـــا
الامثل ..

ومن أجل أن يشيع الوعي السياسي ويشمل
شعبنا العربي بأجمعه ..
ثم من أجل تحديد وجهات النظر لقضايانا
العربية ومواقفنا الدولية .
من أجل ذلك ..

فان وزارة الثقافة والارشاد .. ستوالي
اصدار سلسلتها السياسيه هذه ايمـانا
منها باهمية الوعي السيـاسي ودوره في
تحقيق اهدافنا القومية الغالية .

تصدرها وزارة الثقافة والأرشاد - بغداد

Sharif, Ibrahim
al-Sharq al-Awsat
The Forum of Exchange
Central Library
University of Baghdad

الشرق الاوسط

دراسة لاتجاهات سياسة الاستعمار حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق

تاليف

دكتور ابراهيم شريف

استاذ الجغرافيا ـ بكلية التربية ـ جامعة بغداد

١٩٦٥

من منشورات وزارة الثقافة والارشاد

« السلسلة السياسية »

شركة دار الجمهورية ـ بغداد

2274
.87559
385

المقدمة

الشرق الأوسط ، كالشرق الأدنى وكالشرق الأقصى ، تعبير جغرافي غير محدد تماما(١) • ونقصد به هنا الأقليم الجنوبي الغربي من آسيا الذي يتضمن البلاد العربيـــة الأسيوية كما يتضمن تركيا وايران وافغانستان وجمهوريات الاتحاد السوفييتي عبر القوقاز • وهو كما يبـدو في خرائط الجغرافية الطبيعية ، يكون وحدة جغرافية كبرى Geog. Realm ، محددة بحدود طبيعية تتكون من سلاسل جبال شاهقة في بعض جهاته ومن بحار واسعة في البعض الآخر •

فهو محدد ، من جهة الشمال بنطـاق سلاسل جبـــال هندكوش ، خراسان ـ البورز ـ بنطوس ، ومن جهة الجنوب بالبحر العربي والمحيط الهندي ، ومن جهة الشرق بنطاق سلاسل جبال سليمان ـ كرثار ، ومن جهة الغرب بالبحر المتوسط والبحر الأحمر • وهو بهـذا التحديد يشغل موقعا فريدا قل أن يناظره في أهميته موقع أي جزء آخر من العالم • اذ أنه يكون به حلقة للاتصالات بين القارات الثلاث ـ آسيا وأفريقية وأوربا ـ في العالم القديم • وتجرى الاتصالات خلاله بين هذه القارات في منافذ معينـة في حدوده • فالنطاق الجبلي الذي يحدده من جهة الشمال ويفصل بينه وبين أراضي الاتحاد السوفييتي في وسط آسيا وفي القسم الغربي منها وفي القسم الشرقي من أوربا يتضمن ممرات كثيرة • وأهمها في جبال هندكوش ممر أقروباط (أو خواك) وممر أرداوان • وفيما بين هذه الجبال وبين جبـال خراسان يوجد ممر خراسان ، وهو بوابة واسعة • وتتضمن هذه الجبال ممرات أخرى • ولكن أهم الممرات في المنطقة ، ممر أستراباد ـ بسطام الذي يفصل بين جبـال خراسان وبين سلاسل جبـــال البورز • وتكون هذه السلاسل قوساً حول الســاحل الجنوبي لبحر قزوين ، وتتضمن عبرهـا ممرات تصل بين داخل هضبة ايران وبين هذا الساحل ، ومن أهمهـــا ممران : أحدهما يجتازه في الوقت الحاضر خط سكة الحديد الممتـــد بين طهران وبين ميناء بندرشاه • أما الممر الآخر فيجتازه الوادي الأدنى لنهر

سفيد رود ، ويصل بين مدينة قزوين في الداخل وبين مدينة رشت على الساحل • وفي جبال القوقاز التي تمتد في البرزخ الواقع بين بحر قزوين وبين البحر الأسود يوجد ممر داريال ، كما يوجد أيضا ممر دربنت بين الطرف الشرقي لهذه الجبال وبين شاطىء بحر قزوين • وفي جبال بنطوس التي تحدد هضبة الأناضول من جهة الشمال يوجد ممر أرضروم ـ طرابيزون، كما توجد ممرات أخرى ومن بينها الأجزاء السفلى من وديان أنهار يشيل وقزيل وسقاريا •

وفي نطاق سلاسل جبال سليمان ـ كرثار الذي يحدده من جهة الشرق ويفصل بينه وبين شبه جزيرة الهند يوجد ممران رئيسيان • أحدهما ممر خيبر ، ويصل بين كابل عاصمة أفغانستان وبين بشاور في الوادي الأوسط لنهر السند • والآخر ممر بولان ، ويصل بين كويتا في بلوخستان وبين سكور في القسم الأدنى من هذا الوادي •

وعند الحدود الغربية للشرق الأوسط توجد معابر تصل بينه وبين أوربا من جهة وبينه وبين أفريقية من جهة أخرى • فبينه وبين شبه جزيرة البلقان في أوربا يوجد نطاق المضايق الموصل بين البحر الأسود وبين بحر ايجه • ويتكون هذا النطاق من البسفور والدردنيل وبينهما بحر مرمرة • ويبلغ اتساع البسفور في بعض أجزائه نحو ٧٠٠ متر ، واتساع الدردنيل نحو ٣ كم • كما يوجد أيضا بينه وبين اليونان معبر آخر ، يتمثل في الجزر الكثيرة ونطاقاتها في بحر ايجه • أما فيما بينه وبين أفريقية ، فيوجد نطاق خصب من اليابسة ، في جنوب البحر المتوسط ، يصل بين فلسطين وبين وادي النيل ، ويمتد الى الساحل المغربي على المحيط الأطلسي وعلى مضيق جبل طارق • وتمتد الى هذا النطاق دروب في الصحراء الكبرى تصل بينه وبين عالم ساحل غانة • كما يوجد أيضا بينهما معبر باب المندب ، وهو مضيق يبلغ اتساعه نحو ٣٢ كم • وفي وسطه توجد جزيرة (ميون) بريم على مسافة نحو ٨ كم من الساحل الاسيوي ونحو ١٦ كم من الساحل الأفريقي •

وعدا هذه الممرات الجبلية والمعابر المائية والأرضية التي تصل بين أراضي الشرق الأوسط وبين الأراضي الأخرى التي تكتنفه ، يتدخل فيه عدد من البحار وعدد من الأنهار تصل بينه وبين أجزاء أخرى من اليابسة • فالبحر الأحمر والخليج العربي يتدخلان فيه من جهة الشرق ويصلان بينه وبين عالم المحيط الهندي وجنوب شرق آسيا • والبحر المتوسط يتدخل فيه من جهة الغرب ويصل بينه وبين جنوب أوربا وعالم المحيط الأطلسي ، وكذلك يتدخل نحوه بحر قزوين والبحر الاسود من جهة الشمال، وتكون أنهار الفلجا والدانوب وما بينهما من أنهار في جنوب روسيا حلقات تصل بينه وبين جهات داخلية في قارة أوربا • كما يتدخل اليه نهر النيل ويصل بينه وبين قلب القارة الأفريقية •

والشرق الأوسط بالرغم من أنه يكون وحدة جغرافية كبرى ، فانه يتضمن في داخله وحدات أخرى صغيرة - Provinces ويمكن تقسيمه الى أربع وحدات أساسية هي :-

١ - وحدة السهول الوسطى وتتكون من بلاد النهرين (دجلة والفرات) والصحراء السوية ٠

٢ - وحدة الهضاب الشمالية وتتكون من هضبة الأناضول وهضبة أرمينية وهضبة ايران ٠

٣ - وحدة هضبة الجزيرة العربية في الجنوب ٠

٤ - وحدة المرتفعات السورية - اللبنانية - الفلسطينية - الأردنية في الغرب ٠

وفيما بين البعض من هذه الوحدات وبين البعض الآخر ، توجد أوجه تشابه ، كما توجد أوجه اختلاف ٠ وأهم وجه للتشابه بينها هو أن كلا منها يتضمن أراضي صالحة للزراعة وأراضي أخرى صالحة للرعي ٠ وبذلك انقسم السكان في كل وحدة الى ثلاثة أقسام ٠ قسم مستقر يشتغل بالزراعة وغيرها من الحرف المدنية ، وقسم بدوي متنقل يشتغل بالرعي ، وقسم آخر يجمع بين الاستقرار وبين البداوة ٠٠ وتتشابه الوحدات الثلاث الأخيرة ذات السطح المرتفع في أن سطح كل منها معقد ، ويتضمن في داخله وحدات أصغر - Geog. Regions، تتمثل في السهول الصغيرة والوديان المحصورة بين المرتفعات ٠ ويترتب على ذلك أمران مهمان : أحدهما أن ماهو صغير من هذه الوحدات يكون منعزلا عن غيره بحيث يمكن سكانه من أن يتطوروا تطورا خاصاً بهم ، وقد يختلفون عن غيرهم اختلافا كبيرا أو صغيرا في عاداتهم وتقاليدهم وفي معتقداتهم ولهجاتهم ٠ وبالتالي ، يكونون أقليات غير منسجمة بدرجة كبيرة أو صغيرة مع غالبية السكان ٠ والأمر الآخر هو أن الحياة تكون معرضة لحالات عدم الاستقرار ، ما لم تكن الحكومة المركزية قوية ومسيطرة سيطرة تامة ٠ أما وحدة السهول فلا يحدث فيها مثل ذلك ٠ لأن سطحها من جهة سهل منبسط يسهل الانتقال عليه ، ولأنه من جهة أخرى واسع المساحة وتتوفر فيه من المياه موارد غزيرة يمكن استخدامها في التوسع الزراعي كلما زاد عدد السكان ٠ ولهذا يتميز سكانها بقدرتهم على تكوين قومية منسجمة وقادرة على أن تتشرب وتهضم من يتسرب اليها من القوميات الاخرى ٠

والعلاقات المكانية الطبيعية التي تربط بين كل من هذه الوحدات وبين الجهات الأخرى التي تجاورها خارج محيط الشرق الأوسط لها أثر في وجود بعض الاختلافات من ناحية السلالة بين فريق من هذه الوحدات وبين فريق آخر ٠ فمثلا ، نجد أن سكان الهضاب الشمالية يكونون بدرجة كبيرة خليطا من السلالات الآرية والسلالات الطورانية ، بسبب مجاورة هذه الهضاب

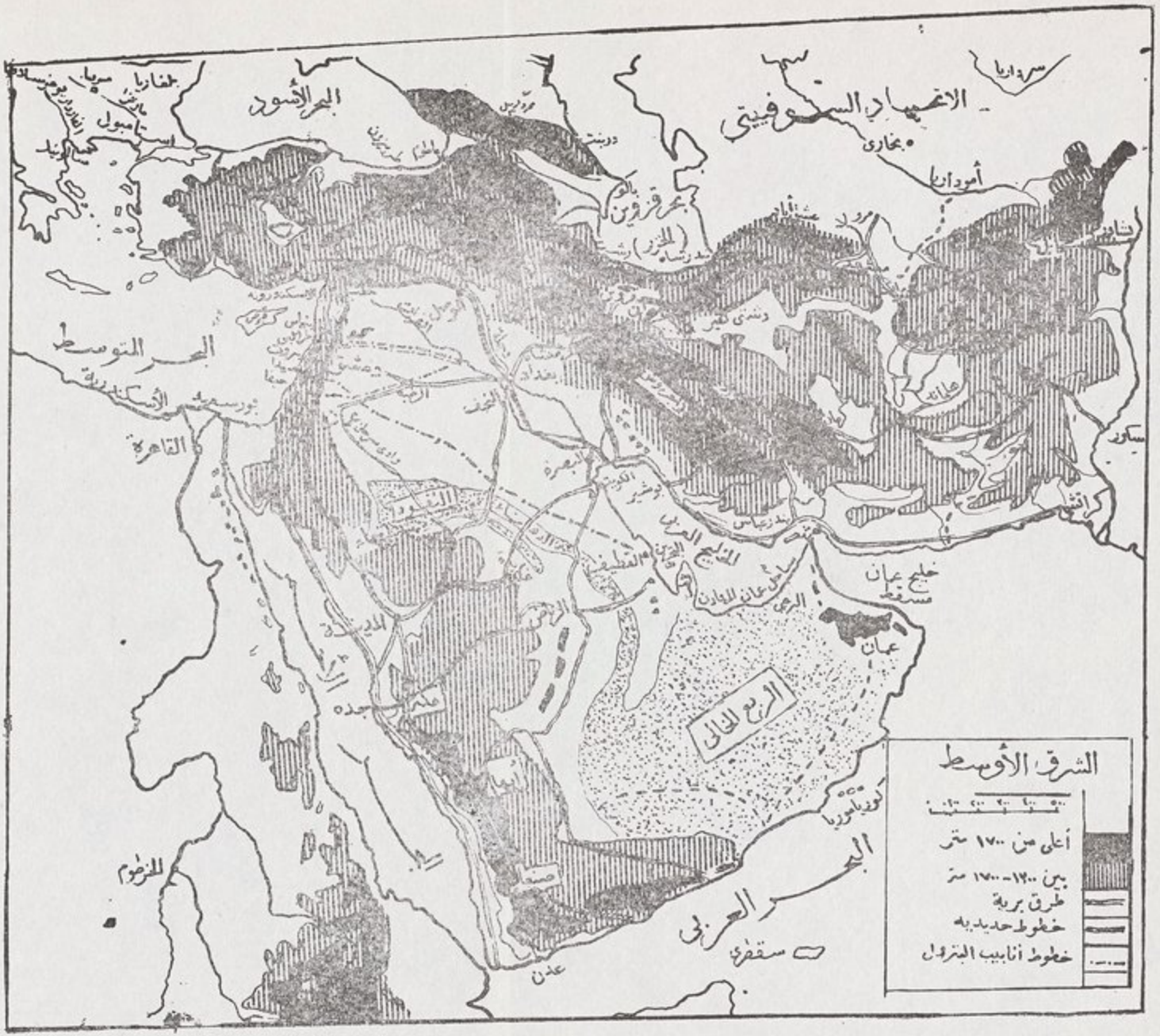
الاتحاد السوفيتي
البحر الأسود
البحر المتوسط
البحر العربي
بحر قزوين
بخارى
أمودريا
سرداريا
القاهرة
الإسكندرية
الخرطوم
عدن
سقطرى
عمان
الربع الخالي
الخليج العربي
خليج عمان
الشرق الأوسط
أعلى من ١٧٠٠ متر
بين ١٧٠٠-١٧٠٠ متر
طرق برية
خطوط حديدية
خطوط أنابيب البترول

للمواطن الأصلية لهذه السلالات في وسط آسيا وغربها وفي شرق أوربا . بينما نجد أن سكان هضبة بلاد العرب من السلالة السامية النقية مع قليل من الدماء الزنجية المنقولة اليها من أفريقية . ونجد سكان المرتفعات الغربية خليطاً من السلالات الساميـــة ومن سلالات البحر المتوسط وكذلك من السلالات الآرية ـ الطورانية لحد ما . وذلك بسبب الاتصال المباشر بين هذه المرتفعات الغربية وبين مرتفعات الهضاب الشمالية التي تسكنها هذه السلالات . ونجد كذلك سكان السهول يكونون خليطاً من جميع السلالات التي تسكن الوحدات الاخرى في الشرق الأوسط . وأهم مظهر ترتب على ذلك هو وجود اختـلافات من ناحية اللغـــة . فبينما تسود اللهجات من مجموعتي اللغات الآرية واللغات الطورانية في الهضاب الشمالية ، وتسود لهجات سامية نقية في هضبة بلاد العرب ، تسود في المرتفعات الغربية وفي السهول الوسطى لهجات سامية مختلطة بمؤثرات كثيرة من اللهجات الآرية والطورانية .

ومع ذلك فان العلاقات المكانية الطبيعية التي تربط بين هذه الوحدات، والمؤثرات التاريخية المشتركة التي أثرت في ســـكانها في وقت واحد أو في أوقات مختلفة ، قد أضعفت كثيرا من مظاهر هذه الاختلافات . فالاسلام مثلا قد خرج من داخل هضبة بلاد العرب وانتشر في سهول الشرق الأوسط وفي هضابه ومرتفعاته الأخرى ، وربط بين جميع السكان بروابط روحيـة من مبادئه وتعاليمه . ومع انتشار الاسلام انتشرت الحضارة العربية وربطت بين هؤلاء السكان بروابط أخرى . كما انتشرت اللغة العربية وتدخلت بين اللغات الآرية والطورانية وأضافت اليها كثيرا من الألفاظ والتعابير ، لانها لغـــة القرآن ولسان الاسلام . وكذلك انتشرت بعض القبائل العربيـــة وأضعفت ما كان قائماً من قبل من تميز بين عناصر السكان .

والروابط الطبيعية والبشرية التي تربط بين أجزاء الشرق الأوسط قد جعلته كلا يتأثر بما يتأثر به البعض منه . ومن الملاحظ أن الامبراطوريات التي قامت في بعض أجزائه كانت تمد أطماعها الى أجزائه الأخرى كلهـا أو بعضها ، كالامبراطوريات التي قامت في العراق وفي هضبة ايران وفي هضبة الأناضول وفي الحجاز وفي سوريا . وعندما كان يتعاصر فيه قيام دولتـين قويتين في جزأين من أجزائه كانت أجزاؤه الاخرى ميدان صراع بينهما ، كما حدث بين الفرس وبين الرومان .

والأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط أزلية . وقد أدركتها كل قوة راغبة في التوسع الأقليمي والاستعمار ، سواء أكانت من داخل محيطه أم كانت من خارجه . فان من يسيطر على منافذه البرية والبحرية وعلى أجوائه يتفوق على غيره بميزتين . احداهما أنه يستطيع أن يشـــل أطماع عدوه ومصالحه ويحصرها في قارة واحدة ، والأخرى أنه يستطيع أن يتخذ هـذا

الشرق قاعدة ويمد منهـا أطماعـــه ومصالحه الى بعض الجهات الأخـرى في خارجه ٠

وقد بدت هذه الأهمية بالغة منذ أن بدأت حركة الاستعمار الأوربي التي أعقبت أعمال الكشف الجغرافي في أواخر القرن الخامس عشر وجعلت العالم كله مسرحاً لصراع استعماري عنيف ٠ وعلى الأخص بعد أن استعمر الانجليز الهند وبدا لهم ولغيرهم من القوى الكبيرة الاخرى المنافسة لهم ، أن هذا الشرق لايتضمن أقصر الطرق البرية والبحرية الموصلة اليها فحسب، بل انه يتضمن أيضا أبوابا كثيرة لتهديدها ٠ كما بدا لهم ولغيرهم أيضا أن القوتين اللتين تسيطران عليـه وهما تركيا وفارس ضعيفتان وانهمـا تسيران تدريجيا نحو الهاوية ٠

وازدادت هذه الاهمية بعد اكتشاف زيت البترول فيه وبعد أن تبين انه يحتوي على أكثر من ثلثي احتياطي هذا الزيت في العالم ٠ وتزايدت هذه الاهمية مرة اخرى نتيجة الصراع العنيف الذى قام على تضارب المصالح في المنطقة بين المعسكر الغربي وبين المعسكر الشرقي ٠

والهند ، كما هي معروفة ، كانت درة التاج البريطاني ٠ وقد اتجهت اليها أطماع الفرنسيين كما اتجهت أطماع الروس ٠ ولهذا كان من المبادىء الأساسية في السياسة الانجليزية ، العمل بكل وسيلة وبحسب الظروف القائمة على تأمين سلامة جميع المداخل الموصلة اليها ، ان لم يكن بالسيطرة الفعلية عليها فبمنع غيرهم من التقدم نحوها ٠

والمداخل الموصلة الى الهند كثيرة ، ومنها مدخلان من المحيط الهندي، أما المداخل الأخرى فمن الشرق الأوسط ٠ وكان أحد مدخلي المحيط الهندي قد سيطر الانجليز عليه منذ سنة ١٨١٠ عندما أبعدوا الفرنسيين عن قاعدة جزيرة موريس واستولوا عليها ، كما سيطروا على المدخل الآخر عنـــدما استولوا على قاعدة سنغافورة في سنة ١٨١٩ ٠ أما المداخل الأخرى للهنـد من جهة الشرق الأوسـط فلم يكن من السهل استيلاؤهم عليهـــا بصورة مباشرة ٠ حقيقة أن الدولتين اللتين تسيطران عليها ، وهما تركيا وفارس، ضعيفتان ، الا أن ضعفهما قد ولـــد عليهما أيضا أطماع الروس وأطماع الفرنسيين ٠ واذا وضع الانجليز أقدامهم في جزء مـن أراضيهما فمـــن المحتمل كثيرا أن تسرع كل من هاتين القوتين بوضـــع أقدامهما في أجزاء أخرى منها ٠ وبذلك يخرج الشرق الأوسط من وضعه الخاص الى وضـــع عام ، ويصبح ميداناً لصراع استعماري لايمكن التنبؤ لمن تكون له الغلبـة فيه ٠ وفي أحسن الظروف ستكون الهند موضع تهديد ومساومة ٠ ولهـذا اتجهت ، من بادىء الأمر ، سياسة الانجليز فيـــه الى اتجاهين ٠ أحدهما الاحتفاظ بالوضع الخاص القائم فيـــه ، ومساندة الدولتـين الضعيفتين المسيطرتين عليه ٠ والآخر تثبيت أقدامهم في بعض جهاته النائية التي تكون قبضة الأتراك عليها أو الفرس ضعيفة ٠

وهم في الاتجاه الأول ساندوا الأتراك ضد الروس ، وضد الفرنسيين ، وضد المصريين في عهد محمدعلي • كما ساندوا الفرس أيضا ضد الروس ، وضد الفرنسيين • وكذلك ساندوا الأفغانيين ضد الفرس وضد الروس • وفي الاتجاه الثاني استولوا على جزيرة برم وعلى قاعدة عدن وكونوا محميات لهم على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية المطل على البحر العربي • كما فرضوا نفوذهم على خان بلوخستان وعلى سلطان عمان وجميع شيوخ القبائل التي تسكن المناطق الساحلية للخليج العربي ، وجزره • ومن هناك أخذوا يمدون نفوذهم في وادي دجلة والفرات الى منطقة بغداد ، وفي وادي نهر كارون الى منطقة الأهواز في القسم الجنوبي من فارس • وقد استمرت هذه السياسة الانجليزية في طريقها ناجحة الى أواخر القرن التاسع عشر • ثم اضطر الانجليز الى ادخال بعض التعديلات عليها ولكنها تعديلات لا تمس جوهرها الأصلي • وكان ذلك على أثر تقدم الزحف الألماني نحو الشرق ووصوله الى الأناضول وتهديده لأطماعهم الاستعمارية ومصالحهم التي أقاموها في الخليج العربي وفي جنوب فارس وفي العراق وفي مصر ، بصفة خاصة ، وباقي جهات الشرق الأوسط بصفة عامة •

والألمان عندما جاءوا الى الشرق الأوسط أخافوا الانجليز على هذه المصالح والأطماع أكثر مما أخافهم الروس أو الفرنسيون عليها • وذلك لأنهم عندما جاؤا اليه كانوا أصدقاء للأتراك الذين تتضمن بلادهم القسم الأكبر من هذا الشرق • كما كانوا أقوى دولة في أوربا من الناحية العسكرية في البر وفي البحر ، وقد بدت فيهم نزعة قوية نحو التوسع الاستعماري • وهم كذلك كانوا أقوى دولة فيها من الناحية الصناعية ، وأكثر من غيرهم حاجة الى أسواق واسعة يصدرون اليها مصنوعاتهم ، ويستوردون منها ما تحتاج اليه مصانعهم من المواد الخام • وبالرغم من كل ذلك ، لم تكن لديهم مستعمرات خاصة أو أسواق • فقد سبقتهم الى أسواق العالم المهمة ومستعمراته أمم أخرى منها الكبيرة ومنها الصغيرة ، ولهذا تصور الانجليز أن أطماع الألمان في الشرق الأوسط لن تقف عند حد • وأنهم ، بتحالفهم مع الأتراك الذي سيؤدي الى تقويتهم عسكريا واقتصادياً ، سوف يقضون على جميع أطماعهم ومصالحهم فيه • كما أنهم قد يتفقون مع الروس ، مثلما فعل الفرنسيون من قبل ، على غزو الهند وطردهم من أملاكهم الأخرى في جنوب آسيا •

وفي أوائل القرن العشرين عندما وجد الانجليز أن مصالحهم وأطماعهم في الشرق الأوسط وفي الهند قد أضحت مهددة من قبل الألمان أيضا بجانب الروس والفرنسيين ، حولوا اتجاه سياستهم من مساندة الدولتين الضعيفتين اللتين تسيطران على هذا الشرق الى مساومة هذه القوى الثلاث عليهما • فساوموا الفرنسيين في سنة ١٩٠٤ على حساب مصر ، وساوموا الروس في سنة ١٩٠٧ على حساب فارس وأفغانستان ، كما ساوموا الألمان في سنة

١٩١٤ على حساب الدولة التركية في آسيا ٠

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى وانضمت تركيا الى جانب ألمانيا ، أجرى الانجليز مساومات جديدة على أراضيها ، وعقدوا لهذا الغرض ست اتفاقيات سرية أرضوا فيهـــا مطامح حلفـــائهم الروس ، والفرنسيين ، والايطـــاليين ، والعرب ، دون أن يمسوا مصالحهم الخاصة وأطماعهم ٠ فاحتفظوا لأنفسهم بالخليج العربي والعراق وضموا اليهم أيضا شرق الأردن وفلسطين حتى تكمل حلقات اتصالاتهم بين مصر وبين الهند عن طريق سهول الشرق الأوسط ، كما هي متصلة بينهما عن طريق قناة السويس والبحر الأحمر ٠ أما في فارس وفي أفغانستان فقد حرصوا على ابقائهما على الحياد ٠ وذلك لكي يحتفظوا لأنفسهم بالوضع الخاص القائم لهم فيهما بموجـــب اتفاقيتي ١٨٧٣ و ١٩٠٧ اللتين عقدوهما مع الروس ٠

وعندما انتهت الحرب ، ووجد الانجليز أن ميدان الشرق الأوسط قد خلا من كل قوات أخرى الا من قواتهم ، تنكروا لجميع الاتفاقيات والمواثيق التي عقدوها وأبرموها في أثناء الحرب وقبلها ٠ وامتدت أطماعهم الى تكوين امبراطورية لهم فيه ، وتشغل « فراغه » فيما بين مصر وبين الهند ٠ ولـكن هذه الاطماع الضخمة لم تتحقق لهم ، فقد قاومتها شعوب هذا الشرق وثارت في وجهها ، وأيدهم العهد الجديد في روسيا ، كما قاومتها فرنسا لمصلحتها الخاصة ، وقاومتها كذلك الولايات المتحدة الامريكية لمصلحتها الخاصة أيضا ولمصلحة هذه الشعوب لحد ما ٠ وعندما عقدت معاهدة لوزان في ٢٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٣ كانت أطماع الانجليز قد هزلت وتضاءلت الى حالـة انتداب على العراق وعلى فلسطين وعلى شرق الأردن ٠

والانتداب ــ كما فسره الرئيس الأمريكي ولسون للويـد جورج ــ ليس مسألة تملك أو سيطرة ، وانما هو مسألة ادارية بحتة تقوم بها الدولة المنتدبة بالنيابـة عـن مجلس عصبة الامـم ، ولا تعطيهـا فـى الدولـة المنتدبة عليها أي حقوق خاصة لاتكون لغيرها من الدول الأخرى الممثلة في هذا المجلس ٠ وهو فضلا عن ذلك مسألة مؤقتة ٠ ولابد أن يأتي قريبـا اليوم الذي تغادر فيه الدولة المنتدبة أراضي الدولة المنتدب عليها ، مشكورة كانت أم غير مشكورة ٠

ومثل هذا الوضع لايحقق للانجليز أطماعهم ٠ ولهذا عملوا على تحويل علاقاتهم العامة مع العراق ومع شرق الأردن الى علاقات خاصة ، عن طريق معاهدات يعقدونها معهما ليتخلصوا من تدخل مجلس عصبة الامم ولجنة الانتدابات التابعـة لها ٠ وفيهـا استهدفوا تحقيق الخطوط الرئيسية لسياستهم القديمة في الشرق الأوســط ، وهي تلتقي في نقطة الدفاع عن الهند وسلامة الطرق الموصلة اليهـا ٠ فعقدوا مع العراق معاهدة في ٣٠ حزيران (يونية) سنة ١٩٣٠ ٠ ومع شرق الأردن معاهدة أخرى في ١٥ آذار (مارس) سنة ١٩٤٨ ٠ وفي كليهما نصوص اعترف فيها الساسة في العراق

والساسة في الأردن بحق الانجليز في حماية خطوط مواصلات الامبراطورية البريطانية في أراضي هذه البلاد في جميع الأحوال · ولكي يضمن اولئك الساسة للانجليز فعالية هذا الاعتراف ، اعترفوا لهم أيضا بحقهم في اتخاذ بعض القواعد العسكرية في بلادهم ، وبحقهم في مرور قواتهم بمعداتها وذخائرها عبر أراضيهم ، مع تقديم كل التسهيلات اللازمة لهذا المرور · وكذلك بحقهم في أن يزور الاسطول الانجليزي مياههم وموانيهم وقتما يشاء· وفضلا عن ذلك قبلوا أن يدخلوا معهم في دفاع مشترك ، لاينقص من سيادتهم القومية فحسب ، وانما يعطي للانجليز سيطرة فعلية عليهم في وقت الحرب وفي وقت السلم على السواء ·

أما فيما يتعلق بفلسطين ، وهي بلا شك أهم من شرق الأردن بكثير ، وهي كذلك تضارع العراق ان لم تتفوق عليه في مقوماتها الاستراتيجية ، فيمكن القول بأنه ما كان يخطر ببال الانجليز أنهم سيغادرونها ، هكذا ، سريعا في مايس (مايو) سنة ١٩٤٨ · ولكن الأسفين الذي وضعوه فيها بوعد بلفور المشؤوم ، وقصدوا من ورائه أن يهيىء لهم سببا يساعدهم على تقرير انتدابهم عليها ، كما يساعدهم على بقائهم فيها الى الأبد ، قد ارتد الى نحورهم سريعا تحت تأثير ضغط الرئيس الأمريكي ترومان · وبقيام اسرائيل لم يفقد الانجليز فلسطين كمدخل الى الشرق الأوسط ، وكمنفذ على البحر المتوسط لبترولهم المنقول من آبار العراق فحسب ، وانما فقدوا كذلك ميزة الاتصال المباشر بين قاعدة السويس وبين قواعدهم الاخرى في الشرق الأوسط على طريق الهند ·

ولم تصب مصالح الانجليز وأطماعهم في الشرق الأوسط بهذه الهزيمة في فلسطين فحسب ، وانما أصيبت أيضا بهزائم أخرى حدثت قبلها في أفغانستان ، وفي ايران ، وفي تركيا · فقد طردهم الافغانيون من بلادهم في سنة ١٩١٩ ، وطردهم الايرانيون في سنة ١٩٢١ ، وطردهم الاتراك في سنة ١٩٢٣ · وعاشت هذه الشعوب في بلادها حرة تكن لهم في قلوبها أشد الكراهية ، واشتركت مع العهد الجديد في روسيا في تكوين جبهة معادية لهم تحارب نفوذهم في الشرق الأوسط بكل الوسائل ·

وعمل الانجليز على تحصين أنفسهم ضد هذه الجبهة بالعمل على تحطيمها من جهة ، وبالعمل على اقامة جبهة أخرى تسندهم في مواجهتها من جهة أخرى · وهم في الجهة الأولى استغلوا خوف الملوك والحكام من انتشار المبادىء الشيوعية في بلادهم وسعوا الى عقد ميثاق سعد آباد بين حكومات العراق وافغانستان وايران وتركيا · ولكن هذا الميثاق ، وان قرب بعض الشيء بين الانجليز وبين هذه الحكومات ، الا أنه لم يضعف العلاقات القوية التي تربط بينها وبين حكومة موسكو · وفي الجهة الثانية عملوا على وصل ما انقطع بينهم وبين الأمريكيين ، وتكوين جبهة تجمع بينهما وتضم الفرنسيين · ونظرا لأن الفرنسيين منتدبون أصلا على سوريا ولبنان

وتقتضيهم مصلحتهم الخاصة أن يتعاونوا معهم ، فقد اكتفوا باعطائهم ربع بترول شركة بترول العراق • وهذه الشركة وفروعها تستغل كل بترول العراق عدا قسم صغير منه ، كما أن لها امتيازات بترولية أخرى في جهات كثيرة من البلاد العربية • أما الأمريكيون ، الذين لم يكن لهم بادىء الأمر مصلحة في الشرق الأوسط ، فلم يكتف الانجليز باعطائهم نصيبا مثل نصيب فرنسا في شركة بترول العراق فحسب ، وانما تنـــازلوا لهم أيضا عـن امتيازهم في بترول البحرين وعن نصف بترول الكويت • كما امتنعوا عن منافستهم في بترول المملكة العربية السعودية • وقبيل قيام الحرب العالمية الاخيرة ، سعوا الى ضم تركيا الى هذه الجبهة لأهمية موقعها الجغرافي من جهة وليضعفوا من جهة أخرى العلاقات القوية التي تربط بينها وبين الاتحاد السوفييتي • ولم يكن الثمن المدفوع في هذه المرة على حساب الانجليز ، وانما كان على حساب السوريين • فقد قبل الاتراك الانضمام الى هذه الجبهة في مقابل تسليم الفرنسيين لهـــم بادعاءاتهم على سنجق الاسكندرونة من الأراضي السورية •

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية وفيما بعدها حدثت تغيرات هامـة في الأوضاع السياسية التي كانت قائمة من قبل في أقطار الشرق الأوسط ، باستثناء أفغانستان • فتركيا وقفت في أثناء الحرب محايدة ثم انحرفت بعدها عن حيادها وسارت مع دول الغرب فى سياستها • وايران حاولت في أثناء الحرب أن تقف محايدة ، ولكن الحلفاء خرقوا حيادها باحتلالهـــم أرضها • ثم سارت هي أيضا بعد الحرب على سياسة الغرب ، مثلما فعلت تركيا •

أما الأقطار العربية ، فقد وقفت حكوماتها في أثناء الحرب في جانب الحلفاء منفذة المعاهدات المعقودة بينها وبين بريطانيا وفرنسا نصا وروحا • وكان ذلك ضد رغبة الشعب العربي • فأخذ أفراد منه يعبرون عن غضبته بالقيام ببعض الأعمال الانتقامية • ولكن ذلك لم يرهب الاستعمار • فقد كانت تلك الحكومات تقوم بالنيابة عنه فى تعقب اولئك الافراد • أما الذى ارهبه فعلا فقد كان الثورة المجيدة التى قام بها جيش العراق وشعبه بزعامة رشيد على الكيلانى فى ١٩٤١ • ومع أن هذه الثورة قد فشلت ولم تحقـق أهدافها ، الا أنها مع ذلك قد خلفت آثارا بعيدة المدى • فمن جهة ، جعلت الطبقة الحاكمة فى العراق تدرك أن الشعب ليس معها وان حراب الانجليز وحدها هى التى تستطيع حمايتها • وتحت تأثير هذا الادراك سارت على الدرب الخاطىء ، توءيـد ارادة الانجليز ضـد ارادة الشعب حتى انتصرت ارادة الشعب وقضت عليها بثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ • ومن جهـة أخرى جعلت الانجليز يدركون ان الشعب العربى قد جاوز مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب الخطرة والتى تتطلب نوعا من التفاهم والمسايرة •فكان الايحاء الى الحكومات بتكوين جامعة الدول العربية باعتبارها تصويرا يحمل

ملامح آمال الشعب العربى فى الوحدة العربية كما كانت الوعود المتكررة بتحقيق الآمال فى الحرية الكاملة والاستقلال ٠

وعقب نهاية الحرب تحقق من هذه الوعود استقلال سوريا واستقلال لبنان فى ١٩٤٦ ٠ ولم يكن هذا الاستقلال على حساب بريطانيا ، وانما كان على حساب فرنسا التى كانت قد انهارت فى السنين الاولى من الحرب٠ وكان هدف الانجليز من مساعدة سوريا ولبنان على نيل استقلالهما كسب ثقة الشعب العربى من جهة ، والتخلص من نفوذ فرنسا فى المنطقة من جهة أخرى حتى تصبح جامعة الدول العربية منظمة تسير على سياسة متجانسة مع السياسة البريطانية ٠ ولكن الانجليز كانوا مخطئين فى هذا التفكير ٠ فان الشعب العربى الذى كابد منهم الكثير أمدا طويلا استمر على هدفه فى العمل على كسب حريته واستقلاله وعلى تكوين وحدته بعيدا عن تأثيرهم ٠

وعندما وجد الانجليز انفسهم أضعف من أن يقفوا فى وجه التيار العربى ، اتجهوا الى الاستعانة عليه بالولايات المتحدة الامريكية وبفرنسا وغيرها وكذلك باقامة اسرائيل ٠ ورب ضارة نافعة ، فقد كان فرض اسرائيل عليه وما رافق هذا الفرض من اثارة ادق مشاعر الشعب العربى ، قوة دافعة له نحو تفكير واسع الى الاخطار التى أصبحت تحدق به ونحو العمل الموحد على دفع هذه الاخطار ٠ وكان من بين النتائج التى ترتبت على ذلك قيام ثورة ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ فى مصر ٠

ويعتبر قيام هذه الثورة المصرية بدأ مرحلة جديدة فى تاريخ كفاح الامة العربية ٠ فقد استطاعت ، بنضج قيادتها ، أن تقود الشعب العربى ضد الاستعمار وان تنتقل به من نصر الى نصر حتى استطاعت أن تصفيه من قواعده التى أقامها فى اقطار المشرق العربى ، فيما عدا العراق ، حتى قامت ثورة ١٤ تموز فصفته من قواعده فى العراق أيضا ٠

وفى هذه المرحلة الاخيرة الحاسمة فى تاريخ الامة العربية لم يكن طريق النصر سهلا ، وانما كان يتضمن عقبات كثيرة تحولت بسببها بعض الانتصارات الى انتكاسات ٠ ومن استعراض الحوادث يمكن القول بأن اخطر تلك العقبات كانت داخلية وتتمثل فى وجود جماعات لا قومية تجمع بينها صفة تقديم المصلحة الشخصية على المصلحة القومية ٠ ومن البديهى ، أنه لكى يكون سير القومية العربية سليما ينبغى ان تعزل تلك الجماعات بعيدا عن الطريق ٠

ملاحظة • ما بين قوسين ( ) هو رقم المرجع فى قائمة المراجع الموجودة فى آخر الكتاب •

١ ـ اصطلاح « الشرق » كان يعبر عنه سكان بحر ايجه القدماء باصطلاح أسو أو آسيا الذى يشير الى الاراضى التى تقع فى شرقهم والتى تشرق منها الشمس • راجع توضيحا لذلك فى (٢٨) ص ٢ • وقد استمر الاصطلاحان الى الوقت الحاضر ، على ما يبدو ، يستعملان فى بعض اللغات، وعلى الاخص فى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، للتعبير عن شىء واحد هو قارة آسيا • وفى هاتين اللغتين المشار اليهما قسمت آسيا تقسيما غير محدد • فأطلق على القسم الغربي منها ، القريب من أوربا ، تسمية الشرق الادنى • كما أطلق على القسم الشرقى ، البعيد ، تسمية الشرق الاقصى • وفيما بين القسمين تقوم الهند وجزر الهند الشرقية (اندونيسيا) ولا يبدو أن تعبير الشرق الاوسط قد أطلق عليهما • وفى الغالب ان تعبير الشرق الاوسط حديث ولم يستعمل الا فى اثناء الحرب العالمية الثانية عندما قامت المنظمة التى عرفت باسم مركز تموين الشرق الاوسط • ومنذ استعماله اخذ يتضاءل استعمال تعبير الشرق الادنى حتى اختفى تقريبا فيما عدا الكتب التاريخية • كما اختفت تعابير أخرى كانت قائمة مثل آسيا الصغرى والليفانت •

ومنذ استعماله أيضا وهو لم يعرف الوضوح والاستقرار • فكل كاتب بل كل منظمة أهلية كانت أم حكومية أو دولية ، تمد فى حدوده أو تضيق الى المدى الذى يتسع لاغراضه أو لاغراضها • راجع تفصيلات عن ذلك فى مقدمتى كتابى (٦٧) ، (١١٢أ) •

الفصل الاول

تولد الاطماع الاستعمارية على البلاد العربية

(١) تقدم المصالح التجارية :

كانت معظم شعوب أوربا أثناء العصور الوسطى لا تعرف كيف تغذى قطعان حيواناتها فى فصل الشتاء حين يشتد البرد وتغطى الثلوج مراعيها. وهي لهذا كانت تضطر لأن تذبح قسما كبيرا من هذه الحيوانات في فصل الخريف ، وتقوم بتمليح لحومها وتجفيفها . وكانت هذه اللحوم المملحة هى غذاءها فى فصل الشتاء . وكانت تتناولها على مضض فى كل يوم وفى كل وجبة من وجبات طعامها فيه . والسعيد من ابنائها من كان يحصل على بعض أنواع التوابل ويضيفها اليها ليجعل مذاقها مقبولا .

والتوابل معروفة . وهى تنمو فى بعض جهات المنطقة الحارة ، وعلى الاخص فى جزر اندونيسيا ، التى كانت تعرف قبلا باسم جزر الهند الشرقية ، أو باسم جزر الهند الهولندية . وكان العرب يسيطرون على تجارتها وعلى تجارة غيرها من السلع الشرقية الثمينة . وينقلونها فى سفنهم وفى قوافلهم الى السواحل الشرقية للبحر المتوسط ويبيعونها لتجار من جنوه والبندقية وبيزا . وكان هوءلاء التجار ينقلونها بدورهم خلال ممرات فى جبال الالب ويبيعونها الى شعوب وسط أوربا وغربها . وقد استمرت هذه الحال كذلك ، حتى قام الاسبانيون والبرتغاليون فى شبه جزيرة ايبريا يحررون بلادهم من العرب وغيرهم من المسلمين . وعندما بدا لهم تفوقهم عليهم أخذوا يعملون على مناهضة مصالحهم القائمة فى جهات أخرى من العالم ، وعلى الاخص المصالح التجارية التى كانوا يحصلون من ورائها على أرباح طائلة . وفى هذا العالم الايبيرى الذى كان التعصب يسيطر عليه ، ظهر كولمبوس ، وكان مقتنعا بأن الارض كروية الشكل ، وبأنه اذا أبحر غربا فسوف يصل الى الشرق . وقد اقنع كولمبوس بفكرته هذه ملك أسبانيا ، فزوده في سنة ١٤٩٢ بثلاث سفن أبحر بها في المحيط الاطلسى متجها نحو الغرب فحملته الى جزر بهاما والى غيرها من الجزر الاخرى التى أطلق عليها منذ ذلك الوقت اسم جزر الهند الغربية .

وقبل أن يقوم كولمبوس بهذه المحاولة الجريئة التى كشف بها عن

العالم الامريكى ، كان البرتغاليون يقومون بمحاولة أخرى للوصول الى البلاد الشرقية • وذلك بالالتفاف حول الساحل الجنوبى لافريقية • وقد نجحوا فى النهاية ووصلوا الى ساحل الهند فى سنة ١٤٩٨ • وعندما كان الاسبانيون يحتكرون أعمال الكشف الجغرافى فى أمريكا اللاتينية (الوسطى والجنوبية) عن طريق دوائر العرض الوسطى فى المحيط الاطلسى ، والبرتغاليون يحتكرون أعمال هذا الكشف فى الاقاليم الجنوبية من آسيا عن طريق الساحل الجنوبى لافريقية ، لم يكن للقوى الاوروبية الاخرى نشاط مماثل • ولكن هذه القوى ما لبثت ان نشطت ، وأخذ بعضها ينافس بعضا فى احراز السبق على الطرق الاخرى وعلى الاقاليم التى لم يدع الاسبانيون والبرتغاليون حق احتكارها لانفسهم • وكان التنافس على ذلك شديدا بين كل من بريطانيا وهولندا وفرنسا ، وقد أدخلها ذلك فى صراع حاد استمر قائما بينها مدة طويلة •

والطرق الرئيسية التى كانت الاتصالات البشرية تنتقل عليها منذ أقدم العصور بين القسم الشرقى من العالم القديم وبين القسم الغربى منه معروفة ، وهى ثلاثة :ـ

(١) الطريق الجنوبى ، وهو مزدوج ، اذ يتضمن طريقا مائيا فى البحر الاحمر ثم خلال الاراضى المصرية الى الاسكندرية أو غيرها من الموانى المصرية على البحر لمتوسط ، كما يتضمن طريقا آخر بريا يمتد عند حافة نطاق المرتفعات الغربية بالجزيرة العربية ، بين عدن وموانى ساحل حضرموت وظفار من جهة وبين غزة والموانى الاخرى على الساحل الجنوبى الشرقى للبحر المتوسط من جهة أخرى •

(٢) الطريق الاوسط ، فى الخليج العربى وخلال سهول الشرق الاوسط فى العراق وسوريا الى موانى الساحل الشرقى للبحر المتوسط • وهو أيضا مزدوج ، يصعد أحد فرعيه فى وادى الفرات الى بيروت وموانى الساحل الفينيقى مارا بدمشق ، ويصعد الفرع الاخر فى وادى دجلة الى أنطاكية أو الاسكندرونة مارا بحلب •

(٣) الطريق الشمالى ، وهو يبدأ فى القسم الشمالى من بلاد الصين ويجتاز هضاب وسط آسيا وسهولها الغربية ، وله ثلاثة فروع :ـ الفرع الشمالى منها يستمر خلال الممر الواقع بين بحر قزوين بين الطرف الجنوبى لسلسلة جبال أورال الى شرق أوربا ووسطها • أما الفرعان الآخران فيعبران معا بحر قزوين الى باكو • ومنها ، يسلك أحدهما الممر الواقع بين جبال القوقاز وبين مرتفعات هضبة أرمينيا الى بوتى أو باطوم على الساحل الجنوبى الشرقى للبحر الاسود • وهذا الممر عبارة عن منخفض واسع يجرى فى القسم الشرقى منه نهر كورا نحو بحر قزوين ويجرى فى القسم الغربى منه نهر ريون نحو البحر الاسود • أما الفرع الثالث ، وهو الاخير ، لهذا الطريق فانه يصعد من باكو فى وادى نهر آراس مجتازا هضبة أرمينيا الى أرضروم ،

ومنها ينزل فى وادى الفرات خلال القسم الشرقى من هضبة الاناضول ، ثم خلال ممر فى جبال طوروس الى سيفاس ، ومنها خلال القسم الاوسط من هذه الهضبة الى استانبول ومنطقة المضايق .

وكان الطريقان ، الاول والثانى من هذه الطرق ، وكذلك الفرعان الاخيران من الطريق الثالث ، فى يد الاتراك . وهم فى ذلك الوقت كانوا أقوياء ، معادين لاوربا ويشنون عليها هجمات من أبوابها فى شبه جزيرة البلقان . أما القسم الشرقى من الطريق الثالث ، والفرع الاول له ، فعليهما كانت تسيطر ، فى قسمه الاسيوى قبائل من المغول ومن الاتراك فى حالة بربرية ، ولحد ما كانت كذلك القبائل السلافية فى قسمه الاوربى .

وبسبب الظروف البشرية غير الملائمة التى كانت تكتنف تلك الطرق القديمة ، وكذلك بسبب احتكار الاسبانيين والبرتغاليين للطريقين البحريين المكتشفين حديثا نحو الشرق ونحو الغرب ، اضطرت القوى الاوربيةالمهتمة بالتجارة الشرقية أن تبحث لها عن منافذ أخرى توصلها الى مصادر هذه التجارة . وكانت مناطق دوائر العرض العليا هى ميدانها لهذا البحث . وفيها اتجهت أيضا نحو الغرب ونحو الشرق . أما الاتجاه الاول فقد حملها الى سواحل كندا والولايات المتحدة . وأما الاتجاه الاخر فقد حمل الانجليز اولا الى مياه البحر الابيض الروسى ، حيث هلكت بعثتهم التجارية عن آخرها عدا واحد منها . وحملهم ثانية الى بلاط ايفان المخيف فى موسكو . وهناك تمكنوا من الاتفاق على تكوين شركة عرفت باسم الشركة المسكوفية . وقد قامت هذه الشركة بابحاث للكشف عن طريق موصلة الى البلاد الشرقية. وارسلت بعثة لكشف الطريق البرى خلال وسط آسيا ، ولكنها لم تنجح . فقد وصل أحد افرادها ـ أنطونى جينكينسون ـ الى بخارى ثم عجز عن التقدم . وأرسلت بعثة أخرى لكشف طريق بحرى فى المحيط المتجمد الشمالى ، ولكنها لم تنجح أيضا . فقد حاصر الجليد سفنها عند جزيرة نوفازيمليا وأعجزها عن التقدم(٢).

وهذه المحاولات الفاشلة التى بذلها الانجليز نحو الغرب ونحو الشرق للوصول الى البلاد الشرقية ، اضطرتهم الى أن يتجهوا الى أبواب الاتراك ويطرقونها . وقد نجحوا فى تكوين شركة الليفانت للمتاجرة مع بلاد الامبراطورية التركية ، وعلى الاخص مع مصر وسوريا حيث توجد المراكز الكبرى للتجارة الشرقية . كما نجحوا فى تكوين شركة أخرى ، وهى التى عرفت باسم شركة الهند الشرقية . وكان أحد أهدافها احياء طريق التجارة الشرقية المار خلال سهول الشرق الاوسط . وقد أرسلت هذه الشركة بعثة لكشف هذا الطريق ، قامت فى سنة ١٥٨٣ من طرابلس على ساحل لبنان ومرت ببغداد والبصرة فى طريقها شرقا الى حيث قبض البرتغاليون عليها فى هرمز . والشائع ان افراد هذه البعثة كانوا أول من وطىء أرض العراق من الانجليز(٣). الا ان صعوبات النقل البرى فى وقت قد سارت فيه روح

المغامرة فى البحار ، بجانب تعقد المفاوضات مع السلطات التركية ، ومخاطر القرصنة ، حمل شركة الهند الانجليزية هذه على ان تهمل امتيازها ، وان تسلك فيما بعد طريق البرتغاليين حول جنوب افريقية مقتدية بالشركة الهولندية التى سبقتها الى سلوكه ، فى ١٥٩٥(٤) • وكذلك لم تنجح شركة الليفانت فى المتاجرة مع بلاد الامبراطورية التركية بسبب صعوبات أخرى قامت فى طريقها(٥)• وفى ١٥٩٩ ، فى عهد الملكة اليزابيث ، تكونت شركة الهند الشرقية الانجليزية • وفى ١٦٠١ قامت بأولى رحلاتها ، قاصدة جاوة فى جزر أندونيسيا • وفى سنة ١٦٠٧ أبحر الكابتن هاوكنز ببعض من سفن هذه الشركة الى خليج كامباى على الساحل الشمالى الغربى للهند ، ومعه رسالة موجهة من جيمس الاول ملك انجلترا الى امبراطور المغول فى الهند • وقد حصل بفضل هذه الرسالة على تصريح يسمح للشركة بأن تقيم لها وكالة فى سورات ، وهى ثغر يقع عند مصب نهر تابتى فى هذا الخليج، ويشرف على البحر العربى(٦)•

والبحر العربى جزء متدخل من المحيط الهندى نحو الساحل الجنوبى الشرقى لهضبة ايران ، ويقع بين الهند من جهة وبين الجزيرة العربية من جهة أخرى • ويمثل جسم اخطبوط تمتد منه أذرع نحو مداخل التجارة الشرقية ، وأذرع أخرى نحو مخارجها • ومن المعروف أن العرب اعتمادا على سواحلهم التى تسيطر على بعض هذه المداخل والمخارج قد استطاعوا خلال فترة طويلة من التاريخ أن يكونوا ملوكا للتجارة المارة خلال هذه المداخل والمخارج بين الشرق وبين الغرب • وقد انتشرت مسكوكاتهم على مسالكها فيما بين الصين من جهة وبين شبه جزيرة اسكندیناوه من جهة أخرى •

وعندما وصل الانجليز الى المياه الشرقية كانت جزر أندونيسيا هى المنطقة العظمى للجذب • وكان الهولنديون ، وهم وقتئذ أعظم من الانكليز قوة ، يسيطرون على تجارة هذه الجزر ويسيطرون ايضا على تجارة معظم المناطق الاخرى المجاورة لها فى جنوب شرق آسيا • وفى سنة ١٦٢٣ ، بدت الشركة الانجليزية عاجزة تماما عن منافستهم ، وفقدت أمامهم كل ما أقامته لنفسها هناك من مصالح • ولهذا غادرت جزر اندونيسيا واتجهت لمنافسة البرتغاليين فى الهند وفى عالم الخليج العربى(٧)•

(٢) الاستعمار الانجليزى يضع قدمه فى الهند :

ترك الانجليز جزر أندونيسيا بعد أن بدا عجزهم عن مقاومة التفوق الهولندى فيها • وجاءوا الى الهند وأقاموا أول وكالة تجارية لهم فى ثغر سورات ، ومنه أخذوا يمتدون ويقيمون لهم مراكز تجارية أخرى على السواحل الهندية • وكانت مراكزهم الرئيسية فى بومباى على الساحل الغربى ، وفى

مدراس على الساحل الشرقى ، وفى كلكتا فى اقليم بنغال ، عند مصب نهر جانجيز داريا كانكا • وفي أثنـاء هـذا التوسع الانجليزي على سواحل الهند ، جاءت شركة الهند الشرقية الفرنسية واتخذت لنفسها مراكز تجارية أخرى • وكانت ، من مراكزها الرئيسية ، بوندشيرى التى تقع على الساحل الشرقى للهند ، وعلى مسافة نحو ١٦٠كم• جنوب مدراس • وقد قامت بين هذه الشركة الفرنسية وبين الشركة الانجليزيـة منافسـات واصطدامـات مسلحة ، هى جزء مما كان قائما بين فرنسا وبين انجلترا من المنافسة فى جهات أخرى من العالم • وعندما خرجت هذه الدولة الاخيرة منتصرة بمعاهدة باريس سنة ١٧٦٣ ، فقدت فرنسا بعض مراكزها فى الهند ، كما فقدت بعد ذلك بعضا آخر استولى الانجليز عليه انتقـاما منها لمساعدتهـا الامريكيين ضدهم فى الحرب التى أشعلوها للتحرر من نيرهم(٨)•

وقد صاحب ظفر الانجليز على الفرنسيين فى الهند أسبقيتهم فـى النهضة الصناعية التى بدأت حول سنة ١٧٦٩ ، بسبب التحسينات التى أدخلها « وات » على الآلة البخارية • وقد أحدث هذا ثورة تناولت بالتحسين كثيرا من مرافقهم ، وتضاعف سريعا انتاجهم فى نواحى نشاطهم الاقتصادى• وقد عززت هذه النهضة الصناعية تنظيماتهم التى سبق ان وضعوها متعلقة بالتجارة ، وبالملاحة ، وبما يرتبط بهما من شؤون المستعمرات • الا أن تلك التنظيمات المقيتـة التى كانت ترمى الى اثراء انجلترا والتجار الانجليز على حساب المستعمرات وأبنائها ، قد أدت الى قيـام الثورة الامريكيـة وحرب الاستقلال التى انتجت خروج أمريكا (الولايات المتحدة) من أيديهم(٩)•

وهذه الضربة التى أصيب الانجليز بها من جراء سياستهم الاحتكارية، جعلتهم يتحولون الى وجهة مضادة لهذه السياسة • فظهرت هناك مدرسة تقول بأن كل التنظيمات فى التجارة ضارة ، وأنه ينبغى ان تترك التجارة حرة • وكان قانونهـا المثـالى ، هو الشراء من أرخص الاسـواق والبيع فى أغلاها • وقد جعلتهم هذه الضربة أيضا ، يعملون فى سياستهم الاستعمارية على أساس وضع مشابه للعلاقات القائمة بين أفراد الاسرة الواحدة • بمعنى انه ما دامت المستعمرة ضعيفة القوة فانه يجب أن تبقى فى احضان الام ، فاذا شبت عن الطوق وصلب عودها فانه ينبغى أن تعامل بمثل ما يعـامل الآباء أبناءهم الذين يبلغون مرحلة الشباب ، من رفق ومسايرة • أمـا اذا بلغت المرحلة التى تركب فيها رأسها وتولد المتاعب ، جاز العمل على ارضائها والسماح لها بأن تنفصل بعض الانفصال عن محيط الاسرة(١٠)•

واذا راعينا هذه المبادىء الجديدة التى اعتنقهـا الانجليز من ناحيـة التجارة ومن ناحية الاستعمار فى ممتلكاتهم ، نجد أن الهند ، من بينها ، تشغـل مركز الصـدارة فى الاهمية • فانها فى مساحتهـا البالغـة نحو ٣٠٠ر٠٠٠ر٣كم٢ منتجة انتـاجـا واسعـا لانواع كثيرة ومختلفـة مـن الثروات • كما أنها بسكانها الذين يتجاوز عددهم ٣٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمـة

والذين يعيشون فى ضعف اجتماعى وتفرق ، تكون السوق الرخيصة لجلب المواد الخام ، والميدان الواسع لاستغلال رءوس الاموال ، ولتصريف المصنوعات الثقيلة فى مد خطوط السكك الحديدية وفى انشاء الخزانات والجسور ونحوها • فضلا عن كونها سوقا واسعة لتصريف المصنوعات الانجليزية الاخرى(١١)•

واذا قارنا بين الهند وبين غيرها من الممتلكات الاخرى الكبيرة التابعة لهم ، مثل كندا ، واستراليا ، نجد أن هذه الممتلكات تسير فى المرحلة الاخيرة التى تتولد فيها المتاعب • وذلك لانها مسكونة بعناصر أوروبية ناضجة ، من نوع العناصر التى طردتهم من أراضى الولايات المتحدة الامريكية• وفضلا عن ذلك فان هذه الممتلكات لا تقارن بالهند ، لا من ناحية ثرواتها الطبيعية واحتمالاتها الكبيرة ، ولا من ناحية الملايين من سكانها الذين يقدمون لهم الايدى العاملة وفيرة ورخيصة • وفى الواقع ، انه لا يبعد ان يكون مقصودا ، اتخاذ ملوك الانجليز لانفسهم لقب امبراطور الهند ووصفها بالدرة اللامعة فى تيجانهم • وذلك لغرض الايحاء الى شعوب العالم بأن الهند جزء لا يتجزأ من البلاد الانجليزية ، والى الشعب الانجليزى كذلك ، لينشأ أبناؤه على شدة الاهتمام بها والعض عليها بالنواجذ •

وبسبب هذه الاهميات الكبيرة التى تتضمنها الهند ، أخذ الانجليز فى تحويل سياسة شركة الهند الشرقية الانجليزية من الناحية التجارية الى الناحية الاستعمارية • وبدأت هذه السياسة الجديدة فى سنة ١٧٦٥ بمعاهدة الله آباد التى عقدوها مع الامبراطور المغولى ، وبها اكتسبوا منه سيطرة فعلية على مقاطعات بنغال ، وبيهار ، وأورسا • ثم أخذوا يعالجون الامراء الاقوياء وفى مقدمتهم حيدر على أمير ميسور • وفى سنة ١٧٧٣ اصدرت الحكومة الانجليزية قرارا ، جعلت الحاكم فى بنغال من قبل الشركة حاكما عاما لما اسمته بالممتلكات البريطانية فى الهند • ثم خطت خطوة استعمارية كبرى فى سنة ١٧٨٤ بأن أصدرت قرارا آخر بتعيين وزير للهند تساعده هيئة من الخبراء فى شوءونها • واعطت لهذا الوزير حق الاشراف التام على النشاط الذى تقوم به الشركة من الناحية التجارية ومن الناحية الاستعمارية• وهذا القرار أيضا ، قد جعل تعيين الحاكم العام للهند من اختصاص الحكومة الانجليزية ، كما جعل من حقها التدخل فى تعيين كبار موظفى الشركة ، وفى ايقافهم عن عملهم • وبعبارة أخرى انه منذ سنة ١٧٨٤ ، كانت الهند قد دخلت فى الخطوة الثالثة من خطوات الاستعمار الانجليزى ، وهى الخطوة التى يتدخل فيها رجال السياسة • فان الشركة قد عادت بعد ذلك ، كما بدأت ، موءسسة تجارية فقط ، وتولت الحكومة الانجليزية عنها الجانب العسكرى ، والجانب السياسى ، فى تقرير علاقاتها مع سكان الهند ومع القوى الاخرى المنافسة لها فيها • وفى سنة ١٧٩٦ عينت الحكومة الانجليزية

لورد كارنواليس حاكما عاما على الممتلكات البريطانية فى الهند ، وفى عهده استطاع الانجليز ان يغتصبوا نحو ثلث ممتلكات تبو سلطـان ، وهو ابن حيدر على ، امير ميسور(١٢)٠

ملاحظة : ما بين قوسين ( ) هو رقم المرجع فى قائمة المراجع الموجودة فى آخر الكتاب

١ ـ (٨١) ص ٧٥ ٠

٢ ـ راجع (١٨٠) ص ١٨٤ ـ ١٨٥ ، ١٩٥ ـ ٩٦ ، ٢٥٧ ـ ٥٨ ٠ (٩٩) ص ٧٣ ، (١٨٣) ص ٧٦ـ٧٧ ٠ راجع (٦٥ ج ٢) ص ٥٣٦ ٠ (١٢٠) ص ٦٦ ٠

٣ ـ كانت البعثة بقيادة روبرت نيوبرى ومعه رالف فيش واثنان اخران ٠ راجع ايضا (١٢٠) ص ٦٥ ٠ (٦٥ ج ٢) ص ٤١٦ ـ ١٧ (٥٥) ص ٢١ ٠ (١٥١) ص ٢٠٥ ٠

٤ ـ كان ذلك بعد تدمير الاسطول الاسباني ـ البرتغالي في موقعة الارمادا المشهورة في ١٥٨٨ ٠

٥ ـ راجع (٩٩) ص ٧٣ ـ ٧٥ ٠ (١٢٠) ص ٦٧ ٠ (٩١) ص ٣١ ٠ وقد استمرت شركة الليفانت قائمة بصورة هزيلة حتى حلت فى ١٨٢٥ ٠

٦ ـ (٢٠٤) ص ٨٩ ـ ٩٠ ، ٩٤ ٠ (٢٠٧) ص ١٣٤ ٠

٧ ـ (١٨٠) ص ٧٧ ٠ (٩١) ص ٢١ ٠ راجع (٢٠٤) ص ٢٣ ٠

٨ ـ (٢٠٤) ص ١٥٦ ـ ١٧١ ، ٢١١ ٠

٩ ـ (١٦٠) ص ٦٧ ، ١٣٦ وما بعدها ٠

١٠ ـ راجع (٢٤٠) ص ٢٣ ـ ٢٤ ٠ (٢٠٢) ص ١٢٣ ٠

١١ ـ يقول الاستاذ سيلى ان بريطانيا لم تفتح الهند بالمعنى الدولى الدقيق لان الشعب الهندى لم يقاومها ٠ كانت تتغلب على احدى الولايات الهندية بمساعدة ولاية هندية أخرى ٠ فلم تكن هناك أمة هندية وبالتالي لم يقم فتح انكليزى حقيقى للهند ٠ راجع (٦٣) ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ ٠ وراجع ايضـ (٧٠) ص ٢٨١ ٠ (١٦٢) ص ٢١٤ ٠ (١٥٤) ص ٢٩١ـ٢٩٢ ٠

١٢ ـ راجع (٢٠٤) ص ٢٠٨ ـ ٢١٢ ، ٢١٤ ٠ (١٢٣) ص ١٣٥ ٠ (١٨٢) ص ٢٢ـ٢٣ ، ٤٦ ، ١٤٧ ٠ (٢٠٧) ص ٢٦٠ـ٢٦١ ٠

الفصل الثاني

الخليج العربي مدخل الاستعمار الانجليزي الى الشرق الاوسط

هذا الخليج ، هو ذراع من البحر العربى متدخل بين بلاد الشرق الاوسط • وبسبب هذا التدخل قصر امتداد المعبر البرى وهو الذى يقع في هذا الشرق ، بين نطاق جبال زاجروس ـ طوروس من جهة وبين هضبة بلاد العرب من جهة أخرى ، وتتضمنه سهول العراق وسوريا • ويكون الخليج العربى مع هذا المعبر البرى الطريق الاوسط من طرق التجارة الشرقية ، وقد استمر هذا الطريق يلعب دوره الهام فى نقل هذه التجارة وغيرها من الاتصالات البشرية الاخرى بين عالم المحيط الهندى وبين عالم البحر المتوسط منذ أقدم العصور الى أن فتح طريق قناة السويس ففقد كثيرا من أهميته • ثم عادت اليه أهميته ثانية ، ولا تزال ، بعد اكتشاف البترول وبعد استخدام القطار والسيارة والطائرة فى النقل والاتصالات •

والخليج العربى ضيق نسبيا ، كما أنه ضحل • ويبلغ طوله فى خط مستقيم بين مصب شط العرب وبين ساحل عمان نحو ٨٠٠كم • أما عرضه فيتراوح بين نحو ٢٢٨ كم ، فى اقصى اتساعه شرق شبه جزيرة قطر، وبين نحو ٤٦كم فى مضيق هرمز • وأما من ناحية العمق فان اعمق اجزائه لا تتجاوز نحو ١٠٠ متر فى الغالب ، ويتضمن مناطق واسعة لا يتجاوز عمقها ٤٠ مترا • ويوجد هذا العمق القليل فيه خلال مسافة تمتد في داخله نحو ١١٠كم من ساحله عند مصب شط العرب ، كما يوجد كذلك الى مسافات ما تمتد من سواحله الاخرى • ويوجد أيضا حول الجزر الكثيرة التى يتضمنها ، مثل جزر البحرين • ويمكن القول بصفة عامة بأن الاعماق الكبيرة فيه تتراوح بين ٧٠ـ٩٠ مترا ، وهذه توجد على مقربة من ساحل هضبة ايران من جهة ومن مضيق هرمز من جهة أخرى • أما اقل اجزائه عمقا فتوجد قبيل رأسه ، حيث يمتد فيه مستعرضا حاجز طيني ضخم يعرف باسم حاجز الفاو ، لا يكاد عمق الماء فوقه فى وقت الجزر يتجاوز نحو ثلاثة أمتار فقط • أما فى وقت المد فان هذا العمق يبلغ نحو الضعف • ويزيد على ذلك فى الاوقات التى يتفق فيها هبوب رياح قوية من جهة الجنوب

الشرقى مع حدوث ارتفاع موجة المد • كما أنه قد يقل عن ثلاثة أمتار ، اذا صاحب حدوث الجزر فيه هبوب رياح شمالية غربية • وفى وقت الجزر كانت السفن الصاعدة الى البصرة فى شط العرب والنازلة فيه منها تقف أمام هذا الحاجز عاجزة ، اذا كان غاطسها يزيد عن ثلاثة أمتار • وكانت أحيانا تفرغ بعضا من حمولتها فى عدد من القوارب ، حتى يقل غاطسها الى القدر الذى يمكنها من عبوره • وكانت أحيانا أخرى تنتظر ارتفاع موجة المد فتعبره معها ، اذا كان غاطسها يمكنها من ذلك • وقد استمرت هـذه الحال الى ما بعد نهاية الحرب العالمية الاولى ثم طهر قسم من هذا الحاجـز وحفرت خلاله قناة ملاحية تعرف باسم قناة روكا ، يبلغ اتساعها نحو ٩٠ مترا ، ويبلغ عمقها تحت سطح الماء نحو ٩ـ١٠ أمتار • وتوالى ادارة ميناء البصرة تطهيرها وانارتها واقامة التسهيلات الاخرى اللازمة لتأمين حركة الملاحة خلالها(١).

ويحتوى الخليج العربى على عدد كبير من الجزر الصغيرة التى يكثـر وجودها امام بعض المناطق من سواحله • ويساعد وجودها على هدوء حركة الماء عند هذه المناطق • ومعظم هذه الجزر قاحل أو شبه قاحل ، الا أن لها مع ذلك أهميات أخرى • فهى تستخدم كمحطات لصيادى السمك ، وملاجىء لهم في وقت الضرورة • كما تستخدم كمراكز لصيادى اللؤلؤ ايضا ، والخليج العربى مشهور بهذه الثروة • وكذلك ، يتضمن بعض هذه الجزر مرافىء صالحة لاستقبال بعض السفن المحيطية ، مثل جزر البحرين ، وهرمز، وهنجام وغيرها • ولعل هذه العوامل الطبيعية فيه ، بجانب هدوء مياهه ، وما يتضمنه فى باطنه من ثروات ، هى التى جعلته واحدا من الامهاد الاولى للملاحة ، ومن المراكز الكبرى لنشاطها فى العصور القديمة •

وبالاضافة الى هذه العوامل الطبيعية والثروات ، يلاحظ ان البيئات التى تكتنفه فقيرة • وهي تعتبر من الناحية النباتية جزءا من اقليم الصحارى الحارة • وقد ألزم هذا الفقر سكان هذه البيئات بأن يستعينوا على معاشهم ـ الى جانب ما تنتجه لهم واحاتهم من بعض انواع التمور والغلات الاخرى المحدودة ـ ، بصيد الاسماك ، واستخراج اللؤلؤ والاصداف منه ، وكذلك بالاشتغال بالنقل المائى والتجارة • وللخليج العربى فى هذا النشاط الاخير اعتبار كبير • وذلك لانه يكون معبرا يصل بين اقليمين طبيعيين ، يختلف كل منهما عن الاخر كثيرا فى ثرواته ، وهما الاقليم الموسمى فى شرقه ، واقليم البحر المتوسط فى غربه • وتنتقل اليه موءثرات الاقليم الموسمى فى مياه البحر العربى وخليج عمان • كما تنتقل اليه فى طرق برية تتضمنها سواحلهما • وتنتقل اليه موءثرات اقليم البحر المتوسط خلال أرض ما بين النهرين ، وفي مجرى نهر دجلة وفي مجرى نهر الفرات ، وعلى ضفافهما •

وللخليج العربى ثلاثة سواحل • الجنوبى منها ، وهو الساحل العربى،

أطول تلك السواحل ، كما انه أوسعها وأكثرها انخفاضا • ويتضمن عند شاطئه جونات (مستنقعات ساحلية) • ومنه تبرز رؤوس كثيرة ، كما يتدخل فيه أيضا كثير من الخلجان • ويوجد أمامه عدد كبير من الجزر الصغيرة ، أكبرها جزيرة البحرين • وفي وقت المد ، وكذلك في وقت هبوب الرياح من الاتجاهات المقابلة ، ترتفع المياه وتطغى على بعض أجزائه ، فتزيد فى اتساع جوناته ، وتكون مستنقعات أخرى • وبسبب تكوينه الرملى ، وبسبب ضحالة مياهه الشاطئية ، ندرت فيه الاماكن الصالحة لاستقبال السفن الكبيرة • ولكن خلجانـاته الضحلة وجونـاته تصلح ، مع ذلك ، لايواء السفن الصغيـرة والزوارق • وقبل أن يتقدم فن الملاحة ، وتبنى السفن الكبيرة التى صاحبت أعمال الكشف الجغرافى ، كان سكان هذه السواحل يستغلـون سفنهـم الصغيرة وزوارقهم فى استخراج اللوءلوء وفى صيد السمك • كما كـانوا يستغلونها فى نقل التجارة بينها وبين السواحل الاخرى للخليج العربى ، وكذلك بينها وبين سواحـل الهند ، وبعض السواحـل الاخرى للمحيط الهندي • أما بعد أن جاءتهم السفن الاوربية الكبيرة لتنافسهم في هـذه التجّارة ، فقد اضطروا الى أن يلجأوا الى أعمال القرصنة • وكانوا يشنون بسفنهم الصغيرة هجمات موفقة على السفن الاوربية ، ثم يسرعون بهـا محتمين بخلجان ساحلهم وجوناته ، متحدين بها بحارة السفن الاوربيـة أن يأتوا اليهم •

وتسكن هذا الساحل قبائل عربية ، مع جاليات من الايرانيين ومن الهنود اقاموا فيه بسبب صلاتهم المكانية بايران والهند • ويوجد بينهـم أيضا بعض الدماء الزنجية ، وهى من آثار اتصالاتهم بالساحل الافريقى ، ومن اشتغالهم خلال فترة من الزمن بتجارة الرقيق • وقد اقتسمت هـذه القبائل فيما بينها مناطق هذا الساحل ، وكونت فيهـا امـارات عربية ، مستقلة كل منها عن الاخرى • وقد ساعدت الظاهرات الطبيعية التى سبقت الاشارة اليها على هذا التقسيم كما ساعد عليه تدخل نطاقات واسعـة من الصحراء ، فصلت كلا من هذه المناطق الساحلية عن الاخرى •

واذا أردنا ان نتعرف على هذه الامـارات العربية ، فبدأنا من رأس المسندام ، وهى التى تبدو كالسهم المصوب من أرض عمان نحو مضيق هرمز ، نجد ما يعرف باسم ساحل عمان الشمالى • وهذه التسمية ليست دقيقة من الناحية الجغرافية ، لان لعمان ساحلا آخر يواجه الشمال ، وهو المحصور بين شاطىء خليج عمان وبين نطاق المرتفعات الذى يتضمن الجبل الاخضر ، كما يتضمن الحجرة الشرقية والحجرة الغربية • وكان الانجليز قد سموا هذا الساحل الذي نحن بصدده « ساحل القرصان » ، ثم اطلقوا عليه فيما بعد اسم (ترشيال عمان) أى ساحل عمان المهادن • وهو يمتـد غربا الى شبه جزيرة قطر • واذا استثنينا الطرف الشمالى الشرقى من هذا

الساحل الذى يكون جزءا من مقاطعة روءوس الجبال التابعة لعمان ، نجد أن الجزء الباقي يتضمن ست امارات عربية • هي رأس الخيمة وأم القايوين ، وعجمان ، والشارقة ، ودبي ، وأبو ظبي • وفي غرب هذه الامارة الاخيرة ، توجد امارة قطر ، ثم امارة الحسا ، أو الاحساء ، وهى الان تكون جزءا من المملكة العربية السعودية • وفيما بين هاتين الامارتين الاخيرتين يوجد خليج البحرين ويتضمن امارة جزر البحرين • وأخيرا توجد دولة الكويت فى شمال غرب الحسا ، وتمتد حدودها الشمالية مع حدود العراق •

ويفصل بين هذه الامارات الساحلية ودولة الكويت من جهة وبين داخل الجزيرة العربية من جهة اخرى شريط واسع من الصحراء • ويمتد على طول حافته الداخلية نطاق من الكثبان الرملية يعرف بأسم الدهناء • ويمنع هذا النطاق سير الاتصالات بينهما ، الا من ممرات معينة فيه ، وأهمها ممران ، يصل أحدهما بين ساحل الاحساء وبين الرياض عن طريق واحات الهفوف • ويصل الاخر بين خليج الكويت وبين بريده وعنيزه في القصيم متتبعا وادى البطن • والكويت مدخل الى العراق من هذا الساحل ، حيث الارض بينهما صالحة لجمع وسائل النقل في كل فصول السنة • وفي الوقت الحاضر تقطع السيارات المسافة بين مدينة الكويت وبين الزبير في نحو خمس ساعات • والزبير بلدة صحراوية في أرض العراق على مسافة نحو ١٤ كم من البصرة الحالية على شط العرب • وتقوم فى مكان البصرة التي أنشأها العرب عقب فتح بلاد الفرس ، او بالقرب منه •

أما الساحل الشمالى ، وهو الساحل الايراني ، فانه ضيق • وفي بعض اجزائه تبرز رؤوس صخرية ، وفي البعض الاخر تتدخل لاجونات ضحلة • كما تتدخل خلجان ومياه تتفاوت فى عمقها • ويوجد امام الساحل الايرانى ايضا عدد من الجزر ، الا انها فى الغالب اكبر مساحة من نظائرها التى توجد أمام الساحل العربي • ويلاحظ هذا في جزر قشم ، وهرمز ، وقيس والشيخ شعيب ، وخرج • وقد ساعدته هذه الظاهرات الطبيعية على أن يحتوي على بعض الموانى الصالحة لقبول السفن الكبيرة • وأهم موانيه في الوقت الحاضر بندر شاهبور وبوشير وبندر عباس • وقد لذلك اشتهر عليه أيضا ميناء سيراف وميناء هرمز • ومعظم سكان هذا الساحل من القبائل العربية غير أن اقليات من الفرس ، ومن قبائل القشقاى التركمانية تساكنهم فيه ايضا •

ويمتد وراء هذا الساحل شريط ضخم من السلاسل الجبلية ، يمنع سير الاتصالات بينه وبين داخل هضبة ايران الا من ممرات فيه ، وأهمها ثلاثة • يبدأ أحدهما من بندر عباس وينتهى عند كرمان من جهة وعند

حوض سستان (سجستان) من جهة اخرى • وتتصل به طرق رئيسية ومسالك • يربط بعضها بينه وبين جهات في داخل هضبة ايران • ويربط البعض الاخر بينه وبين الهند خلال اراضى بلوخستان وممر بولان ، وخلال اراضى افغانستان وممر خيبر ، كما يربط بينه وبين غرب آسيا ووسطها خلال بوابة خراسان ، وهي الثغرة الواسعة الواقعة بين الطرف الغربي من جبال هندكوش من جهة وبين جبال خراسان من جهة اخرى • ويبدأ الممر الثانى من بوشير ، ويمر بشيراز ، ويجتاز وادى زينده رود وينتهى عند يزد • ويمكن ان تتجه اليه اتصالات من الاتجاهات التي يرتبط بها الممر الاول ، كما يمكن ان تتجه اليه اتصالات من جهات اخرى في وسط هضبة ايران وفي شمالها • أما الممر الثالث فانه يبدأ من بندر شاهبور ، ويلتقى بنهر كارون عند الاهواز ، ويتبع وادى منبعه آبى دين ، ثم وادى قم ، وهو نهر آخر يتجه نحو الشمال الى طهران • وطهران ، هي عاصمة ايران • وتقع عند السفوح الجنوبية لجبال البورز ، وفي منطقة استراتيجية تلتقى عندها أهم طرق الاتصالات في هضبة ايران • فمنها طريق يتجه نحو الشرق يربطها بغرب آسيا ووسطها مارا بنيسابور ، ومشهد ، وخلال بوابة خراسان • ومنها طريق يتجه نحو الجنوب الشرقي يربطها بالوادي الادنى لنهر السند ، مارا بكاشان ، ويزد ، وكرمان ثم خلال بلوخستان ، وممر بولان • ومنها طريق يتجه نحو الغرب يربطها بهضبة أرمينيا واقليم القوقاز ، عن طريق قزوين وأردبيل من جهة ، وعن طريق قزوين وتبريز من جهة أخرى • ومنها طريق يتجه نحو الجنوب الغربى يربطها ببغداد ، مارا بقزوين ، وهمدان ، وكرمنشاه ، ثم خلال بوابة زاجروس عند خانقين ، وفي وادى نهر ديالى ، وهو رافد لنهر دجلة • وفي جبال البورز الواقعة في شمالها توجد ايضا ممرات ، يربط بعضها بين هذه الهضبة وبين السواحل الجنوبية لبحر قزوين •

أما الساحل الاخير للخليج العربي ، فهو الساحل الغربي الذى يصب فيه شط العرب • ويمتد بين خورموسى من جهة الشرق ، وبين خور الصبية من جهة الغرب • وخور موسى ، هو الذى يقع عند رأسه ميناء بندر شاهبور ، ويصب فيه نهر جراحى ، وهو نهر صغير ينبع من جبال البختياري ويكون واديه مدخلا آخر الى داخل هضبة ايران عن طريق شيراز • وينصرف الى خور موسى في الوقت الحاضر شيء من مياه نهر كارون • ويقال ان معظم مياه هذا النهر كانت تنصرف اليه في النصف الاول من القرن الثامن عشر • اما خور الصبية فهو الذراع الممتد من مدخل خليج الكويت نحو الشمال ، بين جزيرة بوبيان وبين الارض الاصلية ، والذي يتصل بخور عبدالله •

والساحل فيما بين هذين الخورين غير تام التكوين • وهو طيني ضحل ، ويتضمن لاجونات تتسع مساحتها كثيرا في وقت المد ، وفي وقت الفيضان في الشتاء وفي الربيع ، وتبلغ ذروة اتساعها اثناء هذا الفصل الاخير • ويقسم شط العرب هذا الساحل الى قسمين ، ويقع القسم الشرقي منهما في ايران ، بينما يقع القسم الغربي في العراق • ويصعب الدخول طبيعيا من هذا الساحل الى الاراضي الايرانية أو الى الاراضي العراقية ، الا من مداخل معينة • فقد لوحظ أن زوارق الفرقة الانكليزية التي أرسلت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر برئاسة تشارلز برايت لمد سلك بحري الى الفاو قد شحطت في الطين على مسافة ١ر٥ كم منها ، واضطر أفراد الفرقة الى أن ينزلوا منها الى الماء ، وكانت أقدامهم تسوخ في طين هش ، وتغوص أرجلهم فيه الى صدورهم •

وفي الساحل الايراني منه ، يوجد مدخل واحد يقع على مسافة نحو ٢٠ كم من مصب شط العرب ، وهو مدخل بهمانشير ، فرع نهر كارون الذي يتفرع منه فوق المحمرة (خرم شهر) بقليل ، ويمتد هذا المدخل موازيا لشط العرب ، وفيما بينهما تنحصر جزيرة عبادان • ويبلغ طوله نحو ٧٢ كم ، ويمكن للسفن التي يبلغ غاطسها نحو ٢١٠ سم أن تصعد فيه من الخليج مسافة نحو ٥٠ كم • أما باقي مجراه فانه يتضمن حواجز طينية وشطوطا رملية متنقلة تصعب الملاحة فيها الا ما كان من نحو الزوارق الصغيرة • بل ان بعض هذه الزوارق قد يجد نفسه احيانا مضطرا الى ان ينتظر ارتفاع المد ليحمله الى نهر كارون •

وفي الساحل العراقي منه ، مدخل واحد ايضا هو خور عبدالله • وهو أمتداد لخور الصبية شمال جزيرة بوبيان • ويعرف امتداده نحو بلدة الزبير بأسم خور الزبير ، ويقال بأنه كان مصبا قديما لنهر الفرات• ولهذا الخور امتداد آخر يتجه نحو مدينة البصرة ويعرف بأسم خور الشعلب • وخور عبدالله بامتداديه ضحل ، وتكتنفه مستنقعات وسطوح ملحية • وهو بحالته هذه لا تستطيع قوة ما ان تتخذه مدخلا الى العراق •

والمدخل الرئيسي من هذا الساحل الشمالي للخليج العربي الى سهل العراق وامتداده في مناطق السهول الاخرى في الاراضي السورية ، هو شط العرب ، الذي يمتد فاصلا بين قسم من أرض العراق وبين قسم من ايران[٢] ، ومتدخلا في الاراضي العراقية مسافة كبيرة الى القرنة • وهناك ، حتى منتصف الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، كانت مياه نهر الفرات تلتقي بمياه نهر دجلة وتنصرفان معا فيه • اما بعد ذلك التاريخ فقد حدثت كسرات في الضفة اليمنى لنهر الفرات واخذت مياهه تنصرف في منخفض واسع يقع شمال البصرة بقليل ويعرف بأسم هور سناف • واستطاعت ان تشق لها في الضفة اليمنى لشط

العرب منافذ ، يعرف أهمها باسم كرمة علي ويقع أسفل القرنة بنحو ٦٣ كم • وقد ترتب على ذلك ان اتسعت مساحة هور الحمار الذى كان يكتنف ضفاف المجرى القديم لنهر الفرات بين سوق الشيوخ وبين القرنة وبلغت أكثر من مليون ونصف مشارة • وهور الحمار لايزال الاسم الشائع لهذا المستنقع الكبير • وهو ضحل ، لا يتجاوز عمق الماء في معظم أجزائه مترا واحدا • ويمتد بين حافة الصحراء العربية وبين الضفة اليمنى لشط العرب • وقد عزل بهذا الامتداد منطقة البصرة عن داخل العراق • وبذلك تبدو أهمية شط العرب بالغة ، كمدخل من الخليج العربى الى هذا الداخل العراقى •

ويحمل شط لعرب الى الخليج العربي ، بجانب مياه نهر دجلة ونهر الفرات اللذين يجريان فى أرض العراق ، مياه نهر كارون وبعض مياه نهر كرخة • وهما يأتيان من المرتفعات الايرانية المجاورة • ونهر كارون يصب فيه من ضفته اليسرى عند المحمرة ، ويكون مدخلا جيدا منه الى منطقة البترول الايراني في مقاطعة خوزستان • أما نهر كارخة ، فأن مياهه تتبدد في هور الحويزة ، ولكن بعضا منها ينصرف أيضا الى شط العرب عن طريق نهر دجلة ، حيث توجد فتحات فى ضفته اليسرى ، أسفل العزير • كما ينصرف بعض آخر الى شط العرب مباشرة عن طريق فتحة السيب التى توجد اسفل القرنة •

وهور الحويزة اعظم أتساعا من هور الحمار • ويجتازه خط الحدود السياسية بين العرا قوبين ايران(٣) • وهو يمتد شمالا وراء الضفة اليسرى لنهر دجلة الى منطقة العمارة • وعند هذه المدينة ينصرف اليه في وقت الفيضان نحو ٤٥٪ من مياه هذا النهر ، بواسطة جدولي الكحلاء والمشرح وفي أسفلهما تنصرف اليه نسبة اخرى بواسطة جداول اخرى • وتقدر كمية المياه المنصرفة من نهر دجلة خلال فتحاته فى ضفته اليسرى وفي ضفته اليمنى فيما بين جنوب العمارة وبين بلدة قلعة صالح بأكثر من نصف مياهه • وبسبب ذلك ضاق مجراه كثيرا عند هذه البلدة ، وازداد ضيقا بحيث كون صعوبة أمام الملاحة النهرية فى امتداده الواقع أسفلها الى بلدة العزير (ميسان) • اما فى أسفل هذه البلدة الاخيرة فأن مجراه يأخذ فى الاتساع تدريجيا نحو القرنة • وذلك لان قسما من مياهه التى انصرفت منه شمال قلعة صالح تعود اليه من خلال فتحات أخرى فى أسفل بلدة العزير • والمياه العائدة من هور الحويزة الى نهر دجلة في وقت الانخفاض جعلت سطح هذا الهور يتضمن بعض نطاقات جافة ، وعلى الاخص عند ضفاف الجداول الكبيرة • ويوجد خلاله مسلك مطروق ، يتبع ضفاف جدول المشرح وضفاف الوادى الادنى لنهر كرخة ، ويصل بين العمارة وبين منطقة البترول الايراني • وقد سلكته قوة

تركية عند قيام الحرب العالمية الاولى لتدمير هذه الآبار ، وكادت تنجح في تدميرها لولا ان اعترضتها قوة انكليزية متفوقة عليها(٤) .

ومجرى شط العرب متأثر كله بحركات المد والجزر من الخليج العربي . وهو صالح للملاحة بعض السفن المحيطية . اذ أن اتساعه يتراوح بين نحو ٢٥٥ مترا وبين أكثر من ١/٢ كم عند مصبه . ويبلغ عند البصرة اكثر من نصف كم . كما أن عمقه كبير اذ يتراوح بين تسعة أمتار وبين ١٨ مترا ، الا عند حاجز المحمرة فأنه يكون اقل من ذلك . وهذا الحاجز موءقت اذ يتكون في فصل الشتاء من الرواسب الكثيرة التى تحملها مياه نهر كارون في بدء فيضانها من الأمطار ، ويستمر حتى تأتى مياه فيضان نهرى دجلة والفرات في الربيع ، فتملأ شط العرب وتكتسحه بتيارها . وأما ضفاف هذا الشط فأنها كانت قبل عمل التسهيلات الحديثة لا تصلح لان تكون مداخل الى العراق من الخليج العربى . وذلك بسبب أنها عند هذا الخليج غير تامة التكوين ، ولانها مكسوة بأشجار النخيل ويقطعها عدد كبير من الجداول . وكذلك لان بعض أجزائها معرض لطغيان المياه عليه في وقت الفيضان ، وعلى الاخص عند حدوث الفياضانات العالية .

وفي عالم الخليج العربي كانت بلاد فارس اول ما اتجهت أطماع الاوربيين اليها . فقد كانت من جهة تكون سوقا واسعة للمنتجات الاوربية كالمنسوجات الصوفية الانكليزية وغيرها . وكانت من جهة اخرى غنية بسلع مطلوبة في السوق الاوربية . منها ما كان من انتاجها المحلى ، ومنها ما كانت القوافل تنقله اليها من الهند ومن الصين خلال الطرق الموصلة بينهما . وكانت هذه السلع ، ومن بينها الحرير الذى كان الشاه يحتكر تجارته ، تنتقل خلال معبر الشرق الاوسط فى اراضى العراق وسوريا الى الساحل الشرقى للبحر المتوسط . ثم تعرقل بعد أن أستولى الاتراك على هذه السهول . وذلك لان العداء كان شديدا بينهم وبين الفرس بسبب صراع قام بينهما على العراق وعلى الخليج العربى . وكذلك بسبب تعصب كل منهما لمذهبه الدينى . فالاتراك سنيون والفرس شيعيون ، ومن المعروف ان العراق يتضمن أهم الاماكن تقديسا في البلاد الاسلامية لدى الشيعة . وبسبب هذا العداء القائم ، عمد الاتراك ، وكانوا عسكريين اكثر منهم سياسيين ، الى الاضرار بالتجارة الفارسية . وذلك بفرضهم ضرائب باهظة عليها اثناء نقلها في أراضيهم . ولهذا كان ترحيب الشاه الفارسي كبيرا بالبرتغاليين وبالانكليز كعملاء مباشرين لثرواته(٥) .

والبرتغاليون هم أول من دخل من الاوربيين الى الخليج العربي ، وكان ذلك في ١٥٠٧ ، اى قبل أن يأتى الانكليز اليه بنحو قرن من الزمن . الا أن دولتهم سرعان ما أخذت في الضعف وغادر نجمها سماءه

نحو الافق الغربي بعد أن خضعت لاسبانيا في سنة ١٥٨٠ تحت لواء فيليب الثاني الذى انهك قوتها معه في حروب طاحنة قامت بينه وبين الفرنسيين والهولنديين وكذلك الانكليز ، حتى تحطمت قوته البحرية فى موقعة الارمادا في سنة ١٥٨٨ . وبسبب ذلك لم يجد الانكليز عناءا كبيرا في منافستهم والتغلب عليهم . وقد حدث اول انتصار للانكليز عليهم في مياه جاسك ، وهو ثغر يقع على الجانب الفارسى لخليج عمان ، وعند مدخل مضيق هرمز من هذا الخليج . وقد أتخذ الانكليز هذا الثغر المحطة الامامية لهم في الدخول الى الخليج العربي ، ومنه أخذوا يتعقبون البرتغاليين ويدسون لهم . واستطاعوا في سنة ١٦١٥ ان يحصلوا من الشاه الفارسي عباس الصفوي على فرمان يتضمن أمر الشاه لجميع موظفي الثغور الفارسية التي يتاجرون معها بأن يقدموا لهم كل المساعدات الممكنة . ثم حصلوا بعد ذلك بعامين ، اي في سنة ١٦١٧ ، على فرمان آخر يعطيهم حق احتكار تجارة الحرير التى كان البرتغاليون يحتكرونها من قبل . وفي سنة ١٦٢٨ اشتركوا مع الشاه فى حرب لطرد البرتغاليين من مياه مضيق هرمز ، وهو مضيق جبل طارق الخليج العربي . واستطاعوا ان يحصلوا منه في مقابل ذلك على امتيازات اخرى يثير البعض منها علامات تعجب كبيرة . منها مثلا اعفاؤهم من دفع رسوم كمركية على بضائعهم . ومنها اشراكهم بنصيب فيما يجبى من رسوم على بضائع الدول الاخرى . ومنها ان يكون لهم الحق في رفع علم بلادهم على مقر وكالتهم في بندر عباس ، وهى كما سبقت الاشارة ثغر مهم على هذا المضيق تتصل خلال مسالك ذات اتجاهات عديدة فى داخل هضبة ايران وحافاتها . أما أخطر الامتيازات التى حصلوا عليها ، فهي ان الشاه وكل اليهم أمر حماية التجارة في الخليج (الفارسى) . وقد بادروا باستغلال هذا الامتياز فأرسلوا الى مياه هذا الخليج سفينتين من سفنهم الحربية .

وهذه الغفلة من الشاه قد زفت اليهم منقادة الخطوة الثانية من الخطوات التي يخطونها نحو البلاد التي يعرضها سوء الحظ الى أن تنكب بهم . فهم عادة يبدأون بأدخال مصالح اقتصادية لهم في البلاد التى يتطلعون الى استعمارها ثم يفتعلون فيها المشاكل ، لكي تبدو تلك المصالح مهددة أمام الرأى العام العالمي . ولكي يضعوا أمامه مبررا لهم اذا هم أرسلوا اليها بعض قطع من أسطولهم الحربي لحمايتها . فاذا ولد هذا التهديد ذعرا في النفوس المريضة تقدم من بينهم رجال السياسة بالتهدئة ، وهم يشيرون من جهة الى قطع أسطولهم الرابضة ، ويشيرون من جهة اخرى الى انهم دائما يفضلون حل مثل هذه المشاكل البسيطة بالطرق السلمية . وهم مع الدول الضعيفة لا يرجعون الا بمعاهدات تعترف لهم على الاقل بهذه المصالح . أما الخطوة الاخيرة فهي الدعاية لهذه المصالح واكسابها الصفة

الشرعية فى اذهان العالم .

والانكليز ، وان انتصروا على البرتغاليين فى الخليج العربى وأرغموهم على تصفية مصالحهم فيه فأن انتصارهم هذا كان موقتا . فانهم لم يلبثوا حتى فوجئوا بوصول أعظم قوة بحرية عرفها القرن السابع عشر ، وهى قوة الهولنديين . فأن الهولنديين ، بعد أن أبعدوهم عن جزر الهند الشرقية ، جاؤا وراءهم الى هذا الخليج لينافسوهم في التجارة مع عالمه . وقد استطاعوا ان ينتزعو من أيديهم هذه التجارة بعد موت الشاه عباس في سنة ١٦٣٦ ، وأن يتعقبوهم من ثغر الى آخر حتى ادخلوهم في شط العرب واوصلوهم الى البصرة . والى هناك تعقبوهم أيضا ، وافقدوهم هيبتهم ، حتى طردهم الوالى التركى منها في سنة ١٦٥٧(٧) .

وقد هال الانكليز هذا الانتصار الساحق للهولنديين عليهم في جزر الهند الشرقية وفي الخليج العربي ، مع أن هولندا دولة صغيرة . فهي أقل من بلادهم مساحة ، واقل منهم في عدد السكان . فضلا عن أن بلادهم تتفوق عليها في ثرواتها الطبيعية ، وفي احتمالات موقعها الجغرافي . فدفعهم ذلك الى انتهاج سياسة يقوون بها أنفسهم في شؤونهم الداخلية ، وفى شؤونهم الخارجية ، ليقابلوا بها هذا التفوق الهولندى . ولقد اعتنقوا سياسة جديدة ، خلاصتها انه لكي تكون الدولة قوية ، وفي مقدمة غيرها من الدول الاخرى ، يجب ان تكون غنية . والغنى يأتى من التجارة ، وهى تستلزم الاستيلاء على مستعمرات وعلى اسواق تجارية . وهذا الاستيلاء لا يتحقق الا ببناء أسطولين ، أحدهما تجارى ضخم ، والاخر حربي متفوق . وفي سبيل تحقيق كل ذلك ينبغي أن تجند كل أوجه النشاط ، وأن يضحى بكل المصالح التى تعوق هذا التحقيق . وفي سنة ١٦٦٠ وضعوا قانون الملاحة ، وبموجبه احتكروا تجارة المستعمرات التى أستولوا عليها ، وقفلوا أبوابها في وجه أى تاجر اجنبي ، الا عن طريق الموانى البريطانية ، او عن طريق وسيط بريطانى ، وبعد أن تستوفي عنها الرسوم المستحقة في كمرك بريطاني ايضا . وسياسية التقوية التى ساروا عليها قد مكنتهم من محاربة هولندا والضغط عليها . وقد ساعدهم على التغلب على هولندة نهائيا تدمير أسطولها مع الاسطول الاسباني في حروب لويس الرابع عشر .

وفي أثناء النصف الاخير من القرن الثامن عشر أخذ الهولنديون يصفون مصالحهم في الخليج العربي ، بينما كانت مصالح الانكليز تزداد قوة فيه ، وعلى الاخص في عهد كريم خان . فأن هذا الشاه قد منحهم في سنة ١٧٦٣ حق فتح وكالات لهم في بوشير ، وفي الثغور الفارسية الاخرى ، كما أعطاهم حقوقا جديدة ، كان بعضها بالغ الخطورة ، ومن ذلك ان ينصبوا مدافعهم أمام وكالاتهم لحمايتها(٨) .

ولم يكن الصراع على تكوين المصالح في عالم الخليج العربى قاصرا على الانكليز ، والهولنديين فحسب وانما اشترك الفرنسيون فيه بنصيب ايضا • وقد بدأت صلات الفرنسيين مع بلاد فارس عندما ارسل ريشيليو في سنة ١٦٢٦ رسولا الى البلاط الفارسى لاقناع الشاه بعدم الاشتراك مع أسبانيا في حربها ضد الاتراك • وهم لم ينافسوا في تجارة البلاد الشرقية منافسة جدية الا بعد ان اسسوا شركة الهند الشرقية الفرنسية في سنة ١٦٦٢ ، في عهد لويس الرابع عشر • وقد دخلت هذه الشركة في الخليج العربى ، وحصلت من الشاه على فرمان يعطيها امتيازات فى اراضيه مثلما كان للانكليز والهولنديين فيها • ثم تقدمت نحو البصرة وأسست لها فيها وكالة • ولكى تمكن الحكومة الفرنسية لها مصالها في العراق عينت في سنة ١٦٧٩ رئيس دير الكرمليين قنصلا لها • وتوالى على رياسة القنصلية مطارنة بابل الى سنة ١٧٩٧ ، حيث زارت بغداد بعثة سياسية فرنسية وعينت وكيل الشركة في البصرة معتمدا للعلاقات التجارية ، ووكلت اليه أمور القنصلية • ومع سبق فرنسا على غيرها من الدول فى ايجاد صلات سياسية لها مع أهل العراق ، الا انها لم تكسب بينهم مركزا ممتازا • ويرجع بعض الباحثين السبب فى ذلك الى ضعف كفاية الموظفين الفرنسيين من جهة ، والى أن الحكومة الفرنسية من جهة أخرى لم تعن بهؤلاء الموظفين العناية الكافية لتجعلهم يبدون من ناحية المظهر أمام الشعب العراقي كممثلين لدولة عظيمة(٩) •

ملاحظة : ما بين قوسين ( ) هو رقم المرجع فى قائمة المراجع الموجودة فى آخر الكتاب

١ ـ (٣٣) ص ٢٢٥ وما بعدها • (١٤٤) ص ١٩٦ـ١٩٧ • (٨٩) ص ١٧٧ ، (٤٦ ج ٢) ص ٢٠ •

٢ ـ كانت الحدود السياسية بين العراق وايران فى منطقة شط العرب تمتد على طول الضفة اليسرى لهذا الشط • وذلك بموجب بروتوكول القسطنطينية الذى عقد فى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣ • ولكن العراق ، بتأثير بريطانيا وتركيا اثناء المفاوضات التي جرت لعقد ميثاق سعد أباد قبل ان يعدل خط الحدود من الضفة اليسرى للشط الى خط الاعماق فيه مسافة تبلغ نحو ثلاثة كيلومترات أمام ميناء عبادان وعقدت بذلك بين الدولتين اتفاقية عرفت باسم اتفاقية الحدود •

٣ ـ تمتد الحدود السياسية العراقية ـ الايرانية فى هور الحويزة فى خط مستقيم يتجه شمالا في شرق خط طول ٤٨ درجة شرقا حتى يلتقى بدائرة عرض ٣١ درجة شمالا فيحول اتجاهه غرباً مسافة ما ثم يعود ويحول اتجاهه شمالا في مقابل القرنة •

٤ ـ (٢٠٩) ص ٩٤ •

٥ ـ (١٣٩) ص ١٨ـ٢٥ ، ٥٦ ، ٧٤ • (٢٠٧) ص ١٣٠ ـ ١٣٣ • (١٢٠) ص ٧٥ •

٦ ـ (٥١) ص ١٨٧ـ١٨٩ • (١٨٤ ج ٢) ص ٢٧٩ • (١٣٩) ص ١٠١ ـ ١٠٢ • (٥٥) ص ٢٥ـ٢٦ • (٢٠٧) ص ١٠٤ـ١٣٩ • (١٦٢) ص ٧٣ـ٧٤ • (٦٠ ج ٢) ص ٧٠٠ •

(٦٥ ج ٢) ص ٥٤٦ (٩١) ص ٣٠ · (٦١) ص ٩ · (١٥٢ ج ٢) ص ٤٥ · (١٥١) ص ٢٠٩ ·

٧ – (١٣٩) ص ١٠٧–١٠٨ · (٢٠٧) ص ١٥٧–١٦٦ · (٥١) ص ١٨٩ ·

٨ – (١٦٠) ص ٧٢–٧٥ · (٢٠٤) ص ١١٦–١١٧ · (٢٠٧) ص ١٦٥ · (١٨٤ ج ٢) ص ٢٨١ · (٤٠) ص ٦٩ ·

٩ – (١٣٩) ص ٢٥٣ · (١٢٠) ص ٧٤ · (٢٠٤) ص ٩٧ ·

الفصل الثالث

الشرق الاوسط خلال القرن التاسع عشر

اتجاه اهداف السياسية الانكليزية فيه نحو حماية الهند

في سنة ١٧٩٨ عينت الحكومة الانكليزية اللورد مارينجتون ، وهو المشهور باسم ماركيز ولسلى ، حاكما عاما على الهند · وفي أيار (مايس) من نفس هذه السنة أبحر نابليون من طولون متجها نحو مصر · وكان من أهدافه الاستيلاء عليها ، وشق قناة في برزخ السويس تصل بين البحر المتوسط وبين البحر الاحمر لتمكين الاسطول الفرنسي من جعل هذا البحر بحيرة فرنسية · وكذلك ،كان من أهدافه طرد الانكليز من الشرق والاستيلاء على ممتلكاتهم فيه ، والقضاء على مصالحهم في مصر · وكانت هذه المصالح قد تولدت لهم في عهد محمد علي الكبير · فان هذا الوالي ، بعد ان أستقل بمصر ، ضرب عرض الحائط بالاوامر التركية التى كانت تحرم على السفن التابعة للدول المسيحية نقل شيء من التجارة الشرقية في البحر الاحمر ، شمال جدة ، وفتح لهذه السفن ميناء السويس · كما كتب الى حاكم بنغال يدعوه الى ارسال تجارة الهند وبريدها(١) للمرور في مياهه وفي أراضيه وتحت حمايته الى الثغور المصرية على البحر المتوسط · وكانت هذه التجارة تستغرق في انتقالها بين كلكتا وبين لندن نحوا من خمسة أشهر عن طريق الساحل الجنوبي لافريقية ، بينما كانت تستغرق نحو شهرين فقط عن طريق البحر الاحمر ومصر · والارباح التى جناها المماليك من سير هذه التجارة في أراضيهم حفزتهم على التمسك بها وعلى تشجيعها · وقد أزعج فرنسا وجود مصالح للانكليز في مياه مصر وفي أراضيها · فلقد كانت فرنسا من جهة عدوة تقليدية للانكليز ، ومن جهة اخرى كانت صديقة تقليدية لتركيا ، كما كانت تحتكر لنفسها التجارة في امبراطوريتها(٢) ·

وكان وصول نابليون الى مصر قد ألقى في قلوب الانجليز الجزع والقلق على الهند · وعلى الاخص بسبب اتصالاته مع بعض الحكام في الشرق الاوسط ، ومع بعض الامراء الناقمين على الانكليز في الهند · وكان من بين الذين اتصل بهم نابليون امير مسقط وتبو سلطان أمير ميسور(٣) · فقد أرسل الى كل منهما رسالة يعلنه فيها بقدومه لنصرته ،

ويحثه على الاستعداد والمقاومة(٤) .

وقد تردد صدى هذا القلق في الهند وفي الطرق الموصلة اليها . ففي الهند بذل المركيز ولسلي نشاطا كبيرا في تقوية القبضة الانجليزية على بعض جهاتها ، وفي القضاء على نفوذ الامراء المستقلين في الولايات الكبيرة . وبدأ بالنظام في حيدر آباد ، وخيره بين الحرب وبين الخضوع، فاختار الخضوع ، ووقع معاهدة ترتب عليها طرد البعثة الفرنسية التي كانت تقوم بتنظيم جيشه وتدريبه ، واحلال بعثة انجليزية محلها . وفي نظير ذلك تعهد الانجليز له بحمايته وباستقلاله في الشؤون الداخلية للامارة . وكانت هذه المعاهدة بدءا لسلسلة معاهدات أخرى مماثلة لها ، أدت في النهاية الى تشكيل خريطة الهند بين ممتلكات وبين محميات . أما تبو الذى اتخذ لنفسه صفة المواطن بعد اتصاله بنابليون ، فقد رفض الخضوع وفضل الحرب . وهو ، وان كان قد هزم وقتل في سنة ١٧٩٩ وضمت بلاده الى أملاك الانجليز تحت امرة خائن ، فان ذكره بقى خالدا . وفي السنوات الاولى من القرن التاسع عشر سقطت دلهي وسقطت معها امبراطورية المغول في الهند(٥) .

وتردد هذا الصدى أيضا في طريق البحر الاحمر . فأسرع الانجليز في سنة ١٧٩٩ بالاستيلاء على جزيرة ميون (بريم) ، وهى تقع فى مضيق باب المندب ، على مسافة نحو ثمانية كيلومترات من جانبه العربي ونحو ١٦ كم من جانبه الافريقي . كما اسرعوا وفرضوا انفسهم في معاهدة جائرة على عدن(٦) التى وصفها أحد الضالعين في الاستعمار من بينهم بأنها جبل طارق الشرق . كما تردد الصدى على طريق جنوب أفريقية ، فاحتلوا جزيرة موريس ، وكانت قاعدة حربية للفرنسيين في المحيط الهندي(٧) .

أما في طريق الخليج العربي فقد ضغطوا على أمير مسقط وعقدوا معه معاهدة في سنة ١٧٩٨ ، ثم اردفوها بمعاهدة أخرى في سنة ١٨٠٠ . وفيها فرضوا عليه قبول ممثل سياسي لهم ، كما فرضوا عليه قبول قوات بريطانية في مياهه ، وفي موانيه على جانبى خليج هرمز ، وكان مستأجرا ميناء بندر عباس على الساحل الفارسي ، بحجة مقاومة النفوذ الفرنسي . وفي جهات اخرى من هذا الخليج حولوا الوكالات التجارية التابعة لشركة الهند الشرقية الانجليزية الى وكالات سياسية تتبع حكومة الهند . وتدفع هذه الحكومة لرؤساء هذه الوكالات السياسية وموظفيها مرتباتهم . وعليهم ان يكتبوا تقارير عن مناطقهم ، وان يرسلوا بنسخ منها اليها ، وبنسخ اخرى الى الحكومة الانجليزية في لندن. وفي العراق قامت أول وكالة سياسية لهم في بغداد في سنة ١٧٩٨ . وقد اتخذوا من هذه المدينة المركز الرئيسي الذي يقاومون منه توغل النفوذ الفرنسي في بلاد العرب التركية من جهة ، ويوغلون منه نفوذهم في هذه البلاد من جهة اخرى . وبعبارة اخرى ، ان قدوم نابليون الى مصر

جعل الانجليز يفتحون في سجل استعمارهم صفحة جديدة ، ينقلون بها علاقاتهم مع هذه البلاد الشرقية من دوائر رجال الاعمال الى دوائر رجال السياسة(٨) .

وفشلت حملة نابليون ولم تتحقق أطماعه في مصر ، وفي تكوين امبراطورية فرنسية ترث أملاك بريطانيا ونفوذها في آسيا . ولكن نشاطه قد ادى الى نتائج أخرى . فقد ترتب عليه في مصر القضاء على حكم المماليك وقيام أسرة محمد علي . كما ترتب عليه ، وعلى قيام هذه الأسرة ، اظهار ضعف تركيا وعجزها عن الاحتفاظ بأملاكها . وتولد من ذلك اعتقاد في اذهان الدول الاستعمارية بأمكان اقتطاع شيء من أملاكها الاخرى في الشرق الادنى . وهذا ، تولد منه في قلوب الانجليز الخوف والقلق على الهند وعلى الطرق الموصلة اليها خلال أجزاء هذا الشرق (٩) .

ولم يتوقف صدى هذا الخوف في قلوب الانجليز حتى بعد أن عاد نابليون الى فرنسا في سنة ١٧٩٩ . وذلك لان نشاطه لم ينصرف عن التفكير في تكوين امبراطورية فرنسية ترث أملاكهم في الشرق . ويزعم واحد من الباحثين أن نابليون قد فكر في غزو الهند عن طريق وادي نهر الفرات ، وأن فكرته كانت تقوم على أن يرسل سرا قوة الى مرعش عن طريق خليج الاسكندرونه ، وهناك تبني من اخشاب الاشجار النامية على سفوح مرتفعات طوروس وأمانوس اسطولا لحمل نابليون وجيشه في نهر الفرات الى البصرة على شط العرب . وانه كان ينوي ان يحصن هذا الميناء ويتخذه قاعدة ينفذ منها تدابيره السياسية والعسكرية ضد بريطانيا (١٠) .

وهذا الزعم لا يبدو كله صحيحا . لان المنطقة الواقعة بين مرعش وبين نهر الفرات من جبال طوروس معقدة ، والممرات التي تتضمنها شديدة الوعورة . ولعل الاصح ، ما ذكره باحث آخر بقوله ان نابليون كان يريد أن يسلك الطريق الذى سلكه الاسكندر من قبل فى تعقبه لدارا ، لغرض القضاء على الامبراطورية الاخمينية الفارسية ووراثة عرشها . وكان الاسكندر قد اجتاز من هضبة الاناضول ممر بيلان في مرتفعات أمانوس ، ومر بحلب . ومع ذلك فمهما يكن الطريق الذى اراد نابليون أن يسلكه ، فمن المعروف انه فاوض الاتراك في سنة ١٨٠٥ ـ ١٨٠٦ . لكي يسمحوا له بتمرير قواته خلال أراضيهم (١١) ، وأن هذه المفاوضة كانت كافية لحمل الانجليز على الاسراع بالعمل لتحويل الخليج العربى الى بحيرة هندية ، ولتثبيت أقدامهم في أرض العراق .

وقد أخذ تفكير نابليون في غزو الهند اتجاها سليما عندما اتجه نحو هضبة ايران . وذلك لأن طريق الغزو خلالها بري ، لا يستطيع الاسطول الانجليزى أن يتدخل فيه(١٢) .

وهضبة ايران ، كما هى معروفة ، تمثل حوضا ، تشغل داخله

منخفضات صحراوية · ولهذا الحوض حافات من السلاسل الجبلية الضخمة تفصل بينه وبين العالم الخارج عنه ، الا من ممرات معينة فيها · والقسم الغربي من الحافة الشمالية يعرف بأسم جبال البورز ، وهي تفصله عن عالم بحر قزوين ، الا من ممرات معينة ، من بينها ممران مهمان احدهما كونه الوادى الادنى لنهر سفيد رود ، ويصل بين مدينة قزوين في الداخل وبين مدينة راشت في مقاطعة جيلان على الساحل · والآخر هو الذى يجتازه في الوقت الحاضر خط سكك الحديد الممتدة من طهران الى ميناء بندرشاه الواقعة على الساحل الجنوبي الشرقي لبحر قزوين ·

وجبال البورز تضعف عند نهايتها الشرقية · ويوجد ممر يفصل بينها وبين المرتفعات الواقعة فى الشرق والشمال الشرقي والتى يمكن أن تحمل تسمية مرتفعات خراسان · وتتكون هذه المرتفعات من ثلاثة نطاقات من التلال تمتد بين الشمال الغربي وبين الجنوب الشرقي ، وتفصل بين داخل هضبة ايران من جهة وبين اراضى الاتحاد السوفيتي في التركستان من جهة أخرى · وفيها أيضا ممرات ومن أهمها الممر الذي يصل بين نيسابور وبين عشق آباد ، عن طريق قوشان · وفيما بين كل من هذه النطاقات الثلاثة وبين الآخر وديان طولية ، منها واد يجري في القسم الغربي منه نهرا كوركان وأترك اللذان يصبان فى جنوب شرق بحر قزوين ، ويجري في القسم الشرقي منه نهر كشف او مشهد ، وهو رافد لنهر هاري (هرات) الذى ينبع من داخل افغانستان ·

وعند نهاية هذه النطاقات من جهة الشرق توجد ثغرة خراسان ، وهى المدخل الرئيسي للشرق الاوسط من جهة وسط آسيا وغربها ، وتفصل بين هذه النطاقات وبين جبال هندكوش · وتتكون هذه الجبال من عدد من السلاسل شاهقة الارتفاع ، تمتد نحو الشرق والشمال الشرقي الى هضبة بامير ، وتفصل بين داخل افغانستان وبين سهول سرداريا وآمودار يا من أراضى الاتحاد السوفيتي · وتجري الاتصالات على جانبيها خلال عدد من الممرات ، من أهمها اقروباط وباميان وخواك وأوناى وشيبار وسالانج ·

والحافة الشرقية لهضبة ايران تتكون من نطاق جبلي آخر يفصل بينها وبين الهند · ويعرف قسمه الشمالى بأسم جبال سليمان ، كما يعرف قسمه الجنوبي بأسم جبال كرثار · ومعظم الاتصالات التى جرت بين جانبي هذا النطاق قد انتقلت خلال ممري خيبر ، وبولان · وقد مد الانجليز خلال الممر الاخير خطا لسكة الحديد يجتاز أراضى بلوخستان الى الحدود الايرانية ·

وبلوخستان ، وهي الان جزء من دولة الباكستان ، اقليم هضبي يتضمن بعض السهول وبعض نطاقات التلال · وتبدو وثيقة الصلة بالقسم الجنوبي الشرقي من اراضي الدولة الايرانية ، كما تبدو كذلك بالنسبة الى

افغانستان ايضا ، اذ لا توجد حواجز جغرافية تفصل بينهما · ويعلو سطح أفغانستان تدريجياً نحو داخلها ، من منطقة الحدود السياسية الفاصلة بينها وبين ايران · ويزداد ارتفاعا بالاتجاه نحو الشمال ، بتأثير مقدمات جبال هندكوش · كما يزداد ارتفاعاً أيضا بالاتجاه نحو الشرق ، بتأثير جبال سليمان · ويبلغ أقصى ارتفاعه في القسم الشمالي الشرقي من افغانستان ، حيث تلتقي جبال هندكوش بجبال سليمان عند عقدة بامير · ويكون هذا القسم البالغ الارتفاع منطقة لتقسيم المياه بين أنهار تجري في أتجاهات مختلفة · فمنها ينبع نهر آمودار يا (جيحون) متجهاً نحو الشمال خلال اراضي التركستان الى بحر آرال الذي يعرف ايضا باسم (بحر خوارزم) · ومنها ينبع نهر كابل رافد نهر السند ، والذي يتصل به ، نحو الشرق ، خلال ثغرة في جبال سليمان · ومنها كذلك ، ينبع نهرا هاري رود وهلماند اللذان يتبعان انحدار السطح نحو الاراضي الايرانية · ويعرف النهر الاول أيضا بأسم نهر هرات ، نسبة الى مدينة هرات ثالثة المدن الكبرى في أفغانستان ، بعد مدينتي كابول وقندهار · ويجري في واد جبلي بين بعض سلاسل جبال هندكوش متجها نحو الغرب الى المنخفض الذي يتضمن بوابة خراسان · وهناك يحول اتجاهه نحو الشمال مجتازاً هذه البوابة الى سهول التركستان · وهناك أيضا في المنخفض ، يتصل به رافده نهر كشف (مشهد) · وتبدو بذلك أهمية هذا النهر كمدخل الى أفغانستان من التركستان ، ومن ساحل بحر قزوين · وكذلك من داخل هضبة ايران عن طريق نيسابور ومشهد · ولكنه مع ذلك مدخل وعر · وأسهل منه مدخل هلماند · وذلك لانه يجري خلال الاقليم الاوسط، وهو هضبي واقل وعورة ، بسبب كونه يقع بين القسم الشمالي المتأثر بجبال هندكوش ، وبين القسم الشرقي المتأثر بجبال سليمان · ويبدأ الطريق الرئيسي لهذا المدخل من حوض سستان (ساجستان) حيث يصب هذا النهر ، ويصعد في واديه ماراً بقندهار وغزنه الى كابل ·

وتبدو أفغانستان بهذا التكوين في القسم الشمالي الشرقي من هضبة ايران كقلعة حصينة بين الهند من جهة الشرق وبين الاتحاد السوفييتي من جهة الشمال · بينما ينفتح مدخلها الرئيسي نحو داخل هضبة ايران · حقيقة ، توجد كما سبقت الاشارة ، ممرات تصل بينها وبين تينك الدولتين الكبيرتين خلال السلاسل الجبلية التي تفصل بينهما ، الا أنها ممرات جبلية وعرة ، ويسهل على الافغانيين التحكم فيها · فممر باميان مثلا ، وهو من أهم ممرات هندكوش في الوقت الحاضر ، يمتد مسافة ٥٠ كم عند مستوى نحو ٣٠٠٠ متر فوق سطح البحر · وفضلا عن تعرضه للانهيارات الثلجية التي تسده بعض الوقت خلال فصل الشتاء ، فأنه يبدو في بعض أجزائه ضيقاً بحيث لا تستطيع سيارتان أن تتقابلا فيه · ومثله ممر

خبير . ومع أن هذا الممر الاخير أقل ارتفاعاً ، وأكثر اتساعاً ، الا ان قوة صغيرة اذا سيطرت عليه فانها تستطيع ان تمنع قوة كبيرة من اجتيازه . ومن المعروف ان نادر شاه غازي الهند ، ونابليون فارس ، لم يستطع ان يجتازه وهو عائد بجيشه حاملا كنوز المغول ، الا بعد أن دفع لبعض القبائل المسيطرة عليه ضريبة مما كان يحمل . ومن المعروف أيضا أن جيشا انجليزيا قد أبيد فيه في شتاء ١٨٤١-١٨٤٢ ولم ينج منه الا جندي واحد(١٣) .

وسوء المواصلات في داخل افغانستان قد أوجد ضعفاً في قلعتها . لانه صعب قيام قومية متماسكة فيها تربط بين أبنائها بالروابط القومية المعروفة . كالتحدث بلغة واحدة ، والاحساس بشعور واحد نحو الماضي ونحو المستقبل . ففي القسم الشرقي منها ، وعلى الاخص في منطقة قندهار تسود قبائل التاجيك ، وهي من أصل فارسي وتتكلم اللغة الفارسية . وفيما بين هرات وبين كابل تسود قبائل الهزارا ، وهي مغولية. كما تسود في وديان جبال هندكوش وعلى سفوحها قبائل أخرى مختلفة . بعضها من سلالات تركمانية ، والبعض الاخر من سلالات آرية . وقد اوجد هذا الضعف القومي في أفغانستان ثلمات في قلعتها ، استغلها الانجليز في الهند من جهة ، كما استغلها الروس في التركستان من جهة اخرى ، لادخال نفوذهم اليها وايغاله فيها .

والحافة الجنوبية لهضبة ايران تمتد بين الطرف الجنوبي لجبال كرثار من جهة الشرق وبين حوض بحيرة اورمية من جهة الغرب . ويمكن تسميتها باسم نطاق مكران ـ زاجروس . الا أن لاجزائها ، مع ذلك تسميات خاصة بها . والقسم الشرقي منها وهو الواقع في شرق مجرى نهر كارون ورافده آبى دیز ، قد سبقت الاشارة اليه والى الممرات التى يتضمنها في « الفصل الثاني » الخاص بمدخل الخليج العربي . أما القسم الغربي منها وهو المشرف على القسم الاكبر من أرض العراق فانه ينقسم الى قسمين . يطلق على القسم الشرقي منها اسم لورستان ، ويطلق على القسم الغربي اسم كردستان . والقسم الاول يشرف على ما كان يعرف ، من ارض العراق ، في العصر التركي باسم ولاية البصرة وولاية بغداد. وهو يكون منطقة جبلية ضخمة تمتد نحو الشمال الى جبال البورز ، ولا يفصل بينهما الا شريط ضيق من الارض السهلة تتحكم فيه مدينة قزوين من جهة الغرب ومدينة طهران من جهة الشرق . ولا تتضمن جبال لورستان ممرات سهلة يمكن لقوات محاربة أن تجتازها بين العراق وبين داخل هضبة ايران . وكل ما تتضمنه عبارة عن وديان ضيقة لأخوار تنحدر على سفوحها ، ويستخدمها الرعاة في تنقلهم بين أعالي هذه السفوح وبين أسافلها في فصل الصيف وفي فصل الشتاء .

وأهم ممر سلكته قوافل التجارة كما سلكته الجيوش الغازية ، فيما بين ارض العراق وبين داخل هضبة ايران ، يقع في غرب هذه المرتفعات ، ويفصل

بينها وبين مرتفعات كردستان . ويكون هذا الممر جزءاً من الطريق الذي اشتهر في عهد الامبراطوريات العربية باسم طريق خراسان ، والذي كان يبدأ من بغداد على نهر دجلة صاعدا في وادي نهر ديالى الى خانقين ، ثم يصعد مع رافده « الوند » مجتازاً به بوابة زاجروس ، ويمر خلال منطقة نفط خانه ، وبمدن كرمنشاه ، وهمدان ، الى قزوين ، ثم يتجه شرقا عند السفوح الجنوبية لجبال البورز ماراً بطهران ، نيسابور ، وبعدها يتجه شمالا خلال بوابة خراسان الى التركستان وبلاد ما وراء النهر .

وتشبه مرتفعات كردستان مرتفعات لورستان في اتساعها وفي ارتفاعها ، الا ان صلاتها بولاية الموصل أوثق منها بولاية بغداد . ولهذه المرتفعات مقدمات تبدو فى ولاية الموصل كدرجات السلم . ولهذا مثلت هذه الولاية اقليم انتقال بين هذه المرتفعات وبين السهل الفيضي في القسم الجنوبي من العراق ، واصبح سكانها خليطا من العرب سكان السهول ومن الاكراد والاتراك والارمن وغيرهم من سكان هذه المرتفعات . وتتضمن هذه المرتفعات ممرات اجتازتها هجرات بشرية كما اجتازتها قوافل تجارة وجيوش غازية . وتوجد من بينها ثلاثة ممرات مهمة الاول منها ، ممر حلبجة ، ويجتازه طريق يمر بكركوك ، مدينة البترول العراقي ، ويتجه نحو الشمال الشرقي ماراً بمدينة السليمانية . وخلال سهل شهرزور الى حلبجه فيجتاز عندها الحدود السياسية من ممر في سلسلة جبال هورامان . وفي داخل الحدود الايرانية يتفرع ، الى فروع يتجه فرع منها نحو الشمال الى تبريز . والممر الثانى ، هو ممر وزنه ، ويجتازه طريق يمر بمدينة كركوك أيضاً أو بمدينة أربيل ، في سهل أربيل . كما يمر برانية ، وهى بلدة كبيرة . ومنها يصعد في وادى وزنه ويجتاز به الحدود السياسية في ممر خلال سلسلة جبال قنديل . ويتفرع منه في الاراضي الايرانية فرع يتجه أيضاً نحو الشمال الى تبريز . أما الممر الثالث ، وهو الاهم ، فيعرف باسم ممر رايات . وقد سلكه دارا الفارسي بعد هزيمته أمام الاسكندر الاكبر في موقعة جو جميلا بالقرب من أربيل ، كما سلكته أثناء الحرب العالمية الاولى قوات روسية ووصلت فيه الى راوندوز . والطريق الذي يجتازه يمر أيضاً بمدينة أربيل . كما يمر ببلدة راوندوز ، ومنها يصعد في وادي روبار راوندوز الى قرية رايات فيجتاز عندها الحدود السياسية خلال ممر في سلسلة جبال قنديل . وفي الاراضي الايرانية يصعد في وادي المنبع الرئيسي لنهر الزاب الصغير الى سهل لاهيجان . ومن هناك يتفرع الى فرعين ، يستمر أحدهما نحو الشمال الى مدينة أورمية (الرضائية)، بينما يتجه الاخر نحو الشرق الى بلدة سوق بولاق ومن ثم يتجه نحو الشمال الى تبريز .

والحافة الغربية لهضبة ايران ليست نطاقا جبليا بالمعنى الذى عرفناه

في حافاتها الاخرى ، وانما هي اقليم جبلي يتضمن سلاسل من الجبال وكتلا منها · ولا تقفل هذه السلاسل والكتل مدخل هضبة ايران من هذا الاتجاه · وذلك لانها لا تمتد بين الشمال وبين الجنوب وانما تمتد بصفة عامة بين الشرق وبين الغرب · وتكون الوديان المحصورة بين البعض منها وبين البعض الآخر مداخل تصل بين هضبةايران وبينهضبة ارمينيه واقليمالقوقاز منجهةوبينها وبينحوضبحيرة أورمية من جهة اخرى ، ومن اهمها وادي زنجان · والطريق الذى يمر خلاله يبدأ من قزوين الى بانة ، ومنها يتفرع الى فرعين يتجه احدهما نحو تبريز ، ويتجه الاخر نحو ادربيل ·

ونابليون عندما فكر في غزو الهند عن طريق هضبة ايران اتجه نحو « بول » قيصر روسيا واتفق معه في سنة (١٨٠٠) على أن يسير كل منهما جيشاً ، وان يلتقي الجيشان ، قبل زحفهما المشترك ، في استراباد ، على الساحل الجنوب الشرقي لبحر قزوين · ولكن هذا الاتفاق لم يتم · فقد مرض القيصر ومات في السنة التالية · ولم يثن ذلك نابليون عن قصده ، بل استمر عليه ، واستخدم الوكلاء الفرنسيين للتمهيد لاغراضه مع شاه فارس · فارسل في سنة ١٨٠٥ بعثة الى طهران لمفاوضته ، وقد نجحت في مهمتها ووقعت معاهدة فنكشتين · وفيها تعهد الشاه بأن يضم قواته الى القوات الفرنسية عند قدومها لغزو الهند خلال اراضيه · وتعهد نابليون له في مقابل ذلك بأن يساعده على أسترداد مقاطعة جورجيا من روسيا ، وان يزوده بالآلات الحربية ، وان يرسل اليه بعثة عسكرية لتنظيم جيشه وتدريبه على أستخدام هذه الآلات · وقد فشل هذا الاتفاق أيضاً · لان نابليون أهمله ، واتجه نحو « الاسكندر الاول » وعقد معه في سنة ١٨٠٧ معاهدة « تلست » التي تعهد القيصر فيها بمساعدته ضد كل أعدائه ، وعلى الاخص انجلترا · وقد تضمنت هذه المعاهدة خطة لغزو الهند بجيش مؤلف من ٧٠ ألف مقاتل ، نصفهم من الروس ونصفهم الآخر من الفرنسيين ، بالاضافة الى من سينضم اليهم من القوات الفارسية · وكانت الخطة أن يلتقي الجيشان في استراباد ثم يتقدما معاً خلال أرض فارس ، وفي وادي هلماند ، وخلال ممر خيبر(١٤) .

ولكن جميع هذه الخطط التي وضعها نابليون لطرد الانجليز من البلاد الشرقية لم تنجح ، وسار التاريخ في اتجاهه · ومع ذلك، فأن نابليون، وان كان قد هزم فى النهاية ، فأنه وضع أمام الانجليز خططه لغزو الهند ، وابرز لهم أهمية الشكل الرباعي الذي يمتد بين مصب الدانوب وبين مصب النيل من جهة ، وبين ممر خيبر ومضيق باب المندب من جهة اخرى · كما جعلهم يدركون ان الاتراك والفرس الذين تتضمن أراضيهم هذا الشكل الرباعى يملكون في أيديهم مفاتيح لبعض أبواب الهند · وللهند ، عدا ذلك ،

بابان آخران • أحدهما من المحيط الهندي ، والآخر من سهول التركستان • والاول منهما كانت فرنسا تسيطر عليه من قاعدتها الحربية في جزيرة موريس • وهم قد انتزعوها منها في سنة ١٨١٠ • أما الباب الآخر ، فان الخطر الروسي لم يكن قد اقترب منه بعد • ولهذا وجه الانجليز نشاطهم نحو بلاد الاتراك ونحو بلاد فارس •

وبلاد الاتراك كانت امبراطورية واسعة وتكون وحدة جغرافية من اعظم وأهم ما عرف العالم قيمة استراتيجية واهمية اقتصادية • فهي تمتد بين الادرياتيك والكربات في اوربا وبين الخليج العربي والمحيط الهندي في آسيا • وتقف في وجه الاتصالات بين الشرق وبين الغرب • كما تقف في وجه الاطماع الروسية نحو البحار الدفيئة • وتتضمن كثيراً من المراكز الاستراتيجية المهمة على هذه الطرق ، وعند منافذها نحو الشرق ونحو الغرب ، كالقسطنطينية ، وازمير ، والاسكندرونة ، وبيروت ، وحيفا ، والاسكندرية ، وبغداد ، والبصرة ، والكويت ، وعدن وغيرها • وقد اعطتها كل هذه المقومات عزة ومنعة تمتعت بها خلال فترة طويلة من تاريخها • الا أن هذه المقومات العظيمة قد اضحت موضع جشع الدول الاستعمارية وأطماعها بعد أن بدأ ضعف تركيا • ومن سوء حظ الاتراك ان نجم سعود بلادهم كان آخذاً في الافول فى الوقت الذي كان فيه نجم القوى الاوربية آخذاً في الصعود • وقد ازدادت أطماع هذه القوى الاوربية فيها ، عندما اصبح معروفا أن أراضيها تحتوي أيضاً على مصادر كبيرة لبعض المواد الاساسية اللازمة للصناعة كالمعادن والوقود • وكذلك عندما بدت تمثل ميدانا واسعا ومربحا لاستغلال رؤوس الاموال الاجنبية في مرافقها المختلفة • وكان الاعتقاد قائماً بأن اقامة مشاريع الري في سهول العراق ، وفي سهول كيليكية، ستمكن من تغذية المصانع الاوربية وعمالها بما تحتاج اليه من المواد الخام ومن المواد الغذائية • وفي ذلك قال ، كاتب الماني ، انه اذا تحققت الجهود المتعلقة بمشاريع الرى ، وبمد خط سكة حديد بغداد فأن البلاد التركية تستطيع ان تصدر من الحبوب بقدر ما تصدره روسيا على الاقل• وقال كاتب آخر ، أن بلاد ما بين النهرين ستصبح من أعظم مراكز انتاج الحبوب في العالم • كما قال المهندس الانجليزي ولكوكس ، انه اذا أمكن التحكم في فيضانات دجلة والفرات فان دلتا هذين النهرين ستصبح على درجة من الخصوبة لم يسمع بمثلها التاريخ • وسيأتى رجال من الشرق ومن الغرب يضعون سهل شنعار « السهل الفيضي في العراق » منافساً لارض مصر • وستتقصف سيوف الطوفان والمجاعة المشرعة في أيدي سيرافيم ، وتقوم فيه من جديد جنة عدن • وبمجرد التفكير في مشاريع الري سترتفع قيمة المشارة في سهل العراق الى ثلاثة أمثالها ، وسوف ترتفع عن ذلك اضعافاً مضاعفة بعد انجازها(١٥) •

وهضبة الاناضول هي الميدان الذي ظهرت فيه قوة الاتراك في الشرق الاوسط · وتبدو كرأس ضخم متدخل من جسم الشرق الاوسط ، بين البحر الاسود وبين البحر المتوسط ، نحو أوربا · وبسبب هذا الموقع كانت دائما ممرا ، سلكته قوافل الحضارة ، كما سلكته الجيوش الغازية بين آسيا وبين أوربا عبر نطاق المضايق الواقع في شمالها الغربي والموصل بين البحر الاسود وبين البحر المتوسط · وهذا النطاق ضيق ، ومن السهل عبوره بينها وبين شبه جزيرة البلقان · كما ان الجزر الكثيرة ومجموعاتها التي يتضمنها بحر ايجه تكون معبراً سهلا آخر للاتصال بينهما · وشبه جزيرة البلقان ، كما هي معروفة اقليم جبلي · ولكنها مع ذلك ، تتضمن ممرات في وديان أنهار مارتزا والفردار واستروما وموراڤا ، تكون مسالك الى وادي الدانوب ووسط أوربا · كما يكون الساحل الغربي للبحر الاسود مسلكاً آخر الى وادي الدانوب والى روسيا ·

وداخل هضبة الاناضول قليل الارتفاع وتكتنفه حافات جبلية عالية تفصل بينه وبين العالم الخارجي عنه فيما عدا جهته الغربية ، فأنها متفتحة نحو المضايق وبحر ايجه · والحافة الشمالية لداخل هضبة الاناضول تعرف بأسم جبال بنطوس · والممرات التي تتضمنها تصل بينه وبين الساحل الجنوبي للبحر الاسود الذي تقع الاراضي الروسية عند سواحله الشمالية · وهو بحر هادىء نسبياً ، ويجعله بعض الباحثين من الامهاد الاولى التي تعلم الانسان فيها فن الملاحة · والحافة الجنوبية ، وهي المشرفة على البحر المتوسط ، تعرف بأسم جبال طوروس · وتتضمن هي ايضاً ممرات ، ويعرف أهمها بأسم بوابات كيليكية · وتصل هذه البوابات بين داخل هضبة الاناضول وبين السهول الواسعة التي كونتها رواسب أنهار سيحان وجيحان وغيرهما من النهيرات الصغيرة الاخرى التي تصب في الساحل الشمالي لخليج الاسكندرونة · وتعرف هذه السهول في الوقت الحاضر باسم سهول أضنة ومرسين · ولا تتصل هذه السهول مباشرة بسهول الشرق الاوسط في سوريا · اذ يكون نطاق مرتفعات أمانوس الممتد بين الشمال وبين الجنوب حاجزاً فاصلا بينهما ، ويتحدد عبره سير الاتصالات بينهما من ممرات معينة فيه ، أو من ممر مرعش الذي يقع بين الطرف الشمالي لهذا النطاق وبين السفوح الجنوبية في المنطقة لجبال طوروس · ويوجد في نطاق مرتفعات أمانوس ممران رئيسيان · يعرف أحدهما باسم ممر بغجه ، كما يعرف بأسم ممر فوزي باشا ، وهو الممر الذي يجتازه في الوقت الحاضر خط سكة الحديد الذي وضع الالمان تصميمه في أوائل القرن العشرين ، والذى اشتهر باسم خط سكة حديد بغداد · ويعرف الممر الآخر باسم ممر بيلان · كما يعرف أيضاً باسم بوابة سوريا ، بسبب كونه اسهل من الممر الأول اجتيازاً ،

وقد كان في الماضي أكثر منه استخداما • وقد سلكته أهم الاتصالات التى جرت خلال التاريخ بين داخل هضبة الاناضول وبين سهول الشرق الاوسط • ولسبب استراتيجي ، وهو البعد عن مدى قذائف الاسطول الانجليزى من خليج الاسكندرونة ، فضل الممر الاول على الممر الثاني لمد خط سكة حديد بغداد عبره •

والامتداد الشمالي لهضبة بلاد العرب قد اعترض امتداد مرتفعات طوروس نحو الشرق وحولها الى جهة الشمال ، مكونة بهذا الاتجاه الحافة الشرقية لداخل هضبة الاناضول • وتتضمن هذه الحافة بين سلاسلها وديانا طولية تكون مداخل الى وادي الفرات والى القسم الشمالي من سوريا • كما تتضمن ايضاً في داخلها ممرات تصل بين داخل هضبة الاناضول وبين القسم الشرقى منها ، ومن اهمها الممر الذى يصل بين سيفاس وبين نهر الفرات عن طريق ملطية • وقد مد خلاله في الوقت الحاضر طريق رئيسي وخط لسكة الحديد يصلان بين استانبول وبين ديار بكر على القسم الاعلى لنهر دجلة مارا بأنقرة وسيفاس وملطية •

أما القسم الشرقي من هضبة الاناضول فانه اقليم جبلي • ويعلو مستواه تدريجيا من الغرب نحو الشرق • وفيه تمتد بين هذين الاتجاهين سلاسل جبال متوازية ومتجاورة • وفيما بين الواحدة منها وبين الأخرى توجد وديان طولية تجري فيها انهار نحو الغرب متبعة الانحدار العام لسطح هذا الجزء من هضبة الاناضول • ومن أهمها نهرا فرات صو ومراد صو ، المنبعان الرئيسيان لنهر الفرات • وهما يأتيان من هضبة أرمينيا ويكونان مداخل منها الى داخل هضبة الاناضول والى سهول الشرق الاوسط •

وهضبة أرمينيا عقدة جبلية يعلو مستواها فوق المستوى العام للاراضي التى تكتنفها • وهي لهذا تكون منطقة لتقسيم المياه • ومنها تجري أنهار في اتجاهات مختلفة وتكون وديانها مداخل نحو هذه الاتجاهات • فنهر آراس يتجه نحو الشرق ويصب في بحر قزوين ، فاصلا بين اراضي الاتحاد السوفياتى عبر القوقاز من جهة ، وبين اراضي كل من ايران ، وتركيا ، من جهة اخرى • وكما يكون واديه مدخلا الى هذه الاراضي فانه يكون مع واديي فرات صو ، ومراد صو مدخلا الى سهول الشرق الاوسط والى داخل هضبة الاناضول • وقد مد في واديه وفي وادي فرات صو ، قسم من خط سكة حديد طهران ـ استانبول • وتنبع من هضبة ارمينيا أنهار أخرى • وما يتجه منها نحو الجنوب تكون وديانه مسالك الى سهول الشرق الاوسط • أما ما يتجه منها نحو الشمال فان وديانه تكون مسالك الى اقليم القوقاز •

وجبال القوقاز تمتد في البرزخ الواقع بين البحر الاسود وبين بحر

قزوين · وهي وان كانت شاهقة الارتفاع ، وتكون حاجزاً بين روسيا في أوربا وبين الشرق الاوسط في آسيا ، الا أنها لا تمنع سير الاتصالات البشرية بينهما · لانها تتضمن في وسطها ممر داريل كما يوجد على الساحل بين طرفها الشرقي وبين شاطىء بحر قزوين ممر دربنت ، الذى يعرف أيضاً بأسم بوابة القوقاز ·

والعالم السوري ، والمقصود به سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن ، كان في الماضي يكون جزءاً من أراضي الامبراطورية العثمانية · ويكون مع العراق معبراً برياً قصيراً في الشرق الاوسط يصل بين الخليج العربي وبين البحر المتوسط · وكانت التجارة الشرقية المارة خلاله تنقلها سفن في الخليج العربى وفي شط العرب الى البصرة · ومنها ، ينتقل بعض من هذه التجارة في وادي دجلة الى حلب ، وينتقل البعض الآخر في وادي الفرات الى دمشق · كما كان بعض ما ينقل خلال هذين الواديين ، يحول اتجاهه ويسلك طريقاً آخر نحو حمص · وتقع هذه المدن الثلاث عند النهاية الغربية لما يعرف حقاً بأسم سهول الشرق الاوسط · وفيما بينها وبين الموانى الواقعة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، يوجد نطاقان من سلاسل الجبال يمتدان متوازيين بين الشمال وبين الجنوب · كما يوجد بين هذين النطاقين المرتفعين نطاق من الاراضي المنخفضة ، يجري في القسم الشمالي منه نهر العاصي ، ويجري في القسم الاوسط نهر الليطاني · كما يجري في قسمه الجنوبي نهر الاردن ·

وتوجد في هذين النطاقين الجبليين منافذ ، وخلالها انتقلت التجارة الشرقية المنقولة من طرق تلك المدن الثلاث ، الى موانى الساحل الشرقي للبحر المتوسط · فتجارة حلب تنتقل الى الاسكندرونة في ممر حارم في النطاق الداخلي ، وفي ممر بيلان في النطاق الساحلي · كما تنتقل الى انطاكية وميناء السويدية خلال الممر الاول ، وخلال الوادى الادنى لنهر العاصي في النطاق الساحلي · وكذلك تنتقل الى ميناء اللاذقية خلال ممر ادلب في النطاق الداخلى ، وخلال وادي النهر الكبير الشمالي في النطاق الساحلي · أما تجارة حمص ، فأنها تنتقل الى طرابلس خلال ثغرة واسعة في النطاق الداخلي، وخلال وادي النهر الكبير الجنوبي في النطاق الساحلي· واما تجارة دمشق فانها تنتقل الى بيروت في النطاق الداخلي خلال وادي نهر بردى ، وسهل الزبداني ، وخلال ممر ظهر البيدر في النطاق الساحلي · كما تنتقل الى صور وصيدا على الساحل الفينيقي ، خلال سهل حوران في النطاق الداخلي ، وخلال ممر مرجعيون في النطاق الساحلي · كما تنتقل الى خليج عكا ، خلال سهل حوران أيضاً ، وخلال سهل مرج ابن عامر في مرتفعات فلسطين ·

ويتصل هذا القسم من العالم السورى بخليج العقبة وبداخل الجزيرة

العربية خلال ممر شرق الاردن الذى مد خلاله خط سكة حديد الحجاز ٠ كما يتصل بوادى النيل عن طريق السهل الساحلى فى فلسطين ٠ وذلك بعد أن يعبر نطاق جبل الكرمل الذى يمتد ، معترضا السهل الساحلى ، بين جبال السامرة وبين رأس خليج عكا ، حيث يقوم ميناء حيفا ٠ ويمكن عبور هذا النطاق من ثغرتين تعرف احداهما باسم مجدو وتعرف الاخرى باسم دوثان (اللجون) ٠ وخلال هاتين الثغرتين جرت معظم الاتصالات التي حدثت فى التاريخ بين وادى النيل وبين الشرق الاوسط الاسيوى ٠

والاتراك العثمانيون من السلالات الطورانية ٠ وقد تقدموا من سهول التركستان في شرق بحر قزوين مدفوعين بغارات أبناء عمومتهم المغول في القرن الثالث عشر ٠ واجتازوا أراضى هضبتى ايران وأرمينيا الى هضبة الاناضول ٠ وهناك استقروا بعض الوقت خاضعين لنفوذ الاتراك السلاجقة٠ ثم استقلوا عنهم بزعامة شيخهم عثمان ، وأخذوا يمدون نفوذهم الى مناطق أخرى دافعين أمامهم قوات الامبراطورية البيزنطية ٠ وعندما قضوا على هذه الامبراطورية واستولوا على القسطنطينية فى سنة ١٤٥٣،(١٦) واصلوا زحفهم فى شبه جزيرة البلقان وفى وادى الدانوب وخلال سهل المجر الى أبواب فينا ٠ ولكن الفساد الذى كان قد أخذ يدب فيهم جعلهم عاجزين عن فتحها فهزموا أمامها فى موقعة حدثت فى ١٦٨٣ ٠ وعندما أخذوا يتراجعون فى مستهل القرن الثامن عشر أخذت تتجه اليهم اطماع امبراطورية النمسا والمجر من جهة ، وأطماع روسيا من جهة أخرى ٠ وازدادت الاطماع فيهم بعد هزيمتهم أمام الروس التى انتهت بمعاهدة كوجك كينارجى فى يوليو (تموز) سنة ١٧٧٤ ٠ اذ فيها تنازل السلطان عن نفوذه على العناصر التتارية فيما بين بولندا وبين بحر قزوين ، كما تنازل لروسيا عن كل الاراضى التى قام الصراع عليها بينه وبينها ٠ وأعطاها كذلك حق حرية الملاحة فى البحرين الاسود والمتوسط ٠ كما أعطاها حق حماية الجماعات المسيحية الارثوذكسية فى بلاد الامبراطورية العثمانية ٠ وقد اشتركت فى هذه الاطماع على تركيا مع هاتين الدولتين دول أخرى ، وعلى الاخص انجلترا وفرنسا(١٧)٠

وعلاقات الانجليز بالامبراطورية التركية بدأت(١٨) ، كما سبقت الاشارة ، أثناء العصور الوسطى ، عندما انشأوا شركة الليفانت للمتاجرة مع بلاد هذه الامبراطورية المشرفة على البحر المتوسط ، وارسلت الملكة اليزابيث سفيرا من قبلها الى مراد الثالث لاقامة علاقات صداقة ومودة بينهما ٠ وقد استمرت هذه العلاقات قائمة ، ولكنها أمست ضعيفة بعد أن غادروا المنطقة(١٩) ، ووجهوا معظم نشاطهم الى الجهات الاخرى من العالم التي كشفت عنها أعمال الكشف الجغرافي ٠ ثم عادوا الى البحر المتوسط ثانية ليقيموا لانفسهم علاقات جديدة مع دولة وليوسسوا لانفسهم قوة

بحرية فيه . وذلك عندما أدركوا أنهم لن يستطيعوا أن يفرضوا نفوذهم على الشوءون الداخلية فى القارة الاوربية ، بسبب موقع بلادهم المنعزل عنها ، الا اذا كانت لهم قوة بحرية تمكنهم من السيطرة على مداخل هذه القارة فى البحر المتوسط ، كما هى مسيطرة فى المحيط الاطلسى . وكانت أهمية البحر المتوسط وبلاد العرب التركية قد ازدادت فى نظرهم بعد ان وضعوا أقدامهم فى الهند . وذلك لانهما يكونان معا طريقا آخر اليها بجانب طريق رأس الرجاء الصالح . وتفوقت فى نظرهم أهمية مصر على غيرها حتى قبل حفر قناة السويس . لانها تكون سوقا واسعة لتجارتهم . بالاضافة الى أن أراضيها تكون برزخا يصل بين البحر المتوسط وبين البحر الاحمر الذى يكون مدخلا الى المحيط الهندى الذى تحف شواطؤه بالهند وغيرها من البلدان الشرقية ، وازدادت هذه الاهمية تفوقا بعد فتح القناة فى ١٨٦٩ . لان حفر هذه القناة قد حول البرزخ البرى الى طريق مائى يربط بين البحرين ، وهم كانوا سادة البحر ، لا البر . ولم تلبث قناة السويس أن اصبحت الشريان الرئيسى فى حلقة الاتصالات بين القسم الشرقى من الامبراطورية البريطانية وبين القسم الغربى منها . كما ازداد فى نظرهم كذلك اهمية بلاد العرب التركية ، وعلى الاخص فلسطين لارتباطها بهذا الشريان .

والسيادة البحرية فى البحر المتوسط كانت فى يد الاتراك الى سنة ١٥٧١ . ثم هزمهم الاسبانيون فى موقعة ليبانتو ، واغتصبوا منهم هذه السيادة ، وبقيت فى أيديهم الى أن دمر الانجليز اسطولهم فى موقعة الارمادا التى حدثت سنة ١٥٨٨ . ولم يكن للانجليز حتى ذلك التاريخ قوات بحرية فى البحر المتوسط . اذ كان نشاطهم فيه قاصرا على نشاط شركة الليفانت التى كانت تتاجر مع البندقية وبلادها . كما كانت تتاجر ، فى شرق البحر المتوسط ، مع بلاد العالم الاسلامى الذى كان يرحب برجالها كأعداء لاسبانيا عدوتهم . أما بعد ذلك التاريخ فقد دخل الانجليز الى البحر المتوسط ووضعوا لهم قدما فيه . وكان ذلك بارسال قطع حربية من أسطولهم لتطهيره من أعمال القرصنة التى كانت تواجه سفن شركتهم ولكن التفوق البحري وقتئذ كان للاسطول الفرنسى . وقد استمر الى ان هزم أمام الاسطولين الانجليزى والهولندى فى موقعة لاهوج البحرية التى حدثت فى ١٦٩٢ ، فأصبح التفوق للاسطول الانجليزى ، وعلى الاخص بعد استيلائه على قاعدة جبل طارق فى سنة ١٧٠٤ ، وعلى ميناء ماهون فى جزيرة منورقة فى سنة ١٧٠٨ . وقد أعطاهم هذا الميناء قاعدة بحرية كبرى مكنتهم من الاحتفاظ بقوة بحرية متفوقة على القوة الفرنسية فى ميناء طولون . وبذلك أصبح للانجليز فى القسم الغربى من البحر المتوسط قاعدتان ، قاعدة جبل طارق وتتحكم فى مدخل هذا البحر ، وقاعدة ماهون،

ومنها يسيطرون على سواحل أسبانيا وفرنسا وايطاليا · ثم فقد الانجليز هذه السيادة فى البحر المتوسط اثناء اشتعال نيران حرب الاستقلال الامريكية ضدهم ، وبسبب حوادث أخرى ، وبدوا فى سنة ١٧٩٧ عاجزين عن منع نابليون من الاستيلاء على جزيرة ملطة ، ومن انزال قواته فى مصر · حتى كانت موقعة أبى قير البحرية التى تدمر فيها الاسطول الفرنسى ، فاسترد الاسطول الانجليزى سلطانه ، لا فى القسم الغربى من البحر المتوسط فحسب ، وانما فى القسم الشرقى منه أيضا · وعلى الاخص بعد أن استولى على ملطة ، وبعد أن أيد موءتمر فيينا حق الانجليز فى الاحتفاظ بالجزر الايونية ·

وقد وضعت موقعة أبي قير البحرية التي جرت في أول أغسطس (آب) ١٧٩٨، وكذلك موقعة خليج عكا التالية لها ، الانجليز امام ابواب الشرق الاوسط · وفتحت أعينهم الى أن هذا الشرق البالغ الاهمية من الناحيتين الاقتصادية والاستراتيجية ، والذى يتضمن طرقا الى الهند وأبوابا لها ، كما يتضمن قواعد يمكن بواسطتها صيانة هذه الطرق والابواب ، تمتلكه قوتان ضعيفتان تنحدران نحو الهاوية · واليهما تتجه اطماع الدول الاستعمارية الاخرى ، وعلى الاخص فرنسا وروسيا · وفرنسا كانت تدعى لنفسها مصالح تقليدية فى العالم السورى(٢٠) وتعتبر نفسها الحامية للمسيحية فيه · وهى ، فضلا عن ذلك ، الدولة الطامعة فى وراثة أملاكهم فى الشرق · وروسيا كذلك ذات أطماع فيها · كما أنها لا تزال منذ عهد بطرس الاكبر تواصل ضغطها على كل من تركيا وفارس ، وتهدف الى الوصول الى المياه الدفيئة فى البحر المتوسط وفى الخليج العربى ·

ومخاوف الانجليز من هذه الاطماع التى تهدد الهند والطرق الموصلة اليها خلال أراضى الشرق الاوسط قد دفعتهم الى نقل مركز ثقلهم السياسى من غرب البحر المتوسط الى شرقه · وعلى الاخص ، بعد ان شاخت أسبانيا ولم يعد يخشى بأسها · وكذلك بعد أن بدت بوادر الضعف فى فرنسا نفسها · بينما ، على العكس ، كانت روسيا تزداد قوة · ومثلها كانت تزداد ايضا دول وسط اوربا · وبسبب ذلك انتقل الهدف الاول لبريطانيا من مراقبة سواحل اسبانيا وفرنسا وايطاليا الى منع روسيا من أن تصبح قوة يخشى بأسها فى القسم الشرقى من حوض البحر الابيض المتوسط وفى الشرق الاوسط · وأصبح من المبادىء الاساسية فى السياسة الانجليزية منع أى قوة اجنبية مهما كانت من السيطرة على البلاد التركية · وبسبب ذلك استمرت تركيا تمثل على المسرح دورا طويلا للرجل المريض ، وبجانبها روسيا الطامعة فى الاستيلاء على القسطنطينية والمضايق ، وربما فى وراثة مركز الامبراطورية البيزنطية ، تقف مترددة · وقد كتب وقتئذ احد زعمائها السياسيين يقول ، ان فكرة ابعاد الاتراك من أوربا واعادة العبادة المسيحية

الى كنيسة سانتا صوفيا فكرة جميلة حقا ، ولكن روسيا لا تستفيد من ورائها سوى الفخر · بينما تخسر فى نفس الوقت جميع المزايا التى تجنيها من مجاورة دولة ضعيفة منهوكة القوى · فضلا عن أن ذلك سوف يجرها الى نزاع محقق مع الدول الاوربية الاخرى(٢١)·

وحقا كانت الامبراطورية التركية خلال فترة طويلة من القرن التاسع عشر فى حالة هزال · وفى كثير من اجزائها قامت حركات استقلالية للانفصال عنها · ومن أخطرها ما قام فى مصر فى أواخر عهد المماليك · فقد كان لواليها محمد على هدف واسع ، عبر عنه القنصل الانجليزى فى الاسكندرية فى رسالة أرسلها الى حكومته فى سنة ١٨٢٢ بقوله « ان هدفه المباشر هو تثبيت سلطانه تثبيتا تاما فى مصر ، وفى ولايتى عكا ودمشق ، ثم بسط نفوذه على حلب وبغداد ، وعلى جميع المناطق الاخرى التى تكون القسم العربى من الامبراطورية التركية » · وهذا الهدف لو تحقق لكان بلا شك شديد الخطر على أطماع بريطانيا فى الشرق الاوسط وعلى سياستها التى اعتنقتها بالنسبة لتركيا · لانه من جهة سيضع يد مصر الناهضة على أقصر طرق مواصلاتها للهند · ومن جهة أخرى ، لان أية بادرة لتحطيم تركيا فى جهة من جهاتها سوف تؤدى الى أن تنشب الدول الاوربية الطامعة فيها اظفارها فى جهات أخرى منها · وقد تتحقق من وراء ذلك اطماع روسيا فى القسطنطينية والمضايق وفى الوصول الى البحر المتوسط ، كما قد تتحقق اطماع فرنسا فى سوريا وما وراءها · وكان بالمرستون ، وهو انجليزى داهية ، مقتنعا بأن مصر تعمل باتفاق مع روسيا ومع فرنسا(٢٢)·

وبالرغم من أن محمد على قد بذل كثيرا من الجهود لارضاء الانجليز ، وقدم لهم كل التسهيلات اللازمة لمرور تجارتهم خلال الاراضى المصرية ، الا أنهم لم يطمئنوا اليه · وقابلوه بصراع سياسى عنيف نجحوا فيه · وقد استغلوا عرض دولتى النمسا والروسيا على فرنسا فى ١٧٨٢ الاستيلاء على مصر فى مقابل تخليها عن محالفة تركيا لوضع هذه الدول فى موضع الاتهام · كما استغلوا لذلك أيضا اطماع نابليون التى حدثت فيما بعد · وبهذا ، وبغيره من أساليبهم المتلوية استطاعوا أن يعزلوا مصر عن الدول التى كانت تعطف عليها · وان يبدوا انفسهم أمام السلطان التركى ، وأمام العالم ، بمظهر الحامى لسيادة تركيا ووحدتها · وقد كسبوا بذلك ثقة هذا السلطان واستغلوها فى تقوية نفوذهم فى أراضيه · وقد توج توفيقهم فى هذا الاتجاه بارغام القوات المصرية على الانسحاب من سوريا بموجب شروط معاهدة لندن المعقودة فى سنة ١٨٤١ ، والتى نالوا بموجبها توفيقا آخر ، وهو تعهد من السلطان بقفل المضايق فى وجه جميع السفن الحربية على اختلاف جنسياتها فى وقت السلم · وبذلك تحقق لهم بقاء طريق الشرق الاوسط الى الهند سليما فى يد تركيا ، كما تحقق لهم بقاء الدب الروسى

محصورا وراء السفوح الشمالية لجبال بنطوس(٢٣).

كانت سياسة الانجليز نحو تركيا قائمة على أساس الاحتفاظ بها لغرض هام ، هو ضمان سلامة الطرق الموصلة الى الهند خلال أراضيها فى العراق والعالم السورى وفى مياه القسم الشرقى من حوض البحر المتوسط . وهى لهذا كانت تتبع سياسة حازمة وصارمة ضد كل محاولة لتهديد الاراضى التركية فى آسيا يترتب عليها حدوث تغيير فى الوضع القائم فيها. أما نحو الاراضى التركية فى أوربا فكانت تتبع سياسة أقل حزما وصرامة ، لانها ليست لها مصالح مباشرة فيها . وكل ما يهمها هو منع نفوذ روسيا من الوصول الى المضايق والى بحر ايجه . وهى لذلك لم تقبل ما عرضه عليها القيصر نقولا الاول بأن تغتصب مصر وكريت فى مقابل أن تقوم فى البلقان دول مستقلة استقلالا ذاتيا تحت نفوذ روسيا . كما أنها لم تتدخل لمصلحة الاتراك ضد الحركات القومية التى قامت فى اليونان وصربيا وبلغاريا ورومانيا والجبل الاسود الا فى الاوقات التى كانت تدرك فيها أن تدخل روسيا وتوغل نفوذها فى البلقان عن طريق المساعدات التى تقدمها لهذه الحركات يهدد بوصولها الى بحر ايجه والمضايق(٢٤) .

وقد وضعت هذه السياسة الانجليزية فى عهد وليم يت ، واعتنقها لورد ولنجتون . وكان يقول ان بقاء الامبراطورية التركية واجب ليس لمصلحة الاتراك فحسب ، بل لمصلحة أوربا المسيحية ايضا . واشترك فى كتابة رسالة وجهت الى مستشار النمسا جاء فيها ، ان الامبراطورية العثمانية ليست كغيرها من الدول الاخرى التى اذا غزيت أراضيها لا تلبث ان تنهض بعد خروج القوات الغازية منها . فانها اذا غزيت وأخذت عاصمتها وقامت ثورات فى ولاياتها ، يكون اعادتها كما كانت أمرا شاقا ، يصعب تحقيقه . والبلاد التى كانت تتضمنها لابد لها من تنظيمات جديدة . أما نوع هذه التنظيمات فانه من العبث التنبوء بها . على اننا نستطيع ان نخاطر بالقول، ونتنبأ بأن التنظيمات النهائية لاجزاء هذه الامبراطورية لن تستقر الا بعد سلسلة من الكوارث والنكبات ، ولا تستطيع اعظم الفوائد المنتظرة أن تعوض عنها(٢٥).

وهكذا نجح الانجليز بفضل هذه السياسة ، وبفضل تضارب مصالح الدول الاخرى وتنافسها ، فى الابقاء على الرجل المريض حيا الى قيام الحرب العالمية الاولى . وبالتالى نجحوا في الاحتفاظ بمواصلاتهم الى الهند سليمة خلال الاراضى التركية ، وعلى الاخص الاراضى التى امتدت اليها اطماع فرنسا كما امتدت اليها أطماع مصر .

أما في العراق وفي امارات الخليج العربي فقد كانت الاوضاع بالنسبة الى الانكليز أكثر اطمئنانا ، كما كانت تساعد على توغل نفوذهم فيها . فهي ليست مثل سوريا ومصر تجاور تركيا وتواجهها وتتفتح عليها أنظار الدول

الاوربية . وانما تولي وجهها نحو الهند ، وتعطي ظهرها للقسطنطينية . وتجري الاتصالات بينهما خلال أراض بعضها جبلي وعر ، وبعضها صحراوي قاحل ، تسكنه قبائل بدوية لم تعتد الخضوع او التنازل عما تملكه لتموين القوات التركية اذا جاءت لاثبات وجود السلطان التركي .

وولايات الخليج العربي(٢٦) لموقعها النائي عن القسطنطينية ، ولفقرها ، وغلبة الحياة البدوية على سكانها ، وربما لتولد أطماع الدول الاستعمارية عليها أيضا ، لم يكن لها لدى الحكومة التركية شأن كبير . ولعلها لم تبد اهتماما بها الا منذ أواخر القرن التاسع عشر ، في عهد مدحت باشا ، ثم بعد سنة ١٩٠٨ عندما سيطر على الحكم رجال تركيا الفتاة . ومن المعروف أيضا أن هذه الولايات نفسها لم تكن تعترف لتركيا الا بقليل من النفوذ السياسي بالاضافة الى النفوذ الديني المترتب على كونها مقر الخلافة الاسلامية .

وعمان قبل تقسيمها(٢٧) ، لم تكن تعترف للحكومة التركية بشيء من النفوذ ، ولا يبدو أيضا أن هذه الحكومة كانت تدعيه لنفسها . وهي لهذا، ولموقعها الجغرافي المسيطر على مدخل الخليج العربي وعلى قسم كبير من البحر العربي ، ولانعزالها عن باقي العالم العربي بنطاق من الجبال وبمساحات واسعة من الرمال ، وكذلك لصلاتها الوثيقة بالهند وبعالم المحيط الهندي منذ أقدم العصور ، كانت أول ما وقع من عالم الخليج العربي في براثن الانكليز . وقد بدأت صلات الانكليز بها في أواخر القرن الثامن عشر بعد أن انفصل عنها اقليمها الساحلي على خليج عمان ، وكون فيه أحمد بن سعيد والي صحار ومؤسس الاسرة السعيدية الحالية ، سلطنة مسقط . وكان أحمد شجاعا واستطاع أن يمد سلطانه الى كل أنحاء عمان . وقد اختاره الناس اماما . ولكنه أخذ ينحرف عن مبادىء الامامية(٢٨) ، واتجه نحو تقسيم البلاد بين أبنائه . وقد وضع بذلك أساسا لتقسيم عمان ولضعفها . كما وضع اساسا للاطماع الشخصية بين أبناء اسرته وبين أبناء غيرها من الاسر الأخرى القوية . ومكن بذلك للانكليز من أن يبذروا بذور العداوة والبغضاء بين الامراء الطامعين في الحكم . وأن يصطنعوا لنفوذهم من بينهم عملاء ، يساعدونهم على تولي الحكم في مقابل أن يعقدوا معهم معاهدات تحقق لهم أغراضا معينة . وفي كل معاهدة أخرى يعقدونها كانوا يحصلون على مزيد من النفوذ حتى استطاعوا في ١٨٩١ أن يعقدوا مع السلطان في مسقط معاهدة ، تعهد فيها بالاصالة عن نفسه ، وبالنيابة عن خلفائه ، بألا يتنازلوا عن اي جزء من أراضيهم ، أو يؤجروها ، أو يرهنوها ، أو يسمحوا باحتلالها لاي دولة أخرى غير بريطانيا . وكانوا منذ سنة ١٨٧٣ يدفعون للسلطان مبلغا من المال كاعانة . ولكنهم اتخذوها ذريعة للادعاء أمام العالم بأن عمان محمية بريطانية ، حتى كذبتهم محكمة العدل

الدولية في هذا الادعاء، وحكمت في سنة ١٩٠٥ بأن عمان دولة مستقلة(٢٩).

وامارات ساحل القرصان ، في عهد سلطان بن صقر رئيس القواسم ، كانت بحق الشوكة القوية في جنب الانكليز . وقد قاموا ضدهم بكثير من الحملات التأديبية. ثم نجحوا أيضا بأساليبهم الملتوية في عقد كثير من المعاهدات معهم فكانت هذه تدخلهم خطوة فخطوة بين برائنهم . حتى كانت سنة ١٨٧١ ، عندما أرسل مدحت باشا الوالي التركي على العراق حملة لتدعيم نفوذ تركيا على الساحل العربي للخليج . وقد أرهب ذلك الانكليز ، كما أرهبتهم أطماع الروس التي بدت في هذا الخليج . ولهذا انتهزوا الفرصة المناسبة في سنة ١٨٩٢ واتفقوا مع كل شيخ من شيوخ هذه الامارات على انفراد أن يدفعوا له إعانة مالية في مقابل توقيعه على معاهدة يلتزم فيها بمايلي:-

(١) أن لا يعقد أية معاهدة مع أية دولة أخرى غير بريطانيا ، وأن لا يتصل بسواها .

(٢) أن لا يأذن لوكيل أية دولة أجنبية بالاقامة في أراضيه الا باذن من الحكومة البريطانية .

(٣) أن لا يتنازل عن أي جزء من أراضيه ، أو يبيعه ، أو يؤجره ، أو يهبه ، أو يأذن لدولة أجنبية غير بريطانيا باحتلاله(٣٠) .

وقطر كانت جزءا من امارة البحرين وترتبط ببريطانيا ضمنا بالمعاهدات التي عقدتها مع أمير الامارة الاخيرة ، ثم تدخلت بريطانيا في ١٨٦٨ وعملت على فصلها وتولية أمير آخر عليها . وفي ١٨٧٠ تقدمت القوات التركية التي أرسلها مدحت باشا لاحتلال الاحساء واحتلت الدوحة عاصمة قطر . واستمرت قطر خاضعة للنفوذ التركي حتى وقعت مع بريطانيا معاهدة سنة ١٩١٣ وافقت فيها على سحب حاميتها والتخلي عن مطالبها في الامارة .. والعلاقات القائمة في الوقت الحاضر بين الانكليز وبين هذه الامارة هي نفس العلاقات القائمة بينهم وبين امارات ساحل القرصان . وقد ازداد حرص الانكليز عليها أخيرا بعد أن عثر على البترول في حقل الدخان بالقسم الغربي منها(٣١) .

وجزر البحرين(٣٢) ، المشهورة باللؤلؤ ، كان الفرس يدعونها لانفسهم قبل أن يدعيها الاتراك . وكان شيخها حائرا في أمره فهو يرفع العلم الفارسي حينا ، ويرفع العلم التركي حينا اخر . ثم امتدت اليه أطماع الانكليز وعقدوا معه أول معاهدة في سنة ١٨٢٠ . وفي سنة ١٨٦١ ، عندما أخذت حكومة فارس تدعي ملكية جزره ، عقدوا معه معاهدة فرضوا عليه فيها أن لا يحل مشاكله بنفسه ، وانما عليه أن يعرضها على المقيم البريطاني في الخليج . ولما تولد لديهم الخوف من طموح مدحت باشا ، وكذلك من الروس الذين كانوا يفتشون في الخليج عن ميناء صالح يتخذونه قاعدة لسفنهم ، عقدوا معه في سنة ١٨٩٢ معاهدة تماثل نصوصها نصوص

المعاهدات التي عقدوها في نفس السنة مع شيوخ امارات ساحل القرصان · وجزر البحرين في الوقت الحاضر هي القاعدة الرئيسية لاسطول الانكليز وطائراتهم في الخليج العربي كما أنها مقر مقيمهم العام في هذا الخليج(٣٣) ·

والحسا ، أو الاحسـاء هي الان جزء من المملكة العربيـة السعودية وتحتوي على حقول زيت البترول المشهورة في هذه المملكة · وقد كانت تابعة لتركيا ، ويعترف أمراؤها بهذه التبعية ، ويرسلون هدايا الى الولاة الاتراك في العراق كدليل على ولائهم ، الا في أثناء فترات سيطرة الوهابيين عليها · والوهابيون كانوا سوط عذاب على الانكليز ، وعـلى أطماعهم الساسية في الخليج العربي ، وعلى تجارتهم فيه · فهم قد اندفعوا في دعوتهم ، وكانوا بهجماتهم الفدائية يلقون الرعب في قلوب من خالفهم فيها من سكان امارات ساحل هذا الخليج · كما كانوا يوجهون أنصارهم من سكان هذه الامارات الى نسف أطماع الانكليز فيها ، والى شـل حركتهم التجارية في مياهها · فلما كانت الحملة المصرية عليهم انتهزها الانكليز فرصة ليتقربوا من الامير الوهابي ، حتى يخفف ضغطه عليهم من جهة ، وحتى يقاوموا به من جهـة أخرى أطماع مصر ونفوذها الذي امتد الى امارات الخليج · وكان لهم ثمة غرض اخر ، وهو أن يقاوموا به أطماع أمير شمر الذى كانت فرنسا تحاول أن تستخدمه لايغال نفوذها بين القبائل العربية · وقد بدت الصلات بينهم وبين الامير الوهابي في سنة ١٨٣١ · وفي سنة ١٨٦٦ عقدوا معه معاهدة واعترفوا له فيها بنفوذه ، في مقـابل تعهـده لهم بأن لا يعترض أحـدا من رعاياهم المقيمين في دائرة نفوذه ، وأن لا يسبب لهم أضرارا · كما تعهد لهم أيضا بأن لا يهاجم أراضي القبائل العربية التى تكون لها معهم صـلات ودية · ولكن نفوذ الوهابيين في الاحساء لم يستمر طويلا ، فقد أرسـل مدحت باشا الى هناك حملة أعادت النفوذ التركي · وقد استمر هذا النفوذ قائما فيها دون انقطاع مدة ٤٢ سنة ، من ١٨٧١ ـ ١٩١٣ ، حيث أغار ابن سعود ، عبد العزيز ، عليها وطرد الحامية التركية منها · ولما لم يستطع الاتراك صده نتيجة الصعوبات التي كانوا يواجهونها في حروبهم مع ايطاليا ومع دول البلقان اضطروا للخضوع للامر الواقع · ولكى يحتفظوا لانفسهم بولائه عينوه واليا على نجد والاحساء · ولكنه القى عن نفسه هذا الولاء ، بعد أن اتصل الانكليز به قبل قيام الحرب العالمية الاولى وبعد قيامها ، وقد عقدوا معه في ٢٦ ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٥ معاهدة اعترفوا له فيها باستقلاله في نجد وملحقاتها ، في نظير التزامات لهم ألزم نفسه بها · ومنها أن يمتنع عن الارتباط بصلات مع أي دولة أخرى غير بريطانيا ، وأن يخبر الحكومة الانكليزية عند محاولة أي دولة التدخل في شؤونه(٣٤) ·

والكويت ، الدولة العربية الواقعة جنـوب العـراق مباشـرة ، كانت قبلا من أفقر امارات الخليج في مواردها المائية، وفي ثرواتها من الناحية

النباتية · ولذلك اشتغل معظم سكانها بحرفتين رئيسيتين ، احداهما ركوب الماء والغوص فيه وبناء السفن ، والاخرى التجارة بصفة عامة · وكان أهم ما يسترعي الاهتمام بها ، قبل أن تكتشف آبارها الغنية بزيت البترول ، ميناؤها الجميل · وهو طبيعي ، ويفضل غيره من الموانىء الاخرى على الساحل العربي · وهى تشبه الاحساء في كونها تتضمن مدخلا الى قلب الجزيرة العربية ، عن طريق وادى البطن الى بريدة وعنيزة في القصيم ، والى فيد وحايل في جبل شمر ، وعن طريق بير الصفا الى الرياض · وهي فضلا عن ذلك مدخل مهم الى العراق · والطريق بينهما صالح لكل وسائل النقل في كل فصول السنة، وتقطعه السيارات في الوقت الحاضر في نحو خمس ساعات · وامارة الكويت بسبب مجاورتها للعراق كانت صلاتها قوية بالحكومة التركية القائمة فيه ، وكان أمراؤها يداومون على ارسال الهدايا والخراج لها · وبدت هذه الصلات أكثر وثوقا فى سنة ١٨٧١ عندما أبدى أميرها رغبته في أن تكون بلاده جزءا من ولاية البصرة دون قيد أو شرط · فقبلت رغبته ، وأصبحت امارة الكويت قضاءا (مركزا) تابعا لولاية البصرة ، كما أصبح الامير قائممقام عليه ·

وقد بدأت صلات الانكليز بالكويت حول سنة ١٧٧٥ حين نقلوا اليها وكالتهم من البصرة عندما غزاها الفرس · ثم طمعوا فيها ، بسبب مينائها الطبيعي ، واتخذوها محطة لنقل بريدهم ، واتصالاتهم الاخرى المنقولة بين لندن وبين بومباي ، خلال طريق سهول الشرق الاوسط · ويدعي الانكليز بأن أميرها حاول أن يتخلص من الحماية التركية وطلب منهم عدة مرات أن يرتبط معهم بمعاهدة تحقق له غرضه · ولكنهم لم يجيبوه الى طلبه ، حرصا منهم على الاحتفاظ بالوضع القائم في الخليج العربي(٣٥) · وانهم لم يستجيبوا الى طلبه في سنة ١٨٩٩ ، الا بعد أن بدت في الافق أطماع الروس في ميناثه ، كما بدا مطلب الالمان في جعل هذا الميناء نهاية لخط سكة حديد بغداد ، وفي ذلك ما يهدد مصالحهم الخاصة في الخليج ، كما يعرض الوضع القائم فيه للتغير · والذي حدث على ما يبدو هو أنه في سنة ١٨٩٨ حصل انشقاق في اسرة الامارة ، والتجأ واحد منها الى الاتراك بينما التجأ آخر الى الانكليز · وعندما تدخل الاتراك وهم أصحاب الحق الشرعي لحماية صاحبهم ، قابلتهم بارجة انكليزية مهددة فتراجعوا · وأقام الانكليز صاحبهم ، وعقدوا معه في يناير ١٨٩٩ معاهدة اعترفوا له فيها باستقلاله كما تعهدوا له بدفع مبلغ ١٥٠٠٠ روبية سنويا في مقابل أن يلتزم بمثل الالتزامات التي التزمت بها الامارات العربية الاخرى المجاورة · وفي سنة ١٩٠١ قبل الاتراك الاعتراف للانكليز بالمركز الذى اكتسبوه في الكويت ، في مقابل أن يتعهدوا لهم بأن لا يحتلوها ولا يعلنوا خضوعها لهم · وفي اتفاقية سنة ١٩١٣ التي عقدت بين الاتراك وبين الانكليز اعترف الانكليز بأن الكويت تابعة لتركيا ، في مقابل

اعتراف الاتراك لهم بشرعية الاتفاقات المعقودة بينهم وبين أمير الكويت . وفي سنة ١٩١٤ أسسوا فيها وكالة سياسية ، واستعانوا بشيخها في بث الدعاية لهم بين شيوخ القسم الجنوبي من العراق ، وفي تمهيد السبيل أمام وكلائهم للاتصال بالقبائل العربية الاخرى ، وبالشخصيات البارزة ، وكذلك في بذل الاموال للمؤيدين للمصلحة الانكليزية ضد المصلحة التركية(٣٦) .

أما العراق ، الذى كان ولاية تركية كبيرة ، فان له احتمالات واسعة، يتضمنها موقعه الجغرافى ، كما تتضمنها ثرواته من الارض الخصبة الواسعة ومن المياه الوفيرة اللازمة لريها . وهو ، بالرغم من حكمه بواسطة ولاة السلطان ، كان من أقل ولايات الامبراطورية التركية خضوعا . وذلك بسبب بعده عن استانبول ، وانعزاله عنها بنطاقات من الجبال ومساحات واسعة من الصحراء . بينما جعله موقعه الجغرافى ، وتصريف مياهه وتفتحه الطبيعى نحو الخليج العربى ، أوثق اتصالا بعالم هذا الخليج . وقد ساعد ذلك الانجليز على ايغال نفوذهم فيه . والاحوال البشرية التى كانت سائدة فى العراق قد أعطتهم أكثر من مدخل لهذا الايغال . وذلك لان مرافقه ، كانت مهملة منذ اضمحلال الخلافة العباسية فى بغداد ، كما كان مسرحا لمنازعات مستمرة وفتن . ومن المعروف ان الحياة البشرية فى العراق تشبه الحياة البشرية فى مصر فى أنها فى كلتيهما تقوم على أساس من الزراعة بسبب ثروتهما من التربة الخصبة ومن المياه الوفيرة فى الانهار . كما تقوم أيضا على أساس آخر من التجارة ، سببه الموقع الجغرافى لكل منهما عند رأس طريق من الطرق الرئيسية التى تحمل التجارة بين القسم الشرقى من العالم القديم وبين القسم الغربى منه . وقد اضمحل الاساس الاخير فى كليهما بعد فتح طريق رأس الرجاء الصالح ، كما اضمحل الاساس الاول بعد وقوعهما فى قبضة الحكم التركى . الا ان الحالة فى العراق كانت أشد سوءا . وذلك بسبب طبيعة أنهاره ، فان لها أحوالا خاصة صعبة ، تختلف عن الاحوال الخاصة بنهر النيل . والاستفادة منها تتطلب سنويا عناية فائقة ، وجهودا فى تطهير المجارى المائية ، وفى تقوية جسورها وسدادها. وفى الوقت الذى نحن بصدده كانت الطبيعة قد تغلبت فيه على جهود الانسان ونشرت عليه قناعها البدائى . واذا استثنيت الاجزاء المرتفعة من ضفاف أنهاره ، وهى التى تركز العمران عليها ، كانت بعض مناطقه تشغلها أهوار (برك ومستنقعات) وبعضها الآخر صحراء(٣٧).

وبجانب هذا الاضمحلال الاقتصادى الذى أصابه ، كان يكابد انحلالا خلقيا انتقل اليه من الانحلال الخلقى الذى تفشى فى الامبراطورية التركية منذ عهد مراد الثالث ، والذى كان من بين مظاهره تفشى الرشوة وبيع المناصب . فكان الولاة فى مناصبهم التى اشتروها لا يهتمون بمصالح ولاياتهم بقدر اهتمامهم بجمع ما دفعوه مع الربح(٣٨) . وفى مثل حالة

العراق ، من فقر سكانه ، وسوء مواصلاته ، وتعقد سطحه ، بجانب ما تتضمنه جهاته ، وما يكتنفها ، من مناطق للحماية فى المستنقعات ، وفى الصحارى ، كان لابد للفوضى أن تسود ، ولحبل الامن أن ينقطع ، وأن يفقد القانون سلطانه ، ويتغلب فيه القوى على الضعيف • وقد تكتلت فيه جماعات من أبنائه ، وكونت من بينها أحلافا للدفاع عن نفسها أو للاغارة على غيرها • واضطر كثير من الفلاحين الى هجر قراهم وترك حقولهم ، وتشتتوا • أما مدنه فقد اضمحلت ، وسيطرت هذه الاحلاف على منافذها • وكان بعض من هذه الاحلاف قويا بالدرجة التى سلمت حكومة بغداد وحكومة استامبول بنفوذ زعيمه فى منطقته • كحلف ناصر بن مهنا فى منطقة كربلا ، وحلف أبى ريشة فى منطقة عانة • وكان حلف بنى كعب واحدا من الاحلاف القوية التى قامت فى القسم الجنوبى من سهل العراق(٣٩)• وكان اشتراك الانجليز مع الاتراك فى محاولات للقضاء عليه ، هو أول تدخل لهم فى شؤون العراق •

كان هذا الحلف يسيطر على طريق شط العرب • ويسطو على التجارة المارة فيه ، ثم يحتمى بمناطق الاهوار التى تكتنف جانبيه • وفى سنة ١٧٦٢ عجز على باشا والى بغداد عن اخضاعه ، ولجأ الى وكيل الشركة الانجليزية بالبصرة طالبا ان تساعده شركته ببعض سفنها ، فى مقابل تسهيل مصالحها فى العراق (٤٠) • وقد لبت هذه الشركة طلبه ، كما لبت طلب خلفه عمر باشا• ولكن حلف بنى كعب انتصر عليهم فى المرة الثانية ، كما انتصر فى المرة الاولى ، واستولى على ثلاث من سفن الشركة وأسر بحارتها • كما استولى ايضا على سفن أخرى للاتراك واسر بحارتها • وأهاجت هذه الهزائم والخسائر الشركة فأرسلت من بومباى ست سفن حربية واشتركت معها ضده سفن أخرى تركية • ولم تكن نتيجة هذه المعركة خيرا من نتيجة سابقتيها ، فقد انتصر بنو كعب بعد أن أحرقوا سفينتين من سفن الشركة وتسع سفن للاتراك(٤١)•

وتوثقت العلاقات بين الشركة الانجليزية وبين ولاة الاتراك فى العراق بعد أن ربط بينهما هدف واحد ، هو القضاء على حلف بنى كعب الذى يهدد الامن ، ويقطع سير التجارة المنقولة فى شط العرب بين البصرة وبين بغداد • ثم أصبح لها نفوذ قوى عليهم بعدما بدا لهم أن فى استطاعتها ، عن طريق نفوذ السفارة البريطانية فى استامبول ، أن تهز مقاعدهم فى بغداد ، وأن تثبتها ، وان تتدخل فى امر عزل بعضهم ، وفى أمر تعيين آخرين(٤٢)•

والزيادة المطردة فى نفوذ وكلاء الانجليز فى العراق لم يعترض عليها الولاة الاتراك ، او شيوخ العشائر ، أو أهل المدن • لان وكالاتهم كانت تتمتع بمظاهر فخمة توحى بتأثير خاص وتدل على أنها تمثل دولة عظيمة تتمتع بحظوة خاصة • فكانت مبانيها فخمة ، واسطبلات خيولها واسعة ، ويلبس

خدمها زيا خاصا بهم . كما كان لقنصليتهم فى بغداد حرس خاص ، وزورق مسلح يرسو أمامها فى نهر دجلة . وهى فضلا عن ذلك كانت ملاذا للولاة يلجأون اليها كلما حزبهم أمر . كما كانت ندوة لكبار الموظفين ، ومضيفا لشيوخ القبائل ، وملجأ لاصحاب الحاجات وطلاب الشفاعات . ويرى بعض الباحثين أن هذه المظاهر والملابسات كانت قوية التأثير على السكان لدرجة أن ضعاف النفوس والنفعيين منهم قد عبروا عن سرورهم اذ قبلت الحكومة البريطانية أن تتدخل فى أمورهم ، وتبسط حمايتها عليهم . وقد استغل هؤلاء الوكلاء البريطانيون فى العراق نفوذهم على الولاة وأخذوا يكسبون لبلادهم مصالح فيه . وكان من بينها حق حماية التجار من الهنود وزوار العتبات المقدسة منهم ، وحق توزيع الاوقاف الهندية والهبات على هذه العتبات . وذلك بجانب امتيازات شركة الملاحة فى دجلة والفرات ، ونقل البريد خلال أرض العراق وتوزيعه(٤٣).

على أن هذه الحالة من الاطمئنان التى وصل الانجليز اليها باستقرار أمورهم فى الاراضى التركية ، التى تتضمن طريق سهول الشرق الاوسط وامتداده فى الخليج العربى ، لم تدم طويلا . وذلك لان سحب الخوف والتهديد التى كانت قد تجمعت أمامهم على مداخل طرق الهند فى أرض مصر ، وفى ارض سوريا ، وظنوها قد تبددت ، عادت ثانية وتجمعت أمامهم قريبة من الهند وعند المداخل المباشرة لها . وذلك لتقدم النفوذ الروسى نحوها من داخل هضبة ايران ، ومن اقليم التركستان(٤٤).

وقد بدا التدخل الروسي في هضبة ايران في عهد بطرس الاكبر ، وكانت بلاد فارس وقتئذ تكابد فتنا وانقسامات داخلية . وخرج الافغانيون من بلادهم ومدوا سيطرتهم على القسم الجنوبى الشرقى منها وأغاروا على طهران . بينما كان الشاه الصفوى يحاول جهده أن يحتفظ لنفسه بالقسم الشمالى . فانتهز بطرس الاكبر الفرصة ، وتدخل بحجة حماية الشاه الشرعى ، وقاد قواته عبر مضيق دربنت ، واحتل باكو ورشت على الساحل الجنوبى الغربى والجنوبى لبحر قزوين . كما انتهزتها الامبراطورية العثمانية فى عهد مراد الرابع ، وكانت لا تزال قوية ، وأرسلت قواتها لاقتطاع تبريز ، وهمدان ، وكرمنشاه ، فى القسم الغربى منها .

ولكن أطماع الروس هذه لم تتحقق لهم . فقد ظهر البطل نادر شاه من بيت أفشار . وفى خلا لفترة قصيرة قضى على الاسرة الهزيلة الحاكمة، كما قضى على الفتن الداخلية ، وقاد القوات الفارسية وأبعد بها الروس الى ما وراء القوقاز ، كما أبعد الاتراك وغزاهم فى العراق ، وهزم الافغانيين واخضعهم ، وعن طريق بلادهم غزا الهند وعاد منها مثقلا بكنوز المغول . ولكن هذا البطل لم يعش طويلا ، فقد دبرت له موءامرة اغتيل فيها . وبموته عاد الفساد يدب من جديد فى أرض فارس(٤٥).

أما التدخل الفعلى للروس فى بلاد فارس فقد حدث فى أوائل القرن

التاسع عشر • ففى سنة ١٨٠٠ ، حيث كانت هذه البلاد لا تزال تكابد ضعفا من فتن وانقسامات ، خلع أمير جورجيا ، وهى مقاطعة فارسية ، حقوق ولايته على القيصر بول • وتوقف التدخل الروسى فترة عند هذه الولاية لان هذا القيصر مات وقام صراع على العرش بين الامراء • وانتهز الشاه الفارسى الفرصة فوجه قواته لاسترداد جورجيا وطرد القوات الروسية منها • ولكن الضعف العام فى البلاد الفارسية كان قد تغلغل الى قواتها فهزمت ، وفرض الروس عليها معاهدة جولستان فى سنة ١٨١٣ ، وفيها تنازل الشاه نهائيا عن كل حقوقه في جورجيا ، وفي أذربيجان وبعض أماكن اخرى مجاورة لهما • كما تعهد بأن لا يكون لبلاده أسطول فى بحر قزوين • وبهذا أصبح هذا البحر روسيا • ثم هزم الشاه فى حرب ثانية قامت بينه وبين الروس وفرضت عليه فى سنة ١٨٢٧ معاهدة تركمان تشاى • وفيها تنازل لروسيا عن مقاطعة أرمينية كما تنازل لها عن كثير من الحقوق الاخرى والامتيازات ، حتى بدت بلاده أمام الانجليز وغيرهم من الدول الاخرى ضعيفة تأتمر بأوامر روسيا • على أن التوسع الروسى فى القرن التاسع عشر لم يقتصر على بلاد فارس ، بل اتجه أيضا نحو الشرق ، فى غرب آسيا ووسطها • كما اتجه من هناك نحو الجنوب صاعدا فى وادى أمودريا ومداخل الهند من جبال هندكوش(٤٩) •

وقد ولد هذا التقدم الروسى نحو ابواب الهند رعبا فظيعا فى قلوب رجال حكومتها من الانجليز • وكانت الدماء تفر من وجوههم لمجرد ذكر روسيا • كما كانت تفر أيضا لمجرد ذكر افغانستان • وذلك لان افغانستان تسيطر على أبواب للهند نحو مناطق لم تكن ايديهم قد امتدت اليها بعد • ولان على هذه المناطق قد بدت أطماع صريحة لزمان شاه أمير كابول • وتقدم النفوذ الروسي من أرض فارس ، ومن غرب آسيا ووسطها ، نحو أفغانستان ، جعل بعض الساسة الانجليز ينظرون اليهم كنوع من المردة ، لاحد لاطماعهم فى الهند • فقد كانوا يعتقدون أن روسيا تجرى على سياسة استعمارية مرسومة ، قد وضع بطرس الاكبر خطوطها • كما كانوا يعتقدون أنهم لا يملكون القدرة على دفعهم • فهم قد يستطيعون مقابلة الروس وجها لوجه فى آستامبول والمضايق حيث يمكن لاسطولهم الحربى أن يتدخل ، وحيث يستطيعون أن يؤلبوا عليهم هناك القوى الاخرى المنافسة لهم على أراضي الامبراطورية التركية • أما حيث تمتد سهول هندستان ويتطلع الروس اليها بطمع خلال ممرات هندكوش من جهة ، وخلال ممرات سليمان ـ كرثار من جهة أخرى ، دون أن يستطيعوا لهم دفعا بأسطولهم ، وبمساعدات أخرى تأتيهم من غيرهم ، فان هذا كان كارثة كبرى ومصدرهم مقيم عليهم • وقد استمر هذا الهم جاثما على صدورهم الى أن نجحوا فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر فى اقامة دولة فى افغانستان محايدة ، لتقوم ستارا يحول بين الهند وبين هذا التطلع الروسى •

ومطامع الروس فى الهند قد بدأت منذ عهد بطرس الاكبر ، الذى طمع بعد موت نادرشاه فى وراثة امبراطوريته التى كانت تمتد الى الهند والعراق ووسط آسيا • ومع أنه أخفق في ذلك ، الا أنه لم ينس قبل موته أن يضع لهم خطة استعمارية ليسيروا عليها • فقد أوصى خلفاءه بأن يتقدموا بحدودهم ما استطاعوا الى القسطنطينية من جهة والى الهند من جهة أخرى • وأن يقيموا لهم قواعد برية وبحرية على البحر الاسود •• وأن يسرعوا ، اذا سار الانحلال فى جسم فارس ، بالتوغل فيها حتى يصلوا الى الخليج العربى • وأن يحاولوا اعادة التجارة الى طريقها القديم فى الشرق الاوسط • وعليهم بعد ذلك أن يتقدموا الى الهند مستودع تجارة العالم(٤٧).

والانجليز كانوا مدركين أن محاولات كثيرة قد بذلت لغزو الهند من الاراضى الروسية فى وسط آسيا ، وكذلك من بلاد فارس التى أصبحت حليفة للروس • فمن ممرات هندكوش دخلتها جحافل المغول وقوات الاسكندر • ومن ممرات سليمان ـ كرثار دخلتها قوات نادر شاه ، وقوات زمان شاه • كما أن نابليون فى اتفاقاته مع شاه فارس ومع بعض قياصرة الروس قد وضع خططا لغزوها خلال بعض هذه الممرات(٤٨). ولذلك ، أسرعوا ، لمقابلة التهديد الروسى ، باتخاذ خطوات سريعة فى الهند ، وفى بلاد فارس ، وفى العراق • كما اتجه تفكيرهم نحو ما يمكن تسميته بالبحث عن مواصلات أكثر سرعة الى الهند •

وفى الهند ، أسرع الانجليز بمد نفوذهم نحو الشمال فى اقليم البنجاب ليسيطروا على منفذ ممر خيبر من افغانستان • كما أسرعوا بفرض نفوذهم على خان بلوخستان(٤٩) ليسيطروا من أراضيه على منفذ بولان من أرض فارس • ولما كان أمير مسقط مستأجرا لثغر بندر عباس الفارسى ، وهو مدخل الى هذا الطريق من رأس مضيق هرمز ، فقد قاموا بعقد معاهدة معه فرضوا عليه فيها لانفسهم حقوقا تمكنهم من انزال قواتهم فى هذا الثغر • كما انتهزوا فرصة حدوث خلاف بين أمير افغانستان وبين سيده شاه فارس فاحتضنوا هذا الامير وتدخلوا لمصلحته بل انهم هددوا الشاه الفارسى بالحرب من اجل امير كابل • وذلك لكى يضمنوا اتخاذ افغانستان متراسا ضد أى هجوم يأتى نحو الهند سواء أكان من داخل أرض فارس ، أم كان من وسط آسيا وغربها •

وأول ما حدث من الاتصالات السياسية بين بريطانيا وبين فارس كان فى عهد فتح على خان(٥٠) الذى عاصر نابليون وبول والاسكندر الاول قيصرى روسيا ، واشترك معهم جميعا فى أطماعهم فى الهند • وكان سبب هذه الاتصالات متعلقا بأفغانستان • لانها كانت تبدو أمامهم شبحا مخيفا فى سنة ١٧٩٨ ، وهى السنة التى أبحر فيها نابليون من ميناء طولون قاصدا غزو مصر وتهديد مصالح الانكليز فى الشرق • ففى تلك السنة أعلن زمان شاه أمير كابل عزمه على غزو الهند ، وسير لهذا الغرض جيشا • وكتب الى

المركيز ولسلى الحاكم الانجليزى العام فى بنغال رسالة أخبره فيها بهذا العزم ، وعرض عليه أن تشترك القوات الانجليزية مع قواته فى اتمام هذا الغزو واقتسام الهند بينهما • فكان ذلك محنة أصابت الانجليز فى وقت كانوا يتطلعون فيه بقلب واجف الى نابليون فى مصر • كما كانت فيه قواتهم لا تزال فى القسم الجنوبى من الهند تحارب المواطن تبوفى ميسور(٥١) ولهذا اتجه الحاكم الانجليزى فى بنغال برجائه الى شاه فارس ، مرسلا اليه رسولا• وكان الرسول مزودا بتعليمات ، منها ان لا يدخر وسيلة لاغراء الشاه ، والبلاط الفارسى ، بعرقلة أمير كابل واشغاله عن التقدم نحو الهند • وقبل أن يخلصوا من هذه المحنة بدت أطماع نابليون فى غزو الهند عن طريق هضبة ايران بالاتفاق مع القيصر بول • وبعد فشل هذا الاتفاق بسبب موت القيصر استغلت حكومة الهند حنق الشاه على نابليون وعلى الروس وأسرعت بالتودد اليه • وأرسلت اليه رسولها مرة أخرى مفوضة اياه فى أن يتخذ كل السبل والوسائل التى تؤدى الى اغراء الشاه وحمله على أن يستمر فى خطواته التى سبق ان تخذها لاشغال أمير كابل عن أطماعه فى الهند • وطلبت منه أن يعمل من جهة على مقاومة أطماع الفرنسيين فى بلاد فارس ، وأن يعمل من جهة أخرى على تأسيس علاقات تجارية بينها وبين الهند وبريطانيا • وقد نجح هذا الرسول فى مهمته باسرافه البالغ ، وبهداياه الثمينة التى قدمها للشاه ، ولرجال بلاطه ، فى تحقيق هذه الاهداف • ونجح ايضا فى عقد معاهدة تجارية تقضى بالسماح لبعض السلع الانجليزية بالدخول الى الاراضى الفارسية معفاة من الرسوم الكمركية ، كما تقضى بالسماح للتجار من الانجليز ومن الهنود بالاقامة فى الموانى الفارسية ، ومعفون كذلك من الضرائب •

ولكن هذه العلاقات الطيبة بين الانجليز وبين الفرس لم تعمر طويلا• وذلك لان الشاه أراد أن يستغل صلاته بهم • فأعد جيشا ، وطلب منهم مساعدته على استرداد « جورجيا » من الروس • ولكنهم سوفوا • وبدلا من أن يزودوه برجال الحرب وعتادها زودوه ببعض النصائح • فحنق عليهم ، وقبل الاتفاق مع نابليون عندما لوح له بمساعدته ضد روسيا على استرداد أراضيه منها ، فى مقابل أن يشترك معه فى غزو الهند • وقد قابل الانجليز هذا الاتفاق باتخاذ خطوات تهديدية ، كان من بينها الاستيلاء على جزيرة «خرج» الفارسية فى الخليج العربى ، وانزال قواتهم فى بوشير على الساحل • الا ان هذا الموقف العدائى بينهما لم يستمر طويلا • لان نابليون كان قد أهمل بعض الشىء اتفاقه مع الشاه ، وعقد مع قيصر روسيا فى تلست اتفاقا آخر يقوم على تقسيم بلاد الشرق وبذلك ضعف أمل الشاه فى استرداد جورجيا وما حولها من أراضيه(٥٢)•

والانجليز نهازون للفرص • فانتهزت حكومتهم فى الهند هذه الفرصة وارسلت رسولها الى طهران لتحسين علاقاتها مع الشاه • ولكن هذا الرسول

لم ينجح فى مهمته ، اذ لم يسمح له بدخـول طهران • وذلك لانه فى ذلك الوقت كانت لا تزال البعثة العسكرية الفرنسية التى أرسلها نابليون تمارس نشاطهـا فى تدريب الجيش الفارسى على الاسلحـة الحديثـة ، وفى بنـاء الاستحكامات اللازمة ، ووضع الخطط المتعلقة بمهاجمة الروس وابعادهم عن جورجيا • وبينما كان رسول حكومة الهند يعود اليها ثائرا ويقترح توجيه ضغوط شـديدة على الشـاه ، أرسلت حكومة لندن الى بلاط طهران رسولا آخر من قبلها • وكان الوقت أكثر ملاءمة • اذ كان شعور الفرس قد أخذ يتحول عن البعثة الفرنسية وعن الفرنسيين بصفة عامة • كما أخذ الاعتقاد ينمو فى نفوسهم بأن استعادة جورجيا لن تحدث على أيديهم • وقد نجح هذا الرسول فى مهمته وعقد معاهدة مع الشاه ، بعد أن قدم له هدية ثمينة من الملك جورج الثالث • كما قدم هدايا أخرى لرجال البلاط • وقد نتج عن هذا التوفيق الذى أحرزته حكومة لندن اشكال بينها وبين حكومة الهند حول مناطق اختصاص سياسة كل منهما • ثم حل هذا الاشكال بالاتفاق على جعل عالم الخليج العربى ومنه العراق وهضبة ايران بالاضافة الى النصف الجنوبى من حوض البحر الاحمر من اختصـاص حكومة الهند • وكنتيجة لذلك أعيد ثانية توقيع المعاهدة مع هذه الحكومة الاخيرة فى نوفمبر (تشرين الثانى ، ١٨١٤) •

وقد تضمنت المعاهدة بعض نصوص خاصة بدفاع مشترك ، وباحلال بعثة انجليزية لتدريب الجيش الفارسى محل البعثة الفرنسية • كما تضمنت نصوصا تشير الى بطلان كل معاهدة عقدها الشاه ضد انجلترا • وتضمنت أيضا نصوصا تلزمه بأن لا يسمح لاى جيش أوربى معاد لها بالمرور خـلال أراضيه ، وبأن يبذل وساطته لمثل هذا الغرض لدى جيـرانه فى بخـارى وسمرقند وبلاد التتـار وخـوارزم • وفى مقـابل ذلك ، تعهد له الانجليز بتأييده فى تخطيط الحدود بين بلاده وبين روسيا • كما تعهدوا بأن يدفعوا له اعانة سنوية قدرها نحو ١٥٠ ألف جنيه على شرط أن يتولوا هم انفاقها بواسطة وزيرهم المفوض فى طهران •

وكان هذا الشرط محاولة صارخة منهم لبسط نفوذهم على بلاد فارس • كما كان دفع الاعانة هو الالتزام الوحيد الذى حرص الانجليز على الوفاء به من بين الالتزامات الاخرى المفروضة عليهم بنص المعاهدة • فعندما اشتعلت الحرب بين حليفهم الشاه وبين روسيا في سـنة ١٨٢٥ لم يراعوا نص الدفاع المشترك الذى يلزمهم بالتقدم لنجدته وتزويده بالرجال وبالعتاد ، وانما زودوه ، كما حدث فى مرة سابقة ببعض النصائح وبحفنة من المال • ولم تحمه هذه النجدات الانجليزية من الهزيمة • كما أنها لم توقفه عن توقيع معاهدة تركمان تشاى سنة ١٨٢٧–١٨٢٨ التى ألقت به وببلاده فى أحضان الدب الروسى القيصرى • والامتيازات التى حصلت روسيا عليهـا من وراء

هذه المعاهدة اتخذت فيما بعد مدخلا لمطالبة القوى الاستعمارية الاخرى بمثلها وبأكثر منها ، بعد أن فتحت أمامها أبواب بلاد فارس على مصراعيها(٥٣) . وقد استمرت هذه الامتيازات الاجنبية تكون ناحية ضعف خطير فى جسم الفرس حتى أنقذهم منها رضا شاه وقفل الابواب التى دخلت منها .

وقد أنهت معاهدة تركمان تشاى عهدا من عهود العلاقات بين فارس وبين بريطانيا وبدأت عهدا آخر . لان فارس القوية التى كان الانجليز يتوددون اليها بالهدايا ويسعون الى عقد معاهدات صداقة وتحالف معها ، قد أضحت ضعيفة تأتمر بأوامر روسيا . ومعنى هذا فى نظرهم أن أبوابها قد أصبحت مفتوحة أمام الروس لتحقيق أطماعهم فى الخليج العربى من جهة ، وفى أفغانستان والهند من جهة أخرى . وكانت السياسة التى انتهجها الانجليز لمقابلة هذا الوضع الجديد في بلاد فارس ، هي الاسراع بمد نفوذهم في الهند نحو الشمال الى اقليم البنجاب ، ونحو الغرب بتوثيق قبضتهم على خان بلوخستان وعلى الخليج العربى . ثم باحتضان أمير افغانستان وفرض نفوذهم عليه ، وبالعمل على جعل فارس رجلا مريضا آخر(٥٤).

وأفغانستان ـ كما سبقت الاشارة اليها ـ تبدو كالقلعة الحصينة فى شمال غرب الهند فهى تسيطر على الابواب الموصلة اليها من فارس ومن غرب آسيا ووسطها . ولكنها مع ذلك تتضمن ناحية ضعف خطيرة من الناحية القومية ، بسبب تكوينها المعقد من الناحية الاثنوغرافية . الامر الذى جعل سكانها يبدون مفككين فى أحرج الاوقات التى تكتنف بلادهم . كما جعل مهمة كل طامع فيهم سهلة . ونتيجة لذلك استطاع الانجليز أن يصطنعوا لهم من بين الامراء الطامعين أميرا . احتضنوه وشجعوه على أن يستقل عن شاه فارس . ثم استخدموه في مقاومة تقدم النفوذ الروسى . ولما تحسنت العلاقات بينهم وبين الروس ، اسرعوا ، لكى يؤمنوا مخاوفهم على الهند ، بعقد اتفاق معهم فى ١٨٧٣ على تسوية الحدود بينهم وبين أفغانستان .ولكى يجعلوا من أفغانستان سياجا كامل الحلقات عن الهند ، مدوا لها الذراع الذى يكون مقاطعة واخان الافغانية ، ليفصل بين الباميز الروسية وبين مقاطعة شترال الشمالية فى الهند . كما حرصوا على أن ينالوا من الروس فى هذا الاتفاق اعترافا بأن لهم مركزا خاصا فى أفغانستان . وعندما احتج الامير الافغانى على هذا التحكم فى مستقبل بلاده ، أقنعوه ببعض النصائح وببعض المال لكى يرضى بالامر الذى وقع . وقد استمرت افغانستان تعترف بنفوذ الانجليز عليها حتى قيض الله لها أمان الله خان فأحدث انقلابا سنة ١٩١٩ هزم الانجليز فيه واستخلص منهم حرية بلاده واستقلالها(٥٥).

وتقدم روسيا عبر القوقاز وازدياد نفوذها فى بلاد فارس لم يزد من مخاوف الانجليز على الهند من جهة ابوابها من هضبة ايران فحسب ، بل زاد أيضا من مخاوفهم عليها من جهة الخليج العربى وسهول الشرق الاوسط . كما ولد لديهم كذلك مخاوف منها على أطماعهم فى هذا الخليج وفى هذه

السهول . فمن المعروف أن فى الحافة الجنوبية لنهضة ايران ممرات مطروقة وبعض منها يمكن أن تجتازه القوات المحاربة فى طريقها من داخل هضبة ايران الى ساحل الخليج العربى ، والى هذه السهول . وفى الواقع ان القول باصفرار لون الانجليز عند ذكر روسيا ليس مبالغة . لان روسيا ، وهى قوة برية عظيمة ، ولا تستطيع القوات البرية الانجليزية أن تصدها ، كانت تستطيع أن تغزو الهند من اقليم التركستان خلال ممرات هندكوش ، ومن داخل هضبة ايران خلال ممرات مرتفعات سليمان ـ كرثار . كما كانت تستطيع ان تتقدم من داخل هذه الهضبة فتغزو العراق ، وسوريا ، وتقطع طريق الهند . وعندئذ يكون فى مقدورها ، كما عبر أحد قوادها ، التدخل فى المسألة المصرية وتهديد طريق قناة السويس أيضا(٥٦).

والسياسة التى انتهجها الانجليز لمقابلة هذه الاطماع الروسية المحتملة قامت على ارغام شاه فارس على الجلاء عن حصن هرات ، وحمله على الاعتراف باستقلال افغانستان . كما قامت على التمسك بالرجل المريض فى تركيا حيا ، وعلى تمكين قبضتهم فى الخليج العربى ، وعلى تقوية مصالحهم فى العراق . وكذلك على ايجاد وسائل سريعة لنقل اتصالاتهم مع الهند ، وما يتبع ذلك من العمل على السيطرة على بعض المواقع الاستراتيجية لتأمين سير هذه الاتصالات .

وهم فى الخليج العربى عملوا على تحويل علاقاتهم مع اماراته من معاهدات عدم اعتداء ومقاومة لتجارة الرقيق ، الى معاهدات اخرى تضع أقدامهم فيها وتحولها الى شبه محميات انجليزية . حتى يجدوا منفذا الى ادعاء ملكيتهم له . ولقد عبر عن هذا الادعاء أحد ساستهم فى تصريح له جاء فيه، ان قيام أية قوة اجنبية بانشاء تحصينات على سواحله أو قواعد بحرية فيه يعتبر تهديدا خطيرا لمصالحهم ويتحتم عليهم مقاومتها بكل ما لديهم من وسائل(٥٧). وفى العراق بنوا سياستهم على أساس جعله قاعدة أمامية لهم للدفاع عن الهند ، ولمد نفوذهم منه خلال جهات أخرى فى الشرق الاوسط . وكذلك لمراقبة اتجاهات النفوذ الروسى فى هضبة ايران . والاساس الذى بنوا عليه هذه السياسة فيه كان العمل من جهة على اضعاف ولاء الاهالى والولاة لتركيا والتشبث فى تحويل ذلك الى جانبهم ، والعمل من جهة أخرى على خلق مصالح لهم فيه(٥٨).

أما اتجاههم نحو ايجاد وسائل سريعة لنقل اتصالاتهم مع الهند ، فقد بدأ على أثر تهديدات نابليون . وذلك بأن قاموا بمسح الخليج العربى ورسم خرائط له . كما أرسلوا الكابتن تشزنى في ١٨٣٠ لمسح برزخ السويس ، وتقرير ما اذا كان فى الامكان حفر قناة خلاله تصل بين البحر المتوسط وبين البحر الاحمر ، تصلح لملاحة السفن الكبيرة . ثم وجهوه بعد ذلك ، فى سنة ١٨٣٦ ، على رأس بعثة لمسح أنهار العراق وتقرير مبلغ صلاحيتها

لقيام سفن فيهـا بسفرات منتظمة • ولكن التقرير الذى كتبه ، والتقـارير الاخرى التى كتبها أعضاء بعثته ، لم تتضمن فقط الاحوال المائية للنهرين ، وانما كانت سجلا ضخمـا تنـاول كل شىء عن العراق وعن الجهـات التى تكتنفه • وقد استفاد الانجليز من هذه التقارير ومن الخرائط التى ارفقت بها أثناء الحرب العالمية الاولى • كما أن احدى السفينتين اللتين استخدمتهما البعثة فى أغراضها ، بعد أن غرقت الاخرى ، قد بقيت فى نهر دجلة بعـد الانتهاء من مهمتها • وهم ، على ما يبدو ، قد وعـدوا السلطـات التركيـة بأجلائهـا عنه اكثر من مرة خلال مدة بلغت نحو ربع قرن ، قضتها ومعهـا زميلات ثلاث أخرى غيرهـا فى القيام بسفرات منتظمة بين البصرة وبيـن بغداد • وعندما أجلوها عنه في النهاية لم يخسروا بجلائها شيئا • وذلـك لانهم فى خلال مماطلاتهم قد استطاعوا أن يوطدوا أقدامهم فى مياه أنهـار العراق ، وفى اكتساب حقوق مشروعة لهم فيهـا • فانهم قد حصلـوا من السلطان التركى فى سنة ١٨٦١ على امتياز لشركة لينج (Lynch) يعطيها حق احتكار النقل المائى فى هذه الانهار • كما حصلت هذه الشركة ايضا لنفسها من شاه فارس على امتيـاز مماثل للنقل فى نهـر كارون • ولم تلبث أن اصبحت واحدة من أعظم المؤسسات الانجليزية فى عالم الخليج العربى ولها وكالات لخدمة مصالحها فى كل موانيه(٥٩) •

وفى أثناء هذه الاعمـال التى كان الانجليز يقومون بهـا ويعملون من ورائها على كسب حقوق لهم فى انهار العراق ، وتثبيت أقدامهم فيه ، كانوا يقومون بأعمال أخرى يرمون من ورائها الى تثبيت أقدامهم فى الاراضى السورية التى تكون معه المعبر البرى الذى يصـل بين البحر المتوسط وبين الخليـج العربى • وذلك عن طريق الادعاء بالاهتمام بمشروع مد خط لسكة الحديد فى هذا المعبر يصل بين الاسكندرونة او انطاكية وبين البصرة ، ويمر فى طريقه بحلب وبغداد(٦٠) •

ويشير بعض الباحثين الى أن الظروف الملابسة كانت تدعو الى تنفيذ هذا المشروع ، لان نفوذ روسيا كان يزداد فى فارس وفى تركيا ، كما كان نفوذ فرنسا يتجدد فى سوريا وفى مصر • الا ان اعتراضات قد وجهت اليه • منها أن الاسطول لا يستطيع حمايته • ومنها عدم الاتفاق بين الخبراء العسكريين على أن صلاحيته مؤكدة لنقل القوات والعتاد الى الهند ، ولمقاومة تقدم الاطماع الروسية(٦١) •

وتبدو هذه الاعتراضات صحيحة • وفى الواقع أن الانجليز لم يفكروا جديا فى تنفيذ هذا المشروع ، أو أى مشروع آخر يحقق مواصلات أسرع الى الهند خلال الاراضى التركية • ذلك لان الظاهرة الرئيسية التى كانت تسيطر على سياستهم فى الشرق الاوسط وتوجهها هى ظاهرة حماية الهند • ولا شك فى أنه لم يكن من مصلحتهم أن تقوم فى الاراضى التركية مواصلات سريعة اليها • وذلك لان للقوى الاستعمارية الاوربية الاخرى مصالح فى هذه الاراضى •

وهم لو أنشأوا فيها خطا لسكة الحديد فانهم لا يستطيعون قصر استخدامه على أنفسهم . كما أن الاتراك أنفسهم لا يستطيعون أن يعطوهم هذا الحق . ولا جدال فى أنهم لم يرغبوا فى أن يروا أراضى الدولة التركية تخترقهـا وسائل سريعة للمواصلات ، وتعطى فرصا لاكثر من دولة معادية للتدخل فى شوءونها(٦٢) . ومن الملاحظ أن الحكومة الانجليزية قد رفضت فى سنة ١٨٣٤ تقديم ضمانات مالية لانشاء خط لسكة الحديد كان قد اقترح مده بين الاسكندرية وبين السويس عن طريق القاهرة . وذلك بالرغم من أنها قـد لمست من قبل المزايا التى تجنيها من استخدام طريق البحر الاحمر والاراضى المصرية(٦٣) .

كانت الحكومة الانجليزية فى صميمها مقتنعة بأن تنفيذ أى مشروع فى أراضى الدولة التركية ، ويقصد به تهيئة مواصلات سريعة الى الهند ، انمـا يكون بمثابة احداث ثغرة فى الدرع البريطانى ينفذ منها أعداوءها الى درة التاج . وهى لهذا لم تهتم بالتقرير الذى قدمه الكابتن تشزنى او بالتقرير الذي كتبه مستر أندرسون مدير احدى شركات الملاحة الانجليزية عن مشروع حفر قناة في برزخ السويس . مع أن هذه القناة لو قامت فستكون طريقـا بحريا وهم سادة البحار . كما ستكون أقصر الطرق البحرية وأسهلهـا بينهم وبين ممتلكاتهم فى آسيا وفى بعض جهات المحيط الهندى . وسيتوفر لهم عن طريقها الزمن والسرعة التى ينشدونها(٦٤) كما يتوفر الامان فى نقل جيوشهم ومعداتها . وكذلك فى نقل تجارتهم على نطاق أوسع مما يستطيع أن يحققه لهم طريق الكاب ، او مشروع خط سكة الحـديد عبر سهول الشرق الاوسط .

كانت مخاوف الانجليز من تنفيذ مشروع القناة أقوى ـ على ما يبدو ـ من هذه الفوائد المنتظرة . ولقد عبر بالمرستون عنهـا بقوله بأنها ستكون بسفورا ثانيا يولد متاعب سياسية خطيرة لبريطانيا . كما أخبر دلسيس بصراحة بأن الحكومة البريطـانية تعتقد بأن مشروع قناة السويس مضر بالسيادة البحرية البريطانية ، وانها تعتبره موءامرة سياسية من الحكـومة الفرنسية للتدخل نحو الشرق اكثر من اعتباره مغامرة مالية وتجارية(٦٥) .

ويبدو أن الاهتمام الذى أبدته الحكومة الانجليزية حول مشروع انشاء خط سكة الحديد فى المعبـر البرى للشرق الاوسط بين البحـر المتوسط والخليج العربى كان دعاية يراد بها تحويل أنظار اصحاب روءوس الاموال عن مشروع حفر قناة السويس ، الذى عبرت عنه الدوائر الفرنسية بأنها بخرقها برزخ السويس انما تخرق أضعف نقطة فى الدرع البريطانى . ومما يوءيد ما نذهب اليه من أن ابداء الاهتمام بمشروع خط سكة الحديد خلال معبر الشرق الاوسط كان تمثيلا انجليزيا صرفا ، أن هذا المشروع قد أخرج للناس ، وتكونت شركته ، وطرحت فى الاسواق أسهمه ، قبل أن يمسـح

طريقه وترسم خرائطه • وانه بالرغم من كونه مشروعا انجليزيا فى اراض تركية ، والمهتمون به هم الانجليز ، وليس الاتراك ، أنهم طالبوا لانفسهم فيه بامتيازات عجيبة منها أن تضمن الحكومة العثمانية للشركة الانجليزية التى ستقوم به فائدة سنوية قدرها٦٪ من رأس المال اللازم لانشائه ، وقدره نصف مليون فرنك ، أثناء مدة الامتياز البالغة تسعة وتسعين عاما • ومنها أن تدفع الحكومة العثمانية ثمن الاراضى اللازمة له ثم تسترده فيما بعد مما يزيد على الـ ٦٪ التى تضمنها ربحا للشركة • وانه اذا ما استردت هـذه الحكومة المبالغ التى دفعتها عادت كل ارباح المشروع الى الشركة وحدها • ونشير أخيرا الى أن هذا المشروع قد أهمل فجاة فى سنة ١٨٥٧ • وقد حدث ذلك عندما بدا أن مشروع قناة السويس يتخطى جميع العقبات التي وضعوها فى طريقه ، وان الترتيبات كانت تتخـذ بصورة جدية لطرح أسهمه فـى الاسواق ، وهو أمر قد حدث فعلا فى سنة ١٨٥٨(٦٦)•

ولقد بذل الانجليز جهودا متنوعة لايقاف تنفيذ مشروع قناةالسويس• ولم تكن عودتهم الى احتضان مشروعانشاء خط لسكة الحديدبين الاسكندرية وبين السويس الا محاولة أخرى من محاولاتهم لاحبـاط مشروع القناة • ذلك ، لانه مشروع دولى ، يفتح باب الاحمر الى الهند على مصراعيه • ومما تقدم يتضح أن بريطانيا لم تكن جادة فى العمل على ايجاد وسائل سريعـة للمواصلات الى الهند خلال معبر الشرق الاوسط ، لانها كانت تدرك أن هذا العمل سوف يؤدى الى اخراج هذا الجزء من الشرق من وضعه الخاص الى وضع عام ، تدعى فيه الدول الاخرى المنافسة لها مصالح لنفسها فيه • ولا شك أنه كان اعتراضا كبير العمق ذلك الذى وجهه أحد الخبراء الانجليز الى مشروع خط السكة الحديد وأوضح فيه ، بأنه يسهل عمليات الاعتـداء على مصالح بريطانيا فى الشرق الاوسط أكثر مما يعرقلها •

فى ٣٠ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٨٥٤ قال « سعيد » لمسيو «دلسبس» لقد اقتنعت وقبلت مشروعك • وفى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٦٩ احتفل اسماعيل باسراف بالغ بافتتـاح قنـاة السويس • وقد نفـذ المشروع فى وجـه كل العقبات المتنوعة والجهود التى بذلها الانجليز لاحباطه • ولكنهم مع ذلك لم يبكوا بعد أن نفذ بالرغم منهم • وانما كانوا من أوائل المهنئين به فى يوم افتتاحه بل انهم قدموا لدلسبس جائزة مالية قيمة تقديرا له • وذلك لانهم كانوا قد بيتوا نيتهم على أن يجعلوا من هزيمتهم فيه نصرا لهم •فاستخدموا ملابساته لمصلحتهم ، ليجعلوا منـه مشروعا انجليزيا يخـدم أطماعهم ولا يضرها ، بالرغم من كونهم لم يساهموا فيه بسهم واحد • ساوموا مصر وحصلوا منها على بعض امتيازات كان منها مد خط برقى فى المياه المصرية بين السويس وبين عدن • كما طالبوها بمد خط لسكة الحديد يصل بين القاهرة وبين السويس • وهذا الخط ، وان لم يعط امتيازا لهم فانها كانت احدى الشركات الانجليزية هى التى قامت بانشـائه • وسـاوموا الدولة

العثمانية وحصلوا منها على امتيازات أخرى ، وكان منها امتياز شركة لينج للنقل المائى فى انهار العراق ، وامتياز لانشاء خط برقى خلال الاراضى التركية الى الفاو ، وهى ميناء صغير بالعراق عند مصب شط العرب • ومنها مد خط مائى بالخليج العربى الى الهند • وفى السنة التى قبل « سعيد » فيها مشروع « دلسبس » حصلوا من سلطان عمان على امتياز باستخدام جزر كوريا موريا قاعدة لهم ومحطة للاسلاك البرقية ثم استولوا عليها نهائيا • وفى سنة ١٨٥٩ أعادوا احتلال جزيرة ميون (بريم)(٦٧) وكانوا قد احتلوا عدن ، قبل ذلك ، في ١٨٣٩ • وحصلوا من السلطان التركي على موافقة على ذلك في مقابل مبلغ من المال وكثمن لموقفهم المعادى ضد فكرة الامبراطورية العربية التى كان يسعى اليها على ما يبدو محمد على وابنه ابراهيم • وأخذوا فى ١٨٦٣ يحصنون جزر مالطة ويوسعون فى ارصفتها • كما أخذوا منذ ١٨٧٠ يمدون نفوذهم على الساحل الجنوبى للجزيرةالعربية، فكونوا محمية عدن وعقدوا معاهدات حماية مع أمرائها الذين كانوا قبلا خاضعين لنفوذ امام اليمن • وفى سنة ١٨٧٥ ضغطوا على اسماعيل واشتروا منه نصيب مصر من أسهم شركة قناة السويس ، وهو يعادل ٤٤٪ من مجموعها • وفى سنة ١٨٧٨ استولوا من سلطانتركيا علىجزيرةقبرص(٦٨) لقاء مبلغ من المال ووعد أجوف • وكان لدزرائيلى هدف آخر من الاستيلاء على هذه الجزيرة ، وهو اتخاذها قاعدة تفرض بريطانيا منها سيطرتها على معبر الشرق الاوسط وعلى مصر • فقد بدت مصر فى نظرهم وقتئذ لقمة سائغة وذات احتمالات كبيرة • وتتضمن أراضيها قناة السويس التى أصبحت الشريان الرئيسي في مواصلاتالامبراطورية • ومن يملك مصر يملك حقوقها على القناةوالتزاماتها تجاهها • كما تتضمن سواحلها قواعد بحرية للاسطول البريطاني أفضل من قاعدة قبرص • فتدخلوا في شؤونها في عهد اسماعيل وانتهزوا فرصة الثورة الوطنية التي قام بها الجيش بقيادة أحمد عرابي لسوء الأحوال العامة فيها ، واستعانوا بالخائن توفيق على احتلالها فى سنة ١٨٨٢ • ثم احتلوا الصومال البريطانى فى سنة ١٨٨٤ • وكانت جزيرة سقطرى فى مقابل القرن الافريقى التى استولوا عليها فى سنة ١٨٨٦ ، آخر المواقع الاستراتيجية التى استولوا عليها ليسيطروا على طريق قناة السويس فيما بين جبل طارق وبين الهند(٦٩).

وكان من الممكن أن يقال ان الاهمية الاستراتيجية التى لبلاد الشرق الاوسط الواقعة على الطريق البرى الى الهند قد أصبحت بالنسبة لبريطانيا تاريخية • بعد أن أهمل مشروع خط سكة الحديد عبر أراضيها ، وبعد أن فتحت قناة السويس وسيطرت على طريقها فيما بين المحيط الاطلسى وبين المحيط الهندى • وكذلك بعد أن وطدت نفوذها على الساحل الجنوبى

للجزيرة العربية • وكان من الممكن كذلك أن يقال ان مصالحها فى هذه البلاد قد أصبحت قاصرة على المصالح السلمية التى يمارسها عادة الممثلون الدبلوماسيون ، لولا أن نابليون الثالث قد أرسل قسا جزويتيا فى بعثة غامضة الى أمير شمر أثارت مخاوف قناصلها ووكلائها السياسيين فى العراق وفى الخليج العربى • وكذلك لولا أن فرنسا قد استغلت شعور العالم المسيحى عندما حدث اضطهاد الدروز للمارونيين فأنزلت قواتها فى بيروت فى سنة ١٨٦٤ وأصرت على بقائها فيها • وعندما جلت كان لبنان بفضلها قد نال استقلاله ذاتيا كما كانت هى قد اكتسبت لنفسها مركز الحامية للجماعات المسيحية فى العالم السورى • وكذلك لولا أن روسيا ـ وكانت تنافس فرنسا فى حماية المسيحية ـ قد بدت فى هضبة أرمينيا وكردستان مادة أذرعها لمناصرة العناصر المسيحية بين جمهور المسلمين في الشرق الاوسط • كما ان فتح قناة السويس قد أوصل السفن الروسية الى مياه الخليج العربى • والى هناك أرسل الروس بعثة فنية لاختيار المواقع الملائمة لاقامة موانى روسية فيها • وهى لو نجحت فى مهمتها لاتمت حلقة تهديدها للهند فيما بين نهر آمودارياوبين هذا الخليج •

ووصول روسيا الى الخليج العربي قد أقام الانجليز وأقعدهم ، وانبرى لورد كيرزون ، وهو من الضالعين منهم فى الاستعمار ، صائحا بأن قيام ميناء لروسيا في الخيلج « الفارسى » هو الحلم الجميل الذى طالما حلمت به • ولكنه سوف يجلب ـ حتى فى اوقات السلم ـ الفوضى وعدم الاستقرار فى مياه هذا الخليج • وسوف يهز التوازن الذىأقيم فيه بتعبوكفاح ، ويحطم التجارة التى تقدر بالملايين من الجنيهات الاسترلينية • ومن شأنه ان يفك القيود عن الاحقاد القديمة فى قلوب الامم المتعادية ، ويجعل الواحدة منها تمسك بخناق الاخرى • ونادى بترك بريطانيا وروسيا يتحاربان أو يسويان خلافاتهما في مكان آخر ، وبمنعها من تحويل هذه المنطقة التى وطد الانجليز لانفسهم فيها ـ بتعب ـ الى مسرح لصراعهما • ثم أضاف مهددا بأنه يعتبر أن حصول روسيا على امتياز من دولة ما لاقامة ميناء لها على سواحل هذا الخليج اهانة متعمدة لبريطانيا ، واخلال بالوضع القائم فيه ، واستفزاز مقصود للحرب • وأنه يرى من الواجب عليه أن يطالب بمحاكمة الوزير البريطانى الذى يقبل التسليم بارتكاب هذا الجرم ،كخائن لوطنه(٧٠)•

والسياسة التى اتبعها الانجليز لمقاومة هذه الحلقة من تهديدات روسيا كانت بتشديد قبضتهم على خان بلوخستان وباقامة دولة افغانستان مادة ذراعها فى شمال غرب الهند نحو الصين • وبفرض معاهدات على شيوخ امارات الخليج العربى ، والزامهم فيها بأن لا يؤجروا شيئا من أراضيهم ، أو يبيعوه ، أو يرهنوه ، أو يتنازلوا عنه أو يعطوه امتيازا لاية دولةأجنبية أخرى غير بريطانيا • وكذلك يخلع العذار عن أطماعهم فى العراق والاهتمام

به كاهتمامهم بامارات الخليج • وكأنهم كانوا يريدون من العالم أن يعترف لهم بمركز خاص فيه حينما انبرى لورد سالسبورى وزير خارجيتهم قائلا: مهما يكن من أمر الحكومة القائمة فان الشعب البريطانى لن يسمح للنفوذ الروسى باتوغل فى وادى جلة والفرات(٧١)•

ملاحظة : ما بين قوسين ( ) هو رقم المرجع فى قائمة المراجع الموجودة فى آخر الكتاب

١ ـ كانت حجة السلطات التركية فى منع السفن المسيحية من الابحار فى البحر الاحمر ، شمال جدة ، أنها تخشى أن تمتد اتصالات المسيحيين الى الاماكن المقدسة القريبة من الساحل ، حرصا على مشاعر المسلمين • ومن الواضح أنها حجة واهية • لان جدة التى تتوقف عندها سفرة تلك السفن هى ميناء مكة ومدخلها • والحقيقة انها كانت تهدف الى حصر الضرائب والمكوس التى تجبى فى المياه والاراضى الخاضعة فعلا للادارة التركية• راجع أيضا (١٢١) ص٧٢ •

٢ ـ (١١٦ ص ٣٦ • (١٥٧) ص ٨ • (٣٩) ص ٢١ (١٢١) ص ٧٢ـ٧٤ • (٢٠٤) ص ٦ • (٥١) ص ١٤٦ • (٢٤) ص ١٤ • (١٢٢) ص ٧٢ •

٣ ـ كان أحمد بن سعيد أمير عمان قد عقد مع تبو معاهدة دفاعية ـ هجومية • ويعتبر أحمد أشهر أو من أشهر من حكموا عمان شجاعة وجرأة • يراجع (١٠) ص ٣ـ٥ •

٤ ـ كتب نابليون هذه الرسائل وهو فى القاهرة بتاريخ ٢٥ كانون الثانى (يناير) ١٧٩٩ • راجع النص فى (١٥١ـ٢) ص ٢٩ ، ٣٠٠ـ٣٠١ • وراجع أيضا (٢٠٠) ص ٢١٤ ـ ٢١٥ (١٢١) ص ٧٣ •

٥ ـ (٢٠٠) ص ٢١٦ـ٢١٧ • (٤٦) ص ٦٦ •

٦ ـ بدأت معرفة الانكليز بالجنوب العربى فى نيسان (ابريل) ١٦٠٩ حينما وصلت الى عدن سفينتان تابعتان لشركة الهند الشرقية تحملان بضائع انكليزية • ثم نقلوا نشاطهم الى مخا ، ميناء اليمن ، واستمر حتى منتصف القرن الثامن عشر • وفى مخا عرف الانكليز البن وصناعة القهوة ونقلوها الى بلادهم (٥٥) ص ٢٤ـ٢٥ وراجع تفصيلات عن تلك المعاهدة الجائرة وملابساتها فى (١٤) ص ٢٤ـ٢٩ •

٧ ـ راجع (٧٨) ص ٢٣ ، ٢٩ • (١٢١) ص ٧٥ • (١٦٩) ص ١٦١ • (١٢٢) ص ٧٤

٨ ـ راجع (١٧١) ص ٢١٦ وهامش ٤،٢ • (١٢١) ص ٧٤ ـ ٧٥ • (١٥١) ص ٢٩١ ـ ٢٩٣ـ • (٩١) ص ٣١ • (١٤٠) ص ٢٥٤ـ٢٥٥ • (١١٦) ص ٣١ ، ٣٧ • (٦٥) ص ٥٥٣ ، ٦٢٤ • (٥١) ص ١٩١ •

٩ ـ يبدو أن حملة نابليون على مصر والاهداف المقصودة منها قد وجهت تفكير الانكليز الى امكان احتلالها ، باعتبارها أحد الابواب الخطرة التى يمكن الدخول منها لتهديد الهند • وهي لهذا قد تلكأت في الخروج منها بعد خروج الفرنسيين منها نهائيا فى ١٨٠١ ، وبعد أن وقعت فى ١٨٠٢ صلح اميان الذى تعهدت فيه بترك مصر للسلطان ، صاحبها الشرعى • كما أنها عادت ووجهت اليها حملة فى ١٨٠٧ • وفى ١٨٣٠ ارسلت انكلترا تشرتي لمسح برزخ السويس وتقرير ما اذا كان صالحا لشق قناة لملاحة السفن الكبيرة • راجع (٢٠٤) ص ٧ • (٥١) ص ١٤٦ • (١٢٣) ص ١١٩ ، ١٨٥ـ١٨٦ • (١٠٣) ص ٢٦ـ٢٧ • (٣٤) ص ١٠

١٠ـ راجع (٦٠ـ١) ص ٥٣٦ • (٢٠٣) ص ١ (الهامش) •

١١ـ (١٨٠ـ٢) ص ٤٠٣ •

١٢ـ (١٦٩) ص ١٦٧ •

١٣ـ (٨٨) ص ٨١ • (١٧٩) ص ٩٨ •

١٤ـ (٦٠ـ١) ص ٥٣٦ـ٥٣٧ · (١٠٤) ص ٣٠ـ٣١ · (١٢١) ص ٧٥ · (٥١) ص ٤٨ ، ١٤٧ـ١٤٨ · (٦٥ـ٢) ص ١٧٨ · (١٧٩)ص ١٠٩ ،(١٨٠) ص ٢٩٨ ، ٤٠١ـ٤٠٣ · (٢٠٣) ص ٢٥٥ · وقارن (١٦١) ص ١١٥ ·

١٥ـ (٧٦) ص ٥ـ٦ ، ١٣ـ١٤ ، ١٦ـ١٧

١٦ـ استبدل منذ هذا التاريخ اسم القسطنطينية باسم استامبول ·

١٧ـ (١٣٦) ص ٧ـ١٣ · (١٢٣) ص ٦٤ ، ١٩١ـ١٩٣ · (٩١) ص ٢٩ـ٣٠

١٨ـ ١٦٩ ص ١٠٠ وما بعدها ·

١٩ـ ألغى الانكليز قنصلياتهم التى كانت لهم فى مصر · ووكلوا أمر مصالحهم التى قامت لهم فى العالم السورى الى جماعات غير بريطانية ، هى فى الغالب من الايطاليين · راجع (٥٥) ص ٢٨ ·

٢٠ـ كونت فرنسا لنفسها مصالح تجارية واسعة فى الامبراطورية العثمانية ، وعلى الاخص فى العالم السورى ، بعد ان غادرها الانكليز ووجهوا نشاطهم الى جهات العالم الاخرى التى كشفت عنها أعمال الكشف الجغرافى ·

٢١ـ (١٧١) ص ١٣٧ · (٥١) ص ١٥٦ ·

٢٢ـ (٤٦) ص ٢٢ـ٣٢ والهوامش · (١٧١) ص ٢ ، ١٢ · (١٢١) ص ٧٨ـ٨٠ · (٥١)ص ١٥٦ـ١٥٧ · (١٢٢) ص ٧٨ ، ٨٠ ·

٢٣ـ (٤٦) ص ٢٢ ، ٢٦ ، ٣١ـ٣٢ · (١٢١) ص ٧٦ ، ٨٠ ـ ٨١ · (١٢٣) ص ١٢٦ · (١٦٩) ص ١٠٤ · (١٢٢) ص ٨٠ـ٨١ ·

٢٤ـ (١٣٦) ص ١٤ ، ١١٤ · (١٧١) ص ٢ · (١٢٣) ص ١٩٣ · (٤٦) ص ٢٤٣ · (٦٤) ص ٨ ·

٢٥ـ (٥١) ص ١٥٥ـ١٥٦ · وفارق (٨٥) ص ٤٨١ـ٤٨٢ ·

٢٦ـ عن تطور العلاقات السياسية بين بريطانيا وبين الامارات العربية على خليج عمان وعلى الخليج العربي ، راجع (١٧١) ص ٢٠٥ـ٢١٧ والهوامش · (٢٠٣) ص ٢٣١ـ٢٥٣ · (٤٤) ص ٢٤٦ـ٤٨ ، ٢٨٩ـ٢٩٠ ، ٣٠٢ـ٣٠٣ ، ٣١٧ـ٣١٨ ، ٣٢٨ـ٣٢٩ ، ٣٣٦ · وراجع أيضا (١٠) ، (١١) ، (٤٢) ، (٤) · وتنبغي ملاحظة ان جميع هذه الامارات هي وحدات سياسية مستقلة ، وليست محميات بريطانية أو مستعمرات كما يقول البعض خطأ · وكل ما فى الامر ان بريطانيا قد فرضت عليها معاهدات قيدت حريتها فى التصرف مثلما كانت الامتياز الاجنبية تقيد حرية تركيا وفارس · راجع أيضا وقارن (١٤٩) ص ١٩٧ ·

٢٧ـ كانت عمان الكبرى تشمل فى المشرق العربى امامة عمان الحالية وسلطنة مسقط وامارة الفجيره والامارات الست على ساحل عمان المهادن وجزر كوريا موريا ·

٢٨ـ فى عهد أحمد بن سعيد وفى عهد ابنه سعيد بن أحمد استعادت عمان مجدها القديم الذى كان لها من قبل فى عهد أئمتها من اليعاربة · ولكنهما هما وخلفاؤهما من بعدهما اتجهوا نحو الحكم الوراثى الذى يتعارض مع مبدأ الامامة القائم على انتخاب الامام · وجروا وراء أبهة السلطة الدنيوية ، ونقلوا مقر الحكم من الداخل الى الساحل وأقاموا علاقات صداقة مع الانكليز · وبذلك عزلوا انفسهم عن الشعب الذى اضحى يعتقد أن حكام مسقط قد خرجوا على مبدأ الامامة وبالتالى اضحوا لا حق لهم فيها · وبذلك انقسمت عمان الى سلطنة مسقط فى الساحل والى امامة عمان الانتخابية فى الداخل · ولقد حاول الاماميون اكثر من مرة القضاء على السلطنة واعادة البلاد جميعها الى سابق عهدها ولكن السلاطين كانوا يستعينون على ردهم بالانكليز الذين اصبحوا مع تطور الامور وسطاء بين الامامة وبين السلطنة · واستطاع القنصل البريطانى فى

مسقط في ١٩٢٠ ان يجمع بين ممثلين للامام وممثلين للسلطان في بلدة السيب الواقعة على ساحل خليج عمان . ووقع الطرفان على معاهدة عرفت باسم معاهدة السيب وتتضمن بين نصوصها نصا يلزم سلطنة مسقط « أن تمتنع عن منح الامان لاى مجرم فار من عدالة أهل عمان . وتتعهد بارجاعه اذا طلب اليها اهل عمان ذلك ، كما تتعهد بأن لا تتدخل مطلقا في الشؤون الداخلية لعمان » . وفي مقابل هذا النص نص مماثل ، وان لم يكن بنفس الدرجة من القوة ، يلزم أهل عمان « بطرد كل مسيء لحكومة مسقط وعدم منحه الامان ، واخراج كل مجرم يلجأ اليهم » ومع ذلك ، ومع وساطة بريطانيا في توقيع المعاهدة ، ومع اعترافها بها ضمنا في اكثر من مناسبة ، قام السلطان وبتأثير المصالح الانكليزية المتمثلة في شركة بترول العراق بمنح شركة فرعية لتلك الشركة في ١٩٥٣ امتيازا لاستغلال زيت البترول لا في أراضي السلطنة وحدها وانما في أراضي الامامة أيضا . واتفقت تبعا لذلك مصلحة السلطنة مع مصلحة بريطانيا في نقض معاهدة السيب وفي القضاء على الامامة وضم عمان الى مسقط . ودبر الامر بليل . وفي فجر اليوم الخامس عشر من كانون الثاني (ديسمبر) ١٩٥٥ كانت قوات مسقطية ـ بريطانية تحاصر نزوى عاصمة الامامة وبدأت بذلك حرب التحرير البطولية التي يقودها الاماميون ضد قوات العدوان . وبتأثير نفس المصالح خرق الانكليز اتفاقيتهم مع السعودية (اتفاقية التوقف في ٢٦ اكتوبر ـ تشرين الاول ـ ١٩٥٢) واحتلوا واحات البريمي التي تقوم في غرب الامامة . وتفسر ايضا ظاهرات السطح للمنطقة ، كما يفسر الموقع الجغرافي لاراضي الامامة وواحات البريمي التي تمثل معبرا قصيرا بين خليج ابو ظبي في الخليج العربي وبين خليج مصيره على ساحل البحر العربي وحيث تقوم القواعد البريطانية في جزر مصيره وكوريا موريا المجاورة ، الثمن الباهظ الذي تدفعه بريطانيا من شرفها بهذا العدوان . راجع أيضا (٤) ص ٤٦ وما بعدها ، (٤٢) ص ٥٨ ـ ٦٠ . هذا ، ويمكن بالبحث المفصل ايجاد علاقة بين هذا العدوان وبين الملابسات السياسية المرتبطة بعقد حلف بغداد .

٢٩ـ راجع (١٧١) ص ٢٠٦ وما بعدها . (٢٠٣) ص ٢٣١ـ٢٣٩ . (١٦٩) ص ١٦٦ . (١٧٠) ص ١١٠ (هامش) ، ١١٢ .

٣٠ـ راجع (١٧١) ص ٢١٢ـ٢١٣ . (١٦٢) ص ٧٦ـ٧٧ . (١٤٨) ص ١٩٦

٣١ـ راجع (١٧١) ص ٢١١ـ٢١٢ . (١٤٨) ص ٢٠٢ .

٣٢ـ تتكون جزر البحرين من أربع جزر كبيرة نسبيا هي البحرين والمحرق وام النعسان وسترة . كما تتكون عدد من الجزر الصغيرة . وتبلغ مساحتها الكلية نحو ٥٢٠ كم٢ . ويبلغ عدد نفوسها نحو ١٥٠ الفا .

٣٣ـ راجع (١٧١) ص ٢١٣ـ٢١٦ . (٢٠٣) ص ٢٤٦ـ٢٤٧ .

٣٤ـ راجع (٢٠٣) ص ١٩٦ـ١٩٩ ، ٢٠١ . (١٧١) ص ١٨٠ـ١٨٣ ، ٢٨٩ـ٢٩٠ . (٦) ص ١٢٨ـ١٣١ . (١١٦) ص ٣٢ . (١٢١) ص ٨٥ . (١٤٠) ص ٣٨ . (١٦٩) ص ١٦٣ . (٦٤) ص ١٤ .

٣٥ـ كانت الحكومة البريطانية تعترف بالسيادة العثمانية على الكويت وعلى الاحساء . راجع (٩) ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ .

٣٦ـ راجع (١٧١) ص ٢٠٨ـ٢١١ . (١٤٠) ص ٣٠٢ ـ ٣٠٤ . (٢٠٣) ص ٢٥٠ـ٢٥٣ . (١٦٢) ص ٨٨ـ٩٣ . (١١٦) ص ٤٠ . (٦٥) ص ٤٦٢ . (١١٢) ص ٢٠٦ . (١٢٢) ص ٨٩ .

٣٧ـ (٩١) ص ٢٦ . (١٤٣) ص ١٣٨ـ١٣٩ . (١٢٣) ص ١٥١ ، ٢٧٣ـ٢٧٥ . (١٥٦) ص ١٦٥ . (١٩٣) ص ٤٤٢ . (١٣٩) ص ١ .

٣٨ـ راجع (١١٦) ٧٧ـ٨١ . (١٢٣) ص ١٢٧ . (٦٢) ص ٢٢٠ـ٢٢٤ . (٩١) ص ٥٢ـ٥٣ .

٣٩ـ راجع (١٤٠) ص ١٣ ، ٣١ـ٣٩ ، ٧٥ـ٨١ ، ١٠٨ـ١٢٢ ٠
٤٠ـ يلاحظ انه منذ ذلك التاريخ وفي عهد ذلك الوالي بدأ تدخل الانكليز في شؤون العراق ٠
٤١ـ راجع (٢٠٣) ص ١٨٦ـ١٨٧ ، (١٤٠) ص ١٧٣ـ١٧٩ ٠
٤٢ـ راجع (١٢١) ص ٦٩ ٠ (١١٦) ص ٤٤ والهامش ٠ (١٤٠) ص ٢٥٤ ٠
٤٣ـ راجع (١٤٠) ص ٥٤ـ٥٦ ٠ (١١٦) ص ٤٧ ٠
٤٤ـ راجع (١٨٠) ص ٣٥٤ ٠ (١١٦) ص ٣٨ ٠ (١٦٩) ص ٩١ـ٩٢ ٠ قارن (٧١) ص ١٤ ٠
٤٥ـ (١٠٤) ص ٢٦ـ٢٩ ٠ (١٧٩) ص ٨٨ـ١٠١ ٠ (٥١) ص ١٤٥ ٠ (٢٠٣) ص ١٧١ ـ١٧٢ ٠ (٧٤) ص ٥ ٠
٤٦ـ (١٧٩) ص ١٠٥ـ١٠٦ ، ١١٤ـ١١٩ ، ١٢٩ ، ١٣٣ وما بعدها ٠ (١٥٦) ص ١٩ـ٣٤ ٠(٨٤) ص ٣٨٧ـ٣٨٨ ٠ (٥١) ص ١٤٦ ، ١٥٣ ٠
٤٧ـ (١٨٠) ص ٢٤٥ـ٢٤٦ ٠ (٥١) ص ١٤٤ـ١٤٥ ، ١٩٢ ٠ (٢٠٣) ص ١٧١ ٠ (٨٤) ص٣٨٧٠ (٥٠) ص ١٩٩ ٠ (١٦١) ص ١١٥ ٠ (٦٥) ص ٦٠١ ، (٦٣) ص ٢٣٧ ٠ (١٨٠) ص ١٨٣ وما بعدها ، ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ٠
٤٨ـ (١٧٦) ص ١٦١ ، ١٧٥ ٠ (٧٠) ص ٥٧ ٠ (٨٨) ص ٨٠ـ٨١ ، ٨٥ ٠ (١٧٥) ص ٣٠ ٠ (١٧٩) ص ٩٦ـ٧ ٠ (٩٢) ص ٢٣٥ ٠
٤٩ـ استولى الانكليز على اقليم البنجاب فى ١٨٤٩ ٠ وعقدوا مع خان بلوخستان معاهدة اعترف فيها بنفوذهم عليه فى ١٨٥٤ ٠ لراجع (٧٨) ص ٢٣ـ٢٤ ، ٢٧ ٠
٥٠ـ قام فتح على خان على عرش فارس فى ١٧٩٧ ٠
٥١ـ سمى نفسه المواطن تبو بعد اتصاله بنابليون ٠ وراجع (٢٠٠) ص ٢١٤ـ٢١٧ ٠ (٥١)ص ١٤٨ـ١٤٩ ٠ (٢٠٣) ص ٢٥٤ وهامشها ٠ (١٧٩) ص ١٠٧ـ١٠٨ ٠
٥٢ـ (١٧٩) ص ١٠٧ـ١١٢ ٠ (٥١) ص ١٤٩ـ١٥٠ ٠
٥٣ـ (٥١) ص ١٤٩ـ١٥٤ ، ١٦١ ٠ (١٧٩) ص ١١١ـ١١٩ ٠ (١٨٠) ص ٤٠١ـ٤٠٨ ٠ (١٢١) ص ٧٨ والهامش ٠ (١١٢) ص ١٦٧ ٠
٥٤ـ عبر لورد بالمرستون عن وجهة نظر الحكومة البريطانية نحو فارس بقوله ، ان استقرار موقف بريطانيا وسلامته في فارس يؤدي الى سلامة الشرق وتركيا ٠ ويجعل السلطان أكثر اطمئنانا ٠ كما يجعل الدردنيل ابعد عن متناول قبضة القيصر ٠ راجع (٧١) ص ١٩ ٠ (١٧٩) ص ١١٩ وما بعدها ٠ (١٢٣) ص ١٨٦ـ١٨٧ ، ١٩٣ ٠ (٥١) ص ١٥٣ ٠
٥٥ـ (١٨١) ص ١٨٠ـ١٩٠ ٠ (١٢٢) ص ٨٧ ٠
٥٦ـ (١٨٩) ص ٥٩ ٠ (١٦٢) ص ٧٥ ٠
٥٧ـ ادلى بالتصريح لورد لاندسداون فى ١٩٠٣ ٠ راجع نص التصريح فى (١٢٢) ص ٨٣ ٠
٥٨ـ (١١٦) ص ١٣٩ـ١٤٠ ٠ (٥١) ص ١٩٢ ٠ (٥٢) ص ١٢٤ ٠ (١٢٣) ص ١٩٤ ٠ (٥٥) ص ٥٣ ٠ (٦ـ١) ص ٣٩ ٠ (٣٦) ص ٢١ ٠
٥٩ـ (١١٦ ص ٣٣ ، ٤٥ ، ٤٧ـ٤٩ ٠ (٩٩) ص ٢٦١ وما بعدها ٠ (٢٠٤) ص ٧ ٠ (٢٠٣) ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥ ٠ (٥٩) ص ٣٢ وما بعدها (١٤٠) ص ٢٩٢ ـ ٢٩٤ ٠
٦٠ـ (٧٦) ص ١٧٦ ٠ (٥٩) ص ٣٢ـ٣٧ ٠ (٩١) ص ٣٢
٦١ـ (١١٦) ص ٤٥ـ٤٦ ٠ (١٦٢) ص ٥١ـ٥٢ ٠
٦٢ـ قارن (٦٣) ص ٢٣٩ـ٢٤٠ ٠ (١٢٣) ص ١١٧ ، ١٢٨ ٠
٦٣ـ (٢٠٣) ص ٩ ٠ (٩٩) ص ٢٧٤ـ٢٧٥ ٠ (١٢٢) ص ٨١ـ٨٢ ٠
٦٤ـ تبلغ المسافة بين بليموث على الساحل الجنوبى لانكلترا وبين بومباي فى الهند عن طريق القناة ٦٢٠٠ ميل بينما تبلغ المسافة بينهما عن طريق مدينة الرأس (طريق جنوب افريقية)

١٠٠٥٠ ميل . وتبلغ المسافة بين بليموث وبين سدني فى استراليا عن طريق القنـــاة ١١٢٠٠ ميل . بينما تبلغ بينهما عن طريق جنوب افريقية ١٢٣٠٠ ميل. وتبلغ المسافة بين بليموث وبين سنغافورة عن طريق القناة ٨١٠٠ ميل . بينما تبلغ بينهما عن طريق جنوب افريقية ١١٤٠٠ ميل راجع ايضا (١٦٩) ص ١٢٤ـ١٢٥ .

٦٥ـ (٢٠٤) ص ٨ـ٩ . (١٢١) ص ٨٠ـ٨٢ . (١٢٣) ص ١٢٣ . (٧٦) ص ١٧٧ . (٣٤) ص ٩ ، ١٠ ـ ١١ . (٢٨) ص ٢٤ـ٢٦ . (١٢٢) ص ٨٢ .

٦٦ـ (٩١) ص ٣١ـ٣٢ . (٣٦) ص ١١ ، ١٨ وما بعدها . (٢٠٤) ص ١٩ والهامش . (١١٦) ص ٤٦ والهامشان الثانى والثالث . (٢٠٣) ص ٢٣ . (٢٠) ص ٧١ . (٣٨) ص ١٩ ومـــا بعدها . (١٢٢) ص ٨٤ .

٦٧ـ وضعت بريطانيا يدها على جزيرة مينون (بريم) ، فى مدخل البحر الاحمر ، فى ١٧٩٩ ، اثناء حملة نابليون على مصر . ثم تركتها بعد فشل الحملة ، لصعوبة العيش فيها . ثم عادت واحتلتها في ١٨٥٧ عندما دخل مشروع قناة السويس في حيز التنفيذ . ولا تزال فى يدها الى الان .

٦٨ـ تقع جزيرة قبرص على مسافة تبلغ نحو ٩٥ كم من الساحل السورى ونحو ٦٣ كم من الساحل الجنوبى لتركيا . ونحو ٥٩٠ كم من القاهرة .

٦٩ـ (٣٤) ص ٤١ ، ٤٢ وما بعدها ، ٥٦ـ٥٧ . (٢٤) ص ٦٣ وما بعدها . (١٢٣) ص ١١٩ـ ١٢٥ . (٧٦) ص ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢١٠ . (١٠٣) ص ٢٧ـ٢٩ . (١٦٩) ص ١٠٤ـ١٠٥ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ٢٤٥ . (٥١) ص ١٥٧ . (١٤٠) ص ٢٩٦ـ٢٩٧ . (١٧٩) ص ١٣٩ . (١٢١) ص ٨٣ . (١٧١) ص ٢ . (٢٠٠) ص ٣٠١ . (٢٨) ص ٣١ـ٣٨ (١٨٧) ص ١٠ . (٥٥) ص ٤٣ . (٧٨) ص ٩ .

٧٠ـ (٦٥ـ٢) ص ٤٦٥ . (١٦٢) ص ٥٢ ، ٧٥ . (١٢٣) ص ١٣٥ ، ١٩٣ . (٢٠٣) ص٩٥ والهامش . (١١٠) ص ٤٣٦ . (٧٦) ص ٩ ، ١٩٧ـ١٩٨ . (١١٦) ص ٣٨ . (٥١) ص ١٤٧ . (١٦٩) ص ١٠٦ . (٤٦) ص ٥٨ ـ ٥٩ . (٤٤ـ١) ص ١٩٦ ، ٢٠٥ . (٧١) ص ١٩ . (١٢٢) ص ٨٤ـ٨٥ ، ٨٨ـ٨٩ .

٧١ـ (١١٠) ص ٤ ، ٤٦٦ . (١٦٢) ص ٢٢ . (١١٦) ص ٢١ . (١٦٩) ص ١٠٦ . (١٢٣) ص ١٩٤ . (٦ـ١) ص ٣٥ـ٣٩ .

الفصل الرابع

الشرق الاوسط اثناء السنوات التي سبقت قيام الحرب العالمية الاولى

الاتجاه نحو تقسيمه الى مناطق نفوذ

فقد الانجليز أعصابهم عندما جاءت القوات المصرية الى سوريا في القسم الاول من القرن التاسع عشر وهددت طريق معبر الشرق الاوسط الى الهند • وقد ازدادوا فقدانا لاعصابهم بتقدم ألمانيا نحو هذا الطريق(١) فى القسم الاخير من هذا القرن ، وذلك لان ألمانيا كانت فى دور فتوتها ، ولم تكن لاطماع امبراطورها حد •

فى سنة ١٨٧٠ هزمت ألمانيا فرنسا هزيمة كبرى • وفى يناير (كانون الثانى) ١٨٧١ تم اتحاد الولايات الالمانية ، وتوج فى قصر فرساى ، وليم الاول ملك بروسيا امبراطورا على المانيا الكبرى ، متخذا بسمارك مستشارا امبراطوريا له • وقد قامت سياسة بسمارك على أساس تثبيت قواعد المانيا الحديثة وابرازها الى المقام الاول فى السياسة الاوربية • أما من ناحية الاستعمار ، فكان مبدوءه الابتعاد عن مشاكله • اذ كان يرى ، رأى فردريك الاكبر ان الاملاك البعيدة عبء على الدولة ، وان قرية صغيرة عند الحدود تساوى محافظة (لواء) بعيدة عنها(٢)•

على أن هذه السياسة الراغبة عن الاستعمار قد فشلت ، بعد أن قام على العرش وليم الثانى فى ١٨٧٨ ، وبعد أن اعتزل بسمارك منصب المستشار فى ١٨٩٠ • اذ كان هذا الامبراطور طموحا ، ومن رأيه ان تستحوذ المانيا على مساحات واسعة من العالم لتجعل من زعامتها المحلية للقارة الاوربية زعامة عالمية لها خطورتها في ادارة دفة العالم • وقد وقف بجانبه الحزب الاستعمارى ، والعصبة البحرية ، وعصبة الوحدة الالمانية ، وآخرون من الكتاب والمغامرين ، يؤيدونه ويشدون أزره فى بناء العظمة الاستعمارية الالمانية •

وعندما استحوذت تلك الروح الاستعمارية العنيفة على الالمان فى أواخر القرن التاسع عشر ، كانت الدول الاستعمارية الاخرى قد استولت على أفضل اجزاء العالم الصالحة للاستعمار • ولم تترك وراءها الا بعض مناطق منبوذة فى أفريقية لمحلها ولصعوبة استثمارها ، والا بعض جزر فى المحيط الهادى

نائية وصخرية ولا تصلح لمقابلة الحركة السريعة لدولاب الصناعة الالمانية(٣) .

والاطماع الاستعمارية لالمانيا قد يجد باحث لها بعض العذر . فانه ، حتى لو تغاضى عن تأثير الموجة الاستعمارية التى كانت تكتسح دول أوربا وتدفع بالعتيقة فى الاستعمار منها الى الجرى وراء مستعمرات جديدة كما كانت تدفع دولا أخرى حديثة مثل ايطاليا وبلجيكا ، يجد أن الظروف الاقتصادية فى ألمانيا ، والزيادة السريعة فى عدد السكان كانت تسوقها الى الاندفاع فى هذا التيار .

فظفرها على فرنسا فى حرب سنة ١٨٧٠ قد أعطاها مقاطعتى الالزاس واللورين ، وهما مشهورتان بثرواتهما المعدنية كالحديد وغيره كما أعطاها تعويضا قدره خمسة آلاف مليون من الفرنكات . وكان هذا المبلغ الضخم رأس مال طيب استغلته المانيا فى بناء نهضتها الصناعية بسرعة فائقة حتى أصبحت أولى الدول الصناعية فى العالم على الاطلاق . ففى سنة ١٨٧٢ كان انتاجها من الحديد ١٫٩٢٧٫٠٠٠ طن فوصل فى سنة ١٨٩٠ الى ٤٫٦٢٦٫٠٠٠ طن وارتفع فى سنة ١٩٠٠ الى ٨٫٤٦٩٫٠٠٠ طن. واذا قارنا بين هذا الانتاج الالمانى من الحديد وبين انتاج الدول الاخرى الكبرى فى انتاجه ، نجد أن بريطانيا كانت خلال المدة ١٨٨٠ ـ ١٨٨٩ تنتج منه ضعف انتاج المانيا . وحتى سنة ١٩٠٠ كانت لا تزال هى الاولى فى انتاجه ثم سبقتها الولايات المتحدة وكذلك سبقتها المانيا فى سنة ١٩٠٣ . أما فى سنة ١٩٠٤ فقد أضحت المانيا هى الاولى فى انتاجه عليهما . وفى الصناعات الكهربائية كان عدد أبنائها المشتغلين فى هذه الصناعة فى سنة ١٨٩٥ يبلغون نحو ١٥ الفا ، ثم بلغوا نحو مائة الف فى خلال الخمس سنوات التالية على هذا التاريخ . والناتج من هذه الصناعة كان يكفى حاجة المانيا ويتبقى منه فائض كبير للتصدير . أما فى الصناعات الكيمائية فقد بلغت ألمانيا فيها الذروة . ففى سنة ١٩٠٠ كانت تنتج نحو أربعة أخماس انتاج العالم من الاصباغ ، ونحو هذا القدر من المواد الطبية المستخرجة من قار الفحم . وقد لمس مثل هذا التقدم فى صناعاتها الاخرى ، حتى فى صناعة المنسوجات التى كانت تستورد نحو تسعة اعشار موادها الخام من الخارج. ففى صناعة المنسوجات القطنية مثلا كان معدل انتاجها السنوى خلال المدة ١٨٥١ ـ ١٨٥٥ نحو ٥٦ مليون رطل . ومنذ سنة ١٨٧٠ بدت منافسا خطرا لبريطانيا حيث تجاوز انتاجها مائة مليون رطل . أما فى سنة ١٩٠٠ فقد تفوقت عليها ، ووصل انتاجها الى ٦٢٦ مليون رطل . ويمكن لمس هذا التقدم السريع لالمانيا فى الصناعة من اطراد زيادة انتاجها من الفحم . ففى سنة ١٨٧٠ كان انتاجها منه يبلغ نحو ٣٠ مليون طن وارتفع فى سنة ١٨٩٠ الى ٧٠ مليون طن ، والى ١١٠ مليون طن فى سنة ١٩٠٠ . ثم بلغ فى سنة ١٩١٣ الى ١٩٠ مليون طن .

ومن الناحية التجارية كانت قيمة الواردات الالمانية فى سنة ١٨٧٢ تبلغ نحو ٣ر٤٦٨ر٠٠٠ر٠٠٠ مارك وقيمة الصادرات ٢ر٤٩٤ر٠٠٠ر٠٠٠ مارك • وفى سنة ١٩٠٥ تجاوزت قيمة هذه التجارة الضعف • فارتفعت الواردات الى ٧ر٤٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠ مارك ، كما ارتفعت قيمة الصادرات الى ٥ر٨٤٠ر٠٠٠ر٠٠٠ مارك • ولم يكن يفوق هذه الارقام فى العالم الا أرقام التجارة البريطانية • ومن الملاحظ أنه قبل قيام هذه النهضة الصناعية فى المانيا كانت معظم صادراتها من المواد الغذائية ومن المواد الخام ، بينما كان معظم وارداتها من المواد المصنوعة • أما بعدها فقد حدث العكس • وبالرغم من تقدم ألمانيا الهائل فى استغلال أراضيها من الناحية الزراعية فان انتاجها من الغلات الغذائية لم يعد يكفيها • وذلك لتزايد عدد سكانها من جهة ، ومن جهة أخرى لانصراف عدد كبير من اليد العاملة عن سكنى القرى الى سكنى المدن والاشتغال بالاعمال الصناعية والتجارية •

فقد كان عدد سكانها فى سنة ١٨٧٠ نحو ٤٠ مليونا ، وارتفع فى ١٨٩٢ الى خمسين مليونا ووصل سنة ١٩١٠ الى خمسة وستين مليونا • ومنذ سنة ١٩٠٠ كان نحو ٥٤٪ من السكان يسكنون المدن • وقد اضطرت بسبب ذلك الى تشجيع هجرة الفلاحين من روسيا ومن ايطاليا ليحلوا محل الفلاحين الالمان الذين غادروا حقولهم الى مراكز الصناعة(٤)•

وقد أرغمت هذه العوامل كلها ألمانيا على الجرى فى مضمارالاستعمار• وكان من الطبيعى أن يتولد احتكاك بينها وبين غيرها من الدولالاستعمارية الاخرى ، وعلى الاخص بريطانيا • وقد بلغ الجفاء بينهما درجة كبيرة منذ سنة ١٨٩٤ ، عندما ابلغ السفير الالمانى في لندن لورد روزبرى رأى حكومته فى انها لن تهتم بعد ذلك بمراعاة المصالح البريطانية • وفى المدة الواقعة بين ١٨٩٥ ــ ١٨٩٨ ناصرت ألمانيا ثورة البوير ، وأرسل امبراطورها برقية تهنئة وتشجيع الى بول كروجر قائد تلك الثورة • كما أرسلت فى الوقت نفسه بوارجها الى خليج دلجوا على ساحل موزمبيق وفرضت نفسها على الانجليز فرضا ، حيث تدخلت فى المحادثات التى كانت جارية بينهم وبين البرتغاليين حول أمور تمس كليهما(٥)•

وبهذا الطموح الضخم ، وبهذه الروح العدائية ، جاء الالمان الى الشرق الاوسط • وجاء امبراطورهم يزور العالم الاسلامى فيه • وفى دمشق أعلن نفسه صديقا لهذا العالم ومدافعا عنه اينما كان • ولا شك في أنه كان مدركا أن الامبراطورية البريطانية تتضمن من المسلمين عددا يفوق ما تتضمنه الامبراطورية التركية نفسها(٦)•

والموقع الجغرافى لالمانيا ــ كما يقول بسمارك ــ لا يساعدها على أن تصبح قوة بحرية من الدرجة الاولى • الا أن له احتمالات أخرى كبيرة ، وعلى الاخص من الناحية الاقتصادية ، ومن الممكن أن يعطيها المركز الاول فىالقارة الاوربية من هذه الناحية • فبحر البلطيق يربطها بالعالم الاسكندينافى كما

يربطها بفنلندا وروسيا والدول المجارة الاخرى. والسهل الاوربي يربط بينها وبين دول القسم الغربى من أوربا من جهة ، وبينها وبين بولندا وروسيا فى الشرق من جهة أخرى . وتكون أنهار المانيا حلقات فى هذه الارتباطات ، كما تكون حلقات أخرى تربط بينها وبين وادى الدانوب والقسم الجنوبى الشرقى من أوربا حيث عالم الامبراطورية النمسوية ـ المجرية ، وعالم الامبراطورية التركية(٧) .

والالمان قد أدركوا ، على ما يبدو ، مزايا الموقع الجغرافى لبلادهم وعملوا على تحقيق احتمالاته . فسعوا لتكوين نوع من التحالف الاقتصادى بينهم وبين دول وسط أوربا وشرقها . ولعلهم قد نشروا أمام أعينهم خريطة العالم القديم ورأوا أن بامكانهم اعادة فتح الطرق البرية بين القسم الشرقى من هذا العالم وبين القسم الغربى منه ، والقيام وحدهم بما قام به الآراميون والفينقيون والاغريق والرومان والعرب وتجار العصبة الهلنسية وغيرهم . وذلك بمد خط لسكة الحديد يصل بين همبورج على بحر الشمال وبين الكويت أو البصرة عند رأس الخليج العربى . وهذا لا يكلفهم بناء أسطول قوى يصارع الاسطول البريطانى فى سبيل السيادة على بحار العالم ، كما أنه لا يجعلهم تحت رحمة هذا الاسطول(٨) .

والظروف كانت ملائمة لمد هذا الخط الحديدى . فهو سيمر خلال أراضى الامبراطورية النمسوية وخلال أراضى الامبراطورية التركية . والامبراطورية الاولى صديقة لالمانيا ، كما أنها ستستفيد كثيرا ـ من وراء مده ـ من الناحية الاقتصادية . والامبراطورية التركية ستستفيد كثيرا من ورائه فى هذه الناحية أيضا ، كما أنها ستستفيد منه من ناحية أخرى، وهى تمكين قبضتها على سوريا والعراق وامارات الخليج العربى . وفى استانبول كانت الاوضاع السياسية مساعدة على تحقيقه . فالروس بعد أن كبح موءتمر برلين جماحهم ولوا وجوههم نحو عالم الشرق الاقصى . والانجليز فقدوا مركزهم فيها باغتصابهم مصر وقبرص. كما فقد الفرنسيون مركزهم أيضا بتدخلهم في سوريا وفي شمال أفريقية . ومن جهة أخرى ، كان السفير الالمانى هناك داهية ، ينتهز كل الفرص ليملأ بالمانيا المكان الشاغر فى قلب السلطان . وجاءت فى ١٨٨٢ بعثة المانية بقيادة فون درجالتز لتدريب الجيش التركى ، وبقيت فى تركيا احدى عشرة سنة .وكان لها ، باخلاصها ، أبلغ الاثر فى رسم خطوط عظمة الخلق الالمانى أمام أنظار الشعب التركى . وتوجت الصداقة بين الشعبين بقدوم الامبراطور وزيارته للاماكن المبجلة فى العالم السورى ، وباعلانه الصداقة الابدية مع العالم الاسلامى . وقد جاءت زيارة الامبراطور لتركيا فى وقت كان الشعب التركي يكافح فيه للنهوض . وكان كلما خطا في هذا السبيل خطوة ردته ـ خطوات الى الوراء ـ المشاكل المعقدة التى ولدتها الاطماع الاستعمارية فى بلاده وسوء الاحوال الاقتصادية فيها(٩) .

كانت القوى الاستعمارية قد اكتسبت لنفسها امتيازات واسعة فى الامبراطورية التركية • وقد نتجت هذه الامتيازات فى بعض نواحيها عن العادات الشرقية السمحة التى تقوم على تقديس حرية الفرد والجماعة ، وتسمح للجميع بأن يعيشوا وفق ما درجوا عليه من عادات وتقاليد قديمة • وهى متأصلة فى نفوس العرب سواء أكان ذلك بسبب تأثرهم بالحياة البدوية أم كان بسبب تعاليم الاسلام السمحة •

والاتراك قد جمعوا بين السببين • فهم فى الاصل بدو ثم اعتنقوا الاسلام • وهم لهذا لم يخرجوا عن هذه العادات فى معاملة الشعوب التى خضعت لهم • فمحمد الفاتح بعد أن فتح القسطنطينية لم يضطهد سكانها النصارى ، بل سمح لهم بالاحتفاظ ببطريركياتهم فيها تمارس نفوذها الديني عليهم • كما سمح للجنويين والبنادقة وغيرهم من الجاليات الاخرى بأن يعيشوا فى مناطقهم ، فى الجهات التى فتحت حسب عاداتهم القديمة وتقاليدهم • وكان هذا المنح أساسا لامتيازات أخرى واسعة نالها الاجانب • وفى بادىء الامر كانت هذه الامتيازات الممنوحة موقتة ، تنتهى بوفاة مانحها، ثم تجدد فى عهد السلطان الذى يخلفه • ولكنها أخذت منذ سنة ١٧٤٠ تصبح دائمة • ولم ينجح الاتراك فى التخلص منها بعد ذلك حتى قامت تركيا الحديثة بعد الحرب العالمية الاولى • فقد كانت جميع المحاولات التى بذلوها قبل ذلك تبوء بالفشل بسبب تمسك القوى الاستعمارية بامتيازاتها الخاصة(١٠)•

والديون العثمانية كانت أساسا آخر لهذه الامتيازات • فعندما حاول الاتراك النهوض ببلادهم بعد حرب القرم كانت خزانتهم خاوية • فأخذوا يعقدون مع الدول الاستعمارية قروضا بفوائد باهظة ، حتى اذا كانت سنة ١٨٨١ كان الدين العثمانى قد بلغ ٢٥٠ مليونا من الجنيهات ، وبدت الخزينة التركية عاجزة تماما عن سد فوائد هذه الديون • فبينما كان دخلها يبلغ نحو ٩ ملايين جنيه كانت مصروفاتها تبلغ نحو ١٤ مليونا • فاجتمعت الدول الدائنة وفرضت على السلطان اصدار مرسوم بانشاء ما عرف باسم ادارة الدين العثمانى • وكانت هذه الادارة بمثابة نزيف ينزف من جسم الدولة العثمانية ، ولم يتوقف الا بعد أن قامت تركيا الحديثة بعد الحرب العالمية الاولى وقسمت هذه الديون على الحكومات التى قامت على أنقاض الامبراطورية القديمة •

وكان الغرض من انشاء هذه الدائرة هو المحافظة على مصالح أصحاب السندات • ثم أصبحت أقوى سلطة قائمة فى كل جهات الامبراطورية التركية • وقد استخدمت سلطتها في اخضاع كل المسائل الادارية والمالية لصالح هؤلاء الدائنين • فلم يكن سلطانها قاصرا على التحكم فى المسائل المالية المتعلقة بالضرائب والمكوس حسب القوانين التركية فحسب ، بل انها أبت الا أن يكون لها أيضا الاشراف المطلق ، وأن تستولى عليها بيدها لا بيد

الاتراك • وبسبب ذلك لم يعد للاتراك سلطة التحكم فى دخلهم بالطريقة التى يرونها مناسبة لمصلحة بلادهم • بينما استخدمت الدول الممثلة فى هذه الادارة نفوذها فى اكتساب امتيازات اقتصادية أخرى • وكانت المساومات على ذلك تجرى من وراء ظهر تركيا • فاذا طالبت احدى الدول بامتياز ما لنفسها ، طالب غيرها من الدول الاخرى بامتيازات مماثلة • حتى أصبحت كل مرافق الدولة العثمانية احتكارا • وأمام ذلك كان الرجل المريض يزداد مرضا(١١).

ولم تكن الدول الاوربية قانعة بالتدخل السلمى فحسب ، بل انها في نفس الوقت كانت تعمل على وراثة ذلك « الرجل المريض » قبل أن يموت • فروسيا كانت تشجع شعوب البلقان ، كما تشجع الارمن وغيرهم من العناصر المسيحية فى هضبة أرمينية على الانتقاض على السيادة التركية • وبالاضافة الى ذلك ، فأن روسيا وهى العدو التقليدى لتركيا ، لم تكن لتمل من الجري وراء تحقيق أطماعها فى استانبول ومنطقة المضايق • وانجلترا قد احتلت قبرص ، ومصر ، وأفسدت العلاقات بين السلطان وبين رعاياه فى عالم الخليج العربى ، وفى جهات أخرى من العالم العربى ، كما بدت أطماعها فى العراق • وفرنسا كانت قد سيطرت على الجزائر ، وتونس ، وبدت أطماعها في الاراضي السورية • وايطالياكانتتتطلع الىطرابلس (ليبيا) والى البانيا ، وتثير اليونانيين • وبجانب كل ذلك ، كان السلطان مكروها من العالم المسيحى للاضطهادات التى وجهت للمسيحيين في مقدونيا ، وفي ارمينيه • فكان ، لذلك ، بحاجة الى من يسنده ويشد أزره فيما يكتنفه من صعوبات ومشاكل • وفى هذه الظروف المربكة له ، والتى تكتنفه فيها الاطماع الاستعمارية من كل جانب ، تقدم امبراطور ألمانيا اليه ، بيد نظيفة ، متحديا بذلك الرأى العام الاروبى(١٢).

وقد رحب السلطان بسيد أوربا ، واستمسك بصداقة ألمانيا ، وألقى بنفسه وببلاده فى أحضان الرأسمالية الالمانية • ووجد أنه بعد أن اصبحت قلاع البسفور والدردنيل التى حصنتها البعثة العسكرية الالمانية قوية ، لم تعد الحاجة ماسة الى أسطول الانجليز ، وهم طماعون ، الى الوقوف معه فى وجه التهديد الروسى • وذلك ، على الاخص ، لانه منذ سنة ١٨٨٨ كان قد تم مد خط لسكة الحديد من أراضى النمسا الى استانبول عن طريق بلغراد ونيس وصوفيا وأدرنه • ويمكن — دون تهديد له — أن ينتقل عليه جنود الالمان ومعداتهم اذا بدت الحاجة ماسة الى مساعدتهم(١٣).

وقد أخذت المصالح الالمانية تزداد نموا فى الامبراطورية التركية بعد زيارة القيصر الاولى لها فى ١٨٨٩ • وتزاوجت العلاقات بين الدولتين بمعاهدة تجارية عقدت فى السنة التالية لهذه الزيارة • وكوسيلة من وسائل تقوية الروابط بين الدولتين تكونتشركة ملاحية ألمانية تقوم بسفرات منتظمة بين بحر الشمال وبين الموانى التركية على البحر المتوسط • وطبعت آلاف

من الكتب والرسائل والخرائط المتعلقة بآسيا الصغرى . وأنشىء معهد لدراسات الشرق الادنى ألقيت فيه عن الشرق دروس ومحاضرات . كما أنشىء مكتب للاستعلامات ليزود بالمعلومات أصحاب الاعمال الذين يرغبون فى القيام بمشاريع صناعية أو تجارية فى البلاد التركية . وتحت تأثير ذلك ، جاء مئات من الرواد للكشف عن مصادر الثروة فيها ولدراسة أحوال أسواقها ومطالبها . ولم تمض على ذلك سنوات قليلة حتى ارتفعت قيمة الصادرات الالمانية الى تركيا من ٧٠٠ر٠٠٠ر١١ مارك فى سنة ١٨٨٨ الى ٩٠٠ر٠٠٠ر٤٠ مارك فى سنة ١٨٩٣ والى ٩٠٠ر٠٠٠ر١٠٤ مارك فى سنة ١٩١٠ . كما ارتفعت قيمة وارداتها فى نفس المدة من ٣٠٠ر٠٠٠ر٢ مارك الى ٤٠٠ر٠٠٠ر٦٧ مارك(١٤).

وكان الانجليز مدركين لهذا النشاط الالمانى السريع فى البلاد التركية. وقد عبرت عنه جريدة التيمس فى أواخر سنة ١٨٩٨ بقولها ، أنه فى العشر سنوات السابقة كان الانجليز بالاشتراك مع الفرنسيين يحتكرون فعلا اقتصاديات تركيا وتجارتها ، أما الان فقد دخل الالمان منافسين لهم ، بل انهم قد أصبحوا أنشط جماعة فيهم . ففى القسطنطينية وفى آسيا الصغرى مئات من تجار الالمان وخبرائهم يجوبون الانحاء لبيع سلعهم . وبعزيمة لا تكل ، يفحصون الاسواق ويدرسون مطالبها . وفضلا عن ذلك فان المصانع الحربية الالمانية تزود تركيا نفسها بالالات اللازمة ، صغيرة وكبيرة(١٥).

وقد توج انتصار الرأسمالية الالمانية فى تركيا فى ١٩٠٢ بالحصول على امتياز لمد خط لسكة الحديد يصل بين البسفور وبين الخليج العربى . وانشاء الخطوط الحديدية فى تركيا دعا اليها المهندس الالمانى فون بريسل . وقد اتفقت عليها مصالح ادارة الدين العام مع مصالح السلطان التركى . فالاولى كانت ترى أن انشاء هذه الخطوط يساعد على استثمار ثروات البلاد التركية وتحسين أحوالها الاقتصادية ، وعلى الانسان العاقل أن يغذى الوزة التى تبيض له الذهب . وبذلك تتوفر الاموال اللازمة لتسديد الديون لاصحاب السندات . أما السلطان فكان يرى ، أنها بجانب ما ستحققه من الرخاء الاقتصادى لبلاده ، ستمكنه من تمكين قبضته على الجهات النائية منها بتسهيل عمليات نقل الجنود ومعداتهم لاخماد الثورات التى تقوم فيها . كما تمكنه من ارغام سكان هذه الجهات بالقوة ، اذا دعت الضرورة ، على الاشتراك بالانفس والاموال فى الدفاع عن الامبراطورية . وذلك فضلا عن تسهيل توجيه العمليات الحربية الى اي جهة يأتي العداء منها(١٦) .

والأمبراطورية التركية ذات احتمالات اقتصادية كبيرة من الناحيتين الزراعية والمعدنية . ويمكن ان تتحقق هذه الاحتمالات لو عدنت مناجمها ، وأصلحت الاراضى المهملة فيها ، وأنشئت لها مشاريع الرى ، واستغلت ، ثم مدت خلالها طرق للمواصلات واستخدمت فيها وسائل النقل الحديثة .

وهى بسبب ضعفها كانت ذات احتمالات أخرى للاطماع الاستعمارية . ولكن الالمان كانوا أذكى من أن يورطوا أنفسهم في هذه الاطماع التى لا أمل لهم فيها . فهم قد جاؤا الى بلاد الشرق التركية متأخرين وواجهوا في كل مكان فيها منافسين أرسخ منهم قدماً . ولاشك ان أية محاولة غامضة تبدو منهم في ذلك الوقت كانت تثير مخاوف تلك القوى المنافسة ، كما تثير مخاوف تركيا نفسها . ولذلك حرص الالمان جهدهم على تحاشي ذلك حتى لا يتأثر اطراد تقدمهم الاقتصادي . ومن المحتمل أن السياسة الالمانية كانت تمد بصرها الى ما هو أبعد من ذلك . فترى ما يثيره تدخلها في الامبراطورية التركية – التى تعتبرها القوى الاخرى الاستعمارية منطقة نفوذ لها – من حزازات وتعصبات دولية . فأرادت ان تخدم مصالحها ومصالح تركيا معها . فأنه بنهوض تركيا اقتصادياً وعسكرياً ، وبأعادة هيبة الخلافة اليها ، ثم بتحالفها معها ، تخدم أغراضها الاقتصادية الخاصة ، كما تخدم كذلك أغرضها السياسية . وذلك بأتخاذ النفوذ الديني للخليفة – عند الضرورة – وسيلة لاثارة الملايين من المسلمين في الاراضي الخاضعة لنفوذ الدول الاوربية المعادية ، فيما بين وسط آسيا وبين المحيط الاطلسي(١٧) .

ولهذا ، كانت السياسة الالمانية في الامبراطورية التركية تتحاشى أن تثير حولها الريب والمخاوف عند الاتراك وعند القوى الاوربية ذات المصالح في بلادهم على السواء . فكانت على غير سياستها التي جرت عليها في جهات من أوربا تتحاشى ارسال عدد من العائلات الالمانية للسكنى فى البلاد التركية . وقد حذر القائد فون درجولتز الشعب الالمانى من الهجرة الى الشرق الادنى اذا أراد المحافظة على العلاقات الطيبة بينه وبين الامة التركية . كما أخذ الدكتور روباخ ، وهو من رجال الصحافة الالمانية والاقتصاد ، يوضح لقرائه ، بأن العلاقات السياسية لالمانيا بالامبراطورية التركية تختلف كل الاختلاف عن علاقات الدول الاخرى بها . لانه ليس لالمانيا اي مطمع استعماري فيها ، ولا ترجو قدماً واحدة من الاراضي التركية سواء أكانت في أوربا أم كانت في آسيا أو في أفريقية . وكل ما ترجوه هو ان تجد في تركيا سوقاً لمصنوعاتها ، ومورداً للمواد الخام اللازمة لصناعاتها . وهي في هذا لاتطالب لنفسها بمركز خاص فيها ، وانما تطالب بتقرير سياسة الباب المفتوح دون قيد أو شرط لجميع الدول على السواء . بل ان بعضاً من الالمان المدافعين عن هذه السياسة قد بالغوا ، وزعموا ان سكنى بلاد النهرين غير ممكنة لشدة الحرارة فيها ، وان بلاد الاناضول متطرفة في مناخها ، وأن الحياة في كليهما تعرض للاصابة بالملاريا وغيرها من الامراض الاخرى. وفي اتفاقية خط سكة حديد بغداد المعقودة في سنة ١٩٠٣ نص يلزم بنك الرايخ الالمانى بأن لا يسمح للالمان أو لغيرهم من القوميات الاخرى بالهجرة الى البلاد التركية . وكان هذا الاتجاه في السياسة الالمانية نحو

تركيا واضحا لدرجة أن مستر لينج الانجليزي ، وصاحب شركة لينج للملاحة الانجليزية في أنهار العراق ، قد صرح بقوله ، ان الخوف من استقرار الالمان في الاراضي التركية محض عبث ، وأنه لا يوجد شيء من هذا في تفكير القائمين بمشروع خط سكة حديد بغداد(١٨) .

ومع أنه كان واضحا للجميع أن ما كانت ألمانيا تسعى اليه هو البحث عن المواد الخام وفتح أسواق لتصريف مصنوعاتها ، وايجاد مجال لتوظيف رؤوس أموالها ، الا أن عجائز الاستعمار من الانجليز وغيرهم لم يخف عليهم أن المشاريع الالمانية للتوسع الاقتصادي في تركيا سوف تؤدي الى فرض نفوذهم السياسي عليها . وأن الوعود المعطاة للسلطان عن احترام وحدة تركيا وسيادتها انما هي مجرد مجاملات شكلية . كما انه لم يخف عليهم ان صلات الصداقة البادية بين الدولتين سوف تؤدي الى تقوية تركيا وانهاضها عسكرياً تمهيداً لعقد تحالف عسكرى بينهما . وان هذا التحالف قد يترتب عليه ضياع كل المصالح الانجليزية التي قامت في البلاد التركية . كما انه يكون تهديدا لاملاك الانجليز ومصالحهم في جهات أخرى من آسيا وافريقية(١٩) .

وقد قوى بعض كتاب الالمان هذه المخاوف في قلوب الانجليز . ففي سنة ١٨٨٩ كتب الهر نومان ، بمناسبة زيارة الامبراطور الالمانى لتركيا ، قائلا ، انه من المحتمل أن تشتعل نار حرب عالمية قبل أن تتفكك وحدة الامبراطورية العثمانية . ووقتئذ سوف يقوم الخليفة في القسطنطينية ويعلنها حرباً مقدسة ، منادياً مصر والسودان وشرق أفريقية وفارس وأفغانستان والهند للوقوف معه ضد الانجليز . ومن المهم أنه سيعرف في ذلك الوقت من سيقف بجانبه ويسند عرشه . كما كتب دكتور روباخ ، ان ألمانيا اذا دخلت في حرب ضد انجلترا فانها ستكون بالنسبة لها مسألة حياة أو موت . واحتمال أن تكون النتيجة في مصلحة المانيا لا يكون بتوجيه هجوم مباشر على بحر الشمال ، فأن كل فكرة تقول بالهجوم على انجلترا نفسها عبث . فلا يمكن أن تهاجم انجلترا وتضرب ضربات قاصمة الا فى مكان واحد خارج أوربا ، وذلك هو مصر . وهذا لا يترتب عليه نهاية سيادتها على قناة السويس ، ومواصلاتها مع الهند والشرق الاقصى فحسب بل انه قد يعني ايضاً نهاية سيادتها على شرق أفريقية ووسطها . ومع ذلك ، فان المانيا لا تستطيع أن تصل الى مصر الا اذا عشقت تركيا مد الخطوط الحديدية في الاناضول وفي العالم السوري . ولا جدال فيأنه كلما ازدادت تركيا قوة ازدادت خطراً على انجلترا (٢٠) .

وكانت في يد الانجليز ورقة واحدة يلعبون بها . وهي ورقة لو ربحت لبددت كثيراً مما في قلوبهم من خوف من مطامع الالمان ، ولمكنتهم من استخدامهم في كبح اطماع أعدائهم الآخرين ، من الروس والفرنسيين .

وذلك بأن يبدوا للالمان صداقتهم وترحيبهم ، وبأن يقتسموا معهم بلاد الشرق الاوسط الى مناطق للمصالح ، بمثل ما فعلوا مع الامريكيين فاستخدموهم بعد الحرب العالمية الاولى ·

ويبدو أنهم في بادىء الامر قد اتجهوا نحو هذا الاتجاه · فقد رحب بهم لورد سالسبرى على اعتبار ان المصالح الالمانية سوف تدعم المصالح البريطانية في الخليج · كما بدا هذا الترحيب في صحفهم · فكتبت جريدة التيمس بمناسبة الزيارة الثانية للامبراطور الالماني للبلاد التركية في ١٨٩٨ تقول ، ان البريطانيين في بريطانيا لا يجدون الا التمنيات الطيبة لنجاح الامبراطور في رحلته ، ولخطط التوسع للتجارة الالمانية · وقد يأسف بعض منهم على ضياع الفرص التى كان من الممكن اكتسابها لنفوذهم الخاص ولتجارتهم ، ولكنهم مع ذلك يقولون باخلاص انهم اذا كانوا لم يتملكوا هذه الاشياء الطيبة لانفسهم فانهم لا يتمنون أن تتملكها يد أخرى غير اليد الالمانية · كما كتبت جريدة المورننك بوست معربة عن أملها فى أن لا تقوم منافسة على خط بغداد تعكر صفو العلاقات بين بريطانيا وبين ألمانيا · وأشارت الى انه من الناحية السياسية لا يوجد ضرر في أن تعطى ألمانيا سبباً قوياً للدفاع عن تركيا ومقاومة أى أعتداء يوجه الى آسيا الصغرى من جهة الشمال · وكتبت كذلك جريدة الديلى ميل تندد بالفرنسيين قائلة ، ان بريطانيا قد ترددت طويلا بين فرنسا وبين ألمانيا ، الا انها كانت دائماً تحترم الخلق الالمانى ، وتشعر بالازدراء نحو الخلق الفرنسى · وحتى سسيل رودس الاستعماري الانجليزي المتعصب قد جاء بعد زيارته لالمانيا متحمساً لمشروع خط سكة حديد بغداد ، مثلما كان الامبراطور الالماني متحمساً لمشروع خط سكة حديد الكاب ـ القاهرة · (٢١) ومع ذلك فقد كان كل هذا الترحيب زائفاً · ولم يكن الا في الوقت الذي تم فيه التزاوج في العلاقات بين عدوتيهم روسيا وفرنسا · وكذلك قبل أن يبدو في الافق شبح خط سكة حديد بغداد والمصالح الفرنسية ممثلة فيه ·

في سنة ١٨٩٨ تلقت وزارة الاشغال التركية طلباً من شركة ممثلة فيها المصالح النمساوية والروسية بقصد الحصول على امتياز لمد خط لسكة الحديد يبدأ من طرابلس على ساحل لبنان وينتهي عند ميناء ما على الخليج العربي ، وان يمد له فرع يصل بين بغداد وبين خانقين عند الحدود الفارسية · ثم فشل هذا المشروع لاسباب ، كان من بينها معارضة الانجليز له · وفي سنة ١٨٩٩ اتفق بنك الرايخ الالمانى مع المصالح الفرنسية الممثلة في البنك العثمانى على تكوين شركة للقيام بمد خط سكة حديد بغداد ، يقتسمان معاً بالتساوي ٨٠ ٪ من أسهمها ، ويتركان الباقي لمساهمة الممولين الاتراك · واتفقا على انه اذا رغب ممولون من الانجليز أو من غيرهم المساهمة فى تأسيس الشركة سمح لهم ، وأخذت أنصبتهم بنسب

متساوية من نصيب كل منهما · ولكن الانجليز رفضوا الاشتراك ، وتقدموا هم الى السلطات التركية بمشروع آخر · ولا يعرف على التحقيق أكانوا جادين في طلبهم ، أم كانوا هازلين فيه يغرضون الى عرقلة مد أي مشروع من هذه المشاريع على الاطلاق خلال المعبر البري الذى تتضمنه سهول الشرق الاوسط · وعلى كل حال ، كان مشروعهم الذى تقدموا به أفضل في شروطه وفي مواصفاته من المشروع الالماني ـ الفرنسي · وقد لقي من السلطات التركية قبولا · غير ان الانكليز بعد ذلك ، وبعد ان اطمأنوا الى أنهم قد قبروا المشروع الآخر ، اخذوا يهملون مشروعهم بحجة انشغالهم في حرب البوير في القسم الجنوبي من أفريقية · ولكن الالمان بدورهم لم يفتهم استغلال هذه الفرصة فتقدموا بمشروع لمد خط يبدأ من قونية ، ويمر خلال سهول كيليكية وشمال سوريا ثم يمتد مع نهر دجلة مارا ببغداد واخيرا ينتهى عند ساحل الخليج العربى · وقد نال هذا المشروع موافقة السلطات التركية ، كما نال موافقة ادارة الدين العام ·

وحديث الالمان عن مد خط لسكة الحديد يمر ببغداد وينتهى عند ساحل الخليج قد أهاج الانجليز وأماجهم · فعمدوا الى تقوية نفوذهم عند رأس هذا الخليج · وكتبت حكومة الهند فى سنة ١٨٩٩ الى الحكومة البريطانية عن ضرورة تعزيز النفوذ الانجليزى في المناطق التي تدور المحادثات بشأنها ، وتعنى بها الكويت والعراق (٢٢) ·

والنفوذ الانجليزى كان قبل ذلك التاريخ معززاً في امارات الخليج العربى ، عدا امارة الكويت ، فقد كانت الوحيدة التى لم ترتبط بهم بمعاهدات · فلما تقدمت طلبات الى الحكومة التركية بشأن مد خط لسكة الحديد ينتهى عند رأس الخليج العربي ، عمل لورد كيرزون ، وكان نائباً للملك في الهند ، على نزع هذه الامارة من قبضة السلطان · واوعز الى المقيم السياسى الانجليزى في الخليج أن ينتهز اول فرصة فيبادر الى عقد معاهدة (سرية) مع أمير الكويت يلزمه فيها بأن لا يستقبل وكلاء أية دولة اجنبية اخرى ، وان لا يؤجر اى جزء من أراضيه ، أو يتنازل عنه ، أو يبيعه ، أو يرهنه ، أو يعطيه امتيازا لأي حكومة أجنبية أو لأحد من رعاياها ، الا بعد الحصول على موافقة الحكومة الانجليزية · وقد ترتب على هذه المعاهدة التى عقدت في اوائل ١٨٩٩ انه لما قدمت بعثة من خبراء الالمان لمفاوضة الشيخ فى انجاز الخط ودراسة التسهيلات اللازمة لميناء الكويت وجدت منه اعراضاً عنها واعتراضاً على عملها · وعندما أرسل سلطان تركيا قوة الى الكويت ليؤكد سيادته عليها اعترضتها سفينة انجليزية مسلحة(٢٣) ·

وكان قصد الانجليز من موقفهم بالكويت تقوية قبضتهم على الخليج العربي ، والتقدم نحو أرض العراق بضع خطوات · كما كان قصدهم عرقلة مد الخط الحديدي واضعاف أهميته · وذلك لأنهم بحرمانهم اياه

من نهايته الطبيعية عند الميناء الطبيعي في خليج الكويت يفقدونه جانبا كبيرا من استطاعاته كخط لسكة الحديد عبر القارات . كما يضعفون العلاقة المفروض قيامها بينه وبين السفن القادمة في الخليج العربي محملة بتجارة البلاد الشرقية . وذلك لما هو معروف عن حاجز الفاو وعن أثره في عرقلة حركة الملاحة الصاعدة في شط العرب الى البصرة والنازلة منها .

ويستطيع الانجليز ، باتخاذهم ميناء الكويت قاعدة لهم ، أن يسيطروا على التيارات المعادية في الخليج العربي ، وفي سهل العراق . وهم لكي يضعوا لهم قدما أخرى في هذا السهل ، ولكي يسيطروا على مدخله في شط العرب ، عقدوا مع شيخ المحمرة معاهدة مماثلة للمعاهدة التي عقدوها مع أمير الكويت ووضعوه بموجبها تحت نفوذهم(٢٤) . والمحمرة هي خرم شهر الحالية ، وتقع على الضفة اليسرى لشط العرب عند مصب نهر كارون فيه ، وعلى مسافة من الخليج العربي أقرب مما تقع البصرة منه . وهي بهذا تتحكم في سير الاتصالات المارة أمامها في شط العرب من البصرة واليها . وهي كذلك مدخل الى هضبة ايران ، ومنها يمكن التدخل لحماية منشآت البترول في مقاطعة عربستان .

وفي ٨ مارس سنة ١٩٠٢ صادق السلطان على منح امتياز لمد الخط الحديدي للشركة الامبراطورية العثمانية لخط سكة حديد بغداد . وهذا الامتياز يعطيها أيضا حق استغلال جميع الثروات المحتملة خلال مسافة تبلغ خمسين كيلومترا من الخط . وقد قوبل منح الامتياز في المانيا وفي النمسا بسرور بالغ . ورضيت به الدوائر الفرنسية كأمر واقع ، ولم تخف ابتهاجها لمشاركة رؤوس الأموال الفرنسية في انشائه . أما الدوائر الروسية فقد لزمت الصمت . وأما الدوائر الانجليزية فقد كانت أغلبيتها راضية عنه . وفي مجلس العموم عبر أحد النواب عن أمله في ان لا تتدخل بريطانيا ضد المشروع . وأشار الى أن ألمانيا تعمل لتركيا مايعمله الانجليز في جهات أخرى من العالم ، من أجل التقدم الاجتماعي للسكان ورخائهم ماديا . واستدعى لورد لاندسداون وزير الخارجية البريطانية سفيري ألمانيا وفرنسا وأبلغهما بأن حكومته ترجو ان لا تعترض على مشروع خط سكة حديد بغداد ، وعلى الأخص ، اذا دعي الممولون الانجليز الى الاشتراك فيه .

ومشروع الخط توقف تنفيذه خلال سنة ١٩٠٢ بسبب قيام صعوبات مالية . وعندما بدىء في اتخاذ الخطوات التمهيدية له في مارس (آذار) من السنة التالية كان الانجليز قد تخلصوا من حرب البوير التي كانت تفرض عليهم أن يقفوا من الألمان موقفا وديا . ولهذا تحولت غالبيتهم الى معارضته . ويبدو أن من بين الأسباب الأخرى التي أدت الى هذا التحول ، المساعي التي بذلتها شركة لنج التي كانت تحتكر النقل

الملاحي في أنهار العراق . فان انشاء جزء الخط الواقع في أرض العراق سوف ينافس بلاشك ـ منافسة خطيرة ـ حركة النقل التي تقوم بها الشركة في نهر دجلة . وذلك بالاضافة الى المساعي التي بذلتها شركة أزمير . فقد عبرت عن مخاوفها من أن خطوط شركة هذا الخط في الأناضول سوف تؤدي الى تنمية نشاط موانى حيدر باشا والاسكندرونة ومرسين على حساب أزمير التي ترتبط بها مصالحها . ولا يبعد أيضا أن يكون من بين الأسباب المهمة لهذه المعارضة ، اطراد بروز ألمانيا كقوة عالمية أزعجت اطمئنان المصالح البريطانية في كثير من جهات العالم ، وعلى الأخص في الشرق الأوسط .

في ٧ ابريل سنة ١٩٠٣ وقف مستر بلفور في مجلس العموم البريطاني وذكر ان المفاوضات جارية بين الممولين الألمان وبين الممولين البريطانيين ، وكذلك بين الأخيرين وبين الحكومة البريطانية ، لتقرير الشروط التي بموجبها يكون اشتراكهم في المشروع . وأشار الى أنه اذا تم الاتفاق ، سيطلب الى الحكومة البريطانية أن تقدر أهمية استخدام الخط الحديدي في نقل الاتصالات الى الهند ، وأن توافق على وجهة النظر الصديقة في جعل نهاية خط بغداد عند ميناء الكويت أو بالقرب منه . ولكن حديثه قد هوجم من عدة نواحي ، اقتصادية وسياسية . فمن قائل بأن هذا الخط سوف يكون منافسا قويا لطريق قناة السويس وللسيادة البريطانية عليه . ومن قائل بأنه سوف يهدد المصالح البريطانية في الشرق الأوسط وفي الخليج العربي . وعبر استعماري ضليع عن استحالة الفصل بين المصالح الاقتصادية في المشروع وبين الأطماع السياسية والاستعمارية المتعلقة به . وكان الشعور السائد بأن تنفيذ مشروع خط سكة حديد بغداد يرتبط به احتمال كبير يتعلق بتوغل النفوذ السياسي لألمانيا في قسم كبير من آسيا الصغرى ، وعلى بلاد النهرين والخليج العربي . وقد رد بلفور على هذه الاعتراضات قائلا بأنه لا يشك في أن هذا المشروع سينفذ ان آجلا وان عاجلا مهما تكن النتائج . وأضاف قائلا ، ان الحكومة البريطانية قد تستطيع حقيقة أن تتدخل لعرقلته وتخلق متاعب أمامه وأمام أي مشروع آخر مماثل له ، ولكنه مع ذلك سينفذ في النهاية ، سواء اشترك الانجليز فيه أم لم يشتركوا . ثم حذر المجلس من الأضرار التي قد تنجم عن الامتناع من الاشتراك فيه ، وتركه للألمان والفرنسيين وحدهم . ولعل بلفور كان وقتئذ متأكدا بأنه لن يتوفر بعد انجاز هذا المشروع « اسماعيل » آخر يستطيع الانجليز بواسطته أن يحصلوا على نسبة كبيرة من الأسهم بثمن بخس ، مثلما توفر لهم بعد أن حفرت قناة السويس . ولكنه مع ذلك قد اضطر تحت ضغط الغالبية المعارضة للمشروع أن يعلن بأن الحكومة البريطانية قد

سحبت تأييدها له (٢٥) .

وفي ذلك الوقت كان الانجليز قد انتهوا من حرب البوير وثبتت أقدامهم في القسم الجنوبي من افريقيا . وسيطروا تبعا لذلك على الطريق المار بسواحله ، كما كانوا من قبل قد سيطروا على مصر وعلى طريق قناة السويس . وكانوا كذلك قد عززوا حدود الهند من جهة هضبة ايران وممرات هندكوش . ولم يبق عليهم بعد ذلك الا أن يقروا سياستهم التي ينبغي عليهم أن ينتهجوها نحو القوى الثلاث التي تهدد أطماعهم ، وهي فرنسا وتهدد هذه الأطماع في مصر ، وروسيا وتهددها في فارس وفي الخليج العربي وفي بلاد النهرين . ثم ألمانيا ، وهي الخطر الداهم الذي يهدد كل مصالحهم وأطماعهم في الامبراطورية التركية ، وفي الخليج العربي ، وفي مصر كما تهددهم بأخطار أخرى محتملة تنتج عن تحالفها المحتمل في المستقبل مع تركيا . وقد وجد الانجليز أن مصلحتهم تقتضي منهم أن يسووا خلافاتهم مع فرنسا ومع روسيا ليواجهوا الخطر الألماني وحده . وذلك لأن لكل من هاتين الدولتين أطماعا قديمة وليس من السهل زحزحتهما عنها . كما أنهما – بالرغم من عدائهما التقليدي للانجليز – تتفق مصالحهما مع مصالحهم ، وتتعارض مع مصالح ألمانيا في تركيا . فروسيا تسير على منهاج سياستها القديمة التي تعارض أية مساندة للامبراطورية التركية تؤدي الى تقويتها . وفرنسا لها مصالح اقتصادية واسعة ورؤوس أموال ضخمة في هذه الامبراطورية ، وتنظر بفزع الى تدخل الرأسمالية الجرمانية منافسة لها فيها . وفضلا عن ذلك فان الخطر الألماني ، وان كانت له احتمالات كبيرة ، الا أنه لم يصبح بعد أمرا واقعا . وهناك احتمالات كبيرة أيضا في امكان التغلب عليه واقصائه(٢٦) .

كان الانجليز يعرفون أن لفرنسا أطماعا كبيرة في مراكش فتصالحوا معها على أن يتركوا لها هذا القطر وتترك لهم مصر . وهذا التصالح بين انجلترا وبين فرنسا كان خطوة في سبيل تصالحها مع روسيا أيضا لأنها كانت في ذلك الوقت صديقة لفرنسا . وقد ساعدتهم – على تحقيق هذا التصالح – الحالة المعنوية التي كان الروس عليها بعد هزيمتهم أمام اليابان في حرب سنة ١٩٠٥ . وقد نجحوا في أن يعقدوا معها في سنة ١٩٠٧ اتفاقية جراى – اسفولسكى(٢٧) .

وهذه الاتفاقية الانجليزية – الروسية كانت على حساب فارس وأفغانستان ، كما كانت المعاهدة الانجليزية – الفرنسية في سنة ١٩٠٤ على حساب مصر ومراكش (المغرب)(٢٨) . فقد قسمت بلاد فارس الى ثلاثة أقسام . أخذ الروس القسم الشمالي منها وهو الواقع شمال خط يمتد من « يزد » من جهة نحو الشمال الشرقي الى بوابة خراسان حيث تلتقي الحدود الفارسية مع الحدود الأفغانية ومع الحدود الروسية . ويمتد

منها من جهة أخرى نحو الشمال الغربي الى منطقة قصر شيرين عند التقاء الحدود الفارسية بالحدود التركية في العراق · وأخذ الانجليز القسم الجنوبي الشرقي منها وهو الواقع في شرق خط يبدأ من ثغر بندر عباس على مضيق هرمز متجها نحو الشمال الشرقي مارا بكرمان وبرجاند ، ومنها ينحرف نحو الشرق الى الحدود الأفغانية · أما القسم الباقي من أرض فارس ، بين المنطقتين السابقتين ، وهو يتضمن موارد البترول في عربستان ، فقد ترك للشاه ليقف فيه مصدا بينهما(٢٩) · وفي هذه الاتفاقية أيضا تأكد الاتفاق الذي سبق عقده في سنة ١٨٧٣ حول تخطيط الحدود بين روسيا وبين أفغانستان · وفيها تنازل الروس عن كل ادعاءاتهم في هذه الدولة الأخيرة ، واعترفوا للانجليز بمركز خاص فيها ، كما اعترفوا لهم بمثل ذلك في الخليج العربي · وفيها أيضا اعترف الطرفان بأن هضبة التبت ملك للصين ·

واتفاقية ١٩٠٧ قد أمنت الانجليز على الهند تماما · فان القسم الذي استولوا عليه من أرض فارس قد جعلهم الحراس على الثلاثة الطرق الموصلة اليها من هضبة ايران · وهي طريق ساحل مكران الى دلتا نهر السند وقد سلكه الاسكندر الأكبر في مرجعه من الهند الى بابل · وطريق سهول بلوخستان وهضابها وخلال ممر بولان · ثم طريق وادي هلماند وممر خيبر · كما أن نفوذهم الذي اعترفت به روسيا لهم في أفغانستان قد جعلهم الحراس على الأبواب الأخرى للهند من ممرات هندكوش · واعتراف الروس بملكية الصين لهضبة التبت قد أقام بينهم وبين الهند حاجزا ضخما من الجبال الشاهقة ومن الجليد الدائم · كما أن وقوع منطقة الحياد القائمة بينهما تحت نفوذ الشاه ، على الخليج العربي وتضمنها منطقة عربستان ، قد أمن الى حد ما مصالحهم في هذا الخليج ، كما أمن امتياز دراسي للبترول ·

ومع ذلك فان هذه الاتفاقية لم تؤمن كل مصالحهم كما يشتهون · فقد تضمنت ناحية ضعف خطيرة أقلقت بالهم · وذلك لأنها قد مدت النفوذ الروسي الى أرض العراق · كما وضعت تحت أيديهم الطريق الرئيسي الذي أصبح معروفا بعد الفتح الاسلامي باسم طريق خراسان(٣٠) ، وهو الذي يبدأ من بغداد على وادي دجلة ويصعد في وادي رافده نهر ديالى ثم يدخل هضبة ايران من بوابة زاجروس في منطقة خانقين ويمر بكرمانشاه وهمدان وطهران ونيسابور ومشهد ، ويخرج من بوابة خراسان الى الأراضي الروسية في التركستان وبلاد ما وراء النهر · وهذا الطريق كان في الماضي ، كما هو في الوقت الحاضر أهم طريق لحمل الاتصالات ، سواء أكانت سلمية أم كانت حربية ، بين سهل العراق والسهول الأخرى في الشرق الأوسط من جهة وبين هضبة

الاتحاد السوفيتي
البحر الاسود
الاتحاد السوفيتي
بحر قزوين
خيوه
خوقاند
بخارى
نهر آراس
للخزر
عشق آباد
مرو
تبريز
بندر شاهپور
مشهد
أفغانستان
طهران
كابل
ميان
للنفوذ الروسى
خانقين
بغداد
برجاند
قندهار
نهر هلمند
الهند
أصفهان
يزد
الأهواز
البصرة
كرمان
الكويت
للشاه
بلوخستان
للنفوذ الأنجليزى
بندر عباس
الخليج العربى
خليج عمان
مسقط
اتفاقية سنة ١٩٠٧
بين بريطانيا وبين روسيا
١
١٨٠٠٠٠٠٠

(٣)

ايران وغرب آسيا ووسطها من جهة أخرى · ومن هذا يلاحظ أن اتفاقية سنة ١٩٠٧ وان كانت أبعدت الخطر الروسي عن الهند من جهة هضبة ايران ومن جهة غرب آسيا ووسطها الا أنها قربته من العراق ، وهو المحطة الاستراتيجية الكبرى على طريق سهول الشرق الأوسط والخليج العربي الى الهند · ولهذا السبب انتهج الانجليز سياسة حازمة فيه ، وعلى الأخص بعد أن بدا لهم أن تقاربا قد حدث بين روسيا وبين ألمانيا كنتيجة لزيارة القيصر لألمانيا واجتماعه بالامبراطور في قصر بوتسدام في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٠ ·

في هذا الاجتماع اتفق العاهلان على أمور أقلقت الانجليز على مصالحهم في الشرق الأوسط وفي الهند · فقد اتفقا على أن تعترف ألمانيا لروسيا بمنطقة نفوذها الخاص في أرض فارس ، كما حددتها اتفاقية ١٩٠٧ بينها وبين الانجليز · وعلى أن لا تسعى لنفسها ولا تعضد غيرها من الدول في الحصول على امتيازات للسكك الحديدية أو للطرق البرية أو للتليفونات أو لأي وسيلة أخرى من وسائل النقل والمواصلات في تلك المنطقة · وبعبارة أخرى ان لا تسعى الى احداث أي تغيير في الوضع القائم فيها · وفي مقابل ذلك تعترف روسيا بحقوق بنك الرايخ الألماني في امتياز خط سكة حديد بغداد ، وتسحب كل اعتراضاتها السياسية السابقة على انشائه ، وعلى اشتراك رؤوس الأموال الأجنبية فيه · وأخطر من ذلك ــ من وجهة نظر الانجليز ــ أنها وافقت على أن تسعى بأسرع ما يمكن للحصول من حكومة فارس على امتياز لانشاء خط يمتد من طهران العاصمة الفارسية الى خانقين المركز التجاري المهم عند الحدود الفارسية ــ التركية في العراق ، على أن يتصل هذا الخط بخط فرعي يتفرع من خط بغداد الرئيسي ويمتد الى خانقين · وأقرت بأنه في حالة فشلها في انشاء الخط الفارسي بين طهران وبين خانقين ، يصبح من حق الممولين الألمان أن يطالبوا لأنفسهم بامتيازه · وقبلت روسيا أيضا مبدأ الباب المفتوح ، وان لا تتميز تجارتها عن التجارة الألمانية في الأراضي الفارسية ، وأن تتحقق المساواة في المعاملة على الخطوط الحديدية المتفق عليها(٣١) ·

وقد وضع هذا الاتفاق قدما لألمانيا في أرض فارس كما وضع لروسيا قدما في أرض العراق وفي الأراضي الأخرى التي يتضمنها معبر الشرق الأوسط · لأنه اذا تم خط بغداد واتصل بخط آخر في أرض فارس ، فان شيئا من تجارة روسيا سيأخذ طريقه الى أرض العراق وسيجد له منافذ مباشرة مع الشرق عن طريق الخليج العربي ، ومع الغرب عن طريق موانئ العالم السوري · والأخطار الناجمة عن ذلك على بريطانيا في هذه الجهات معروفة · ومما يلاحظ أيضا أن هذا الاتفاق الروسي ــ الألماني قد هد جبهة من جبهات الحصار الذي سعى الانجليز

الى اقامته حول المانيا بتكوين الوفـــاق الثـلاثي منهـــم ومن الفرنسيين ومن الروس ٠

عند نهاية القرن التاسع عشر كان الخليج العربي قد أصبح بحيرة بريطانية ، كما أصبحت الامارات العربية القائمة على سواحله خاضـــعة للنفوذ البريطاني ٠ وفي العراق كان النفوذ الانجليزي أقوى نفوذ ، وكانت المصالح الانجليزية فيه أقوى المصالح ٠ فقد كانت لهم فيه رعاياهم الهنود من التجار ومن زوار العتبات المقدسة ، وعن طريقهم اكتسبوا لأنفسهم تدخلا في الشؤون الصحية ، وفي توزيع الأوقاف الهندية على المستحقين ٠ وكان لهم مكاتب خاصة بالبريد ، وخطوط برقية ٠ كما كانت لهم شركة ملاحية تحتكر النقل الملاحي في نهري دجلة والفرات ٠ وعن طريق احتكار النقل احتكروا التجارة ٠ فكانت تجارته الخارجية تنقلها سفن انجليزية وهندية الى أسواق بريطانيا والى أسواق الهند ٠ ولم يكن هـذا الاحتكار قاصرا على تجارة العراق الخاصة وحدها ، وانما كان يتضمن أيضا قسما كبيرا من تجارة فارس المنقولة خلاله في طريق خراسان الى بغداد على نهر دجلة ٠ وكان لهم فضلا عن ذلك زورق مسلح يقف في نهر دجلة أمـــام قنصليتهم في بغداد ، وبجانبه حرس مسلح أيضا يتكون من ٣٠ جنـديا لحماية هذه القنصلية ٠ وكان هذا الانتهاك لسيادة الامبراطورية التركية مقصودا ، وقد عبر عنه أحد ساستهم بقوله ان الاحتفاظ بالجند شمالا الى بغداد لم يكن حرصا لمغنم تجاري ، وانما كان للأهمية الاستراتيجية التي لبغداد بالنسبة لبريطانيا(٣٧) ٠

وهذه المصالح التي كانت قد تولدت للانجليز في العراق قبل أن يظهر في الوجود مشروع خط سكة حديد بغداد ، بجانب أهميته الاستراتيجية على طريق الهند ، وكمركز لمراقبة الحوادث التي تجري في داخل هضبة ايران ، قـد قوت أطماعهم الاستعمارية فيـه وجعلتهم يعتبرونه امتدادا لمصالحهم الاقتصادية والسياسية في عالم الخليج العـربي ، كمـــا أنه في الواقع يكون امتدادا جغرافيا لهذا الخليج الـذي ترتبـط به مصالحهـم في الهند وسلامتها ٠ وقد بدت هذه الأطمـاع الاستعمـــارية الانجليزية في العراق واضحة في القرن التاسع عشر ٠ وعبر عنها لورد كيرزون في سنة ١٨٩٢ بقوله ، انه من الخطأ ان يعتبر الانجليز أن مصالحهم السياسـية تنحصر في الخليج العربي ٠ فانها ليست قاصرة عليه وحده ، كما أنهـــا ليست قاصرة على المنطقة الممتدة منه الى بغداد ، وانما تمتد مباشـرة الى بغداد نفسها ٠ ومعنى هذا ان الانجليز كانوا منذ ذلك الوقت المبـــكر قد ركزوا أطماعهم في ولايتي البصرة وبغداد ، وأنهم كانوا ينتظرون الفرصة المناسبة للاستيلاء عليهما واتخاذ بغداد مركزا لهم ٠

وتحقيق هذه الأطماع الانجليزية في العراق قد تأخر الى قيام الحرب

العالمية الأولى ، بسبب وجود مصالح للروس فيه ، وبسبب تقدم المصالح الألمانية نحوه يضا · فالروس بعد أن وطدوا نفوذهم في فارس وفي أرمينية ، وأشرفوا من الحافة الجنوبية لهضبة ايران على سهل العراق أخذوا يكونون لأنفسهم مصالح فيه · فأنشأوا لهم وكالة سياسية في بغداد منذ سنة ١٨٨١ ثم رفعوها الى قنصلية عامة في سنة ١٩٠١ · وفي نفس السنة كونوا شركة ملاحية في البصرة واتخذوا لها فرعا في بغداد ، وأخذت السفن الروسية تتقدم من الخليج العربي لتتاجر مع الشعب العراقي ، مصدرة اليه البترول وألواح الخشب والسماورات وأواني الشاي وأقداحه ، ومستوردة منه التمور والجلود وثرواته الأخرى · وقد أثارت هذه المصالح الروسية التي تدخلت في العراق مخاوف الانجليز على أطماعهم الاستعمارية فيه · فأسرع حاكم الهند في سنة ١٨٩٩ بالكتابة الى الحكومة الانجليزية قائلا ، ان التدخل الروسي نحو بغداد يجب أن ينظر اليه بنفس النظرة الى تدخلهم في أرض فارس والخليج العربي(٣٣) ·

أما الألمان فكانوا يتقدمون نحو المعبر البري في الشرق الأوسط من داخل هضبة الأناضول ، عن طريق امتيازهم الذي حصلوا عليه من السلطات التركية لمد خط سكة حديد بغداد · كما كانوا يتقدمون أيضا نحو الخليج العربي ويمدون نفوذهم على جانبيه · فقد قامت لهم في لنجه ، عند مدخل مضيق هرمز ، على الساحل الفارسي ، قاعدة لشركة ألمانية هي فرع لشركة همبورج ـ أمريكا وكانت تمارس نشاطا في تجارة اللآلىء · كما قامت لهم شركة أخرى لتمارس هذه التجارة في جزر البحرين · وفضلا عن ذلك فقد استطاعوا أن يحصلوا من شاه فارس على امتياز للقيام بمشاريع للري على نهر كارون · وفي أغسطس (آب) ١٩٠٦ وصلت أول سفينة ألمانية الى ميناء البصرة وقامت هناك باستعراض رائع · كما أقامت حفلة فخمة دعت اليها حكام العراق والمبرزين من سكانه · وكانت تحمل شحنة من السكر أنزلتها في أسواق المدينة وباعتها بسعر يبلغ نحو نصف السعر الذي كان الانجليز يبيعون به السكر الذي كانوا يتاجرون فيه هناك · كما أن هذه الشركة لم تأل جهدا في العمل على ترويج المنتجات الصناعية الألمانية في أنحاء فارس والعراق وما جاورها · وأوفدت لغرض الدعاية الى هذه المنتجات وكلاء وعمالا نجحوا نجاحا باهرا ، حتى ارتفعت قيمة تجارتها الواردة الى البصرة من ١٠٨ر٦٥٠ جنيها استرلينيا في سنة ١٩٠٦ الى ١ر٩٥٧ر٤٨٩ جنيها في سنة ١٩١٣(٣٤) ·

ومبدأ المساومة على المصالح الذي اتخذه الانجليز في سنة ١٩٠٤ مع الفرنسيين على حساب مصر ومراكش ، وفي سنة ١٩٠٧ مع روسيا على حساب فارس وافغانستان ، قد اتخذوه أيضا مع الألمان على حساب

العراق . ففي سنة ١٩٠٧ زار امبراطور المانيا لندن لتذليل العقبات عن خط سكة حديد بغداد وأعلن استعداده لأن يترك للانجليز باب الهند ، ويعني به ميناء الكويت والقسم الواقع من العراق حول رأس الخليج العربي . ولكن الساسة الانجليز أجابوه بأن المعارضة الانجليزية لهذا الخط يمكن أن تتوقف فقط في حالة ما اذا ترك القسم الواقع منه بين بغداد وبين البصرة للممولين الانجليز . وفي سنة ١٩٠٩ أبدى هؤلاء الساسة استعدادهم لأن يطلقوا يد ألمانيا في القسم الواقع من تركيا شمال بغداد ، في مقابل أن يطلق الألمان لهم يدهم في القسم الواقع منها جنوب هذه المدينة الى الخليج العربي . وهم في نفس السنة عندما وجدوا أن توترا في العلاقات قد بدأ بين رجال جمعية الاتحاد والترقي وبين الألمان ، تقربوا من رجال هذه الجمعية وأبدوا لهم استعدادهم على أن يؤيدوا تركيا في مطلبها الخاص بزيادة الرسوم الجمركية ، في مقابل أن يحصلوا على امتيازات تعزز مكانتهم المكتسبة في العراق وتؤيدها . فاقترحوا عليهم في ربيع ١٩١٠ ثمنا لتأييد المطالب التركية في هذه الزيادة أن يعطى قسم خط سكة الحديد الواقع بين بغداد وبين البصرة امتيازا للممولين الانجليز حتى تتأمن المصالح الانجليزية الاقتصادية في أرض العراق تأمينا كافيا . وفي مايس من نفس تلك السنة كتب « سير ادوارد جراي » الى السفير البريطاني في استانبول يطلب اليه أن يوضح للحكومة التركية توضيحا لا لبس فيه بأن الحكومة البريطانية لن توافق على أي زيادة للضرائب الا اذا نظرت بعين الاعتبار الى طلبها الخاص بالامتياز . وان يوضح لها كذلك بأن وجهة نظر الحكومة البريطانية ستتوقف الى حد كبير على كيفية مقابلتها لهذا الطلب . ولما صمدت الحكومة التركية لهم بعض الشيء ، تراجعوا قليلا ، وكتب وزير خارجيتهم الى ممثلهم في ادارة الدين العام يقول ، ان حكومتهم يجب أن تحصل على ٥٥ ٪ على الأقل من امتياز خط سكة الحديد الذي سيمد بين بغداد وبين البصرة ، وأن تحصل كذلك على امتيازات لعمل الانشاءات والتسهيلات الخاصة بميناء البصرة والاشراف عليها . وفي خريف السنة نفسها سافر داود بك وزير الخارجية التركية الى باريس ولندن للمفاوضة بشأن قرض مالي بضمان دخل الكمارك التركية ، فرفضت الحكومة الفرنسية الا اذا قبلت الحكومة التركية بأن تخضع ميزانيتها لاشراف مستشار فرنسي . أما الحكومة الانجليزية فكان رفضها على أساس أن هذا القرض أو أن قسما منه سيستخدم للمساعدة في انجاز خط سكة حديد بغداد الذي تعتقد بأنه لا يحقق مصلحة تركيا ، كما أنه في الوقت نفسه ، يتضمن تهديدا لاشك فيه لحق الانجليز المشروع في تجارة العراق . وفي سنة ١٩١١ قدم الوزراء الأتراك في لندن وفي باريس اقتراحا الى الحكومتين

الانجليزية والفرنسية بأن تتولى شركة تركية انشاء قسم خط سكة الحديد الواقع بين بغداد وبين البصرة وان تكتتب الحكومة التركية فيها بنسبة قدرها أربعون في المائة من أسهمها ، وتقتسم الباقي ألمانيا وفرنسا وانجلترا بنسب متساوية · ولكن هذا الاقتراح رفضه الانجليز ، ورد عليه سير ادوارد جراي في مجلس العموم بقوله بأن الحكومة البريطانية ليست مستعدة للموافقة على زيادة الضريبة الكمركية ، لأنه لم يتضح لها استعداد الحكومة التركية لضمان المصالح البريطانية في العراق وفي الخليج العربي · وفي أوائل سنة ١٩١٢ زار « لورد هالدين » برلين ونزل ضيفا على الامبراطور وتباحث معه في أمر تخفيض ألمانيا لبرنامجها البحري وغيره من الأمور التي تؤدي الى التقارب بينها وبين انجلترا ، وعندما تطرقت المفاوضات الى مشروع خط سكة حديد بغداد ، أكد « هالدين » أن حكومته متمسكة برأيها الذي أبدته سنة ١٩٠٧ ، وهو أنها مستعدة لأن تعطي موافقتها عليه ، اذا روعيت مصالحها السياسية في العراق(٣٥) ·

وفي أثناء هذه المفاوضات كان الانجليز يكتسبون لأنفسهم في العراق حقوقا أخرى · فاكتسبوا للمهندس ولكوكس حق دراسة مشاريع الري فيه ، كما اكتسبوا لشركة انجليزية امتيازا لانشاء سدة (قناطر) الهندية على نهر الفرات · وقد اكتسبوا أيضا امتيازا جديدا للنقل الملاحي في أنهار العراق دعموا به شركة لينج ومدوا في أجل امتيازها · وفي نفس الوقت كان وكلاؤهم السياسيون في العراق يدرسون كل السبل المؤدية الى تقوية نفوذهم فيه ، وتمكين ادعاءاتهم عليه · فكتب المقيم السياسي في بغداد في سنة ١٩١٣ برقية بعث بها الى حكومة الهند ، والى السفير الانجليزي في استانبول ، وأشار فيها الى أنه في حالة تحطيم تركيا التي سيتبعه في نفس الوقت استعدادات لتقسيمها الى مناطق نفوذ ، يجب على الحكومة البريطانية أن تحتفظ لنفسها بأسبقية حقها في بلاد العراق · كما يجب الاستمرار على المحافظة على المكاتب البريطانية للبريد في البصرة وفي بغداد ، وكذلك الاحتفاظ بحرس القنصلية وبزورقها المسلح في نهر دجلة فان لكل ذلك أهمية كبرى · كما قدم وكيل هذا القنصل عدة اقتراحات ترمي الى تقوية الجهود المبذولة لادخال ولاية الموصل في دائرة النفوذ البريطاني · وأشار الى ضرورة مساعدة الجمعيات التبشيرية التي تقوم بتعليم اللغة الانجليزية ونشرها · كما أوصى بضرورة الاهتمام بمشاريع الري كوسيلة من أهم الوسائل لتعزيز النفوذ الانجليزي في العراق وتوسيعه قائلا ، انهم بذلك يخلقون حكومة انجليزية في داخل الحكومة المحلية · فان اشرافهم على شؤون الري سوف يؤدي الى اشرافهم على الضرائب ، وقد يؤدي بهم الى الاشراف على جمعها أيضا · واكثر من ذلك ان العسكريين في الهند قد اقترحوا منذ يناير (كانون الثاني)

١٩١٢ احتلال الفاو والبصرة كاجراء يهدف الى توطيد مركز بريطانيا وتثبيت أقدامها في العراق ، ووضع الأتراك والألمان أمام الأمر الواقع(٣٦) .

ومساومات الانجليز مع الأتراك ومع الألمان قد أدت على عقد اتفاقيتين . احداهما مع تركيا في ٢٩ يوليو (تموز) سنة ١٩١٣ والأخرى مع المانيا في ١٥ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٤ . وفي الاتفاقية الأولى ، نالوا من الحكومة التركية اعترافا بشرعية المعاهدات التي عقدوها مع امارتي البحرين والكويت ، وبمركزهم الخاص في الخليج العربي ، وبحقهم المشروع في حراسة مياهه ومياه شط العرب ، وفي اضائتها وتسيير سفنهم فيها . وأن يقتصر منح حقوق الملاحة في مياه دجلة والفرات وشط العرب على شركة الملاحة النهرية التركية التي يكونها « البارون أنتشكيب » بالاشتراك مع شركة لنج صاحبة الامتياز القديم ، مع منحها السلطة الواسعة لادخال ما ترى ادخاله على هذه المجاري المائية من اصلاح وتحسين . كما نالوا أيضا حقوقا في الاشتراك في اعداد ميناء البصرة وفي الاشراف على مستقبله . وقد قبلوا أن تكون البصرة هي النهاية لخط سكة حديد بغداد ، على ألا يمد هذا الخط وراءها نحو الخليج العربي ، الا بموافقتهم . واشترطوا أن يكون لهم ممثلان بريطانيان في مجلس ادارته ، وأن تكون المعاملة متساوية لجميع الدول في استخدامه . ولم ينس الانجليز أن يؤكدوا أن خضوعهم لنصوص هذه الاتفاقية وموافقتهم على زيادة الرسوم الجمركية التي كانت الحكومة التركية تطالب بها متوقف على رفع حق الفيتو العثماني عن صلاحية المصريين في الاستدانة ، وفي منح امتيازات لمد خطوط السكك الحديدية . ومتوقف كذلك على اعترافهم بشرعية امتياز دراسي في بترول المنطقة التي ضمت اليهم بموجب اتفاقية الحدود التي عقدت حديثا بينهم وبين الفرس . وفي مقابل كل ذلك من الضمانات والالتزامات وافقت الحكومة الانجليزية على تأييد طلب الحكومة التركية الخاص بزيادة نسبة قدرها ٤ ٪ على الضريبة الجمركية القائمة في الامبراطورية العثمانية لرفعها من ١١ ٪ الى ١٥ ٪ (٣٧) .

وفي الاتفاقية الأخرى التي عقدوها مع الألمان لم يخسر الانجليز شيئا ، بل كسبوا منها أشياء . فقد اتفق فيها على أن تراعى بدقة شروط الاتفاقية التركية ـ الانجليزية المعقودة في ٢٩ يوليو (تموز) سنة ١٩١٣ ، وكذلك شروط الاتفاقية المعقودة بين الشركة الانجليزية للنقل المائي في أنهار العراق وبين شركة خط سكة حديد بغداد . كما تراعى أيضا شروط الاتفاقية المعقودة بين شركة هذا الخط وبين شركة سكة حديد أزمير ـ آيدين ، وهي شركة انجليزية أيضا . وفي هذه الاتفاقية الانجليزية ـ

الألمانية المعقودة في ١٥ يونيه (حزيران) سنة ١٩١٤ فقد الألمان كل أمل لهم في أن يقوم لهم ميناء عند رأس الخليج العربي · وقبلوا أن تكون البصرة هي النهاية لخط سكة حديد بغداد ، ولا يجوز لهم أن يمدوه وراءها نحو الخليج العربي الا باتفاق آخر يعقد بينهم وبين الحكومتين الانجليزية والتركية · وفي هذه الاتفاقية أيضا ، اضطر الألمان الى الاعتراف بسيادة الانجليز على الخليج العربي ، وكذلك على القسم الجنوبي من العراق · وأن يكون هذا القسم من أرض العراق بالاضافة الى القسم الجنوبي من بلاد فارس والقسم الأوسط منها مجالا حيويا لشركة البترول الانجليزية ـ الفارسية ، تمارس فيه نشاطها للبحث عن البترول واستخراجه · كما اضطروا لقبول مد خط لسكة الحديد يصل بين الكوت على نهر دجلة وبين مندلي عند سفوح هضبة ايران ، لتسهيل نقل البترول الذي يعثر عليه هناك ضمن امتياز شركة البترول الانجليزية ـ الفارسية · وتعهد الألمان لهم كذلك بمراعاة المصالح الانجليزية في مشاريع الري في أرض العراق · وفي مقابل كل ذلك تعهد الانجليز للألمان برفع العقبات التي وضعوها في طريق مد خط سكة حديد بغداد ، وبمراعاة مصالحهم المتعلقة باقامة مشاريع للري في سهول كيليكية ، حول رأس خليج الاسكندرونة · كما اعترفوا لهم بمصالحهم الخاصة في هضبة الأناضول ، وفي القسم الشمالي من العراق وكذلك في القسم الشمالي من العالم السوري · أما القسم الجنوبي من هذا العالم فقد كان للانجليز أطماع فيه · لأنه يكون خط الدفاع الأول عن مصالحهم في مصر وقناة السويس · ولأنه يمكنهم من الربط بأقصر الطرق بين هذه المصالح وبين مصالحهم الأخرى في العراق وفي الخليج العربي(٣٨) ·

ولم يكن اعتراف الانجليز للألمان بنفوذهم الخاص في القسم الأكبر من الأراضي التركية عن قناعة وزهد فيها ، وانما كان عن سياسة ماكرة · فهم كانوا مدركين بأن لفرنسا أطماعا في سوريا ، كما أن لروسيا أطماعا في الأناضول · ولا بد أن يصطدم النفوذ الألماني فيه بهذه الأطماع في الحال أو في المستقبل القريب · وعندئذ سوف تتوفر لهم الفرصة بشكل ما لترقيع الخرق الواسع الذي تضمنته الاتفاقيتان المعقودتان بينهم وبين الأتراك والألمان · فليس هناك شك في أن هاتين الاتفاقيتين ، بالرغم مما يبدو في نصوصهما من مغانم كثيرة كسبها الانجليز ، فانهما تتضمنان حقيقة واضحة وعلى جانب كبير من الخطورة · وهي أن الألمان قد وضعوا أقدامهم فعلا في العراق عن طريق مد خط سكة حديد بغداد من جهة ، وعن طريق السفن الألمانية التي أخذت تشن طريقها في الخليج العربي صاعدة في شط العرب الى البصرة من جهة أخرى · وبذلك شاركوهم في نتائج مجهوداتهم التي بذلوها في تكوين مصالح لهم في هذه الجهات خلال ثلاثة

قرون . وبعد ذلك ، من يضمن لهم أن أن مطامع الألمان ستقف عند الحدود التي تضمنتها نصوص هاتين الاتفاقيتين ، ولا تمتد وراءها لانتزاع درة الهند من التاج ؟

وفي بلاد فارس لم تكن المصالح الانجليزية فيها قاصرة على النفوذ وامتياز الملاحة في نهر كارون ، وانما كان لهم فيها امتياز آخر أكثر أهمية وهو الخاص بالبترول . ففي مايو سنة ١٩٠١ حصل مستر وليام نوكس دارسى من الشاه مظفر الدين على امتياز مدته ستون سنة للبحث عن زيت البترول واستغلاله في جميع أراضي فارس ، فيما عدا خمس مقاطعات تقع في القسم الشمالي منها ، وهي أذربيجان وجيلان ومازندران واستراباد وخراسان . ووافق الشاه على عقد الامتياز في مقابل أن يحصل على مبلغ مقداره ٢٠ الف جنيه استرليني نقدا ، وعلى أسهم مدفوع ثمنها من أسهم الشركة صاحبة الامتياز تساوي قيمة مثل هذا المبلغ ، وأن يحصل كذلك على ما يساوي ١٦ ٪ من صافي أرباح الشركة(٣٩) .

وقد نجح مستر دراسي في تأسيس شركة برأسمال قدره ٦٠٠ ألف جنيه استرليني وبدأ عمله في منطقة شياه سورخ أو نفط شاه ، التي تقع على مقربة من الحدود الفارسية ـ التركية في العراق . وكان زيت البترول معروفا من قبل في هذه المنطقة ويستغله بعض الأهالي بوسائل بسيطة . ولكن الجهود التي بذلها دراسي هناك لم تكن موفقة . فان البترول لم ينبثق بغزارة ، فضلا عن الصعوبات التي تقوم في وجه نقله من هذه المنطقة الجبلية الى الأسواق الخارجية . وقد سبقت الاشارة الى أن الانجليز قد حرصوا في اتفاقية ١٩١٤ على أن يرغموا الألمان على القيام بمد خط حديدي من مندلي الى الكوت لتسهيل نقل بترول هذه المنطقة الى نهر دجلة .

وتطلع مستر دراسي من مكانه على مرتفعات زاجروس ، فرأى من جهة على مقربة من ششتر في منطقة ميدان النفط الواقعة في مقاطعة عربستان الفارسية زيت البترول مترشحا على السطح ويجري منحدرا في بعض الأماكن حيث يجمعه السكان وينقلونه على ظهور الحيوانات للمتاجرة فيه . ورأى من جهة أخرى الغاز الطبيعي مشتعلا في منطقة كركوك العراقية التي تدخل ضمن أراضي الامبراطورية التركية . فاتجه بأبحاثه ناحية مسجدي سليمان في ميدان النفط ، كما اتجه بمساعيه نحو استانبول . وبنفوذ السفير الانجليزي فيها وتوجيهات مستر كلبينكيان ، طلب من السلطات التركية امتيازا للبحث عن زيت البترول في العراق . وقد عرقل مسعاه في هذه الناحية قيام ثورة ١٩٠٨ ، كما عرقلتها اعتبارات أخرى . أما أبحاثه في ميدان النفط بفارس فقد استنزفت ثروته التي كان قد جمعها من مناجم الذهب في نيوزيلندة حتى اضطر الى أن يفاوض

شركة استاندرد أويل الامريكية • الا أنه قبل أن تتم هـذه المفاوضات تدخلت الحكومة البريطانية معترضة على ادخال شركة أمريكية فيما زعمته منطقة نفوذ لها • وأوعزت الى شركة بورما ، وهي شركة بريطانية ، أن تتقدم لانقاذ دارسي • وبمساعدتها استطاع أن يستمر في أبحاثه حتى نجح وتفجر الزيت غزيرا من بئر في منطقة مسجدي سليمان سنة ١٩٠٨• وتكونت بعد ذلك شركة البترول الانجليزية ـ الفارسية ، وتنازل دراسي لها عن امتيازه في أرض فارس • كما تنازل لها أيضا عن كل الاعتبارات التي وصل اليها مع السلطات التركية متعلقة بزيت البترول في أراضي العراق • وكان رأسمال الشركة الجديدة مليوني جنيه استرليني ، وتمتلك شركة بورما القسم الأكبر من أسهمها • وقد تحدث مدير هذه الشركة البورمية بعد اشتراكها قائلا ، بأنه فضلا عن الأرباح التي ستجنيها شركته من أغنى حقول البترول في العالم ، فانها منعت هذه الموارد العظيمة من أن تقع في أيد غير بريطانية • وحدث الاستغلال الاقتصادي لهذه الحقول سريعا • ففي سنة ١٩١٢ تم مد خط للأنابيب يبلغ طوله نحو ٢٣٠ كم لنقل ٤٠٠ ألف طن سنويا من الزيت الخام(٤٠) الى عبدان ، حيث أعد في ١٩١٣ رصيف لشحن الزيت الخام في الناقلات ومصفى للتكرير(٤١) •

وزيت البترول معروف منذ أزمنة قديمة ، ولكن استخدامه الحديث يرجع الى أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر • وفي بادي الأمر ، كان استخدامه قاصرا على بعض النواحي كالاضاءة وعلاج بعض الأمراض ، ولهذا كانت التجارة القائمة عليه بسيطة • وقد استمرت كذلك حتى اكتشفت أهميته كمصدر للحرارة والقوة • ثم بلغت هذه الأهمية ذروتها في أوائل القرن العشرين على أثر اكتشاف محرك الاحتراق الداخلي وحلوله محل المحرك البخاري • وقد أصبح منذ ذلك الوقت الوقود المفضل للسيارات والسفن والطائرات وغيرها من الآلات • كما أصبح أيضا المادة الاستراتيجية الأولى من مواد الحرب وعاملا مهما من العوامل المؤثرة في السياسات الدولية •

وقد أدرك الانجليز هذه الاهميات الحديثة لزيت البترول منذ سنة ١٨٨٢ • فقد تنبأ أمير البحر فيشر بأن استخدام البترول مكان الفحم كوقود للسفن الحربية سيزيد في طاقتها كثيرا ، ويجعل في الامكان تزويدها به وهي في عرض البحر • وعدد له مزايا أخرى على الفحم • وشبه التطور الذي يحدث في النقل والمواصلات من استخدامه بدل الفحم بالتطور الذي حدث من استخدام البخار في تسيير السفن بدل الشراع • ومنذ سنة ١٩٠٤ بدأوا يجربون استخدامه • وفي سنة ١٩١٢ قررت البحرية البريطانية استخدام البترول بدل الفحم كوقود للاسطول • وفي

١٧ يوليـــو (تموز) سنة ١٩١٣ أوضـــح مستر تشرشل ، وكان وزيرا للحربيـــة ، في مجلس العموم السياسة الدائمة التي ستنتهجها الحكومة الانجليزية نحو تموين الاسطول البريطـاني بالبترول قائلا « ان البحرية يجب أن تكون المالكة الحرة والمنتجة للوقود السائل الذي تحتاج اليه . ويستلزم ذلك أولا بناء خزان بهذه الدولة لضمان سلامتنا في وقت الحرب، ولتمكيننا من التغلب على تقلبات الاسعار في وقت السلم . وثانيا أن تكون لنا سلطة المعاملة في الزيت الخام عند وصوله ، بمعنى أن تكون البحرية قادرة على أن تقوم بعمليات تصفيته وتكريره بالدرجة التي تتلاءم ومطالب الاسطول . وثالثا أن نكون المالكين . أو على الأقل المسيطرين على نسبة من موارد الزيت الخام الذي نحتاج اليـــه » . وقد اتبع هذا الايضـــاح بالمصادقة على الأموال اللازمة للاشتراك بحصة في شركة بورما ، وبعقـــد اتفاق طويل الأجل مع شـــركة البترول الانجليزية ـ الفارسية لتزويـد البحرية بالبترول اللازم لها(٤٢) .

ثم خطا تشرشل بعد ذلك خطوة جريئة نحو تحقيق هدفه . فقـد تشبه ، بدزرائيلي عندما اشترى في سنة ١٨٧٦ من اسمعيل أسهم مصـر في شركة قناة السويس دون أن ينتظر موافقة البرلمان الانجليزي ، ودفع ـ تشرشل ـ لشركة البترول الانجليزية الفارسية في مايو (مايس) سنة ١٩١٤ مبلغا قدره ٢٠٠ر٢٠٠ر٢ جنيه . وبذلك حصل للحكومة الانجليزية على ٥١٪ من أسهم هذه الشركة . ولما هاجمته المعارضة في البرلمان الانجليزي أجاب ببساطة ، لايبعد على القارىء معناها ، وهي أن أي مؤسسة لايمكن أن تكون تجارية وسياسية في وقت واحد ، وان هذه الصفقة قد عقدت لغرض سياسي بالغ الاهمية . واقتنعت المعارضة باهمية هذا الغرض ووافقت على مضاعفة المبلغ المشترك به في الشركة حتى ارتفع في خلال شهر واحد الى ٢٠٠ر٢٠٠ر٥ جنيه (٤٣) .

وهكذا أصبح للانجليز في بلاد فارس قبيل الحرب العـــالمية الاولى شركة كبرى للبترول تسيطر حكومتهم عليها سيطرة كاملة . فهي تمتلك ثلثي أسهمها بالشراء ، كما تمتلك الثلث الباقي عن طريق شركة بورما التي تخضع للاشراف المباشر للبحرية الانجليزية . كما أنها ، وان تركت ادارتها للخبراء ، فقد عينت في مجلس ادارتها ممثلين لها يكون لهم حق الفيتو في كل ما تصدره الشركة من قرارات ، وعلى الأخص في ما له ارتباط من ذلك بالقضايا التي تتعلق بسياسات الامبراطورية .

وتملك الانجليز لهذه الشركة التي ضمنت توفر البترول لاسطولهم في المحيط الهندي قد أضاف عنصراً مهماً الى مصالحهم في الخليج العربي ، وقوى من أطماعهم في أرض فارس ، كما قوى من أطماعهم أيضا في أرض العراق(٤٤) . وذلك لأن قسما من منطقة نفط خانة التي تضمنها الامتياز

الذي حصـــل عليه دارسي في سنة ١٩٠١ قد دخل في أرض العراق بعد تسويات الحدود • وقد اعترفت الحكومة التركية في بروتوكول القسطنطينية الخاص بهذه التسوية والذي وقع عليه في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٣ ، بحق الشركة الانجليزية ـ الفارسية في الاستمرار على استغلال البترول الذي يتضمنه هذا القسم وفقاً للشروط التي يتضمنها عقد امتياز دارسي• وكذلك لأن زيت البترول الذي تمتلكه هذه الشركة في أرض فارس يجاور أرض العراق ويمكن أن يكون عرضة لتهديد يأتيه منها ، كما يمكن تدمير منشآته في عبادان الواقعة على الضـــفة اليسرى لشط العرب ، من أرض العراق التي تواجهها على الضفة اليمنى لهذا الشط • ويمكن من هذه الضفة أيضا منع ناقلات البترول التي تغذي آلات الحرب الانجليزية وآلات السلم من الوصول الى منشآتها هذه ••

ملاحظة : ما بين قوسين ( ) هو رقم المرجع في قائمة المراجع الموجودة في آخر الكتاب •

١ ـ (١١٦) ص ٤٩ـ٥٠ • (١٦٨) ص ٧ـ٨ • (٧٦) ص ٤٠ـ٤١ ، ٤٥

٢ ـ (١٢٢) ص ٩٠ـ٩٢ • (١٦٨) ص ٧ـ٨ ، ١٤ • (١٥٥) ص ١٠٢ • (١٠٧) ص ٣١ وما بعدها • (١٩١) ص ١٧٩ ، ٢١٩ •

٣ ـ (٧٦) ص ٤٩ • (١٦٨) ص ٧ـ٨ ، ١٤ ، ١٦ • (١٥٥) ص ١٠٢ • (١٩١) ص ١٧٩ • (١٠٧) ص ٣١ وما بعدها • (٥٢) ص ٤٩ •

٤ ـ (١٦٠) ص ٢١٤ـ٢٢٠ ، ٢٩٨ـ٢٩٩ ، ٣٢٩ • (١١٩) ص ١٠ـ١١ ، ١٤ • (٥٢) ص ٢٦٥ • (٧٦) ص ٣٩ ، ٤٦ـ٤٨ • (١٢٣) ص ١٩٦ •

٥ ـ (١٦٨) ص ١٤ـ١٥ • (١٤٤) ص ٣٠ـ٣٤ • (٧٦) ص ١٧٩ (١٠٧) ص ٦٧ ، ٧١ ، ١٤٩ • (١١٦) ص ٥١ •

٦ ـ (٩١) ص ٣٢ـ٣٣ •

٧ ـ (١٦٢) ص ٣٨ـ٤٠ • (١١٩) ص ١٤ـ١٥ •

٨ ـ (١٣٦) ص ٨٥ـ٨٧ • (١٦٢) ص ٤٤ـ٤٥ • (٧٦) ص ٥٠ـ٥٢ • (١٢٣) ص ١١٧ •

٩ ـ (٧٦) ص ٣٨ـ٣٩ • (٩١) ص ٣٣ • (٨٤) ص ٣٨٨ •

١٠ـ (٥١) ص ١٥٧ـ١٥٨ • (١٢٣) ص ٦٢ ، ١٨٩ • (٦٤) الفصل الاول ، ص ١ وما بعدها•

١١ـ (١٢٣) ص ١٨٧ـ١٨٨ • (٥١) ص ١٦٠ ، (٧٦) ص ١٠ـ١١ •

١٢ـ (٧٦) ص ١١ـ١٢ ، ٤٤ ، ٦٤ـ٦٥ • (١٠٧) ص ٦٣ـ٦٥ • (٢٧) ص ٢٨ • (١٥٥) ص ٢٤٠ •

١٣ـ (٥٩) ص ٣٢ ، ٣٥ ، ٥٤ • (٧٦) ص ٢٩ •

١٤ـ (٧٦) ص ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٥ـ٣٦ ، ١٠٤ـ١٠٥ ، ١٣١ وما بعدها ، ٢٨١ • (١٠٧) ص٢٤١ (١٢٣) ص ١٩٦ • (٥٩) ص ٣٢ ، ٣٥ • (١٢٢) ص ٩٠ •

١٥ـ (١٦٢) ص ٣٧ـ٣٨ • (٧٦) ص ٣٧ •

١٦ـ (١٥٥) ص ٧٧ـ٧٨ • (٢٠٨) ص ٩٥٣ـ٩٥٩ • (٧٦) ص ١٧ـ٢٢ ، ٣٧ ، ٦٤ ، ١٠٠ـ ١٠٢ ، ١٥٨ ، ١٨٩ • (٥٩) ص ٣٨ وما بعدها ، ٥٤ • (١٦٢) ص ٣٧ـ٣٨ •

١٧ـ (٧٦) ص ١٢٥ـ١٢٧ ، ١٥٨ـ١٥٩ ، ٢٢٣ • (٢٧) ص ٣٦ •

١٨ـ (٧٦) ص ١٢٠ـ١٢٧ • وقارن (٢٧) ص ٣٤ •

١٩ـ (١٦٢) ص ٣٢ـ٣٦ ، ٤٩ ، ٢١١ · (٧٦) ص ٤٢ـ٤٣ ، ١٣٠ـ١٣١ ، ١٣٧ـ١٣٩ ، ١٨٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٠ـ٢٠١ ، (١٢٣) ص ١٢٧ ، ١٩٦ · (١٣٦) ص ١٦ · (٦٥ جـ١) ص ٦ · (٩٧) ص ٣٧٥ـ٣٧٦ ·

٢٠ـ (٧٦) ص ٣٢ـ٤٣ ، ١٢٧ـ١٢٨ ، ١٣٠ـ١٣١ ، ١٣٧ـ١٣٩ ، ١٧٩ · (١٦٢) ص ٣٣ـ٣٥ ، ٢١١ وما بعدها · (١٢٢) ص ٩٢ـ٩٣ ·

٢١ـ (٧٦) ص ٦٦ـ٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٠٣ـ٢٠٨ · (١١٦) ص ٥٠ـ٥١ ·

٢٢ـ (١١٦) ص ٣٩ـ٤١ · (٧٦) ص ٥٨ـ٦٢ ، ١٩٧ـ١٩٨ · (١٠٧) ص ٥٨ـ٦١ ، ٢٤٠ـ٢٤١ · (٩١) ص ٣٥ ·

٢٣ـ (٦٥ج٢) ص ٤٦٢ · (٢٠٣) ص ٢٥١ · (١٧١) ص ٢٠٩ (١١٦) ص ٤٠ والهامش · (٧٦) ص ١٩٨ · (٨٥) ص ٣٤ · (١٣٩) ص ٣٠٤ · (٢٧) ص ٤٠ ·

٢٤ـ (١٦٢) ص ٩٤ـ٩٧ · (١١٦) ص ٤٠ ، (٧٦) ص ١٩٦ ·

٢٥ـ (٧٦) ص ٦٦ـ٦٩ ، ٧٤ ، ١٥٤ ، ١٨٠ وما بعدها ، ٢٠٢ـ٢٠٣ · (١١٦) ص ٥١ـ٥٢ · (١٦٩) ص ١٠٧ · (٩١) ص ٣٣ ·

٢٦ـ (٨٤) ص ٣٨٨ـ٣٨٩ · (٧٦) ص ٢٠٢ـ٢٠٣ ، ٣١٨ـ٣٢٠ · (١٠٧) ص ١٤١ ، ١٧٧ـ١٧٩ · (١١٦) ص ٤٩ـ٥٠ · (١٦٨) ص ٢٤٩ ، (١٢١) ص ٩٣ـ٩٤ ·

٢٧ـ (١٤٤) ص ٣٤ · (٥١) ص ١٦٥ـ١٦٦ · (١٢٦) ص ٣٨٨ـ٣٨٩ · (١٦١) ص ١١٤ · وانظر أيضا توزيعات المعاهدة فى الخريطة المرفقة ·

٢٨ـ قارن (١٢٣) ص ١٨٦ ·

٢٩ـ (١٢٢) ص ٩٤ · وقارن (١٦١) ص ١١٤ ·

٣٠ـ انتقد كيرزون المعاهدة بقوله : ان وضع طريق التجارة بغداد ـ طهران في يد الروس قد جعل مركز بريطانيا فى الخليج غير مأمون · أما كتشنر ، وكان قائدا عاما فى الهند، فكان يرى أن الاسطول البريطانى يستطيع أن يقضى على النفوذ الروسى أو الالمانى اذا وصل الى الخليج · راجع أيضا (٥٠) ص ٢٨٠ ، (٥١) ص ١٦٧ ·

٣١ـ (٧٦) ص ٢٣٩ ـ ٢٤١ · (٥٩) ص ٤٩ وقارن (٥٠) ص ٢٠٠ ·

٣٢ـ (١١٦) ص ٤٧ـ٤٨ ، ٧٤ · (٩٩) ص ٧٧ · (١٦٢) ص ٢٠٧ـ٢٠٩ · وقارن (١٢٢) ص ٩٣ ·

٣٣ـ (١٢٢) ص ٩٣ـ٩٤ ، (١١٠) ص ٤١ـ٤٤ · (١١٦) ص ٢١ ، ٤٠ـ٤١ ، ٤٩ · (٢٠٣) ص ٢٥٩ · (٣٧) ص ٩٤ ·

٣٤ـ (١٦٢) ص ٧٨ـ٧٩ ، ٨١ـ٨٣ ، ٩٧ · (٧٦) ص ١٠٨ـ١٠٩ · (٥١) ص ١٩٢ · (٣٧) ص ٩١ـ٩٢ ·

٣٥ـ (٧٦) ص ١٩٨ ، ٢١٧ـ٢٢٥ ، ٢٢٦ـ٢٢٨ ، ٢٥٤ · (١١٦) ص ٥٤ـ٥٥ · (١٠٧) ص ٢٣٤ـ٢٤٠ ، ٢٤٢ · (١٢٢) ص ٩٥ ·

٣٦ـ (١١٦) ص ٢٢ ، ٥٧ـ٥٨ · (٣٣) ص ٩ ·

٣٧ـ (١٢٢) ص ٩٥ · (٧٦) ص ١٩٠ ، ٢٥٦ـ٢٥٧ · (١١٦) ص ٥٦ والهامش · (١٠٧) ص ٣٤٣ · (١٢٣) ص ١٢٨ ·

٣٨ـ (١١٥) ص ٥٧ـ٥٩ ، ٢٦١ـ٢٦٢ ·

٣٩ـ (١٠٤) ص ٢٠٦ـ٢٠٨ · (٢٠٣) ص ٢٥٨ · (٨٤) ص ٣٨٦ ، (١) ص ٧٣ · (٧٧) ص ٢٦٧ ·

٤٠ـ في ١٩١٤ كان الانتاج نحو ٢٧٠ الف طن · وبلغ عند نهاية الحرب نحو ٩٠٠ الف طن · راجع أيضا (٥٥) ص ٧٦ ·

٤١ـ (٢٠١) ص ٩ ٠ (٥١) ص ٢٢٤ـ٢٢٦ ٠ (٧٠) ص ٦٠ (١) ص ٧٧ ٠ (١٠٤) ص ٢٠٨ ٠ (٧٦) ص ٢٦٧ ٠

٤٢ـ (٨٦) ص ١٩٤ـ٢٠١ ٠ (٩٣) ص ١١٠ ٠ (٦٨) ص ٥ ، ١٨ وما بعدها ، (١٠٠) ص ١٤٦٦ ، ١٤٧٤ ـ ١٤٧٥ ٠

٤٣ـ (٢) ص ٨١ ٠ (٩١) ٣٦ ٠ (١٥٤) ص ١٣٠ ، (١٢٣) ص ١٧١ ـ ١٧٢ ٠ (٧٦) ص ٢٦١ ٠ (٨٣) ص ٤٦ ، (١٢٦) الملحق رقم ١ ٠ (٨٤) ص ٣٨٦ ٠

٤٤ـ (١٦٩) ص ١٦٨ـ١٦٩ ٠ وفي اتفاقية ١٨ آذار (مارس) ١٩١٥ التي عقدت بين بريطانيا وفرنسا وانضمت اليها روسيا وايطاليا ، حصلت بريطانيا على موافقة حلفائها على اطلاق يدها في منطقة الحياد التى كانت متروكة للشاه بموجب اتفاقية ١٩٠٧ ٠ راجع أيضا (٦٤) ص ٢٢ ٠ (١٩٥) ص ٨٤ـ٨٥ ٠

الفصل الخامس

الشرق الاوسط أثناء الحرب العالمية الاولى

الاتجاه نحو استعمار بعض اجزائه وتقسيم البعض الآخر الى مناطق نفـــوذ

رأينا في الفصل السابق من خلال تصريحات بعض الساسة الانجليز ، ومن خلال المساومات والمعاهدات التي أجروها وعقدوها مع الأتراك ومـــع الألمان ، أن أطماعهم في البلاد التركية كانت مركزة في القسم الجنوبي من العراق الذي يمتد من رأس الخليج العربي الى منطقة بغـــداد . لأن هـذا القسم فضلا عن أنه يكون هندا صغرى من ناحية ثرواته الطبيعية واحتمالاته الاقتصادية ، فأن لموقعه الجغرافي أهمية استراتيجية كبيرة كمـدخل الى الشرق الأوسط من جهة الخليج العربي والهند ، وكمحطة أمامية للـدفاع عنهما . فان من يتحكم فيه يتحكم فيمرور أي اتصالات قادمة نحوهما ـ سلمية كانت أم غير سلمية ـ من هضبة الأناضول ومن العالم السوري . كما يمكن أن نستنتج من نصوص معاهدة ١٥ يونيه (حزيران) سنة ١٩١٤ التي اعترفوا فيها بنفوذ الألمان في هضبة الأناضول وفي القسم الشمالي من العراق وكذلك في القسم الشـمالي من العـالم السوري ، بأنهم كانت لهم أطماع أخرى في الأجزاء الباقية من البلاد التركية ، وعـلى الأخص الأجزاء التـي تتضمن الآن شرق الأردن وفلسطين . لأنها تكون جزءا من طريق سهول الشرق الأوسط وتجعل حلقة الاتصال كاملة بين مصر وبين الهند .

وقبل اعلان الحـرب العـالمية الأولى ببضع سنوات قـامت بين المسؤولين من الانجليز رغبة قوية في ارسال حملة الى العراق لاحتـلال ولاية البصرة ، لوضع القائلين من الألمان ومن الأتراك بجعل نهاية خـط سكة حديد بغـداد عند رأس الخليج العربي أمـام الأمر الواقـع ، وكذلك لغرض حماية آبار الزيت ومنشآته في القسم الجنوبي المجـاور من أرض فارس . ولكن حكومة الهند كانت تعترض على ارسال حملة لهذا الغرض ، الا اذا كانت جزءا من خطة حربية عامة ضد الامبراطورية التركية . كما كانت هي وحكومة لندن تفضـلان الانتظـار بعض الوقت حتى تنجـح مساعيهما في تأليب العالم العربي ضد الأتراك[1] وتقوية النعرة القومية فيه ، كعمل ضروري لمقابلة الدعوة الى الجهاد التي قد يلجأ اليهـا الخليفة

في استانبول لدعوة العالم الاسلامي الى الوقوف بجانبه . وكانتا قد جندتا لهذه المساعي وكلاء من البريطانيين ومن غيرهم للعمل بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة على تأليب رعايا هذا الخليفة عليه ، باثارة بواعث الخلافات العنصرية فيهم ، وتنمية الأطماع السياسية وغيرها من الاطماع في نفوس زعمائهم(٢) . وقد أعطوا لهؤلاء الزعماء من العرب ، ومن الأرمن ، ومن اليهود ، ومن الآثوريين ، ومن الأكراد ، ومن غيرهم ، وعودا مختلفة ودون أن ينووا الوفاء بها(٣) .

وعندما أعلنت هذه الحرب عقب مقتل ولي عهد النمسا في سارايفو في ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩١٤ ، واشتركت فيها ألمانيا في جانب النمسا والمجر في الميدان الأوربي ، توفرت للانكليز الفرصة لتحقيق أطماعهم في البلاد التركية التي تتضمن طريق مواصلات الهند ، من محض أطماع الى حق الفتح . ونظرا لأنهم كانوا يسيطرون من مصر على مدخل هذا الطريق من جهة الغرب فانهم وجهوا نشاطهم نحو منفذه في العراق من جهة الشرق . ولما كانت مساعيهم الخاصة بافساد رعايا الخليفة عليه لم تكن قد نجحت نجاحا مضمونا ، كما أن الخليفة لم يكن قد أعلن دخول بلاده الحرب الى جانب المانيا ، فقد حرص الانجليز على أن لا يبدوا بمظهر المعتدى عليه ، حتى لا يثيروا ضدهم شعور جميع العالم الاسلامي بما فيه عشرات الملايين من المسلمين في الهند ، في الوقت الذي كانوا فيه آخذين بتسيير حملة على العراق .

فقبل أن تعلن تركيا الحرب على روسيا بنحو خمسين يوما أصدرت الأدميرالية البريطانية أمرها في ١٠ سبتمبر (أيلول) ١٩١٤ الى ثلاث سفن حربية بأن تقوم بحراسة شط العرب فيما بين الخليج العربي وبين المحمرة عند مصب نهر كارون فيه . وأن تحمى معامل تكرير البترول في عبادان . ثم أبحر سرا الى هناك الفيلق الأول من القوات الهندية في ١٦ اكتوبر (تشرين الأول) ، ووجهت الى قائده الجنرال ديلامين تعليمات محددة ، وهي :

١ ـ أن يحتل جزيرة عبادان للأغراض الآتية :(٤)

أ ـ حماية معامل تكرير البترول في عبادان ومنشآته الأخرى وخطوط أنابيبه .

ب ـ تغطية عمليات انزال الجنود ، اذا اقتضى الأمر ذلك .

ج ـ التأكيد للعرب المحليين وتطمينهم على مساعدة الانجليز لهم ضد الأتراك .

٢ ـ أن يتجنب ما يثير عداء الأتراك والعرب على السواء ، الا في حالة الضرورة القصوى .

وكان هذا مقدمة للعمليات الحربية الاخرى التي جرت على أرض

العراق . فلما هاجم الاسطول التركي مع بعض سفن ألمانية الاسطول الروسي في البحر الأسود في ٢٩ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٤ ، وأعلنت روسيا الحرب على تركيا ، أسرعت بريطانيا وأعلنت الحرب عليها أيضا . وفي صباح يوم ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) تقدمت السفن الحربية البريطانية من مدخل شط العرب وأخذت تقصف الساحل التركي . وفي اليوم التالي احتلت الفاو ثم تقدمت القوات الانجليزية الى البصرة واحتلتها في ٢٢ يونيه (حزيران) . وفي يوم ٩ ديسمبر (كانون الأول) كانت قد وصلت الى القرنة الواقعة عند ملتقى نهري دجلة والفرات وأحتلتها أيضا . والى هنا ، كان التقدم خطوة عملية أدت الى حماية منشآت البترول في عبادان وأمنت مركز بريطانيا في عالم الخليج العربي ، وبين العرب المحليين . كما كان في الوقت نفسه مرحلة استراتيجية . لأن هذا القسم المحتل من أرض العراق محمي بأهوار الحمار والحويزة . وهي نطاق واسع من البرك والمستنقعات ، يمتد بين صحراء بلاد العرب وبين سفوح هضبة ايران ، ويفصل بين هذا القسم المحتل وبين باقي أرض العراق . ونقطة الضعف في هذه المرحلة هي أنها لا تمكن الانجليز من حماية آبار زيت البترول في بلاد فارس التي كانت تقف محايدة في هذا الصراع . والمنطقة التي يمكن منها حماية هذه الآبار هي منطقة العمارة على نهر دجلة حيث تمكن السيطرة على هور الحويزة وعلى مداخلها من أرض العراق ، وعلى الأخص على المسلك المطروق خلاله والممتد على ضفاف جدول المشرح وعلى ضفاف الوادي الأدنى لنهر كرخة فيما بين مدينة العمارة وبين منطقة آبار البترول الفارسي .(٥) وبسبب ذلك صدرت الأوامر لقائد الحملة بالتقدم ووجهت اليه التعليمات الآتية :

١ ـ أن يكون قصد الحملة وهدفها هو المحافظة والسيطرة التامة وتوطيدها على الجزء الأدنى من العراق الذي تتضمنه ولاية البصرة ، وعلى جميع ما يتضمنها من طرق ومنافذ موصلة الى الخليج العربي . وأن يراعى مثل هذه الأهداف في أي جزء آخر يستولى عليه من الأراضي المجاورة ويكون ضروريا للعمليات الحربية .

٢ ـ وعليه ، دون اضرار بعملياته الرئيسية ، أن يبذل جهده في تأمين سلامة حقول البترول التابعة لشركة البترول الانجليزية ـ الفارسية وسلامة أنابيبه ومعامل تكريره .

٣ ـ وعليه بعد أن يتعرف على المنطقة وأحوالها أن يتقدم :

أ ـ بأفضل مشروع لادارة ولاية البصرة بواسطة قوات الاحتلال .

ب ـ بخطة عن التقدم التالي لذلك نحو بغداد .

٤ ـ عليه في كل عملياته الحربية والسياسية أن يراعي بكل استطاعته احترام حياد فارس(٦) .

وتقدمت الحملة واحتلت العمارة على دجلة في ٣ يونيو (حزيران) ١٩١٥ · كما احتلت الناصرية على الفرات في ٢٥ يوليو (تموز) من نفس السنة · وتم بذلك احتلال ولاية البصرة والسيطرة على منافذ العراق نحو الخليج العربي · كما تأمنت آبار البترول الفارسي والمنشآت الأخرى الخاصة به · وقد فشلت تبعا لذلك الحملة التي أرسلها الأتراك خلال هور الحويزة لتخريب هذه الآبار · (٧) ولكن تدخلت بعدئذ الأطماع الاستعمارية اضافة الى عوامل استراتيجية أخرى للسعي في فتح العراق ·

بعد وصول الانجليز الى العمارة تفتح أمامهم الطريق خلال سهل العراق الى بغداد · وفي الواقع ، أنه لم يكن في استطاعتهم التوقف عند هذا الحد : ففضلا عن كونهم يقفون في منطقة مكشوفة كانت خطوط تموينهم من الخليج العربي مهددة خلال مناطق الأهوار · وعرب هذه الأهوار قد أذاقوهم فعلا الويل خلال فترة هذه الحرب · في حين كانت خطوط تموين الأتراك سليمة · وبجانب هذه الناحية الاستراتيجية ، تدخل عامل آخر واشترك في حمل القيادة العامة على اصدار أمرها لقائد الحملة في العراق بأن يتقدم نحو الشمال الى بغداد · وذلك ، قبل أن تتوفر له فرصة التعرف على منطقته وتوطيد السيطرة الانجليزية عليها · وهذا العامل ، كان تقدم الروس خلال هضبة أرمينيا وظهور قواتهم في اقليم كردستان والقسم الغربي من فارس(٨) وما يتبع ذلك من احتمال تقدم هذه القوات خلال ممرات كردستان الى وادي دجلة ثم التقدم فيه الى بغداد ، أو عن طريق همدان وخانقين اليها ·

وتقدمت القوات الانجليزية · ولكن تقدمها في هذه المرة كان قاصرا على طريق وادي دجلة وحده دون طريق وادي الفرات · ويرجع السبب في ذلك على ما يبدو ا لىالرغبة في تحاشي الاشتباك مع قبائل وادي الفرات ، وهي قوية ومشهورة بشجاعتها ونضالها · وكذلك لأن طريق وادي دجلة هو أقصر طريق للاستيلاء على بغداد ، قبل أن تسبقهم القوات الروسية اليها · وكان الانجليز يرون أن في استيلائهم على بغداد نصرا يدوي لهم في أرجاء الشرق الأوسط ، ويقوي هيبتهم بين القبائل العربية · كما يقوي أيضا مركزهم في المفاوضات التي كانوا يجرونها مع شريف مكة لاحداث الثورة العربية · وفي ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩١٥ وصلت القوات الانجليزية الى مدينة الكوت واحتلتها · ثم واصلت زحفها الى سلمان باك ، وهي في موضع المدائن المعروفة أثناء الفتح الاسلامي لبلاد فارس ، وتقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة ، وعلى مسافة نحو ٣٠ ك٠م٠ من بغداد · وهناك استبسلت القوات التركية المدافعة ، وردت القوات الانجليزية وتعقبتها حتى مدينة الكوت في ٣ من ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٥ · ثم حاصرتها فيها نحو خمسة أشهر · وفي يوم ٢٩ أبريل (نيسان) ١٩١٦

استسلم القائد الانجليزي واستسلم معه من بقي من قواته وعددهم ١٣٣٠٩ جندي بضباطهم .. (٩)

ومن الغريب أنه لم تكد تمضي نحو عشرة أيام على هذه الهزيمة المنكرة التي أصابتهم في الكوت حتى اتفقوا مع الفرنسيين سرا على أن يعين كل منهما مندوبا لاعداد نصوص اتفاقية سايكس ـ بيكو المعروفة(١٠) . وهي معاهدة سرية(١١) حددت فيها بين انجلترا وبين فرنسا مناطق التملك والنفوذ السياسي والاقتصادي من أسلاب الامبراطورية التركية . ومن الغريب أيضا أنهم كانوا في نفس الوقت يفاوضون سرا شريف مكة(١٢) على أساس آخر يتعارض كثيرا مع ما ورد في نصوص هذه المعاهدة . ومن الغريب كذلك أنهم في نفس الوقت الذي يفاوضون فيه أمير الحجاز عن طريق المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، كانوا يفاوضون عن طريق حكومة الهند منافسه الخطر الأمير ابن سعود ، دون أن يدري أحدهما شيئا مما يجري مع الآخر . وأكثر من ذلك ، أنهم قد وعدوا كلا منهما وعودا تتضارب مع الوعود التي أعطوها للآخر ، الأمر الذي كان لابد أن يترتب عليه قيام الصراع العنيف الذي جرى بينهما فيما بعد(١٣) كما أنهم كانوا يتفاوضون مع اليهود أيضا على فلسطين . ولعل دهشة الانجليز كانت بالغة لاخلاص العرب ووفائهم لتعهداتهم عندما وجدوا أنهم لم يتخلوا عنهم في وقت محنتهم بعد هزيمتهم المنكرة في الكوت والتي كانت ضربة قاصمة لهيبتهم في الشرق . فان الأمير في مكة والأمير في الرياض قد استمرا بالرغم من ذلك في مفاوضاتهما معهم وربط مصيرهما ومصير العرب معهما بمصيرهم .

ومع ذلك فقد بدا من سير الحوادث أن الانجليز لم يقصدوا الوفاء بتعهداتهم التي اتفقوا عليها ، لا مع الفرنسيين في معاهدة سايكس ـ بيكو ، ولا مع الشريف حسين (في مذكراته مع مكماهون) . وأن الظروف الحربية الدقيقة التي كانت تكتنفهم في ذلك الوقت قد أملت عليهم أن يضربوا بمقومات الخلق عرض الحائط .(١٤) وان يخدعوا من جهة شريف مكة ليساعدهم على اشعال نيران الثورة بين العرب وهم من رعايا السلطان ، وان يخدعوا من جهة أخرى أصدقاءهم وحلفاءهم ليحمسوهم في ميدان الشرق الأوسط وليدفعوهم الى القيام بعمل جدي فيه . اذ كانت أمورهم تجري سيئة في الميدان الغربي ، وكان مركز قواتهم في الدردنيل مشكوكا فيه . كما كان وصول الألمان الى منطقة المضايق قد أصبح وشيكا . (١٥)

والهزائم المنكرة التي أصابتهم في الكوت ، وفي الدردنيل ، وفشل القوات الروسية في التقدم في القسم الشرقي من هضبة الأناضول ، بالاضافة الى استعداد جيش تركي للقيام بهجوم على قناة السويس ، قد

حملت رئيس أركان حرب الامبراطورية على أن يبرق الى القائد الجديد لحملة العراق ، بأنه لا يمكن في الوقت الحاضر التفكير في زحف جديد . ومع ذلك فان هذا الزحف لم يلبث أن أمر به في فبراير (شباط) سنة ١٩١٧ . وكان ذلك بعد أن قوى الحلفاء معنوياتهم بعقد اتفاقات أخرى بينهم ، وكذلك بعد أن نالوا نصرا في بعض المواقع . وأهم من ذلك عندما تبين للانجليز أن الروس يحشدون قوات كبيرة تحت قيادة قائدين من قواتهم للاستيلاء على المقاطعات التركية التي أعطتهم اياها معاهدة (سازونوف ـ باليولوج) ، وان هناك احتمالا بتقدم قوات الجنرال باراتوف نحو بغداد من كارند ، ومن أورمية في الوقت نفسه ، عن طريق راوندوز . فقد وصلت برقية الى الجنرال مود القائد الانجليزي الجديد لحملة العراق ورد فيها ، أنه مع وجوب مراعاته لسلامة قواته وامكانية مواصلاته ، فان الحكومة البريطانية راغبة في الاستيلاء على بغداد وعلى فرض نفوذ قوي عليها . وقد قام هذا القائد بالزحف ونجح فيه واستولى على بغداد في ١١ مارس (آذار) ١٩١٧ . (١٦)

والانجليز باستيلائهم على ولايتي البصرة وبغداد ، قد استولوا فعلا على نصيبهم من الغنيمة التركية ، كما تنص المادة الثانية من اتفاقية سايكس ـ بيكو . أما ولاية الموصل وباقي الأراضي السورية ، باستثناء المناطق الساحلية منها ، فقد نص في هذه المعاهدة على أن تترك لتقوم فيها دولة عربية ، أو اتحاد من دول عربية ، على أن يخضع القسم الشرقي منه للنفوذ الانجليزي في العراق ويخضع القسم الغربي للنفوذ الفرنسي على الساحل السوري . ولهذا كانت التعليمات الصادرة الى قائد جيش الاحتلال في بغداد غير قاطعة . فقد طلب اليه ان يستغل مركزه وتفوق خطوط مواصلاته على خطوط مواصلات عدوه ليجعل موقعه أقصى مايستطيع من الامكانية ، ولكي يستطيع أن يضرب العدو منه اذا سنحت له الفرصة . (١٧) وبسبب ذلك بقيت قوات الاحتلال معسكرة في منطقة بغداد أكثر من سنة . وفي خلالها خرجت روسيا من الحرب ولم يعد يخشى خطر منها على ولاية الموصل . ولكنه عندما تحطمت الجبهة التركية ـ الألمانية في جنوب شرق أوربا ، وأخذت قوات اللنبي القادمة من سينا تتقدم من نصر الى نصر في فلسطين وسوريا ، وبدا احتمال طلب تركيا الهدنة وشيك الوقوع ، صدرت الأوامر الى قوات الاحتلال بالزحف شمالا . وعندما وقعت هدنة مدروس التي أنهت الحرب مع تركيا في ٣٠ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٨ ، كانت القوات الانجليزية لا تزال على مسافة تبلغ نحو ٤٨ ك٠م من الموصل . ولكن زحفها مع ذلك لم يتوقف الا بعد أن استولت على هذه المدينة في ٧ نوفمبر (تشرين الثاني) . (١٩) ومما هو جدير بالذكر ، أن المنطقة التي خالف الانجليز لأجلها شروط

الهدنة لا تدخل ضمن منطقة نفوذهم ، وانما تدخل ضمن منطقة النفوذ الفرنسي بحسب مقررات اتفاقية سايكس ـ بيكو .

وهذه الاتفاقية ، بجانب اتفاقية الشريف حسين ـ مكماهون كانت واحدة من بين عدد آخر من الاتفاقيات السرية عقدت أثناء الحرب لتقسيم أملاك الدولة التركية . ووقع الحلفاء مجتمعين بعض هذه الاتفاقيات ، ووقع الفريق الآخر منها بشكل ثنائي بين دولتين أو أكثر من دولتين . ومن هذه الاتفاقيات : (١٩)

١ ـ الاتفاقية الانجليزية ـ الفرنسية ـ الروسية في ١٨ مارت (مارس) ١٩١٥ . وقد عقدت بين انجلترا وفرنسا من جهة وبين روسيا من جهة أخرى . وفيها أعطيت روسيا استانبول وشواطيء البسفور والشواطيء الأوربية لبحر مرمرة وللدردنيل ، على أن يكون ميناء استانبول حرا أمام سفن الحلفاء . وحصلت بريطانيا على موافقة روسيا على أن تضم الى منطقة نفوذها في فارس ، كما حددتها اتفاقية ١٩٠٧ المعقودة بينهما ، المنطقة المحايدة (المنطقة المتروكة للشاه) التي تتضمن مصالحها البترولية . وفيها اتفق ايضا على نزع الأماكن المقدسة (في فلسطين) ووضعها تحت رعاية حاكم مسلم مستقل .

٢ ـ معاهدة لندن المعقودة في أبريل (نيسان) سنة ١٩١٥ . عقدت هذه الاتفاقية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا وايطاليا وبموجبها دخلت ايطاليا الحرب بجانب الحلفاء . وفيها اعترف بمبدأ التوازن السياسي في البحر المتوسط ، وأعطيت ايطاليا قسما من اقليم البحر المتوسط حول أضاليا ، كما أعطيت سلطة كاملة على جزر الدوديكانيز .

٣ ـ اتفاقية سازونوف ـ باليولوج . وقد عقدت في ٢٦ ابريل (نيسان) ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لتخطيط الحدود بين نصيب كل منهم من أراضي الامبراطورية التركية في آسيا الصغرى . وفيها أخذت روسيا ولايات طرابزون وأرضروم ووان وبتليس ، وأخذت فرنسا منطقة تساوي تقريبا ما أخذته روسيا وتقع في جنوبها وفي جنوبها الغربي .

٤ ـ اتفاقية سان جان دى موريين المعقودة في ١٧ أغسطس (آب) ١٩١٧ . وقد عقدت استجابة لازالة شكوك ايطاليا حول نصوص اتفاقية سايكس ـ بيكو التي لم تدع للتوقيع عليها . وفيها أكد لايطاليا حقها في القسم الجنوبي الغربي من الأناضول الذي أصبح يتضمن ولايتي قونية وأزمير بجانب ولاية اضاليا .(٢٠)

أما اتفاقية سايكس ـ بيكو ، التي تعتبر الأداة التي استخدمها الاستعمار لتمزيق وحدة الأراضي العربية في الشرق الأوسط ، والتي لا يزال العرب يكابدون ما يكابدون من آثارها فانها تتضمن منطقة واسعة

من الأراضي العربية تشمل ما يكون الآن العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن بجانب ولايتي أضنة وديار بكر وقسم آخر من هضبة الأناضول يمتد نحو الشمال الى سيواس . وقد قسمت هذه المنطقة الكبيرة ، باستثناء المنطقة التي أعطيت لروسيا في أرمينيا وقسم من كردستان ، الى اربع مناطق صغيرة نسبيا ، وهي :

(١) قسم يتضمن فلسطين جنوب خط حيفا ـ طبرية . وقد اتفق على أن تكون ادارته دولية بشكل ما يتفق عليه فيما بعد ، بعد استشارة روسيا وغيرها من الحلفاء ومن بينهم شريف مكة .

(٢) قسم يتضمن ولايتي البصرة وبغداد ، ويشمل أراضي سهل العراق فيما بين تكريت على دجلة وبين الخليج العربي . وقد أعطي لبريطانيا حق مطلق تتصرف في ادارته كما تشاء .

(٣) قسم يتضمن الأجزاء الساحلية من سوريا ولبنان(٢١) . ويمتد من عكا نحو الشمال حتى يلتقي بحدود المنطقة الروسية . ويتكون من سهول كيليكية (سهل أضنة) ومن مثلث يتعمق رأسه في داخل الأناضول ، شمال سيواس ، وتمتد قاعدته شرقا من سهول كيليكية الى مصب الخابور في دجلة تقريبا . كما يشمل منطقة تقع في شمال هذه القاعدة ، فيما بين سيواس وبين ديار بكر . وقد أعطى لفرنسا حق مطلق في أن تتصرف في ادارته كما تشاء . الا أن الانجليز قد احتفظوا لأنفسهم فيه بحقوق منها أن يكون ميناء الاسكندرونة حرا بالنسبة لتجارة الامبراطورية البريطانية . ومنها أن تكون لهم حقوق في نقل تجارتهم على خطوط السكك الحديدية الممتدة خلال منطقة النفوذ الفرنسي . ويرجع سبب اهتمام الانجليز بميناء الاسكندرونة الى أنه ميناء جيد ويواجه قاعدتهم العسكرية في قبرص . وفضلا عن ذلك فهو ميناء التجارة والاتصالات المنقولة في طريق وادي دجلة ـ حلب . وسنرى أنهم قد احتفظوا لأنفسهم أيضا بحقوق مماثلة في خليج عكا . لأنه ، بجانب أهميته كقاعدة بحرية ، يعتبر النهاية الطبيعية للتجارة والاتصالات المنقولة في طريق وادي الفرات ـ دمشق .

(٤) قسم يتضمن باقي الأراضي العربية التي تشملها هذه الاتفاقية . وهو يقع شمال الحجاز ونجد ، ويمتد بين القسم الانجليزي في العراق ، وبين القسم الفرنسي على الساحل السوري ، وبين القسم الدولي في فلسطين الى حدود مصر عند رأس خليج العقبة . وقد اتفق على أن تقوم فيه حكومة عربية مستقلة أو اتحاد من حكومات عربية ، تحت رئاسة حاكم عربي . وحتى هذا القسم الفقير لم يترك له استقلاله كاملا ، فقد قسم بدوره الى قسمين .

أ ـ قسم منه يقع في شرق المنطقة الفرنسية ويمتد الى الحدود

الفارسية ، وجنوب المنطقة التي استولت عليها روسيا في القسم الشرقي من هضبة الأناضول بموجب اتفاقية سازونوف ـ باليولوج · ويتضمن ولايات حلب ودمشق ودير الزور والموصل · وقد أعطيت لفرنسا فيه حقوق خاصة · منها أفضليتها في المشاريع الاقتصادية ، وفي تقديم رؤوس الأموال ، والقروض اللازمة له · ومنها أيضا ، أن فرنسا وحدها تكون صاحبة الحق في تقديم ما يحتاج اليه من الموظفين والخبراء وغيرهم من المستشارين ·

ب ـ أما القسم الآخر فيقع في شرق ذلك القسم ، ويجاور المنطقة الانكليزية في العراق ويمتد من فلسطين الى حدود فارس · وقد أعطي لانكلترا بنفس الحقوق التي أعطي بها لفرنسا في القسم لآخر ·

والباحث في هذه الاتفاقية (٢٢) له الحق في أن يضحك قليلا ، وشر البلية ما يضحك (٢٣) · لا لأن الوعود التي أعطيت للعرب قد أنكرت ، ولا لأن هذه الدولة المزعومة التي تتضمن أفقر أراضي البلاد العربية في العراق وفي سوريا وأقلها سكانا ، فقد خططت كطائر منتوف الريش وموضوع في قفص لا مخرج له منه ، وانما يضحك لأن عقله لا يستطيع أن يوفق بين الاستقلال المفروض للدولة العربية وبين القيود المجحفة المفروضة على حريتها واستقلالها · وعلى افتراض قيام هذه الدولة بهذا الشكل من الاستقلال المهيض فكيف يمكنها التوفيق بين حقوق الانجليز المفروضة عليها في قسم منها ، وبين حقوق الفرنسيين المفروضة عليها في القسم الآخر ، وكلا القسمين جزء من كل من النواحي الطبيعية والاقتصادية والبشرية ؟ بل كيف يمكن للانجليز أنفسهم والفرنسيين ، أن يتفقوا فيما بينهم على اقتسام هذه الحقوق ؟ ومن حق الباحث في هذه الاتفاقية أيضا أن يحكم بغباء الذين قاموا بهذا التقسيم ، أو بأنهم قد اصطنعوا الغباء ، أو بأن كلا منهم كان يخدع الآخر في حقيقة أطماعه · وليس بعيد الاحتمال أن كلا منهم كان يعرف أن ما يقوله لا يمكن تحقيقه عمليا ، وأنه قد يؤدي في النهاية الى ضم القسم الأول الى المنطقة الفرنسية على الساحل السوري ، وضم القسم الآخر الى المنطقة الانكليزية في العراق ، وهذا ما قد حدث ·

والوضع الدولي الذي قررته الاتفاقية لفلسطين يبدو غريبا أيضا · ولكن الباحث يستطيع أن يدرك أن تضارب الأطماع الاستعمارية هو الذي فرضه عليها · فان فرنسا طالبت بضمها الى منطقتها في سوريا ولبنان ، وأشارت الى الثقافة الفرنسية السائدة فيها · كما أشارت الى مملكة الفرنجة التي قامت في القدس ، والى مؤتمر برلين الذي اعترف لها بحق حماية العالم المسيحي في بلاد الامبراطورية التركية · وروسيا طالبت أيضا بها ، وأشارت الى معاهدة كوتشك كينارجى وحقها في حماية

المسيحيين الأرثوذكس في العالم التركي . والانجليز بلا شك قد طالبوا بفلسطين أيضا . لأنها تكون حلقة الاتصال بين آسيا وبين أفريقية ، وتكون جزءا من المعبر البري الواقع بين وادي النيل وبين وادي الفرات . كما أنها تجاور قناة السويس ، وتكون قاعدة أمامية للدفاع عنها وعن مصر ، وعلى الأخص بعد أن ثبت لهم عمليا في سنة ١٩١٥ بأن صحراء سينا ليست مانعا يحول دون تهديدها بالغزو من جانب فلسطين . وفضلا عن ذلك فانها تتضمن خليج عكا ، وهو محمى وعميق ، ويصلح أن يكون قاعدة بحرية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط لقسم من اسطولهم في هذا البحر . ومما هو جدير بالملاحظة ان هذا الخليج هو المكان الوحيد الباقي على الساحل السوري الذي يصلح لأن يكون منفذا لسير اتصالاتهم خلال منطقتي نفوذهم بين البحر المتوسط وبين الخليج العربي . (٢٤) ولعل الانكليز كانوا كذلك طامعين في ثرواتها المحتملة من البترول وغيره من المعادن . وهي ثروات قد سعت من أجلها شركة أمريكية لدى الحكومة التركية وحصلت منها على امتياز لاستغلالها في سنة ١٩١٤ . فقد لوحظ أن الانكليز في بدء احتلالهم لفلسطين وقبل أن ينالوا الانتداب عليها كانوا يضيقون على هذه الشركة وينكرون شرعية امتيازها . ولعلهم أيضا كانوا مدركين أن من يسيطر على فلسطين ويضع الأماكن المقدسة فيها تحت اشرافه يتمتع بمنزلة خاصة بين شعوب العالم التي تدين بالاسلام أو بالمسيحية أو باليهودية على السواء . كما كانوا أيضا مدركين ان سيطرة روسيا أو فرنسا عليها يكون تهديدا خطيرا لمصالحهم في مصر .

ولا شك في أن الوضع الدولي لفلسطين سيحرم الانجليز من الانتفاع التام بهذه المزايا . كما أنه سوف يحرمهم من السيطرة التامة على طريق الاتصالات بين خليج عكا وبين الخليج العربي ، ومن الربط بين مصالحهم التي أقاموها في عالم هذا الخليج وفي العراق من جهة وبين مصر من جهة أخرى . وكذلك يؤدي الى اضعاف امكانياتهم في السيطرة على هذه الجهات ، وفي ارهاب فارس ، وفي الدفاع عن الهند(٢٥) . والانكليز ماكرون . فهم وان وافقوا على هذا الوضع مرغمين ، فانهم قد بيتوا لانفسهم الأمر في فلسطين ودقوا فيها اسفينين . أحدهما دقوه بين نصوص اتفاقية سايكس ـ بيكو . وقد نالوا من ورائه حقوقا خاصة في خليج عكا ، وفي مد خط حديدي خاص بهم في انشائه ، وفي ادارته ، وفي ملكيته ، ويبدأ من ميناء حيفا ممتدا خلال أرض فلسطين الى منطقة نفوذهم في الدولة العربية المزعومة وفي العراق الى الخليج العربي . أما الاسفين الآخر ، فقد دقه بلفور بتصريحه المشؤوم في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ . وكان قصد الانجليز من ورائه مضاعفا . فلقد قصدوا

كسب تأييد اليهودية العالمية لهم في أطماعهم المتعلقة بفلسطين ضد اطماع فرنسا فيها بعد ان خرجت روسيا ، وتحويل ولاء من يوالي المحور من اليهود الى الحلفاء . وقصدوا أن يخلقوا في فلسطين شعبا آخر يدين لهم بالولاء ويربط مصالحه بمصالحهم . كما قصدوا أيضا أن يبدوا أنفسهم أمام العالم بصفة عامة ، وأمام العرب والفرنسيين بصفة خاصة ، بأنهم ملزمون بتنفيذ ما تضمنه التصريح من تعهدات لليهود ومن تعهدات أخرى للعرب . (٢٦) وضمانا لتحقيق هذه المقاصد ، عملوا على أن يتضمن صك الانتداب مسؤولية بريطانيا في تهيئة الظروف الملائمة من النواحي السياسية والاقتصادية والادارية لاقامة الوطن القومي لليهود (المادة الثانية) .

والحقوق الخاصة التي اكتسبها الانكليز في فلسطين ، والتعقيد الذي وضعوه أمام ادارتها ، وأمام مستقبلها ، بسبب ذلك التصريح قد زهد فيها – بعض الشيء – الدول الاستعمارية الأخرى الطامعة فيها ، بينما سهل لهم تحقيق أطماعهم فيها . وهم لم يتوانوا عن تعقب أثر ذلك الاسفين الأخير في عصبة الأمم . فقبل أن يبت في أمر الانتداب ، تقدم بلفور في اجتماع مجلس العصبة الذي عقد في ١١ مايو (مايس) ١٩٢٢ برجاء حار ، وهو أن يضم المجلس الى جدول أعماله مسألة الموافقة على نصوص الانتداب البريطاني في فلسطين . وأشار الى أنه بالرغم من أن هذا الانتداب لا يأخذ صفته الشرعية الا بعد التصديق على معاهدة سيفر ، الا أن حكومة جلالة الملك البريطاني تعتقد أن تصديق المجلس على انتدابها على فلسطين سيكون ذا أثر فعال في ادارتها . وأكد ان المهمة التي تقوم بها الحكومة البريطانية في فلسطين ليست سهلة ، وأن الأمور هناك تزداد صعوبة وتعقيدا(٢٧) . وقد استجاب المجلس فصادق في يوليو (تموز) من نفس السنة على هذا الانتداب ..

ومن دراسة خرائط التوزيعات الاقليمية التي تضمنتها الاتفاقيات السرية التي عقدت أثناء الحرب لغرض تقسيم أراضي الدولة العثمانية بعد هزيمتها ، يلاحظ أن الانكليز قد حققوا لدرجة كبيرة أطماعهم في الشرق الأوسط . وهي الأطماع التي كانوا يسعون الى تحقيقها منذ أن تكونت لهم امبراطورية في الهند واستقرت أمورهم في استراليا ونيوزيلنده . فأطماعهم في سهل العراق قد تحققت وأصبح العراق هندا أخرى لمآربهم الاقتصادية . ومنه أمنوا مصالحهم في بترول فارس ، وحققوا أحلامهم في جعل الخليج العربي بحيرة هندية . وبالاضافة الى ذلك سيطروا على مداخله من جهة الشرق ومن جهة الغرب حتى الهند . وهم فيه ، وفي منطقة نفوذهم في الدولة العربية المزعومة ، وبحقوقهم الخاصة في خليج عكا ، وفي مد خط حديدي من هذا الخليج الى الخليج

العربي ، قد حققوا لأنفسهم دون منازع مواصلات سريعة الى الهند · وعلى الأخص بعد أن دخلت السيارات والطائرات بجانب القطارات ميدان النقل والمواصلات · وهم أيضا بفرضهم الحماية على مصر قد فرضوا ضمنا حمايتهم على قناة السويس · وهم بهذه الحماية وبامتدادها الى السودان ، وبسيطرتهم على جزيرة ميون (بريم) ، وعلى عدن ، وعلى قسم من بلاد الصومال ، وعلى جزيرة سقطرى ، وبما ورد في المادة العاشرة من اتفاقية سايكس ـ بيكو خاصا بالبحر الأحمر ، قد جعلوا من هذا البحر بحيرة انجليزية أخرى ، وسيطروا على طريقه سيطرة تامة فيما بين البحر المتوسط وبين المحيط الهندي · وهم فضلا عما تقدم ، قد وفقوا في دفع روسيا نحو الشمال ، بعيدا عن سهول الشرق الأوسط ، الى القسم الشرقي من هضبة الأناضول وأوصلوها بمنطقة نفوذها في القسم الشمالي من بلاد فارس · ونجحوا في جعل فرنسا تقف في منطقة نفوذها في الدولة العربية المزعومة مصدا يحول بينهم وبين روسيا في أرمينية وكردستان · كما نجحوا أيضا في جعل فرنسا في منطقتها عند رأس خليج الاسكندرونة وعلى الساحل السوري ، وايطاليا في القسمين الجنوبي والجنوب الغربي من هضبة الأناضول مصدات أخرى في وجه التيارات المعادية المحتمل هبوبها من جهة روسيا ، بعد استيلائها على استانبول وسيطرتها على المضايق · (٢٨)

ومع ذلك فان هذا البناء الاستراتيجي الشامخ الذي صممته عقلية استعمارية جبارة ، قد أصيب بهزات عنيفة جديرة بأن تقوضه من أساسه · وذلك بقيام الثورة البلشفية في روسيا وخروجها من الحرب في مارس (آذار) ١٩١٧ ، واعلان العهد الجديد فيها نقضه لمعاهدات الحرب ، وتنازله عن جميع الحقوق التي كانت مقررة لروسيا فيها · وبعد أن تدخل ويلسون ، الرئيس الأمريكي ، وفرض على الحلفاء قبول مبدأ تقرير المصير لجميع القوميات غير التركية التي كانت خاضعة للحكم التركي · وبعد أن تقرر وضع جميع الأراضي المنسلخة من تركيا تحت نظام دولي جديد عرف باسم نظام الانتداب ، وهو وصاية مؤقتة ومقيدة بشروط ، كما جاء بنص المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم · (٢٩) وكذلك بعد أن نهضت تركيا الحديثة سريعا تحت قيادة مصطفى كمال ومحت من خريطتها كل التخطيطات الاستعمارية التي رسمت عليها ·

ولكن ، أيترك الانكليز بناءهم ينهار ، ويستسلمون للأمر الواقع الذي يفرضه العدل والخلق الطيب والقانون الدولي ؟ كلا ، فانهم لا يعرفون الاستسلام الا للقوة ، وبعد أن يلعبوا بآخر ورقة معهم · وفي أيديهم لا تزال بعض أوراق للعب بها أهمها ورقة القوة · فقد كانت

جنودهم تنتشر في كل جهات الشرق الأوسط ، كما كانت سفنهم الحربية تسيطر على مياهه ، كذلك كانت قواتهم في البحر الأسود وفي القوقاز تساعد قوات روسيا البيضاء ضد القوات الشيوعية (٣٠) . أما الأوراق الأخرى فهي أوراق الخداع والمساومة .

ملاحظة : مابين قوسين ( ) هو رقم المرجع في قائمة المراجع الموجودة في آخرالكتاب .

١ ـ كان كتشنر وكثير غيره من قادة الانجليز وساستهم يعتقدون أن قيام ثورة عربية ضد تركيا سوف يساعد بريطانيا أثناء حربها مع ألمانيا على هزيمة حليفتها تركيا .

٢ ـ كان الزعيم العربي الذي اختارته حكومة لندن هو الامير حسين في الحجاز . بينما اختارت حكومة بمباي الامير عبدالعزيز بن سعود .

٣ ـ (٢٠١) ص ٧ـ٩ ، ١٤ـ١٧ ، ٣٠ـ٣١ ، ١٦٠ ، ٣١٤ـ٣١٩ (الملحق ٩) . (٧٦) ص٢٨٢ـ٢٨٤ . (٩١) ص ٣٦ـ٣٨ . (١٢٣) ص ١٩٩ . (١٤١) ص ٧٧ . (١١٥) ص ٢١ وما بعدها . (١٥٣) ص ٧٠ـ٧٢ . (٢١) ص ٢٣ وما بعدها . (١٢٢) ص ٩٦ـ٩٧ .

٤ ـ (٢٠١) ص ٧ـ٨ . (٧٦) ص ٢٨٢ـ٢٨٤ . (١٥٣) ص ١٧٥ـ١٨١ ، ١٣٣ـ١٣٤ . (٩١) ص ٣٧ . (٨٠) ص ١٥ .

٥ ـ (٥٣) ص ١٥ . (١١٦) ص ٦٣ـ٦٥ .

٦ ـ (٥٣) ص ١٢ . (١٥٣) ص ١٩٤ . (٧٦) ص ٢٨٦ .

٧ ـ (١٦٢) ص ١٢١ . (٢٠٥) ص ٩٤ . (٧٦) ص ٢٨٦ . (٥٣) ص ١٤ـ١٥ .

٨ ـ (٨٠) ص ٣٤ . (٢٠١) ص ٢١٦ . (٩٤) ص ١٢٧ـ١٤٥ .

٩ ـ (١٥٣) ص ٤٥٧ . (٩١) ص ٤٠ـ٤١ ، ٤٢ . (٨٠) ص ٣٤ . (٢٠١) ص ١٣ ، ٢٤. (٧٦) ص ٢٨٦ـ٢٩٠ ، ٢٩٣ . (١٦٢) ص ١٠٧ وما بعدها . (١٢٥) ص ٧ ، ٢٧٥ـ٢٠٦. (٥٦) ص ٣ . (٦٤) ص ٣٣ـ٤٤ . (٨٧) ص ٦٦ . (٩٥) ص ٣١٠ـ٣١٥ .

١٠ـ في شهر ديسمبر (كانون الاول) نفسه بدأت مفاوضات اتفاقية سايكس ـ بيكو ، بين مارك سايكس مندوبا عن بريطانيا وبين جورج بيكو مندوبا عن فرنسا لتقسيم أسلاب الامبراطورية العثمانية بعد هزيمتها . وفي مارس (آذار) ١٩١٦ سافر المندوبان الى بتروجراد للحصول على موافقة روسيا على هذا التقسيم . وفي ١٦ مايو (أيار) تم التوقيع على الاتفاقية . وترى بعض المصادر أن فرنسا كانت تنظر بعين الشك الى المفاوضات التي تجريها بريطانيا مع بعض الزعماء العرب لقيام الثورة العربية . وان بريطانيا ـ ازالة لهذا الشك ـ اتفقت معها على عقد اتفاقية سايكس ـ بيكو حتى تؤكد لها أن تلك المفاوضات لاتضر بمصالحها واطماعها في الشرق الاوسط .

١١ـ بقيت اتفاقية سايكس ـ بيكو سرا حتى كشف الروس عنها بعد قيام الثورة الشيوعية . وقبل ذلك ، لم يكن أحد من العرب يعرف عنها شيئا .

١٢ـ جرت المفاوضات بين الشريف حسين وبين وزارة الخارجية البريطانية بواسطة هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في القاهرة وتبودلت بينهما بشأنها ثمان رسائل فيما بين تموز (يوليو) ١٩١٥ وبين كانون الثاني (يناير) ١٩١٦ . وفيها وعدت بريطانيا أن تساعد العرب بعد نهاية الحرب على اقامة دولة عربية مستقلة تتمشى حدودها الشمالية مع دائرة عرض ٣٧° شمالا . وتمتد حدودها الشرقية مع حدود فارس والخليج العربي . وتمتد جنوبا الى المحيط الهندي باستثناء عدن . وتمتد غربا مع البحر الاحمر ومع البحر المتوسط ، باستثناء لبنان . ومما يستدعي الأسف أن مادة هذه الرسائل لم تصغ في شكل وثيقة رسمية ، كما أن الشريف حسين كان ـ على ما يبدو ـ يهتم بصياغة الألفاظ أكثر من اهتمامه بدقة المعنى . ولعل

ذلك هو السبب الذي جعل الانكليز يتلاعبون في تفسير الألفاظ والعبارات حسب هواهم ·

١٣ ـ (٦٤) الفصل الرابع ص ٣٣ـ٣٤ · (١٩٦) ص ٢٨٢ـ٢٨٣ · (٢٠١) ص ٢٠٧ ، ٢١٦ · (١٥٣) ص ٢٠٥ · (٨٠) ص ٧٨ · (١٦٢) ص ٩٨ ، ٢٠٧ ·

١٤ـ راجع عن نص هذه الاتفاقية وملابساتها في (١٧١) ص ٩١ وما بعدها والملحق الخامس ص ٢٥٥ـ٢٥٧ · (٤٥) ص ١٥٧ـ١٨٣ · (١٥٧) ص ٢٨٦ـ٢٨٩ · (٧٦) ص ٢٩٣ـ٢٩٤ · (٢٠) ص ١٢ وما بعدها · (١٣٨) ص ١٩ـ٢١ ، ١٦١ـ١٦٤ · (٦٤) ص ٢٤ وما بعدها · (١٦٢) ص ٧٨ ، ٢٠٧ (٩٧) ص ٣٧٦ · وانظر أيضا الخريطة المرفقة ·

١٥ـ (٩١) ص ٦٣ ، ٨٩ · (١٢٣) ص ١٩٩ · (١٦٩) ص ١٣٨ـ١٣٩ · (٢٠١) ص ٨٣ · (٧٦) ص ٢٨٩ـ٢٩٠ ، ٢٩٦ · (١٥٤) ص ١٦٥ ·

١٦ـ (٢٠١) ص ٢٠٧ ، ٢١٦ · (١٥٣) ص ٢٠٥ · وقارن (٨٠) ص ٧٨ ·

١٧ـ (١٥٣) ص ٨٧ ·

١٨ـ (٢٠٢) ص ١٩ـ٢٢ · (١٥٣) ص ٢٥٩ · (٩١) ص ٤٢ ·

١٩ـ عن هذه الاتفاقيات والسياسات المتعلقة بها ، راجع (٥٥) ص ٦٩ وما بعدها · (١٥٨) ص ٨٤ـ٨٥ · (٨٣) ص ٤٨٢ · (٧٦) ص ٨٥ ، ٢٧٢ـ٢٧٦ ، ٢٩٣ · (٤٦) ص ١٠٥ ، ١٤٤ · وما بعدها ، ٢٨٥ · (٩١) ص ٤٣ـ٤٥ · (١١٦) ص ٦٧ـ٦٨ · (١٢٣) ص ١٩٩ـ٢٠٠ · (٦٦) ص ١٣٤ · (١٦٩) ص ١٣٨ ، ١٣٩ـ١٤٠ · (٥٠) ص ٢٠٠ · (١٣٦) ص ١٠٤ـ١٠٥ · (١٨) ص ٨ وما بعدها · (٦٤) ص ٢١ـ٣٢ · (١١٦) ص ٦٧ـ٦٩ · (١٥٧) ص ٥ · وانظر أيضا الخريطة المرفقة ·

٢٠ـ تضمنت هذه الاتفاقية التي أعطت لايطاليا أكثر من ١٠٠ر٠٠٠ كم٢ من الاراضي التركية شرطا ، هو أن تصادق عليها الحكومة الروسية · ولم يحدث هذا التصديق بسبب قيام الثورة الروسية ·

٢١ـ طالبت فرنسا بهذا الجزء من العالم السوري مدعية أن لها نفوذا قديما في لبنان ، وان الشعب هناك صديق لها · وأن ذلك يساعدها على تقوية مركزها في العالم الاسلامي باضافته الى مراكش (المغرب) والجزائر وتونس · كما أن سيطرتها على ميناءي بيروت والاسكندرونة يحسن مركزها الاستراتيجي كقوة في البحر المتوسط· وبالاضافة الى ذلك ، يعطيها نقطة ارتكاز بالقرب من قناة السويس تساعدها على تامين مركزها في مدغشقر وفي الهند الصينية ، حيث لا توجد لها قواعد الى هذه المستعمرات سوى ميناء جيبوتي في الصومال الفرنسي · قارن أيضا (١٦٥) ص ٥ ·

٢٢ـ انظر الخريطة المرفقة · وراجع (٤٦) ص ٢٤٤ وما بعدها · (٧٦) ص ٢٨٥ ، ٢٩٢ـ٢٩٦ · (١١٦) ص ٩٨ـ٩٩ · ويلاحظ أن الاتفاقية قد تضمنت نصوصا أخرى ، منها

١ـ ألا يمد خط سكة حديد بغداد وراء الموصل في الاراضي التي تخضع لفرنسا ، ولا وراء سامراء في الاراضي التي تخضع لبريطانيا ! الا بعد أن يمد خط في وادي الفرات بين حلب وبغداد · ٢ـ أن لا تتنازل بريطانيا أو فرنسا عن حقوقها لاية دولة أخرى الا اذا كانت تلك الدولة هي الدولة العربية أو الاتحاد العربي ، أو اذا حصلت موافقة من احداهما على ما تقرره الاخرى · راجع أيضا (٦٤) ص ٢٨ـ٢٩ · (١٣٨) ص ١٦١ـ١٦٤ ·

٢٣ـ يقول الكولونيل لورنس أن كلا من بريطانيا وفرنسا قد وضعت النصوص التي تهمها فقط · أو النصوص التي تضع أشد الصعوبات أمام الاخرى ، ولها أن تاخذ نصيبها أو ترفضه · ويضيف : ان أي نص من النصوص لم يستطع أن ينجح في الامتحان

الذي مر به عقب انتهاء الحرب . ويصفها بأنها اعلان عن أطماع استعمارية . راجع (١٢٣) ص ٢٠٠-٢٠١ .

٢٤- (١٦٩) ص١٠٣ . (٧٦) ص١٥٣-١٥٤ ، ٢٩٠ . (٤٦) ص٢٤٦-٢٤٧ ، ٢٨٩-٢٩٠ . (١٢٣) ص ١٩٧-١٩٨ .

٢٥- يصف بعض الكتاب فلسطين بالنسبة لبريطانيا بأنها قناة السويس الجوية بين أوربا وبين الشرق . وأنها باستيلائها عليها تمتلك قناتين متجاورتين ، قناة السويس البحرية في مصر وقناة السويس الجوية في فلسطين . وذلك فضلا عن أهميتها كمدخل لتهديد مصر نفسها . راجع (١٦٥) ص ٦ .

٢٦- صدر التصريح في شكل رسالة بعث بها آرثر جيمس بلفور وزير الخارجية البريطانية الى اللورد وولتر روتشيلد ، بالصيغة التالية : عزيزي لورد روتشيلد . يسرني غاية السرور أن أنقل اليكم ، نيابة عن حكومة صاحب الجلالة التصريح التالي الذي يعبر عن عطفها على الأماني اليهودية الصهيونية . وقد قدم الى الوزارة ووافقت عليه . « ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين . وسوف تبذل أقصى جهودها لتسهيل الوصول الى هذه الغاية . على أن يكون مفهوما بصورة واضحة ، أنه لايجوز القيام بأي عمل من شأنه احداث تغير في الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، أو في الحقوق والأوضاع السياسية التي يتمتع بها اليهود في الاقطار الاخرى» . ومن الجدير بالملاحظة أن هذا التصريح قد صدر بعد عقد اتفاقية سايكس - بيكو . وبعد حدوث مفاوضات الشريف حسين - مكماهون . وبعد اعلان الثورة العربية . ويلاحظ أيضا أن العرب لم يكونوا يعلمون لا في أثناء المفاوضات ولا عند اعلان الثورة أن محادثات قد جرت في أوائل ١٩١٥ بشأن فلسطين وأن السير هربرت صمويل قد اقترح ضم فلسطين الى بريطانيا على أن يسمح لعدد كبير من اليهود في العالم بالتوطن فيها . راجع (١٧١) ص ٩٣-٩٤ ، ١٢٢-١٢٣ . (١٨٨) ص ٣٤٧-٣٤٨ . (١٦٩) ص ٢٤٢-٢٤٣ . (١٢٣) ص ١٣٢-١٣٤ ، ١٨٣ . (١٨) ص ٢٤-٢٧ . (٧٨) ص ٧٠-٧١ . (١٨٣) ص ١٧١ . (٤٦) ص٢٨٥-٢٩٤ . (١٣٨) ص ٢١-٢٢ .

٢٧- انظر صك الانتداب على فلسطين في (١٦١) ص ٢٦١-٢٦٨ ، الملحق الثامن . وراجع أيضا (١٣١) ص ١٠١-١٠٢ .

٢٨- (٢٠١) ص ١٥٣ . (١٦٩) ص ١٥٥ ، ١٦٨ . (٦٤) ص ٢٥-٢٦ .

٢٩- جاء بهذه المادة « ان المستعمرات والاقطار التي زالت عنها - بسبب الحرب - سيادة الدول التي كانت تحكمها من قبل ، والتي يعيش فيها سكان لايستطيعون أن يقفوا بأنفسهم في الظروف المجهدة القاسية للعالم الحديث ، يجب أن يطبق عليها المبدأ القاضي بأن رفاهية هؤلاء السكان وتقدمهم أمانة مقدسة في أعناق الدول المتمدنة . ومن الواجب أن يتضمن هذا الميثاق الضمانات اللازمة لتأدية تلك الأمانة على الوجه الأكمل » ونص في المادة أيضا على أن الانتداب ثلاثة أصناف . والصنف (أ) هو الذي تقرر تطبيقه على الاقطار التي كانت ، من قبل ، تكون أجزاء من الامبراطورية العثمانية . وينص على « أن سكان هذه الاقطار قد بلغوا درجة من التقدم تجعل من الممكن الاعتراف بها كدول مستقلة . وتبعا لذلك يكون واجب الدولة التي تتولى الانتداب عليها قاصرا على بذل الارشاد والمساعدة الى أن تبلغ تلك الاقطار مرتبة النضج السياسي وتتمتع بالاستقلال التام . راجع أيضا (٣٩) ص ٥٦-٥٩ .

الفصل السادس

الشرق الاوسط بعد الحرب العالمية الاولى

الى عقد معاهدة لوزان في ٢٤ يوليو ١٩٢٣
اتساع أطماع الانكليز واتجاهها نحو تكوين امبراطورية انكليزية في هذا الشرق

عندما انتهت الحرب بهزيمة الدولة العثمانية ، كانت أطماع روسيا القيصرية فيها قد انتهت ، بقيام الثورة البلشفية • فوقفت الدولة المهزومة تواجه أطماع عدوتيها انكلترا وفرنسا ومعهما ايطاليا كقوة فى البحر المتوسط ذات أطماع فيها أيضا • وكان المستقبل يبدو حالكا أمام الشعب التركى • فان الامر لم يكن يتعلق باستقطاع البلاد غير التركية من امبراطوريتهم ، أو بفرض عقوبات عليهم فحسب ، وانما كان يتعلق أيضا بتقطيع أوصال بلادهم الاصلية فى هضبة الاناضول • فكانت آذانهم تسمع أحاديث الاستعمار تدور حول الشكل الذى ستحكم به بلادهم • كما كانت أعينهم ترى الانكليز يسعون لوضع أجزاء منها تحت الانتداب البريطانى • وتحت سمعهم وبصرهم ، جرت أحاديث ، وبذلت جهود لاقتطاع الاجزاء الشرقية من الاناضول وتكوين حكومتين فيها احداهما أرمنية والاخرى كردية• وكان هذا كله يحدث وبلادهم محتلة بقوى الحلفاء ، وجميع مصالحها فى قبضتهم ، والامتيازات الاجنبية التى كانت قد ألغيت فى سنة ١٩١٤ ، أعيدت فيها من جديد • كما كانت الروح المعنوية بين السكان منهارة ، وكان رجال تركيا الفتاة قد تشتتوا • وفى استانبول ، كانت حكومة فريد باشا تصانع المستعمرين وتأتمر بأوامرهم • وكان السلطان وحيد الدين نفسه آلة فى ايديهم(١)•

ومع ذلك ، فقد كانت تركيا حسنة الحظ بعض الشىء • لان اهتمام الحلفاء عقب نهاية الحرب كان متجها نحو غرب أوربا ووسطها • ولم يهتموا كثيرا بالمسائل المتعلقة بها الا قبيل موءتمر سان ريمو الذى عقد فى ابريل (نيسان) ١٩٢٠ • وفى خلال الفترة السابقة على عقد هذا الموءتمر ، وفى خلال الفترة التالية له حتى عقد موءتمر لوزان فى ٢٠ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٢٢ ، كانت الاحقاد قد تولدت ونمت فى نفوس بعض الدول المستعمرة ضد البعض الآخر ، وقامت كل منها فى وجه الاخرى تنافسها فى اطماعها

وتساوم عليها . وكان ذلك فى مصلحة الاتراك أحيانا وعلى حسابهم أحيانا أخرى . وجاء اخطر ما أصابهم من هذه الناحية من جانب الانكليز(٢). فان لويد جورج كان يرى أن الايطاليين شعب تجارى ، وأن استيلاءهم على ميناء ازمير ، وهى أهم ميناء فى هضبة الاناضول ، وعلى قسم كبير من غرب هذه الهضبة ، ومن جنوبها ، قد يمكنهم من تحقيق حلم سيادتهم التجارية على بحر ايجه ، من استعادة النفوذ القديم الذى كان للبندقية على تجارة بلاد الشرق الادنى . ولهذا عمل من جهة على ابعادهم عن هذه المناطق التى أعطتهم اياها بعض المعاهدات السرية المعقودة اثناء الحرب . وعمل من جهة أخرى على تشجيع اليونانيين على أن يحلوا أنفسهم محلهم . وذلك لكى تقوم يونان كبرى موالية لبريطانيا وتقف معها فى وجه أطماع ايطاليا فى القسم الشرقى من حوض البحر المتوسط(٣).

ولم يتردد اليونانيون فى قبول هذا التشجيع . فانزلوا فى ١٥ مايو (أيار) ١٩١٩ جيشا يونانيا فى ميناء ازمير تحت حماية البوارج الانكليزية . وهناك قاموا بمذبحة فظيعة ، بدت وكأنهم قصدوا من ورائها تطهير البلد التركى من العنصر التركى . وحكموا حكما ارهابيا ، بالغ القسوة . وكان لهذه الحوادث التى قام اليونانيون بها ، دون ان يكون لديهم السند الذى يعطيهم الحق فى هذا الاحتلال ، صدى حتى فى نفوس الحلفاء أنفسهم ، فاستنكروه ، دون الانكليز ، وأعلنوا فى ١٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٠ أن هذا الاحتلال اليونانى قد حدث بغير حق ، وانه انتهاك لنصوص الهدنة المعقودة مع تركيا . أما صدى هذه الحوادث فى نفوس الاتراك فانه قد ولد فيها مرارة مركزة ضد الانكليز ، وضد اليونان ، استمرت عدة سنوات . وكان رد الفعل الذى نتج عن ذلك فى نفوسهم قويا وعنيفا ، فثاروا لكرامتهم المهانة من دولة كانت بالامس القريب تابعة لهم ، وتبلورت فى نفوسهم روح المقاومة . ولم يكن يعوز حركتهم الا قيادة مصطفى كمال .

وكان مصطفى كمال(٤) فى اثناء تلك الحوادث موظفا تركيا . ومن حسن حظ الاتراك أنه نقل من استانبول مفتشا عاما للجيش التركى فى الاناضول ، وقد وصل الى مقر قيادته فيها فى ١٩ مايس (مايو) ١٩١٩ ، وهو اليوم الرابع بعد نزول الجيش اليونانى فى ازمير . وفى الاناضول ، اتجه مصطفى كمال نحو تكوين حزب سياسى يعتنق حرية تركيا . كما اتجه نحو اعداد جيش قوى ، وتعبئة قوى الشعب للقيام بحركة ثورية لطرد المستعمرين من الوطن التركى بالاناضول وتحريره . وبذلك ، قويت معنويات الشعب التركى وزادت فيه روح الثورة اشتعالا ، وعلى الاخص بعد أن صدقت حكومة استانبول فى ١٠ آب (أغسطس) سنة ١٩٢٠ على معاهدة سيفر التى كانت بالغة القسوة . فانها قد وضعت الولايات العربية تحت انتداب بريطانيا وفرنسا على أساس أن تنال هذه الولايات استقلالها كاملا

فى المستقبل • وأقامت فى القسم الشرقى من الاناضول حكومتان ، احداهما أرمنية والاخرى كردية • كما أعطت القسم الجنوبى منها لفرنسا ولايطاليا• وأضافت الاراضى التركية في أوروبا ، غاليبولي وتراقيا الشرقية، الى اليونان بجانب منطقة أزمير • أما القسم الباقى من الاناضول فقد ترك لتقوم فيه حكومة تركية تحت نفوذ الحلفاء • وأما منطقة المضايق فقد أزيلت حصونها ووضعت تحت اشراف الحلفاء ايضا •

ولكن هذه المعاهدة التى كانت أقسى من المعاهدة التى فرضت على ألمانيا نفسها ، والتى جعلت من تركيا دولة مهيضة لا حول لها ولا قوة تحت نير الحلفاء الذين وضعوا أيديهم على الجهات الغنية فيها ، لم تنفذ ، بالرغم من توقيع حكومة استانبول عليها • فان فى انقره قامت حكومة أخرى على أساس مقاومة نصوص هذه المعاهدة الجائرة ، وعلى اعتبار أن كل من يقبلها خائن لوطنه • وأعلنت عزل السلطان وحكومته •

كانت حكومة انقره حكومة ثورة وتحرير ، ولهذا لم يعترف الاستعمار بها • كما ان السلطان الضعيف فى استانبول لم يعترف بها أيضا • وكانت الصعوبات أمامها كثيرة ومتنوعة • كان عليها أن تحارب فى جبهات متعددة• تحارب الفرنسيين والايطاليين فى الجنوب ، والاكراد والارمن فى الشرق ، واليونانيين في الغرب وفي تراقيا ، وقوى الحلفاء مجتمعة في استانبول ومنطقة المضايق • وهذا كله فى وجه السلطان وحكومته والانتهازيين من رجال الدين الذين افتوا باعتبار مصطفى كمال ورجال حكومته مارقين وخارجين على الدين •

ومع ذلك ، فقد كانت هناك عوامل أخرى فى مصلحة الكماليين فى مواجهة تلك العوامل التى كانت ضدهم • وأول هذه العوامل وأهمها كان موقف الصداقة والتعضيد الذى وقفته روسيا الشيوعية نحوهم • وكذلك ، لان الحلفاء الذين كانوا بالامس يقفون متكتلين ضدها قد أصبحوا فيما بينهم أعداءا أو شبه أعداء • كما أن سنوات الحرب الطويلة والخسائر الفادحة التى أصابت المنتصرين فيها والمهزومين على السواء ، وكذلك المنافسات الاستعمارية التى قامت بين اولئك الحلفاء ، قد جعلتهم غير مستعدين للقيام بعمليات حربية واسعة النطاق ضد الاتراك(٥) •

فى روسيا ، قام سنة ١٩١٧ عهد جديد يناقض السياسة الاستعمارية التى كانت روسيا القيصرية تنهجها تجاه تركيا ، ويسير على أساس آخر يناهض الاستعمار والرأسمالية • ويبشر بتقرير المصير ، وبتخليص البشرية من مخالب الرأسمالية المستعمرة • وكان فى بدء قيامه يكابد فى الداخل فتنا ومقاومات ، ويكابد فى الخارج أطماعا استعمارية ومؤامرات • وكان جيرانه فى تركيا وايران يكابدون مثل هذه المشاكل والصعوبات • فألف ذلك بين قلوبهم • ووجد كل منهم أن مصلحته فى مساندة جاره ومعاضدته•

وليدلل الروس الشيوعيون على صدق عواطفهم ، بادروا معلنين تنازلهم عن جميع الحقوق التى أعطتهم اياها المعاهدات السرية التى عقدتها روسيا القيصرية مع الحلفاء أثناء الحرب ، ومن بينها حقوقهم في القسطنطينية . وأخذوا فى سحب قواتهم من أرمينية ، ومن الاراضى الفارسية . ولكى يمكنوا الروابط التى تربط بينهم وبين الاتراك ضد الاستعمار عقدوا مع حكومة الجمعية الوطنية فى أنقره معاهدة موسكو فى ١٦ مارت (مارس) سنة ١٩٢١ . وفيها أعلنوا أنهم يشاركون الاتراك فى رفضهم لمعاهدة سيفر، ولاى اجراء دولى يفرض عليهم القوة . واظهارا لتعاونهم الكامل مع الاتراك فى تطبيق مبادىء الميثاق الوطنى التركى ردوا اليهم مقاطعتى قارص واردهان فى القسم الشمالى الشرقى من هضبة الاناضول . واعترفوا لهم بأن الامتيازات الاجنبية فى بلادهم تتعارض مع سيادتهم القومية . وبأن لهم الحق المطلق فى ممارسة هذه السيادة وبأن كل ما يفرض عليهم فى ظل تلك الامتيازات الاجنبية باطل . ولتمكين نصوص هذه المعاهدة من فعاليتها ، اتفق الطرفان على التعاون فى تسهيل سبل الاتصالات بين بلديهما . واتخاذ الخطوات الموءدية الى ذلك فى أسرع وقت وذلك بانشاء خطوط للتليفونات وللبرق وللسكك الحديدية وغيرها من الوسائل الحديثة للنقل والمواصلات . كما اتفقا على التعاون في مقاومة أي تدخل في شئونهما الداخلية . ولكي يجعلا الجبهة قوية ضد الاستعمار ويوثقا الصلات بينهما وبين الشعوب الاخرى المغلوبة على أمرها فى الشرق الاوسط ، أعلنا اعترافهما بأن كل الحركات القومية فى بلاد هذا الشرق متماثلة ، ومنسجمة فى كفاحها معهما ، لتكوين نظام اجتماعى وسياسى جديد . وأنهما يوءيدان بكل ما فى وسعهما حقوق هذه الشعوب فى الحرية والاستقلال وفى اختيار نوع الحكم الذى يوافقها(٦).

وبفضل هذه المساندات والمساعدات المادية والادبية من قبل روسيا ، انتصرت قوات مصطفى كمال فى الشرق على الانفصاليين من الاكراد والارمن، وأنزلت بالفرنسيين فى الجنوب هزيمة منكرة ، حملت الايطاليين جيرانهم على أثرها على أن ينسحبوا سلميا من المناطق التي كانوا يحتلونها . وأمامها، تراجعت القوات البريطانية الى شبه جزيرة أزميد . وأخيرا تقدمت نحو ازمير لمواجهة القوات اليونانية . وقد استمرت الحرب قائمة بين القوات التركية وبين القوات اليونانية نحو ثلاث سنوات من سنة ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢ وفي خلالها أبدى الاتراك مقاومة باسلة . وقبل أن يتم لهم النصر النهائي على اليونانيين انتصروا فى موقعتين حاسمتين كان لهما أثر كبير على موقف الاعداء الآخرين تجاههم . والاولى منهما هى موقعة اونونو ، وكان القائد لمظفر فيها عصمت باشا . أما الاخرى فهى موقعة نهر سقاريا وكان بطلها مصطفى كمال . وكانت موقعة حاسمة ، ارتد اليونانيون على أثرها مهزومين

نحو الغرب ، بينما حيت الجمعية الوطنية التركية البطل المظفر ومنحته لقب الغازى ٠

وفى صفوف الحلفاء ، قرر الفرنسيون المبغضون للانكليز ، لسياستهم المناهضة للسياسة الفرنسية نحو المانيا بصفة عامة ونحو اقليم الراين بصفة خاصة ، الانسحاب نهائيا من منطقة احتلالهم في القسم الجنوبي من هضبة الاناضول ٠ وعقدوا مع الاتراك معاهدة أنقرة فى ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٢١ والتى بموجبها خططت الحدود السورية ـ التركية ، وفق ما يرغب الاتراك(٧) ٠ وقد كان لانسحاب الفرنسيين من منطقةاحتلالهم، وعقدهم هذه المعاهدة مع الاتراك أثر كبيرأيضا فى تقوية مركزهممنالناحيتين المادية والمعنوية ٠ فهم لم يخففوا الضغط عن الجيش التركى فى جبهة من الجبهات التى يقاتل فيها فحسب ، بل انهم أيضا قد تركوا له كميات كبيرة من الاسلحة والعتاد الحربى ٠ ولعل المهم فى ذلك ، هو أن هذه المعاهدة الفرنسية ـ التركية قد أعترفت بشرعية حكومة أنقره ٠ وهى بهذا كانت معولا هدم معاهدة سيفر ٠ وهذا الموقف الفرنسى تجاه الاتراك كان له أثر على موقف الايطاليين ٠ اذ أنهم فضلوا الاتفاق مع الاتراك على أن ينسحبوا من منطقة احتلالهم فى الاناضول فى مقابل ان يحتفظوا لانفسهم بجزر الدوديكانيز ٠ كما كان له أثر على الانكليز أيضا ٠ فقد اضطروا ، لكيلا يواجهوا الاتراك وحدهم ، الى الانضمام مع غيرهم من الحلفاء فى اعلان الحياد الرسمى فى الحرب التركية ـ اليونانية ٠

ودخلت هذه الحرب مرحلتها الاخيرة فى آب (أغسطس) سنة ١٩٢٢٠ وبعد أن تم طرد اليونانيين وتطهير الاناضول منهم ، أخذت قوات مصطفى كمال تتقدم نحو استانبول والجانب الاوربى للمضايق ٠ وقد انسحبت من طريقها القوات الفرنسية والقوات الايطالية ٠ أما القوات الانكليزية فقد حاولت أن تعترض طريقهم فتشغلهم بعض الوقت ولكنها هزمت واستسلمت٠ وفى ١١ تشرين الاول (اكتوبر) وقعت هدنة مدانيا ٠ وفيها وافق الحلفاء على ان تسترد تركيا ، بجانب الاناضول ، القسم الشرقى من تراقيا ، على أن يتم ذلك بعد توقيع معاهدة الصلح(٨)٠

ومعاهدة الصلح هذه قد وقعت فى لوزان فى ٢٤ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٣ ٠ وقد تضمنت عودة تركيا المستقلة بشكلها الحالى تقريبا ، مع الغاء بقايا النفوذ الاقتصادى والسياسى للاجانب عليها ٠ والتحفظ الوحيد فى هذه الناحية كان يتعلق بمنطقة المضايق ٠ فقد نص على بقائها غير محصنة ، الا بموافقة الحلفاء ٠ وقد تضمنت المعاهدة شرطا لتبادل السكان بينهم وبين اليونانيين لحل المشاكل المتعلقة بأقليات كل منهما لدى الاخرى ٠ وتركت عدة مسائل معينة لعرضها على عصبة الامم ، وكان منها مسألة الخلاف على ولاية الموصل بينهم وبين الانكليز فى العراق ٠ ومسألة الخلاف على سنجق

الاسكندرونة بينهم وبين الفرنسيين فى سوريا(٩).

أما البلاد العربية المنسلخة من الامبراطورية التركية ، عدا الحجاز ونجد ، فكانت قبل أن تتم التسويات النهائية بشأنها مقسمة الى أربعة أقسام ، هى :

(١) قسم يتضمن ولايات البصرة وبغداد والموصل وكانت ادارته انكليزية.
(٢) قسم يتضمن فلسطين وكانت ادارته انكليزية ايضا .
(٣) قسم يتضمن سوريا الداخلية وشرق الاردن وكانت ادارته عربية وعلى رأسها الامير فيصل .
(٤) قسم يتضمن المناطق الساحلية من لبنان وسوريا بما فى ذلك سنجق الاسكندرونة وكانت ادارته فرنسية .

وفى كل هذه الاقسام الاربعة كانت القوات الانكليزية هى المسيطرة ، كما كانت ادارتها عسكرية وتخضع لحاكم بريطانى عام (اللنبى).

والانكليز ، كما هم معروفون ، غير معتادين ان يتركوا بسهولة من يوقعه سوء الحظ تحت رحمتهم . وفى هذه الاقسام الاربعة ، اشترك الفرنسيون لحد ما ، مع العرب فى هذا الحظ السيء . فان الانكليز قد انتهزوا فرصة هذا المركز الممتاز لهم فى هذه الاقسام من جهة ، كما انتهزوا فرصة قيام الشيوعيين فى روسيا واعلانهم نقض جميع الاتفاقيات التى عقدتها روسيا القيصرية مع الحلفاء من جهة أخرى ، ولعبوا على العرب وعلى الفرنسيين على السواء دورا كان اللوءم فيه صارخا . فهم فى عقب الهدنة مع تركيا مباشرة ، حيث كانت قواتهم هى المسيطرة على كل البلاد العربية التى تضمنتها اتفاقية سايكس ـ بيكو وعلى بعض مناطق أخرى من بلاد الشرق الاوسط ، قد أعربوا لفرنسا عن رغبتهم فى جعل فلسطين وولاية الموصل جزءا من حصتهم فى الغنيمة . فلما ابدت فرنسا استنكارها لهم لاعتدائهم على حقها المقرر لها فى اتفاقية سايكس ـ بيكو هدودها بالامر الواقع ، وبالتعبير عن اعتقادهم بأن الاتفاقية قد أضحت باطلة . وفى الوقت نفسه ، احتضنوا الامير فيصل ليجتذبوا الى صفهم شعور العرب . وأمسكوا بالامير فى مواجهة الفرنسيين يساومونهم عليه وعلى حقوق العرب الذين يمثلهم(١٠)، ولما تم لهم ما أرادوا منه القوة محنوقا عليه من العرب ومن الفرنسيين .

وفيصل هو قائد الثورة العربية منذ أن رفع والده الشريف حسين لواءها في ٥ يونيو (حزيران) ١٩١٧ . وكان القائد العام للجيش العربي الذى كان يحارب فى فلسطين بجانب قوات اللنبى . وقد دخل الاثنان معا دمشق ظافرين فى أول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨(١١). والانكليز لم ينكروا فضله وفضل الثورة العربية عليهم فى كسبهم الحرب فى ميدان الشرق الاوسط . بل انهم قد اشادوا بهما ، بمثل ما اشادوا بمصر ولم ينكروا فضلها فى نيلهم النصر فى هذا الميدان وفى ميدان شمال أفريقية فى

اثناء الحرب العالمية الاخيرة . وعندما انتهت تلك الحرب كان فيصل على رأس الادارة العربية فى القسم الداخلى من العالم السورى ، كما كان قسم من قواته يشترك مع القوات الانكليزية فى ادارة القسم الساحلى من هذا العالم . ولم يقبل ان تجلو قواته عن هذا القسم الاخير لتحل محلها فيه قوات فرنسية الا بعد أن أكد له كتشنر بأن ذلك اجراء مؤقت ، الى أن تتم تسويات الصلح . وكان فيصل والعرب معه موءمنين بأن كتشنر رجل حرب شريف لا يكذب . كما كانوا مصدقين اقوال لورنس عن أن بريطانيا عند وعدها لهم نصا وروحا . وكذلك كانوا مؤمنين بأن قضيتهم عادلة وواضحة كل الوضوح . وحسبهم موءتمر الصلح أن يجتمع ، ويحضره الرئيس ويلسون ، كما يحضره لويد جورج ، أو غيره ممن يمثلون الشرف البريطانى الرفيع ، حتى يكسبوا قضية حقوقهم المشروعة دون حاجة الى الدفاع عنها(١٢) .

وهم كانوا مخطئين فى هذا الايمان . وقد يلتمس لهم فى ذلك بعض العذر . لانهم كانوا أطفالا فى السياسة أمام عجائز الاستعمار من الانكليز ومن الفرنسيين . بل ان الرئيس ويلسون نفسه كان أيضا طفلا كبيرا أمامهم . هم كانوا يعرفون انه رجل نبيل وله مبادىء نبيله أيضا . كما أنه يمثل دولة عظيمة لها الفضل الاكبر عليهم فى نصرهم . ولهذا كله يجب أن يبدى له الاحترام كما يبدى لمبادئه . ولكنهم كانوا فى الوقت نفسه يعرفون أنها مبادىء نظرية لا تستطيع أن تصمد أمام الاحابيل الشيطانية اذا حيكت أمامها(١٣) . كما كانوا يعرفون كذلك بأن امته النبيلة تفضل أن تبقى فى عزلتها على الجانب الآخر للمحيط الاطلسى على أن تلوث نفسها بسخام الاستعمار الاوروبى وهبابه .

وفى يناير (كانون الثانى) سنة ١٩١٩ عقد الاربعة الكبار ، وهم ويلسون عن الولايات المتحدة ، ولويد جورج عن بريطانيا ، وكليمانصو عن فرنسا ، وأورلاندو عن ايطاليا ، جلسات فى باريس للمداولة بشأن الاتفاقيات السرية المعقودة بين الحلفاء اثناء الحرب . وقد حضر الامير فيصل نائبا عن والده شريف مكة بعضا منها(١٤) . وكان الرئيس ويلسون فى مكان الحكم وكان السنيور أورلاندو صامتا معظم الوقت . اما النضال السياسى فكان قائما بين الممثل الانكليزى وبين الممثل الفرنسى . ومن المناقشات التى جرت بينهما كانت تفوح رائحة الانانية البغيضة . وعندما ازدادت هذه المناقشات حدة بينهما تدخل الرئيس الامريكى قائلا ، أنه يرى أن جميع الاتفاقيات التى اشتركت روسيا فى التوقيع عليها قد اصبحت ملغاة بعد خروجها من الحرب واعلانها نقضها لها . وأشار الى أن الولايات المتحدة لا أطماع لها فى البلاد التركية ، وأنه يسره أن تنوب عنها بريطانيا وفرنسا فى حمل ما قد يلقى على عاتقها من أعباء الانتداب . وأن غاية ما يهمه هو أن يقبل السوريون انتداب فرنسا عليهم ويقبل العراقيون انتداب بريطانيا .

وكان الامير فيصل حاضرا فأمسك بتلابيب هذا القول وقدم اقتراحا ، وهو أن تعين لجنة تحقيق تزور البلاد العربية للتأكد من رغبات السكان فى تقرير مصيرهم(١٥) . ووافق هذا الاقتراح هوى فى نفس الرئيس ويلسون فتمسك به أيضا وأيده على الفور ، مبديا رغبته فى أن تتكون هذه اللجنة من ممثلين متساوين فى العدد لكل من فرنسا وانجلترا وايطاليا وامريكا . وان يشمل تحقيقها سوريا والبلاد العربية المجاورة لها ، وأن تقدم عن تحقيقاتها تقريرا الى موءتمر الصلح يتضمن حالة البلاد ومطالب سكانها . وقد أقر هذا الاقتراح رسميا .

وتنفيذ هذا الاقتراح كان فى مصلحة العرب وحدهم ، سواء أكانوا فى العراق أم كانوا فى العالم السورى . أما الانكليز فكانوا يشكون فى أن يقبل أهل العراق طواعية نفوذهم عليهم . وأما الفرنسيون فكانوا مقتنعين بأن الود مفقود بينهم وبين العرب أجمعين(١٦) ، وهلل العرب لهذا التوفيق الذى وصل فيصل اليه . وفى غمرة تهليلهم وحماستهم قرروا ان لا يتعبوا كثيرا لجنة التحقيق المنتظر حضورها ، وأن يوفروا عليها جهود البحث والاستقصاء ، وأن يواجهوها بالنتيجة المتوقعة . ولهذا الغرض عقدوا فى ٢٠ حزيران (يونيه) ١٩١٩ موءتمرا عاما فى دمشق حضره مندوبون عن كل أقسام العالم السورى بما فيه فلسطين ، والمنطقة الفرنسية على الساحل ، وتحت سمع الانجليز وبصرهم . وفى جو من الحماس الوطنى الرائع اتخذ الموءتمرون قرارات لتقدم الى لجنة التحقيق ويطلب منها العمل على تحقيقها . وهذه القرارات تتخلص فيما يلى :

١ ـ الاعتراف بسوريا وفلسطين كدولة واحدة ذات سيادة وتنصيب الامير فيصل ملكا عليها ، وكذلك الاعتراف باستقلال العراق .

٢ ـ نقض اتفاقية سايكس ـ بيكو ، ونقض تصريح بلفور ، وكل مشروع آخر يرمي الى تقسيم العالم السورى واقامة دولة يهودية في فلسطين .

٣ ـ رفض الوصاية السياسية التي يتضمنها نظام الانتداب المقترح .

٤ ـ قبول المعونة الاجنبية لمدة محدودة وعلى شرط ان لا تتعارض مع الاستقلال والوحدة القومية . وتفضيل معونة الولايات المتحدة على غيرها فان لم تكن فتفضل معونة بريطانيا .

٥ ـ رفض معونة فرنسا بأي شكل تكون .

ومن العراق حضر وفد فقابل اللجنة في حلب وقدم اليها اماني بلاده وهي تتلخص في الاتي :

١ ـ ان يستقل العراق استقلالا كاملا متضمنا ولايات ديار بكر ودير الزور والموصل والمحمرة بجانب ولايتي بغداد والبصرة .

٢ ـ ان تقوم فيه حكومة ملكية دستورية مدنية على رأسها الامير عبدالله ، او الامير زيد ، من ابناء ملك الحجاز ٠

٣ ـ ان لاتتدخل أى دولة خارجية في شؤون بلادهم ٠

٤ ـ ان تكون امريكا هي الدولة التى تقدم لبلادهم بعد استقلالها ما تحتاج اليه من مساعدات فنية واقتصادية ٠

٥ ـ رفض كل أنواع الهجرة الى بلادهم ، وعلى الاخص من اليهود ومن الهنود ٠

٦ ـ الاحتجاج على المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم ورفضها ٠

٧ ـ ان تستقل سوريا استقلالا كاملا وان لايكون لفرنسا أى حق في التدخل في شؤونها(١٧) ٠

ولا عجب أمام هذا الاعلان السافر اذا رفض الفرنسيون تعيين ممثليهم في لجنة التحقيق ٠

وقابل الانكليز فكرتها بفتور وقاوموا تحقيقها ، ونشطت دوائرهم والدوائر الصهيونية معها في العمل على احباط الاقتراح ٠ وكان الرئيس الامريكى وحده هو المصر على ان يجرى التحقيق الذي قال به ولو اضطر الامر أن يقوم به الامريكيون وحدهم ٠ كان هذا الرئيس النبيل وحده هو الذى ينظر الى الانتداب على أنه مهمة ادارية فقط وليس مسألة سيادة وتملك ٠ ولهذا تألفت لجنة امريكية للقيام بالتحقيق ، عرفت باسم لجنة كنج ـ كرين فسافرت الى فلسطين وسوريا ، وقامت هناك بأبحاث واسعة ٠ ثم كتبت تقريرا في ١٨ اغسطس (آب) ١٩١٩ وقدمت منه نسخة الى رئيس الوفد الامريكى في مؤتمر الصلح وقدمت نسخة اخرى الى الرئيس ولسون الذى غادر باريس الى واشنطون ٠(١٨)

واقترح هذا التقرير وضع سوريا ولبنان وفلسطين كدولة واحدة تحت الانتداب ، كما اقترح وضع العراق ٠ على ان تكون مدة هذا الانتداب محددة وأن يكون الهدف منه الوصول بهذه البلاد الى الاستقلال في أقصر مدة ممكنة ٠ وأوصى بأن تراعى وحدة سوريا ولبنان وفلسطين معا ، على ان يحتفظ للبنان بحقه في الاستقلال الذاتي في داخل اطار هذه الوحدة ٠ وعلى ان يكون الانتداب عليها من قبل دولة واحدة ٠ وان يكون كذلك الانتداب على العراق ٠ كما اوصى بأن يكون الحكم في كل من الدولتين السورية والعراقية ملكيا دستوريا ٠ وان يولى الامير فيصل ملكا على الدولة السورية ، وان يولى آخر ملكا على العراق ، بعد أن يجرى بشأنه استفتاء بين السكان ٠

وذكر التقرير بأن الرأي العام في سوريا متفق على رفض الحماية في ثوب الانتداب ٠ وان الميل الاقوى نحو قبول المعونة من قبل الولايات المتحدة ، فان لم تكن فبريطانيا ٠ اما فرنسا فان وجودها غير مرغوب فيه

على أى صورة تكون . وأبدى التقرير اقتراحا بأن تقوم الولايات المتحدة بنفسها بمهمة الانتداب على سوريا كلها . وتقوم بريطانيا بنفس المهمة في العراق . فان لم تتمكن الولايات المتحدة من القيام بها ، فيجب أن تتولاها بريطانيا في سوريا أيضا . واشار التقرير الى انه لايمكن التوصية بأن تشترك فرنسا في اى انتداب منهما . لان ذلك سوف يؤدي حتما الى قيام حرب بين العرب وبين الفرنسيين .

وعالجت اللجنة ايضا في تقريرها الاطماع الصهيونية في فلسطين وذكرت ان هدف الصهيونية هو تجريد السكان غير اليهود من كل ما يملكونه ، بكل الوسائل الممكنة . كما ذكرت أن جميع الضباط البريطانيين الذين باحثتهم مجمعون على أن المشروع الصهيوني لايمكن تحقيقه الا بالقوة وأن القيام بعمل كهذا يعتبر تعديا شنيعا على حقوق الشعب الفلسطيني ، وخروجا على المبادىء التي نادى بها الرئيس ولسون . واشارت الى أن الواجب يفرض عليها بأن توصي بنبذ كل فكرة تدعو الى أن تقوم في فلسطين دولة يهودية . (١٩)

ولكن هذا التقرير الجريء الذي يتضمن الكثير من الصراحة قد أهمل . أهملته الدوائر الفرنسية والانكليزية في باريس وفي لندن . كما أهملته الدوائر الامريكية في واشنطون ، لان الرئيس الامريكي قد انصرف عن الاهتمام بمؤتمر الصلح الى الاهتمام بانتخابات الرياسة ثم مرض ولم ينشر هذا التقرير الا في سنة ١٩٢٢ ، بعد ان تم الاتفاق بين الاستعمار على توزيع الانتدابات .

ومقررات المؤتمر السوري أثارت حنق فرنسا وأضعفت مركزها . كما كان قد أثارها وأضعف مركزها تقرير لجنة التحقيق الامريكية . فأخذ كتابها يشنون على اللجنة هجوما شديدا ويصفونها بأنها دسيسة انكليزية . كما أخذوا يوجهون أشنع التهم الى الانكليز ، متخذين من موقفهم في بلاد فارس وأطماعهم فيها مادة غزيرة لهذا التشنيع . وكان الانكليز في ذلك الوقت قد تبينوا أن قواتهم المنتشرة في البلاد المحتلة تكلفهم نفقات طائلة . ووجدوا أن الفرنسيين مصرون على تنفيذ نصوص اتفاقية سايكس ـ بيكو ولهم في ذلك بعض الحجج . وهم ليسوا مستعدين لسماع تشنيعهم عليهم ، ولنقض الاتفاق الودي معهم في سبيل العرب . كما انهم أيضا كانوا غير مستعدين للنتائج التي تترتب على شق مرارات العرب ، وزيادة بغضهم لهم وعداوتهم . فاستغل لويد جورج ضعف آمال الفرنسيين في سوريا من جهة وضعف آمال العرب في تحقيق أمانيهم القومية من جهة اخرى ، وتقدم باقتراح الى كليمانصو في ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٩١٩ يتضمن جلاء القوات الانكليزية عن المنطقتين الفرنسية والعربية في العالم السورى كما حددتهما اتفاقية سايكس ـ بيكو ، وأن تحل محلها القوات الفرنسية في المنطقة الفرنسية ، والقوات العربية في

المنطقة العربية . أما فلسطين فتبقى في يد القوات الانكليزية . وقد وافق كليمانصو على هذا الاقتراح ، على ان لاتؤثر موافقته على التسوية النهائية لمناطق الانتداب وتخطيط الحدود بينها .(٢٠)

وبعد موافقة كليمانصو استدعى لويد جورج الامير فيصل لزيارة لندن فقدم اليها . ولما علم بهذا الاتفاق الذي حدث بين الجانبين الانكليزي والفرنسي احتج عليه ، وأبدى رغبته في أن تستمر القوات البريطانية مسيطرة على البلاد السورية حتى تتم بشأنها التسوية النهائية التي يقررها مؤتمر الصلح . وطالب بعقد هذا المؤتمر من بريطانيا وأمريكا وفرنسا لبحث قضية هذه البلاد وتقرير مصيرها بمقتضى العهود والمواثيق التي قطعها الحلفاء على انفسهم للعرب ، والمبادىء السامية التي أعلنوها . ولكن طلبه هذا لقى من الحكومة البريطانية أذنا صماء . وقد نصحه لويد جورج بأن يحاول الاتصال بالفرنسيين . فذهب الى باريس واجتمع بكليمانصو . وقد أقنعه هذا بأن يدخل مع فرنسا في اتفاق مؤقت ، حتى تتم التسوية النهائية التي يقرها مؤتمر الصلح وفي هذا الاتفاق قبل فيصل ان تحترم الحكومة العربية القائمة في القسم الداخلي من العالم السوري احتلال فرنسا للقسم الساحلي منها . وان يكون المنخفض الذي يتضمن سهل البقاع حدا اداريا يفصل بين المنطقتين . كما قبل أن تعتمد الحكومة العربية على فرنسا فيما تحتاج اليه من مساعدات . وكان هذا الذي قبله فيصل قد اجمع العرب من قبل على رفضه .(٢١)

قبل فيصل هذا الاتفاق مع فرنسا على اعتبار أنه مؤقت ، وعلى اعتبار ان القضية العربية حق لايعوزه الا ان يبسط أمام مجلس تحكيم تكون الولايات المتحدة ممثلة فيه . أما الشعور العام في العالم السوري فكان ثائرا عنيف الثورة ضده ، وقد اتهمه بأنه باع سوريا للفرنسيين . كما ان الانكليز قد خدعوه وباعوه لفرنسا . وأن اتفاقه مع كليمانصو ماهو الا اقرار منه بقبول تطبيق اتفاقية سايكس ـ بيكو المعدلة في الاتفاق الذي عقد بين لويد جورج وكليمانصو في ديمسبر (كانون الاول) ١٩١٨ . وقامت حوادث عنيفة واصطدامات مسلحة بين العرب وبين الفرنسيين . فعاد فيصل مسرعا من أوروبا لتهدئة الحالة ولكنه قوبل بفتور . وحاول أن يحمل الزعماء على موافقته على العودة الى باريس على رأس وفد منهم ، ولكن الرد عليه كان بأن مفاوضات باريس لاتصلح لان تكون اساسا للبحث ، مادامت تهدف الى تقسيم العالم السوري الى فلسطين ، والمناطق الساحلية ، وسوريا الشرقية . كما تهدف الى اقرار احتلال الجيوش الاجنبية لبعض هذه الاقسام . وأراد هؤلاء الزعماء أن يجعلوا حقوق بلادهم أمرا واقعا لا مساومة عليه ، يجابهون به الانكليز والفرنسيين على السواء . فاجتمعوا في دمشق في ١٠ مارس (آذار) ١٩٢٠ وقرروا اعلان استقلال سوريا الكبرى المتحدة بأقسامها الثلاثة كدولة ملكية دستورية

مستقلة مع الاحتفاظ للبنان بحقه في الاستقلال الذاتي ، وتقديم عرشها للملك فيصل ٠

وفي الوقت نفسه أعلن الزعماء المؤتمرون في دمشق استقلال العراق وترشيح الامير عبدالله ملكا عليه ٠ وحتى ذلك الوقت ، كان فيصل ومعه عدد من اولئك الزعماء لايزالون يحسنون الظن بالانكليز ، وانهم لن يخذلوهم ٠ ولكن الانكليز قد خذلوهم فعلا ، واشتركوا مع الفرنسيين في اصدار قرار مشترك أعلنوا فيه عدم اعترافهم بشرعية تلك القرارات ٠ وأبلغوا فيصلا بأن مستقبل البلاد العربية لايقرره الا ممثلوا الدول في مؤتمر الصلح ٠ ثم اسرعوا من جانبهم الى دعوة ممثلي المجلس الاعلى للحلفاء للاجتماع في سان ريمو ٠ وفي جلسة ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٢٠ اتخذوا قرارا يقضي بوضع جميع البلاد العربية التي كانت داخلة تحت الحكم التركى ، والتي تضمنتها اتفاقية سايكس ـ بيكو ، تحت الانتداب٠ ووافق الانكليز على أن تكون ولايات دمشق وحمص وحماه وحلب تحت سيطرة فرنسا ، بجانب سيطرتها على المناطق الساحلية في لبنان وفي سوريا ٠ كما تعهدوا لها بالمؤازرة ضد ماقد يثيره الامريكيون من اعتراضات على ذلك ٠ وتعهدوا ايضا بأن يعطوها نصيبا في زيت بترول ولاية الموصل ٠ وذلك في مقابل أن توافق على ضم هذه الولاية نهائيا الى منطقة انتدابهم في العراق ٠ وان تتنازل لهم عن مطلبها في ادارة فلسطين وان تعضدهم في ان يكون حكمهم لها مباشرا ، حتى يتسنى لهم الوفاء بوعد بلفور الذى يلزمهم أمام اليهود وأمام العرب ٠ وعلى اثر ذلك غزت القوات الفرنسية سوريا وقضت على حكم فيصل في تموز (يوليو) ١٩٢٠ ومما هو جدير بالملاحظة ان هذا الاتفاق بين الانكليز وبين الفرنسيين قد تم دون مراعاة لنص الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم الخاص بالانتدابات٠ وهى التى تنص على وجوب مراعاة رغبات الشعوب فى اختيار الدولة المنتدبة عليها ٠(٢٢)

وميثاق عصبة الامم هو جزء من معاهدة فرساي الموقعة في ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٠ ٠ والمادة الثانية والعشرون منه هي الصك القانوني الوحيد الذي يتضمن المبادىء المقررة لنظام الانتداب وأنواعه٠(٢٣) وهي تنص ـ فيما يتعلق بنوع الانتداب (حرف أ) الذي تدخل تحته البلاد العربية ـ على ان اختيار الدولة المنتدبة من حق شعوب هذه البلاد٠ كما تنص على أن هذه الشعوب قد بلغت درجة كبيرة من الرقي يمكن معها الاعتراف ببلادها كدول مستقلة تحت وصاية مؤقتة ، وعلى ان ترفع عنها هذه الوصاية عندما تبدو قادرة على الوقوف بنفسها في الميدان الدولى ٠ وللقضاء على الاطماع الخاصة لدى الدول المنتدبة عليها ،فرض على هذه الدول ان تقدم سنويا تقارير الى لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الامم تبين فيها مبلغ ما قدمته لهذه الشعوب من خدمات ومدى الخطوات

العملية التي سارت بها في ميدان الرقي ٠

ولكن أنى للمعاهدات الدولية والمباديء الشريفة ان تقف في وجه الاطماع الشرهة للاستعمار ٠ فان مؤتمر سان ريمو الذي عقد ولما يمض على توقيع معاهدة فرساي ثلاثة شهور – قد فرض على العراق وعلى فلسطين وشرق الاردن قبول الانتداب الانكليزي كما فرض على سورياوعلى لبنان قبول الانتداب الفرنسي ٠ وذلك أيضا بالرغم من أن رغبات السكان وأمانيهم كانت من قبل معروفة في تقرير لجنة كنج – كرين وفي مقررات المؤتمرات السورية والعراقية ٠(٢٤)

وهكذا نجح الاستعمار الانكليزي – الفرنسي في تقسيم الكل المتجانس الى اربعة اجزاء او خمسة وأقام بينها الحدود الصناعية التي انتهى اليها في مساوماته والتي تتمشى مع اغراضه الاستعمارية ٠

والانكليز الذين لم يعد لاطماعهم الاستعمارية في الشرق الاوسط حد ، بعد خلو ميدانه من أعدائهم القدماء ، الالمان والروس ، قد عملوا على استعمار بلاد فارس ايضا ٠ وكما هو معروف ، كانت هذه البلاد بحسب الاتفاقية الانكليزية – الروسية المعقودة في سنة ١٩٠٧ مقسمة الى ثلاثة أقسام ٠ وفي خلال الحرب بقيت على الحياد ، واستمر أمرها كذلك الى أن خرجت روسيا من الحرب في سنة ١٩١٧ ، واعلن رجال العهد الجديد فيها ان كل الحقوق والامتيازات التي كسبتها روسيا القيصرية منفارس عن طريق الاتفاقيات والمعاهدات غير العادلة قد اصبحت باطلة ٠(٢٥) ومن الطبيعي أن يشمل هذا البطلان معاهدة ١٩٠٧ ٠ ولكن الانكليز الذين لايهتمون الا بأطماعهم ، انتهزوا الفرصة وحزموا أمرهم على احتلالها ٠ ولعلهم قد وجدوا أن جلاء القوات الروسية عن اراضيها يترك فراغا خطيرا من نوع الفراغ الذي يحدث في مصر والشرق الاوسط عند جلاء قواتهم عن منطقة السويس ٠ فأخذوا يلقون فيها بقواتهم لاحتلالها ، مستخدمين الرشوة على نطاق واسع ٠ (٢٦) وملوحين لذوي النفوس الضعيفة ،بالاماني الخادعة ومسلطين سوط الارهاب على الاحرار ٠ حتى تم لهم عقد معاهدة ٩ أغسطس (آب) ١٩١٩ التي استهدفوا فيها كما يقول بروس هوبر تمصير فارس(٢٧) ٠ أي جعلها مصر أخرى ٠ وقد وصف الفرد دنيس هذه المعاهدة بأنها وضعت حكومة فارس فعلا تحت الادارة البريطانية ، وجعلت البلاد الفارسية محمية بريطانية ٠ (٢٨) كما وصفها كذلك هانز كون بأنها حماية مقنعة على فارس ، وعلى الأخص على جيشها وعلى ماليتها ٠(٢٩)

ولكن هذه المعاهدة الاستعمارية الظالمة التى اشترى الانكليز لها ضمائر بعض الزعماء والقادة لم تنفذ ، كمعاهدة سيفر الظالمة التى فرضت على الشعب التركى ٠ فقد رفضها الشعب الفارسى وقاومها وثار فى وجهها ٠ وغضبت له روسيا ٠ كما اعترضت عليها الولايات المتحدة وفرنسا وبعض الدول الاخرى بحجة أن بريطانيا قد عقدتها لتحقيق مصالح خاصة لنفسها ، مستغلة النصر

في الحرب الذي تحقق بالجهود المشتركة . وأرغم الانكليز على الانسحاب . والانكليز ، كما هي عادتهم ، قبل أن يخرجوا من بلد نكب بهم صفراليدين . وهم قبل أن يخرجوا من بلاد فارس عملوا على أن يحصلوا من السلطات الفارسية على امتياز البترول الذى كان معطى لمسيو خشتاريا . وكان مسيو خشتاريا ، وهو أرمنى من رعايا الروس فى مقاطعة جورجيا ، قد حصل من الحكومة الفارسية على امتياز لاستغلال موارد زيت البترول فى ولايات جيلان ومازندران واستراباد التي تقع في القسم الشمالى من فارس وتشرف على بحر قزوين ، وكانت تدخل ضمن المنطقة التى تقع تحت النفوذ الروسى حسب اتفاقية ١٩٠٧ . فلما أعلن الشيوعيون تنازلهم عن كل حقوقهم في بلاد فارس أهمل هذا الامتياز . ولما احتل الانكليز البلاد الفارسية اشتروا حقوق خشتاريا بمبلغ ١٠٠ر٠٠٠ جنيه استرلينى وطالبوا به حكومة طهران . وكونوا له فى مايو (أيار) ١٩٢٠ شركة عرفت باسم شركة بترول القسم الشمالى من فارس المحددة ، كفرع لشركة البترول الانجليزية ـ الفارسية . وذلك لكى تثبت أقدامهم فى القسم الشمالى من هذه البلاد كما هى ثابتة فى القسم الجنوبى منها . ولكن جميع آمالهم هناك لم تتحقق . فقد انهارت أمام مقاومة الشعب الفارسى ، وامام غضب الشعوب الحرة ، واضطروا فى كانون الثانى (يناير) ١٩٢١ الى سحب قواتهم . ولكى يمنعهم الشيوعيون فى روسيا من وضع أقدامهم مرة أخرى فى هذا القسم الشمالى المجاور لهم من أرض فارس ، أسرعوا وعقدوا مع الحكومة الفارسية فى ٢٦ فبراير (شباط) ١٩٢١ معاهدة على أساس أن ايران للايرانيين . ونص فى المادة الثالثة عشرة منها على أن الحكومة الايرانية تتعهد من جانبها بأن لا تمنح قوة أجنبية أخرى أو واحداً أو اكثر من رعاياها الامتيازات والاملاك المعادة اليها من روسيا ، وأن تحتفظ بها للشعب الفارسى وحده ، الا اذا حصلت سلفا على موافقة حكومة موسكو .

وهذا الدور الاستعمارى الذى لعبه الانكليز فى فارس وأدى الى ثورة الشعب الفارسى ، كان مقدمة للانقلاب الذى أودى بالاسرة القاجارية الحاكمة من جهة ، وأدى من جهة أخرى الى بروز رضا شاه واستيلائه على مقاليد الحكم فى اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٤ . وبدأ بذلك عهد جديد نهضت فيه البلاد الفارسية نهضة عظيمة شملت كثيرا من نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية .

ملاحظة : مابين قوسين ( ) هو رقم المرجع في قائمة المراجع الموجودة في آخرالكتاب .

١ ـ (١٣٦) ص ١٨ـ٢٠ . (٧٦) ص ٣٠١ـ٣٠٣ . (٥١) ص ١٠٨ـ١٠٩ .

٢ ـ (١٣٦) ص ٢٠ـ٢٣ ، ٩٨ ، ١١٤ـ١١٥ . (١٢٣) ص ١٧٩ ، ٢٠١ . (٧٦) ص ٣٠٦ وما بعدها . (١٥٤) ص ١٨٥ـ١٨٨ . (٥١) ص ٢٣١ . (٩١) ص ٧٥ . (٦٤) ص٧٥ وما بعدها .

٣ ـ من الجدير بالملاحظة أن لويد جورج نفسه كان هو المندوب البريطاني الذي وقع على

اتفاقية سانت جين دي موريين التي أعطت ايطاليا هذه الاراضي • راجع ٦٤ ص٢٤ ، ١٢٦ وما بعدها •

٤ ـ (٧٦) ص ٣٠٣ وما بعدها • (١٣٦) ص ٢٤ـ٢٥ • (١٢٣) ص ٢٠٠ـ٢٠١ •

٥ ـ (١٣٦) ص ٥ـ٧ ، ٢٧ ، ١٠٠ـ١٠١ • (٧٦) ص ٣١٥ وما بعدها • (٩١) ص ١٤٧ـ ١٤٨ • (٥١) ص ٢٣١ • (١٢٣) ص ٢٠٧ـ٢٠٨ •

٦ ـ (١٢٣) ص ٢٠٧ـ٢١٠ • (١٣٦) ص ٢٨ ، ١٠٠ـ١٠١ • (٧٦) ص ٣١٦ـ٣١٧ • (١٦١) ص ١١٢ـ١١٣ • (٨٥) ص ٤٨٢ •

٧ ـ يعتبر خط الحدود السياسية بين تركيا وبين سوريا اسوأ أو على الاقل من أسوء خطوط الحدود السياسية بين دول العالم • ويجد فيه كل باحث منصف أكثر من ناحية جائرة على حقوق العرب • راجع توضيحا لبعض نواحي هذا الجور في الفصل الاخير من الكتاب • راجع أيضا وقارن (٦٤) ص ١٢٩ وما بعدها والفصل السابع (١٤١ـ١٦١) •

٨ ـ (١٣٦) ص ٢٧ـ٢٨ ، ١٠٠ـ١٠١ • (٧٦) ص ٣٠٥ ، ٣١٦ـ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ـ ٣٢٥ ، ٣٢٨ • (١٢٣) ص ٢٠٧ـ٢٠١ • (٨٤) ص ٤٨٢ • وراجع (٦٤) الفصل السادس (١٢١ـ١٤٠) •

٩ ـ (١٣٦) ص ٢٨ـ٢٩ • (٩١) ص ١٤٣ • (٢) ص ٧٤ • وقد وقع في نفس اليوم الذي وقعت فيه معاهدة لوزان على ميثاق يتعلق بالمضايق ، اتفق فيه على : ١ـ أن يكون البسفور وكل الجزر فيما عدا جزيرة واحدة في بحر مرمرة وبعض جزر أخرى في بحر ايجه ، اماكن غير عسكرية • ٢ـ أن تتالف لجنة للاشراف على شؤون المضايق وتكون مسؤولة امام عصبة الامم • ٣ـ أن يتوفر ضمان دولي لحرية الملاحة في المضايق ولسلامة الأماكن المنزوعة السلاح بكل الوسائل التي تقرها عصبة الامم في حالة تعرضها للعدوان أو التهديد بالحرب • راجع (٥٥) ص ٨٣ • وراجع أيضا (٦٤) الفصل التاسع (١٨٦ـ٢١٣) •

١٠ـ (٤٦) ص ٣٠٩ • (١٣٦) ص ٢٠٥ـ٢١٠ •

١١ـ (١١٢) ص ١٠٠ •

١٢ـ (٩٠) ص ٧٠ـ٧٣ • (١٧١) ص ٩٤ وما بعدها • (٤٦) ص ١٣٣ـ١٣٤ • (٧٦) ص ٢٩٩ • (٦٤) ص ٤١ •

١٣ـ (٧٦) ص ٢٩٥ـ٢٩٦ • (٦٦) ص ١٣٤ـ١٣٦ •

١٤ـ يذكر (٥٥) ص ٨٣ أن اليهود قد استغلوا الصعوبات التي واجهها فيصل في مؤتمر الصلح وحصلوا منه على اعتراف بمطالبهم في فلسطين • وانه وقع على اتفاقية باعتباره ممثلا للمملكة العربية في الحجاز مع ويزمان باعتباره ممثلا للمنظمة الصهيونية ، تقوم على اقامة علاقات دبلوماسية بين (دولة العرب وفلسطين) • كما تنص على هجرة اليهود الى فلسطين • وتنص كذلك على أن تكون الحكومة البريطانية هي الحكم في أي خلاف يحدث بين الطرفين • ويضيف المصدر أن فيصل أضاف بالعربية بجانب توقيعه ، أن الاتفاقية تكون نافذة المفعول في حالة ما اذا حصل العرب على استقلالهم كما حدده في مذكرته التي قدمها لوزارة الخارجية في الرابع من كانون الثاني (يناير) • راجع أيضا (١٨٢) ص ٣٢ـ٣٣ •

١٥ـ (٩١) ص ٤٤ وما بعدها • حضر الامير فيصل جلسة ٦ شباط (فبراير) ١٩١٩ • وكان قد تقدم في ٣١ كانون الثاني (يناير) بمذكرة شرح فيها قضية العرب وحرصهم على اقامة دولة عربية متحدة • وقد بدت فيها مجاملة لبريطانيا في عدن وفي فلسطين• كما أن فيها اعترافا بميل بعض اللبنانيين الى حماية فرنسا مع بقاء لبنان متحدا من

الناحية الاقتصادية مع سوريا • راجع (٦٤) ص ٧٢ وما بعدها • وراجع أيضا نفس المصدر ص ٦٩ وما بعدها ، ٧٤ـ٧٥ عن بعض الانتهازيين الذين قدمهم بيشو وزير خارجية فرنسا أمام المجلس ليؤكدوا أمامه أن السوريين يختلفون عن العرب ، وانهم لايرغبون في الانضمام اليهم • ويطالبون بقيام دولة ملكية دستورية تدخل ضمنها فلسطين وتكون تحت رعاية فرنسا •

١٦ـ راجع (٤٦) ص ٣١٦ ٣١٨ • (٩١) ص ٨٩ • (١٧١) ص ٩٥ • (٦٤) ص ٦٩ وما بعدها ، ٨١ • ويلاحظ أن الرئيس الامريكي كان صاحب مبدأ تقرير المصير • ثم راقته فكرة الانتداب التي دعا اليهـا جان كريستيان اسمطس رئيس حكومة جنوب افريقية ، فاعتنقها وضمنها مذكرته التي قدمها الى مؤتمر باريس في ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ حول انشاء عصبة الامم •

١٧ـ (٤٦) ص ٣٢٢ـ٣٢٣ • (٩١) ص ٩٠ •

١٨ـ (٨٨) ص ٧٦ـ٧٧ • (١٧١) ص ٤٥ • (١٨) ص ٩٥ ، ١١٨ •

١٩ـ (٤٦) ص ٣٢٦ـ٣٢٧ • (٩١) ص ٧٤ـ٧٦ ، ٩٠ـ٩١ • (١٣٢) ص ٣٤٦ •

٢٠ـ (٤٦) ص ٣٢٨ـ٣٣٠ •

٢١ـ (٤٦) ص ٣٣٠ـ٣٣١ • (٩١) ص ٧٣ ، ٧٤ •

٢٢ـ (٤٦) ص ٣٣٢ـ٣٣٥ • (٩١) ص ٧٧ـ٧٨ • (٧٦) ص ٣٢١ • (١٧١) ص ٩٥ •

٢٣ـ (٢٣) ص ٣٦ـ٣٧ ، ٩٤ـ٩٥ • (١٥٧) ص ٥ ، ٩ـ١٠ • (١٨٣) ص ٦٣٩ وما بعدها

٢٤ـ (٢٠٨) ص ٣٨٤ـ٣٨٦ • (٩١) ص ٨٩ • (١٥٧) ص ٥ •

٢٥ـ (٥٠) ص ٢٠٠ـ٢٠١ • (١٢٣) ص ٢٠٧ـ٢١٠ • (٧١) ص ١٩ •

٢٦ـ (٤٨) ص ١٠٧ • (٥٠) ص ٢٠٠ • (١٥٧) ٢٩٧ـ٢٩٨ •

٢٧ـ (١٠٨) ص ٣٠٤ •

٢٨ـ (٧٢) ص ٢٣٨ •

٢٩ـ (١٢٣) ص ١٩٦ •

٣٠ـ (١٠٤) ص ١٣٧ـ٢١٦ • (١٠٨) ص ٢٩٧ـ٣٠٥ • (١٢٣) ص ٦٦ ، ٢٠٤ • (١) ص ١٦٦ـ١٦٩ • (٧٢) ص ٢٣٦ـ٢٣٧ ، ٢٣٩ـ٢٤١ • (٨٦) ص ٢١٠ • (٥٥) ص١٢٢•

الفصل السابع

الشرق الاوسط حتى الحرب العالمية الثانية

فشل الاستعمار الانكليزى فى مناطق الهضاب الشمالية من هذا الشرق ، ونجاحه جزئيا فى مناطق سهوله

بعد أن انتهت الحرب العالمية الاولى بانتصار الحلفاء ، خلا الجو فى ميدان الشرق الاوسط للانجليز بالدرجة الكبرى وللفرنسيين لحد ما . فالقوات الالمانية تراجعت منه الى ما وراء جبال بوهيميا . كما تراجعت القوات الروسية الى ما وراء جبال القوقاز وانشغلت فيما بينها فى حروب داخلية وفتن . وكذلك انسحبت القوات التركية من العراق من جهة ومن فلسطين من جهة أخرى ، وتراجعت الى داخل الاناضول . وكان فى وسع أى انكليزى مشبع بروح الاستعمار من أمثال لويد جورج أو تشرشل أن يقول وقتئذ، ان قواتنا تنتشر في الشرق الاوسط فيما بين بحر قزوين وبين البحر الاحمر من جهة وفيما بين وادى السند وبين وادى النيل من جهة أخرى . ومن حقنا أن نتملكه ، ونسيطر على شعوبه ونحكمها ، ونقيم فيه ما نشاء من قواعد لقواتنا ، وما نشاء من طرق وخطوط حديدية لتسهيل نقل هذه القوات الى شتى جهاته لتأمين مصالحنا فيها . كما نمد خطا بين كراتشى وبين القاهرة عن طريق بغداد لنحكم الاتصال بين الهند وبين مصر . وبذلك ، نكون امبراطورية انكليزية لا مثيل لها في التاريخ ، في اتساع رقعتها وفى احكامها وفى ما تتضمنه من ثروات . وكذلك فى اهميتها الاستراتيجية كممر بين الشرق وبين الغرب لجميع وسائل الاتصالات البرية والبحرية والجوية . وكمصد فى وجه الشيوعيين نحو الهند ونحو البحار الدنيئة(١).

وهم فى سبيل تحقيق هذا المطمع الضخم ، عملوا كل ما امكنهم عمله من وسائل مشروعة وغير مشروعة . فلكى تبقى روسيا – وهى عدوتهم اللدودة فى هذا الشرق – ضعيفة فيتمكنوا من وضع أيديهم على بترولها فى منطقة القوقاز ، وكان لهم فيه نصيب كبير قبل أن يؤممه الشيوعيون ، شجعوا الفتن الداخلية والحروب القائمة فيها وساعدوا العناصر الثائرة ضد الشيوعية ماديا وأدبيا . كما اشتركت قواتهم مع قوات روسيا البيضاء ضدها فى القوقاز وفى البحر الاسود وفى القسم الشرقى من سيبريا .

كما عملوا على تدمير تركيا • وذلك باقتطاع الاجزاء الشرقية منها ، ليقيموا فيها حكومتين احداهما أرمنية والاخرى كردية تدينان لهم بالولاء والطاعة ، وبتقييدها فى معاهدة سيفر بقيود ثقيلة تجعلها تحت رحمتهم • وعملوا كذلك على اقصاء الايطاليين عن القسم الغربى منها ، حتى لا تتولد لهم فى الشرق الادنى مصالح البندقية وأطماع روما • ولكي لا تمتد أطماع ألمانيا ثانية الى هذا الاقليم ، عملوا على تحطيم امبراطورية النمسا والمجر •واقاموا على أنقاضها عددا من الدول تقف كمصدات • وراعوا أن يكون تخطيط الحدود بينها مصدرا لنزاع دائم ، حتى لا تستطيع ألمانيا ، عندما تبعث من جديد ، أو روسيا أن تتفق معها مجتمعة • كما عملوا على تحويل اتجاه سير قطار الشرق السريع من هامبورج وخلال وسط أوربا ، الى كاليه وباريس وخلال ممر سمبلون الى البندقية وعن طريق زاجرب الى استانبول • وغداة عقد الهدنة مع تركيا ، تنكروا لفرنسا • ولكى يشلوا أطماعها القديمة ، أرغموها على أن تعترف لهم بولاية الموصل من جهة الشرق وبفلسطين من جهة الجنوب • كما تنكروا للامريكيين ولمبادئهم لكى يحملوهم على المغادرة الى الجانب الغربى للمحيط الاطلسى(٢).

وتنكر الانكليز أيضا للعرب الذين وقفوا بجانبهم فى أحلك أوقاتهم فى هذا الميدان • فلكى يضعفوا قضيتهم عملوا على أن يقيموا لليهود دولة فى فلسطين • كما تخلوا عن مناصرة حليفهم الشريف حسين فى مكة وتركوه ليواجه وحده قوة الامير ابن سعود(٣) • ولكى لا يكون هذا الامير الفتى خطرا عليهم ، أقاموا فى وجهه الامير عبدالله فى شرق الاردن تحت نفوذهم • وذلك ، حتى يكون محاصرا من جهة الشمال بواحد آخر من الاسرة الهاشمية ، كما هو محاصر بالملك فيصل فى العراق من جهة الشرق• ولكى يمنعوا قيام صلات قوية بينه وبين فرنسا(٤) التى كانت وقتئذ تحقد عليهم كما كانت مثله معادية للهاشميين ، وقفوا فى وجه مطلبه الخاص الذى يميل الى ايصال ارضه بأرض سوريا ليتخذ من مدنها وموانيها أسواقا لتجارته ومنافذ لها • ولذلك ، مدوا من أرض شرق الاردن ذراعا وأوصلوها بأرض العراق ، لكى تقف الدولتان الهاشميتان الواقعتان تحت نفوذهم فاصلا بينه وبين سوريا • ولاهمية الوضع الاستراتيجى لهضبة ايران بين العراق وبين الهند ، نشروا قواتهم فيها بقصد احتلالها وفرض سيطرتهم عليها(٥).

ولكن هذا المطمع الاستعمارى الضخم قد خاب ، برغم جميع الجهود التى بذلت فى سبيل تحقيقه • وكان فشله ذريعا فى القسم الشمالى الهضبى من الشرق الاوسط ، لسببين رئيسيين • أحدهما أن الثورة الشيوعية فى روسيا قد نجحت • واتجهت سياسة العهد الجديد فيها من جهة الى محاربة الرأسمالية الاستعمارية أينما كانت ، كما اتجهت من جهة أخرى الى مساعدة الشعوب المجاورة له فى هضبة الاناضول وفى هضبة

ايران ماديا وأدبيا على تحقيق أمانيهم القومية في الحرية والاستقلال · أما السبب الآخر ، فيرجع الى أنه فى هذه الفترة الحرجة من تاريخه ، ظهرت من بين أبناء شعوبه شخصيات فذة استطاعت أن تقلب الصفحات السود من تاريخ بلادها وتسطر لها بيدها فى صفحات بيض تاريخا آخر فيه الكثير من الفخار والمجد ، وان تنقلها من وهدة الذلة الى ربوة العزة والكرامة(٦)· فظهر بين الاتراك مصطفى كمال ، وظهر بين الفرس رضا شاه ، وظهر بين الافغانيين أمان الله خان ·

ونجاح الثورة الشيوعية فى روسيا ، على غير ما أمل الانكليز منها ، وتهديدها بالقضاء على أطماعهم ومصالحهم فى الشرق الاوسط وفى الهند — لا بالاضرار بها فحسب — كما عبر أحد ساستهم ، وكذلك فشل المغامرات التى قاموا بها فى هضاب الاناضول وايران ، قد حملهم كل ذلك على أن يهجروا سياستهم الاستعمارية القديمة ، وأن ينتهجوا سياسة أخرى توءدى خطوطها الرئيسية الى تمكينهم من الوقوف فى وجه الشيوعية وصد أطماعها ومبادئها عن الهند وعن عالم الخليج العربى وبضمنه العراق · فعملوا من جهة على أن يحولوا العداوة التى تكنها لهم شعوب تلك الهضاب الى صداقة ، وعملوا من جهة أخرى على خلق مصالح للامريكيين فى بعض مناطق معينة من الشرق الاوسط لكى يقفوا بجانبهم فيه · وهم فى مساعيهم فى كلا الجهتين قد وفقوا الى بعض النجاح ·

كانت شعوب الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط تمقت الانكليز أشد المقت ، لسعيهم فى تقطيع أوصال بلادهم واضعافها واحتلالها ، ولوقوفهم المعاند ضد حقوقهم الطبيعية فى حرية بلادهم ووحدتها · وفى الوقت الذى كانوا يتنافسون فيه غيرهم من القوى المستعمرة الاخرى على سلب هذه الشعوب حقوقها ، ويتمادون فى الاستبداد بها ، قام العهد الجديد فى روسيا يناهضهم ، ويدعو الى حرية الشعوب المغلوبة على أمرها، ويضرب لها الامثلة على صدق نيته فى دعوته · فالغى كل ما كانت الحكومة القيصرية قد اكتسبته في بلادهم من حقوق وامتيازات · كما أعلن نقضه ومقاومته لجميع المعاهدات غير العادلة التى فرضتها الحكومات القوية على الشعوب الضعيفة · وكان أروع مثل ضربه أمام تلك الشعوب المناضلة فى سبيل حريتها واستقلالها ، انه أعطى جميع الشعوب التي كانت خاضعة للحكم القيصرى الحق فى تقرير مصيرها ، وفى أن تختار الانضمام الى الاتحاد السوفييتى ، أو ان تنفصل عنه · على اعتبار أن الاتحاد يمثل جامعة أمم حرة ، يتمتع فيها أعضاوءها بالمساواة التامة فى الحقوق والواجبات · ولكل عضو فيها ان يحتفظ لنفسه بلغته ودينه وعاداته وتقاليده الموروثة وغيرها من عناصر القومية الخاصة · كما أن له الحق فى أن ينفصل عنها متى شاء · وبينما كان الاستعمار ينكر على شعوب الشرق الاوسط ، وبلادهم مهد الحضارة وموطن امبراطوريات عظمى ، حقوقها ، كان العهد الجديد فى

روسيا يعطي أقل شعوب وسط آسيا حضارة حقها في التمتع باستقلالها. فلا غرو اذا تعلقت قلوب هذه الشعوب به، وعلقت على نصرته لها آمالها، وربطت نفسها به بصلات وثيقة(٧) وقد استمرت محافظة على هذه الصلات ، كما استمر الاتحاد السوفييتي محافظا عليها ، الى أن قامت الحرب العالمية الثانية .

ومع ذلك ، فقد استطاع الانكليز أن يجدوا بعض ثغرات يدخلون منها الى أراضي هذه الشعوب . وقد وجدوا أوسع الثغرات ضمن المبادىء والدعايات التي كان يقوم بها العهد الجديد في روسيا بادىء الامر . فقد كان هذا العهد يحارب الرأسمالية ، كما كان يحارب الاستعمار . وهو في سبيل محاربته للرأسمالية ، دعا الطبقات الكادحة من الفلاحين والعمال وغيرهم الى توحيد صفوفهم ورفع لواء الثورة ضد الاقطاعيين والطبقات الحاكمة . فلما أحس هؤلاء بالخطر الذي يهددهم ، وخشوا أن تنتشر المبادىء الشيوعية الى بلادهم ، انكمشوا ، واخذوا يقفلون تدريجيا بابهم المفتوح نحو الشمال في اتجاه الاتحاد السوفييتي بينما أخذوا يفتحون لهم بابا آخر نحو الجنوب في اتجاه الرأسمالية الانكليزية التي كانت تسيطر وقتئذ على شؤون العراق(٨).

ومن هذا الباب دخل الانكليز ، وربطوا حكومات كابل وطهران وأنقره مع حكومة بغداد بميثاق سعد آباد في ٨ يوليه (تموز) ١٩٣٧(٩). وكان ذلك بعد أن مهدوا له بالسعي في حل المنازعات التي كانت قائمة على الحدود بين العراق وبين تركيا ، وبينه وبين ايران(١٠) ، وكذلك بين ايران وبين تركيا . وقد تضمن هذا الميثاق نصا يقضي بأن تمتنع كل دولة من الدول الموقعة عليه عن القيام ـ بنفسها ، أو متحالفة مع دولة أخرى ـ بأي اجراء ضار بمصلحة زميلاتها في هذا الميثاق . ان هذا الميثاق ، بالرغم من أنه يبدو كمعاهدة حسن جوار وعدم اعتداء بين هذه الدول ، فان مصلحة الانكليز واضحة فيه . وهي تكوين جبهة في الشرق الاوسط تعمل من جهة من أجل سلامة واستقرار الوضع القائم فيه ، ومن جهة أخرى تقف متراصة في وجه امتداد نفوذ الاتحاد السوفيتي ومبادئه الشيوعية الى بلادها والى شعوب الخليج العربي والهند(١١).

ومع ذلك ، فان عقد هذا الميثاق لم يحقق من مصلحة الانكليز فيه الا القليل ، لاسباب منها الشك في خلوص نيتهم . ومنها أن العهد الجديد في روسيا قد انصرف عن دعايته للطبقات الكادحة الى الثورة ، ووجه اهتمامه الى تنظيم شؤونه الداخلية والنهوض ببلاده ، (١٢) معتبرا ان انتصاره داخليا هو أفضل دعاية له بين الشعوب الاخرى في الخارج . وفي الوقت نفسه ، استمر على مناصرته للحركات الوطنية القائمة ، وعلى الاخص حركات الشعوب المتاخمة له . كما استمر أيضا محافظا على ارتباطاته مع حكوماتها، وعلى صلات المودة والتعاون معها في ميادين الاقتصاد والسياسة . وهو بهذا المسلك قد هيأ الفرصة أمام قادة هذه الشعوب الى الاهتمام بشؤونهم

الخاصة والانصراف عن المشاكل الدولية الى النهوض ببلادهم • وبسبب ذلك لم يحدث بين حكومات هذه الدول ما يستدعى الاجتماع للنظر فى تطبيق نصوص ذلك الميثاق أو فى تدعيمه وتقويته • وبالتالى لم تتوافر امام الانكليز فرصة لدس أنفهم • ومع ذلك فان هذا الميثاق ، وان كان قد ولد ضعيفا وعاش ضعيفا الى أن مات ، فانه ترك الباب مفتوحا بين تلك الحكومات وبين الانكليز •

وأول ما قرب بين الانكليز وبين الاتراك انما كان الخوف من أطماع كل من ألمانيا وايطاليا • فالاولى بعد بعثها سعت الى استعادة صلاتها السلمية مع تركيا ونجحت ، فانتشرت ثقافتها فيها ، كما زادت تجارتها معها زيادة ملحوظة • ولكنها أخذت بعد قيام حكم هتلر توسع فى أطماعها عن طريق بث دعايات واسعة لها فيها ، حتى بدا للاتراك أن السياسة الاقتصادية التى تتبعها المانيا فى بلادهم تنذر بالخطر ، وأن الخطوط الرئيسية التى رسمت للتوسع الالمانى نحو الشرق قبل الحرب العالمية الاولى ترسم من جديد • وكان ذلك ، على الاخص ، بعد أن أعلن هتلر عن عزمه على محو كل آثار معاهدة فرساى ، وعلى استئناف العمل الذى كانت تقوم ألمانيا به قبل ١٩١٤ حتى تتبوأ مركزها الاسمى بين دول العالم(١٣) •

وفى الوقت الذى تولدت فيه لدى الاتراك مخاوف من الالمانيين ، تولدت لديهم أيضا مخاوف من الايطاليين • ففى مارس (اذار) ١٩٣٤ خطب موسوليني أثناء عقد الجمعية العامة للنظام الفاشيستى فى روما ، فذكر أن الاهداف التاريخية لايطاليا لها اسمان هما أفريقية وآسيا ، واليهما يجب ايقاظ اهتمام الايطاليين وتوجيه ارادتهم • وأن لهذه الاهداف فى القارتين ما يعضدها ويؤيدها من الناحيتين الجغرافية والتاريخية • فموقع ايطاليا الجغرافى على البحر المتوسط الذى أعطاها وظيفتها كحلقة للاتصالات بين الشرق وبين الغرب ، يفرض عليها أن تعمل على ايجاد تعاون وثيق بينها وبين شعوب أفريقية والشرقين الادنى والاوسط ، لغرض استثمار ثرواتها التى لا يزال معظمها مطمورا ، ولتثبيت مركزها فى دائرة الحضارة • كما يعطيها الحق فى أن تعمل على خرق الحصار الذى تفرضه الدول الاستعمارية على توسعها الثقافى والاقتصادى والسياسى • ومع أن موسوليني قد استدرك ، وأشار الى أنه لا يعنى فتحا وتوسعا اقليميا أو فرض سيادة أو مطالبة بامتيازات ، الا أن ما قاله عن أهداف السياسة الايطالية قد ولد مخاوف عميقة فى قلوب الاتراك ، وفى قلوب الانكليز والفرنسيين على السواء • وتأيدت هذه المخاوف عندما اعتدت القوات الايطالية على الحبشة واحتلتها فى سنة ١٩٣٦ • كما تأيدت عندما اعتدت بعض الغواصات الايطالية على سفينتين لاسبانيا وضربتهما بالطوربيد بالقرب من مدخل الدردنيل فى المياه الاقليمية التركية فى ١٩٣٧ • وكذلك تأيدت فى سنة ١٩٣٩ عندما عبرت القوات الايطالية البحر الادرياتى الى شبه جزيرة البلقان

واحتلت ألبانيا(١٤).

وقد أدت هذه المخاوف التى تولدت فى قلوب الاتراك ، كما تولدت فى قلوب الانكليز والفرنسيين ذوى المصالح الاستعمارية فى افريقية وفى الشرق الاوسط ، من امتداد أطماع ألمانيا وايطاليا ، الى تقارب سريع بينهم تنوسيت فيه الاحقاد القديمة . ففى سنة ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ انضمت تركيا الى جانبهما فى عصبة الامم فى طلب توقيع العقوبات على ايطاليا . كما عضد الانكليز تركيا فى طلبها الخاص باعادة النظر فى اتفاقية المضايق التى تضمنتها معاهدة لوزان . وفى اثناء عقد معاهدة مونتريه كان التقارب بينهما واضحا فى وجهات النظر المشتركة التى تهمهما كليهما . ولتقوية الصلات الجديدة بين الدولتين ، زار الملك ادوارد الثامن تركيا زيارة رسمية ، ورد عصمت أنونو الزيارة ، عندما اشترك فى حفلات تتويج الملك جورج السادس . ودعمت هذه الروابط الودية بروابط مالية واقتصادية . فحصل الاتراك من الانكليز على ضمان بمبلغ عشرة ملايين من الجنيهات الاسترلينية لشراء اسلحة بريطانية . كما حصلوا أيضا على قرض بمبلغ ٦ ملايين . ومن جانبهم ، قاموا بمنح بعض شركات انجليزية امتيازات مهمة فى بلادهم. وعندما اعتدت ايطاليا على البانيا واحتلتها فى ابريل (نيسان) ١٩٣٩ اسرعت الدولتان وارتبطتا معا بميثاق مايو (أيار) ١٩٣٩ . وفيه اتفقتا على التعاون الكامل ، وتقديم كل المساعدات الممكنة فى حالة قيام دولة أخرى بعمل عدائى يؤدى الى قيام حرب فى منطقة البحر المتوسط . وتلا عقد هذا الميثاق ، قيام بزيارات رسمية ومجاملات ، وتبادل للبعثات العسكرية ، وتشاور فى الامور التى تهم البلدين . وكان عقد هذا الميثاق مقدمة لمعاهدة عقدتها بريطانيا وفرنسا مع تركيا فى شهر حزيران (يونيو) من نفس السنة ، وهى المعاهدة التى دفع فيها الاستعمار ، على حساب سوريا ، لواء الاسكندرونة الى تركيا(١٥).

ولما قامت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر (أيلول) ١٩٣٩ واشتركت فيها بريطانيا وفرنسا فى جانب وألمانيا فى جانب آخر ، لم يستطع الاتراك أن يوفوا بتعهداتهم التي تلزمهم اياها معاهدتا مايو ويونيو مع الجانب الاول. وذلك بسبب قيام ميثاق عدم الاعتداء المعقود بين الالمان وبين الاتحاد السوفييتى . لان هذا الميثاق يتضمن معنى تخلى الاتحاد عنهم اذا هاجمتهم ألمانيا . كما أنه قد يكون غاضبا عليهم لسياستهم الودية مع القوى الغربية .

وهذا الموقف الدقيق للاتراك جعلهم يسلكون سبلا مختلفة . فأخذوا يستعدون عسكريا لمواجهة الطوارىء . وفى الوقت نفسه ، أعلنوا أن علاقتهم مع الجميع ودية ، وأن الاستعدادات التى يقومون بها هى من باب الاحتراس . ثم أرسلوا وزير خارجيتهم الى موسكو لغرض تقوية صلاتهم الودية القديمة مع الاتحاد السوفييتى بعقد معاهدة جديدة معه . والمحافظة

على تلك الصلات كانت لا تزال مبدأ أساسيا فى السياسة التركية • الا أن الغرض من هذه الزيارة لم يتحقق • فاضطر الاتراك الى قبول المساعى التى كانت تبذلها انكلترا وفرنسا ، ووقعوا معهما فى ١٩ تشرين الاول ١٩٣٩ معاهدة دفاع مشترك وتعاون فعال فى حالة ما اذا قامت دولة أوروبية أخرى بعمل عدائى فى البحر المتوسط ، أو فى اليونان ، أو فى رومانيا • ولم ينس الاتراك أثناء عقدهم هذه المعاهدة علاقتهم مع الروس • فقد تضمن أحد البروتوكولين الملحقين بها شرطا ينص على ألا يؤدى تنفيذ هذه الالتزامات من جانبهم الى القيام بعمل من شأنه أن يدخلهم فى حرب مع الاتحاد السوفييتى(١٦) • ونجح الاتراك فى سياستهم • ففى الوقت الذى كانوا فيه يقوون صلاتهم بالحلفاء كانوا حريصين أيضا على الاحتفاظ بصلاتهم طيبة مع الاتحاد السوفييتى ومع المانيا • ثم تعقد موقفهم بدخول ايطاليا الحرب فى يونيه (حزيران) ١٩٤٠ فى جانب المانيا وقيامها بأعمال عدائية فى البحر المتوسط وفى اليونان • فقد أصبح من الواجب عليهم بمقتضى معاهدة ١٩ تشرين الاول أن يدخلوا الحرب فى الحال فى جانب الحلفاء ضدها • ولكنهم عندما وجدوا أن القوات السوفييتية تتقدم نحو البلقان كما تتقدم نحو البلطيق ، ووجدوا أن قوات فرنسا قد انهارت ، وبدا الضعف فى جانب الحلفاء ، فضلوا التريث واعادة النظر أكثر من مرة فى موقفهم • فأعلن رئيس وزرائهم أن الحكومة التركية متمسكة بنص البروتوكول الثانى الملحق بالمعاهدة ، وانه قد ابلغ الدول صاحبة الشأن بذلك •

وتعقد مركز الاتراك مرة أخرى تعقدا كبيرا فى سنة ١٩٤١ • فمن جهة ، كان الالمان يتقدمون منتصرين فى البلقان ، ومن جهة أخرى كان الاتحاد السوفييتى قد حول اتجاهه نحو الحلفاء وضد ألمانيا • وأصبح مركزهم الدقيق يفرض عليهم اما أن يؤكدوا حيادهم ، أو أن يخرقوه ويستجيبوا لدعاء الروس والحلفاء بالسماح لسفنهم بالمرور خلال المضايق لنقل المساعدات التي يحتاج اليها الاتحاد السوفييتي • ولكنهم كانوا مدركين بان هذه الاستجابة ستعرضهم للدخول في حرب محققة مع قوات المحور المنتصرة في البلقان • ولهذا أصموا عن هذا الدعاء آذانهم ، وتمسكوا بالحياد المطلق ، متنكرين لميثاق البلقان ، ولمعاهدة ١٩ تشرين الاول ١٩٣٩ ، ومضحين بصلاتهم الودية مع الاتحاد السوفييتى ، وهو في أحرج أوقاته •

وساء موقف تركيا الاتحاد السوفييتى ونقم عليها لجحودها وتنكرها لفضله عليها في أوقات محنتها عقب الحرب العالمية الاولى(١٧) • أما الانكليز وجماعتهم فلم ينقموا عليها • ربما لانهم كانوا يعلمون بأنها ما كانت تستطيع الصمود أمام الزحف الالماني الخاطف ، وأن انتصار الالمان عليها معناه تشجيع الشعوب الثائرة على الاستعمار في الشرق الاوسط ، وفتح أبواب هذا الشرق أمام القوات الالمانية نحو قناة السويس ونحو الخليج العربى •

وربما لانهم كانوا مدركين بأن تحالفهم مع الشيوعيين أمر غير طبيعي ، وقد فرضه الدفاع عن النفس اثناء الحرب فقط ، وأن ثمة صراعا عنيفا سيقوم بينهما بعد نهاية هذه الحرب. والاحتفاظ بصداقة الاتراك أمر حيوي في هذا الصراع ، لأنه سيمكنهم من ايقاف قوة الشيوعية عند مدخل البسفور . كما أنه سيؤدى الى تقوية نفوذهم على الشعوب الأخرى في الشرق الاوسط وفي البلقان ، ويوفر أسبابا لزيادة التدخل في شؤونها . وما مشاريع الدفاع عن هذا الشرق الا نتيجة من نتائج ذلك . وعلى كل حال ، كان الموقف المعادي للأتراك من قبل الروس من جهة والموقف الودي لهم من جانب الانكليز وجماعتهم من جهة اخرى هو الذي حدد بدرجة كبيرة الموقف الحالي لتركيا في جانب الكتلة الغربية في صراعها العالمي ضد الكتلة الشرقية .

أما في هضبة ايران(١٨) فان الانكليز لم يستطيعوا أن يربطوا الايرانيين في عربتهم ثانية بالرغم من كل المحاولات التي بذلوها . بل انهم قد ووجهوا بعداء شديد وارادة حازمة لا في داخل ايران فحسب ، وانما أيضا في سواحلها على الخليج العربي وفي جزرها ومياهها الاقليمية . كانت القبائل التي تسكن هذا الساحل الفارسي والجزر الفارسية الواقعة أمامه تعيش قبل قيام رضا شاه مستقلة عن حكومة طهران أو شبه مستقلة ، وتعترف للانكليز بالولاء . فلما قام هذا الشاه فرض عليها ارادته ، وحول ولاءها من الانكليز اليه . أما من عارض ارادته من شيوخها فكان مصيره الغياب في سجن طهران . ولم يقف عمله عند حد اقصاء نفوذ الانكليز عن سواحل بلاده وجزرها في الخليج العربي فحسب ، بل انه ناصبهم العداء أيضا في جزر البحرين وعمل على اقصاء نفوذهم عنها لاستعادة نفوذ بلاده عليها .

وتوالت منه ضربات قاصمة للنفوذ الانكليزي في بلاده . ووجه أولى هذه الضربات الى خزعل شيخ المحمرة ، الذي كان صديقا حميما للانكليز ومن الدعاة لهم بين زعماء العرب وغيرهم قبيل قيام الحرب العالمية الاولى وبعد قيامها . وكانت تربطه بهم صلات مصلحية قوية ، ومعاهدات كتلك التي عقدوها مع شيوخ الساحل العربي للخليج . فان هذا الشيخ عندما خالف أمر الشاه ، وامتنع عن تحويل ولائه من الانكليز الى حكومة طهران ، استنادا الى اتفاق سابق بينه وبينهم واعتمادا على التأكيدات التي قدمها له وكلاء حكومتي لندن وبمباي بتأييده وتقديم كل المساعدات اللازمة له في حالة ما اذا حاولت الحكومة الفارسية الاعتداء على سلطانه أو امتنعت عن الاعتراف بحقوقه وممتلكاته في أرض فارس ، نقل تحت سمعهم وبصرهم مهانا وورى في سجن طهران . ووجه اليهم رضا شاه ضربته الثانية في سنة ١٩٣١ عندما أمر بمنع طائرات الخطوط الجوية الامبراطورية من الطيران في سماء بلاده ، وازالة مؤسسات شركة خطوط البرق الاوربية ـ الهندية من أراضيها . وضربهم في السنة التالية ضربة ثالثة عندما ألغى في تشرين الثاني

(نوفمبر) سنة ١٩٣٢ امتياز دارسى (الشركة الانكليزية ـ الايرانية)[١٩]. ولم يأبه لتهديداتهم ، وفرض عليهم في سنة ١٩٣٣ قبول اتفاق جديد أفضل بكثير من الاتفاق القديم في كثير من النواحي ، ومن بينها تحديد مساحة الامتياز بمائة ألف ميل مربع ، بعد أن كان الامتياز القديم يشمل كل أراضي ايران عدا الخمس ولايات الشمالية . وبذلك تطهر منهم قسم كبير من الاراضي الايرانية . أما من كان منهم في داخل منطقة الامتياز الجديد ، فقد فرض عليه الخضوع للعلم الايراني ، لا للعلم البريطاني كما كان من قبل . وضربهم ضربات أخرى ، منها الغاء الامتيازات الاجنبية ، وارغامهم على تسليم مؤسسات الحجر الصحي والانارة التي كانوا قد أقاموها على مياه فارس وأراضيها . وأرغامهم كذلك على ابعاد مقيمهم السياسي في الخليج من بوشير ، وارغامهم أيضا على نقل قواعدهم البحرية من بعض جزره في هذا الخليج . وقد نقلوها الى جزر البحرين[٢٠] .

والحكومة الانكليزية ، وهي لا تخضع لغير الاصرار والقوة ، قد أحنت رأسها لكل هذه الضربات . ولم تجب على الاحتجاجات التي وجهت اليها في مجلس العموم بشأن تخليها عن هذه المناطق التي اكتسب الشعب الانكليزى فيها نفوذا منذ عهد بعيد ، بأكثر من الاعتراف بأن هذه المناطق لم تكن في يوم ما ملكا لبريطانيا . وأنه قد تبين ان جوها المحلى غير صحي. كما تبين أن المصالح البريطانية تتحقق بصورة أفضل بانتقالها من الجانب الفارسي الى جزر البحرين والجانب العربي[٢١] .

وخضوع الانكليز أمام الايرانيين يمكن ارجاعه الى اسباب كثيرة . لعل من اهمها ، أملهم في ان يتوصلوا عن طريق ذلك الى تأكيد حسن نيتهم نحو ايران حتى تحتفظ بموقفها المحايد ، ولا تنحاز الى جانب الروس . ومن المحتمل أنهم قد تبينوا ان الصلات بين حكومة طهران وبين حكومة موسكو ليست خالصة ، وعلى الاخص بعد ان امتدت أطماع رضا شاه الى العرش .

فقد نددت به الصحف الروسية واعتبرته خائنا للحركة الشعبية ، وآلة في يد العناصر الرجعية من الفرس ، وفي يد الرأسمالية الانكليزية المسيطرة على منابع البترول في القسم الجنوبي من البلاد الفارسية . كما أخذت تشن عليه هجوما وتشجع العناصر الموالية للشيوعية على القيام بالثورة في وجه حكمه الديكتاتورى . ولابد ان يكون هذا قد خلف في نفسه أثرا . ومع ذلك فان حكومة موسكو قد استمرت محافظة على صلاتها الرسمية مع حكومة طهران ، بل انها عملت على تقوية هذه الصلات معها . فعقدت معها في اول اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٧ معاهدة ، وراعت فيها التأكيد على نصوص معاهدة ١٩٢١ . ثم عقدت معها اتفاقية اقتصادية ، وبمقتضاها اصبح الاتحاد السوفياتي في ١٩٢٩ أعظم مصدر لايران . وفي ٢٧ تشرين الاول ١٩٣٥ عقدت معها معاهدة اخرى ، وفيها القى الاقتصاد

الايراني بين براثن الدب الروسي. فارتفعت كثيرا قيمة الصادرات الروسية الى ايران كما ارتفعت قيمة الواردات منها . وأخذ عدد كبير من المهندسين وغيرهم ينهالون على الاراضى الايرانية لاستغلال مواهبهم في مشاريعها المختلفة . ثم أدركت الحكومة الايرانية الخطر المحقق المحدق بها من هذه السيطرة الروسية وعملت على مقاومتها . (٢٢) وكانت فرصة استغلها الانكليز في تخريب مابين حكومة طهران وبين حكومة موسكو عن طريق عقد ميثاق سعد آباد .

ولكن الايرانيين ، وان رغبوا في توثيق مابينهم وبين جيرانهم من صلات ليفتحوا لمنتجات بلادهم أسواقا جديدة ، الا انهم لم يرغبوا في توثيق صلاتهم مع الانكليز أنفسهم . واتجهوا نحو اخراج بلادهم من محيطها الضيق بين الروس من جهة وبين الانكليز من جهة أخرى ، الى محيط أوسع . فعقدوا معاهدة مع ألمانيا ، كما عقدوا معاهدة اخرى مع اليابان . وكان نشاط الالمان سريعا . ففي ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ كانت تجارتهم مع ايران قد تفوقت على تجارة الاتحاد السوفيتي معها . ومع التجارة الالمانية تدخل النفوذ الالماني ، الامر الذى ادى الى توتر في العلاقات بين حكومة موسكو وبين حكومة طهران قبيل قيام الحرب العالمية الثانية .(٢٣)

وقيام هذه الحرب أزال هذا التوتر وقرب مابين ايران وبين الاتحاد السوفيتي . وذلك بسبب التقارب الذى حدث بين هذا الاتحاد وبين المانيا. وفي هذا الصراع القائم وقفت ايران على الحياد . ثم تغير موقفها فجأة في يوليو (تموز) ١٩٤١ بعد ان نقض هتلر ميثاق عدم الاعتداء مع الاتحاد السوفيتي ووجه هجومه اليه . فاعتدى على حيادها وديست أراضيها بأقدام قوات احتلال انكليزية وروسية ، وارغم الشاه صديق الالمان على مغادرة ايران فتنازل عن عرشه في ١٦ سبتمبر (ايلول) ١٩٤١ لابنه محمد رضا الذي أعلن قطع علاقات بلاده مع دول المحور ، كما أعلن الحرب على المانيا . وعقد في ٢٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٢ مع القوى المحتلة معاهدة تقضي بجلاء هذه القوى عن بلاده بعد نهاية الحرب .

ومرة اخرى اجتمع الانكليز والروس على أرض ايران . وتكررت مأساة سنة ١٩٠٧ . فقسمت الى منطقتى احتلال ، الشمالية منها للروس ، والجنوبية للانكليز ، وكانت أكبر اتساعا . وأخذ كل منهما يمكن لنفسه في منطقته بوسائل مشروعة وغير مشروعة . ثم انتهت الحرب بعد أن تدهورت ماديات الشعب الايراني ومعنوياته ، فانقسم على نفسه الى ثلاثة اقسام . قسم اغراه ذهب الانكليز فسعى في تدعيم مصالحهم في بلاده ، وقسم اغرته مبادىء الشيوعية فاعتنقها وسعى في نشرها فيها . أما القسم الاخير فقد بقي محافظا على مصلحة بلاده وحدها ، ونادى بأن ايران للايرانيين ، وليست للانكليز أو للروس . وكان على رأس هذا الفريق الدكتور مصدق ، فقاوم الشيوعية من جهة ، وقاوم النفوذ الانكليزي من

جهة اخرى . ولكي يوفر لبلاده المال اللازم للنهوض بها واصلاح ما أفسدته ظروف الحرب منها ، أقدم على الغاء امتياز شركة البترول الانكليزية - الايرانية وتأميم بترول بلاده ، وهو أهم مصادر الثروة فيها ، وقد صادق البرلمان على هذا التأميم في جلسة ٣٠ ابريل (نيسان) ١٩٥١ ، كما صادق عليه الشاه في يوم ٢ مايو (أيار) بين هتافات مدوية ضد الاستعمار الانكليزي واستغلاله .(٢٤) ولم يؤد نجاح الايرانيين في تأميم بترولهم الى الاضرار بالانكليز ماديا ، وحرمانهم في أوقات السلم وفي اوقات الحرب من مورد ضخم من زيت البترول ومشتقاته فحسب ، وانما أدى أيضا الى اقصاء نفوذهم عن كل رقعة من البلاد الايرانية ، والى هز قواعده الاخرى فى الشرق الاوسط ومصر .

وأما في افغانستان ، فقد سفر نفوذ الانكليز فيها بعد ان اتفقوا عليها مع الروس في اتفاقية سنة ١٨٧٣ . وتوطد فيها بعض الشيء ، بعد انأثاروا بين امرائها فتنا ، واختاروا لحكمها اميرا يناسبهم هو عبدالرحمن خان، الذى كان مبعدا عنها ونازلا ضيفا على حاكم سمرقند مدة عشرة سنوات وهذا الامير ، وان كان قد خدم مصالح الانكليز فانه قد خدم مصالح بلاده أيضا . لانه استطاع ان يخضع الامراء الاخرين فيها وأن يوحدها . كما قام فيها ببعض الاصلاحات . وازداد نفوذ الانكليز في افغانستان توطدا بعد اتفاقية سنة ١٩٠٧ التي عقدوها أيضا مع روسيا .

وعندما قامت الحرب العالمية الاولى كان موقف الامير الحاكم فيها حرجا بين الانكليز والروس ، وبين الدعوة القوية الى الجهاد التى نادى بها السلطان فى تركيا وأيدتها العناصر المتحررة من المسلمين في افغانستان وفي الهند . ولكنه مع ذلك استمر محافظا على حياد دقيق . وعمل في الوقت نفسه على أن يحصل من الانكليز ، في نظير خدمته لمصلحتهم ، على وعد منهم بأن يمكنوا بلاده من الاشتراك في مؤتمر الصلح حتى تخف حدة الكراهية التي اصبح الشعب الافغاني يكنها له . ولكن الانكليز رفضوا أن يعطوه هذا الوعد . وكان نتيجة لذلك ، انه ما كادت الحرب تنتهى حتى قام الشعب الافغاني ضده بثورة اودت به في فبراير (شباط) ١٩١٩ . ولما قام في الحكم مقامه أمان الله خان أعلن الجهاد ضد الانكليز . وأيده فيه مسلموا الهند ، كما أيده غاندى وأتباعه . وأيده كذلك العهد الجديد في روسيا . فأنه تطبيقا لسياسته الخاصة بمساندة الحركات القومية ، بادر الى الاعتراف باستقلال افغانستان ، وتبادل معها التمثيل السياسى . ولم يجد الانكليز بدا من أن يعقدوا مع أمانالله في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢١ معاهدة روال بيندى ، وفيها اعترفوا باستقلال افغانستان استقلالا تاما .(٢٥) .

واعتراف الانكليز باستقلال افغانستان لم يؤد الى صفاء الجو بينهما تماما . فان قلوب الافغانيين استمرت عامرة بالشك في نواياهم ، بينما

كانت متجاوبة مع الحركة الشعبية القائمة في روسيا . ووجد الروس ان الاحتفاظ بهذا التجاوب وتقويته على درجة كبيرة من الاهمية لهم . لان افغانستان هي المدخل التاريخي للهند من وسط آسيا وغربها . وكلماكان مركزهم قويا فيها خافهم الانكليز وانتهجوا معهم سياسة ود مسالمة .ولهذا عملوا على تقوية صلاتهم بها وعقدوا معها معاهدات . وكان اولاها في ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٢١ وهي معاهدة صداقة ودفاع مشترك . وبجانب المعاهدات الخاصة التى عقدها الاتحاد السوفييتي مع افغانستان ، سعى ايضا في ربطها بمعاهدات مماثلة مع ايران ومع تركيا . وذلك لكي يكون من هذه الدول الثلاث الواقعة عند حدوده جبهة موالية له في القسم الهضبي من الشرق الاوسط ، تقابل الجبهة الاستعمارية الانكليزية ـ الفرنسية في القسم السهلي منه .

والانكليز ، الذين لايتورعون عن الدس والمؤامرات عندما لايستطيعون استعمال القوة ، عندما تبينوا ان الصلات القوية بين أفغانستان وبين روسيا تهدد مصالحهم في الهند تهديدا خطيرا ، دبروا لامان الله مؤامرة اثناء زيارته لموسكو . ونجحت مؤامرتهم واضطر الى مغادرة بلاده في اواخر سنة ١٩٢٩ . وقام مقامه نادر شاه في وقت كان الاتحاد السوفييتى قد انصرف عن دعايته في الخارج الى الاهتمام بشؤونه الداخلية . ولهذا لم يتوقف عن قبول صداقة هذا الملك الجديد وعقد معه في ٣١ يونيه (حزيران) ١٩٣١ معاهدة عدم اعتداء . ثم جدد مع خليفته هذه المعاهدة في ٢٩ مارس (آذار) ١٩٣٦(٢٦) . ولا شك أن هذا الموقف للاتحادالسوفيتي قد أضعف كثيرا من نفوذ الموالين له في أفغانستان ، وقوى كثيرا من نفوذ الاخرين الموالين للانكليز . وربما كان ذلك من بين الاسباب التي ساعدت على اشتراك أفغانستان في ميثاق سعد آباد .

وكما فشل الاستعمار في هضاب الشرق الاوسط ، فشل أيضا في سهوله لحد ما . وذلك لانه قد واجه فيها شعورا قوميا قويا كان قد استيقظ خلال الاتصالات التي جرت بين شعبها وبين الشعوب الاخرى الناضجة والطامعة فيها . وعلى الاخص منذ قيام الثورة الفرنسية وانتشار مبادئها في الحرية والمساواة التي جاءت الى مصر وسوريا مع حملة نابليون. ونما هذا الشعور وتشكل في صور الجمعيات السرية والعلنية التي قامت في القسم الاخير من العهد التركى .(٢٧) ثم نضج على أثر فشل الاستعمار في أفغانستان وفي ايران وفي تركيا ، وقيام شعوب هذه الاقطار في وجهه واقصائه عنها . وأخذ شكل ثورات عارمة في ١٩١٩ في مصر ، وفي ١٩٢٠ ، في العراق وفي ١٩٢١ في العالم السوري . وذلك عندما بدا أن الوعود والعهود والمواثيق التي بذلت وقطعت وابرمت في القاهرة وفي بغداد ،وفي مكة وفي باريس ، وفي لندن ، وفى التصريحات الفردية ، والمشتركة ، لم يخطر الوفاء بها على بال . وأنها لم تكن الا مخدرا لاغفاء الشعور القومي

القوى حتى يتم الاتفاق بين المستعمرين على تقسيمها .(٢٨) .

وفشل ايضا لانه تجاهل كل مقوماتها الطبيعية والبشرية التي تربط بين أجزائها ، كما تربط بين ابنائها ، وتجعل منها وحدة جغرافية محكمة فيما بين البحر المتوسط وبين الخليج العربي . وقسمها تقسيما صناعيا يتفق مع اغراضه ، وبحسب المساومات التي جرت عليها . وقد امعن في تجاهله عندما عمل على خلق دولة يهودية في فلسطين ليجعل منها قرحة في جنب العرب تشغلهم معالجتها عن النظر الى أطماعه في بلادهم . وهو وان نجح في ذلك ، الا انه قد أثار ضده شعورا بالعداء والبغضاء لايضعف . ونبه الشعور القومي في كل البلاد العربية الى وجوب التكتل ضد العدو المشترك ، وهو الاستعمار واليهود . وقد اخذ هذا التكتل شكله في جامعة البلاد العربية ، وفي اشتراك جيوشها ضد اسرائيل ، وفي ظروف اخرى كثيرة مماثلة .(٢٩)

ومن بين اسباب فشل الاستعمار في هذه المناطق السهلية من الشرق الاوسط انه قد استولى عليها بالانتداب .(٣٠) والانتداب ، كما فسره ولسون ، الرئيس الامريكي، للويد جورج أثناء عقد مناقشات مؤتمر الصلح في باريس ، مسألة أدارية بحتة ، وليس مسألة سيادة وتملك .(٣١) كما انه مقيد بشروط . منها أن تقدم الدولة المنتدبة سنويا الى اللجنة الدائمة للانتدابات فى عصبة الامم تقريرا مفصلة فيه أعمالها في الدولة المنتدبة عليها لغرض النهوض بها والاخذ بيدها الى الغاية المقصودة من الانتداب ، وهي أن تصبح قادرة في أقصر زمن ممكن على ان تستقل بأدارة امورها بنفسها . ومن شروطه أيضا انلاتكون للدولة المنتدبة في الدولة المنتدبة عليها حقوق خاصة ، وانما تكون هذه الحقوق مشاعة لجميع الدول الاعضاء في عصبة الامم . وهذا الشرط مثلا هو الذى منع الانكليز من تحصين ميناء حيفا واتخاذه قاعدة لاسطولهم في شرق البحر المتوسط. وهو أيضا الذي مكن الامريكيين وكذلك الايطاليين والسويسريين والالمان وغيرهم من المطالبة بنصيب في بترول العراق .

فالانتداب بهذا الشكل يكون مسألة بغيضة من وجهة نظر الاستعمار لانه لايفهم الا التملك والسادة ، واستنزاف ثروات الشعوب التي تنكب به وقواها في خدمة مصالحه الخاصة . وهو بالطبع لم يجاهر بوجهة النظر هذه ، حتى لاتتقدم احدى الدول الاخرى وتبدي استعدادها لان تحل محله. وذلك لانه يستطيع في اسوأ الظروف بوسائله الملتوية أن يستخلص لنفسه من القطر المنتدب عليه بعض المزايا . أما من وجهة نظر الاقطار المنتدب عليها ، فيمكن القول بأن الانتداب يعتبر اخف البلايا ، اذا لم يكن في امكانها الحصول على استقلالها كاملا .

والاستعمار قادر دائما على ان يلبس الباطل ثوب الحق ، ويجعل ألسنة الشعوب المغلوبة على أمرها تنطق بلسانه وتفصح عن اغراضه التي

يتحرز هو من الافصاح عنها . فهذه مس جرترود بل مثلا ، وهي أحدى اعضاء الهيئة الانكليزية التى كانت تسيطر على العراق ، تقول في مايو (ايار) ١٩٢١ « أن كلمة الانتداب بغيضة . وان عقد معاهدة في جو من الحرية أفضل بكثير ، فضلا عن كونها تطلق يدنا » . وأضافت « اننا نعرف دائما أن فيصل مصر على استبدال الانتداب بمعاهدة (لم يكن فيصل قد حضر بعد الى العراق واختير ملكا) (٣٢) ، والفرصة سانحة أمامنا لان نعمل اليوم بارادتنا ما سيطلبه غدا منا » كما اشارت الى ان « السير برسي كوكس ملح في ان نترك الانتداب كلية ، ونأخذ في عقد معاهدة مع الحكومة العربية عندما يتم تكوينها .(٣٣) وفى ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٢ وقعت معاهدة تحالف بين الحكومتين العراقية والبريطانية . وبتوقيعها أصبحت بريطانيا تمثل دور الحليف كما تمثل دور المنتدب من قبل عصبة الامم . وعن طريق الانتداب قامت للانكليز في العراق سلطة مدنية .وعن طريق التحالف قامت لهم ايضا سلطة عسكرية . وعن طريق السلطتين استطاعوا ان يكونوا لهم طبقة تنفذ لهم مآربهم في الوقت الذى تبدو فيه وكأنها تعمل بمحض ارادتها .

وكان العراق من نصيب الانكليز . أخذوه كمستعمرة ، يتصرفون في حكمها وفي استغلالها كما يشاءون . فلما هبطت أطماعهم فيه الى مستوى الانتداب الهزيل ، وقام في وجههم وعي وطني قوي معارض وثورات عنيفة كلفتهم عشرات الملايين من الجنيهات وبضع عشرات الالوف من الانفس، زهدوا فيه . وقام من بينهم من نادى بوجوب الجلاء عنه من جنوبه الى شماله . ومن نادى بترك وسطه وشماله ، والاكتفاء بالبصرة ، بحجة انها تمكن من تأمين السيادة الانكليزية على الخليج العربي ، كما تمكن من السيطرة على تجارة العراق ، وعلى مصادر البترول الانكليزي ـ الفارسي . كما قامت من بينهم جماعة اخرى طالبت بالتمسك به مهما كان الثمن . وقال اخرون انه مصر اخرى . وقال غير هؤلاء انه كندا الشرق ، مخزن حبوب العالم . (٣٤)

ولم تتحقق في العراق ادعاءات هذه الجماعة الاخيرة . فان رؤوس الاموال الانكليزية التي تدفقت اليه عقب أحتلاله عادت وانكمشت بسبب الصعوبات التي واجهتها فيه . وكتب واحد منهم قضى وقتا في العراق يقول، ان كل ما قيل عن أن العراق مخزن غلال محض خيال . وان التكاليف التي تنفق على مشاريع الرى فيه تفوق ما ينتظر منها من فوائد ، ولا يوجد من يستخدمها بعد انجازها . وأضاف انه يعتقد بأن الفرد البريطاني العادي من دافعى الضرائب يمقت العراق لدرجة أنه يتمنى أن ينفى الى بغداد كل من يؤيد فكرة البقاء فيه . (٣٥)

كل هذه الاسباب والاراء ، بجانب اصرار الشعب العراقي على نيل استقلاله ، قد حملت الانكليز على الاسراع بانهاء انتدابهم عليه . وتحويل

علاقاتهم به من حالتها العامة التى يفرضها الانتداب ، الى علاقات خاصة بعقد معاهدة معه تكسبها الصفة الشرعية • وتمكنهم من الاستحواذ على بتروله من جهة ، كما تمكنهم من جهة أخرى من اتخاذ أراضيه قاعدة استراتيجية على الطريق البري للهند • ومنها يستطيعون أيضا أن يرهبوا الشعوب الاخرى في الشرق الاوسط ويمكنوا لنفوذهم عليها •

ولبترول العراق قصة استعمارية ، كقصص الاستعمار في كل مكان لعب الانكليز فيها دور البطل ، وشاركهم الفرنسيون والامريكيون والاتراك في التمثيل ، بأدوار أخرى مختلفة الاهمية •

وقد بدأت هذه القصة عندما وقعت هدنة مدروس في ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ لانهاء الحرب مع تركيا • ومع ذلك فقد امتنعت القوات الانكليزية الزاحفة نحو الموصل عن التوقف ، واستمرت في زحفها عدة أيام اخرى حتى احتلت هذه المدينة • (٣٦) وقد بدا هذا العمل منهم غامضا • لان اتفاقية سايكس ـ بيكو تدخل من جهة ولاية الموصل ضمن اراضي الدولة العربية التي كان من المقرر أن تقوم في شمال نجد والحجاز ، بين منطقة الاستعمار الفرنسي على الساحل السورى ـ اللبناني وبين منطقة الاستعمار الانكليزي في ولايتي البصرة وبغداد • كما تدخلها من جهة اخرى ضمن القسم الغربي من هذه الدولة • وهو القسم الذي سيخضع للنفوذ الفرنسي بموجب الاتفاقية • على ان هذا الغموض يمكن كشفه مع ذلك ، اذا اعتبرنا ماكان شائعا قبل قيام الحرب من ان باطن أرض هذه الولاية يحتوى على بحيرة من زيت البترول • واعتبرنا كذلك أن الانكليز كانوا قد نالوا حقا مشكوكا فيه يعطيهم نصيب الاسد منه •

وقد كتب هانزكون (٣٧) مفسرا بعض الشيء اسباب احتلال الانكليز لولاية الموصل • فذكر أنه كان لدى الانكليز اعتقاد استمر قائما بعض الوقت ، في أن احتلال القسم الجنوبي من العراق كاف لتحقيق أغراضهم • الا أنهم عندما تبينوا أهمية مصادر البترول في القسم الشمالى منه ، وكذلك الاهمية الاستراتيجية التي للجبال هناك في الدفاع عن القسم الجنوبي ، تولد في نفوسهم الاغراء باحتلاله أيضا • أما توينبي وكيركوود (٣٨) فيريان ان احتلال الانكليز للموصل لم يكن لغرض البترول ، وانما كان لاهميتها الاستراتيجية • الا أن هذا الرأى يدحضه ، كما سنرى بعد قليل ، الصراع الحاد الذى وجهه الانكليز الى حلفائهم بالامس من اجل هذا البترول •

وكتب سير أونولد ويلسون (٣٩) يقول ، انه كان ، بموافقة الجنرال مارشال القائد العام لحملة العراق ، على اتصال برقي مع حكومته بشأن ضرورة توسيع نطاق اهداف العمليات الحربية في العراق حتى تشمل ولاية الموصل • وأنه اوضح لها ضرورة احتلال القوات البريطانية لهذه الولاية سواء أكان ذلك قبل اعلان الهدنة ، أو في وقت اعلانها ، بصرف النظر عما اذا كانت ستدخل ضمن منطقة النفوذ الفرنسي ، أو ضمن منطقة النفوذ

الانكليزي . كما أوضح لها بأنه مهما يكن شكل الحكومة التي ستقوم في العراق في النهاية ، فأنه من الضرورة الحيوية لها ، أن تتضمن هذه الولاية بجانب ولايتي البصرة وبغداد . ذلك لانها تكمل الهيكل الجغرافي للعراق ، وتبعد الاتراك وراء حدود طبيعية . كما انها تمكن من ادخال سكانها من المسيحيين ، وعلى الاخص الآثوريين منهم الذين وقفوا بجانب الحلفاء في وجه الاتراك في دائرة الحماية البريطانية . كما ان ثرواتها المتنوعة ضرورية لكيان العراق الاقتصادي . وفضلا عن ذلك فهي تمكن بريطانيا من وضع يدها على مصادرها الضخمة من البترول .(٤٠)

وهذا الرأي هو دفاع انكليزى عن النقد الذي وجه الى حكومته بعدم توقف قواتها عقب اعلان الهدنة مباشرة . ولانعدو الحقيقة اذا قلنا ان الانكليز كانوا قبل عقد اتفاقية سايكس ـ بيكو عارفين بما تتضمنه ولاية الموصل من مصادر ضخمة للبترول ، وكانوا طامعين فيها لهذا البترول ، ولاهميتها الاستراتيجية ايضا . فلما عقدت اتفاقية سازونوف باليولوج في ٢٦ ابريل (نيسان) سنة ١٩١٦ ، وهي التى نزل الروس فيها مساحة واسعة في القسم الشرقي من هضبة الاناضول تتضمن ولايتي وان وبتليس زهدوا فيها . ذلك لان هاتين الولايتين الروسيتين تقعان في شمالها مباشرة . ولما عقدت اتفاقية سايكس ـ بيكو بعد عقد هذه المعاهدة بنحو اسبوعين ، ترك الانكليز ولاية الموصل للفرنسيين حتى يقفوا فيها مصدا بين الروس وبينهم في ولايتي البصرة وبغداد .(٤١) ولكن أطماعهم فيها تجددت مرة أخرى بعد أن خرجت روسيا من الحرب في سنة ١٩١٧ . فتذرعوا الى احتلالها بمثل ما قاله أرنولد ولسون .(٤٢)

ويجوز التساؤل عما اذا كان خوف الانكليز من الروس ، حتى وهم حلفاؤهم ، أقوى من حرصهم على ولاية الموصل وبحيرة البترول التى تتضمنها ؟ .. ربما . وربما أنهم لم يكونوا واثقين تماما من أن هذه الولاية تتضمن حقيقة بحيرة من البترول ، كما قال بعض الخبراء من الالمان . وذلك اذا صح ما ادعاه كيرزن فى احدى جلسات موءتمر لوزان فى سنة ١٩٢٣ من أنه ، وان كان لا يوجد أحد فى العالم يجهل أهمية زيت البترول، فانه ليجهل مبلغ ما تحتوى عليه هذه الولاية منه . كما أنه ليجهل ان هذا البترول ، اذا كان موجودا فعلا ، يصلح استغلاله اقتصاديا . ومن المحتمل أنهم كانوا فى ضمائرهم مقتنعين بأن الحقوق التى اكتسبوها فى هذا البترول لم تأخذ صفة شرعية . ومن المحتمل أيضا انهم عندما عقدت اتفاقية سايكس ـ بيكو لم تكن أهمية البترول قد اتضحت لهم بالدرجة التى اتضحت عند نهاية الحرب . ومن المحتمل كذلك أن هذه الاهمية كانت متضحة لهم ، وان ضم هذه الولاية الى فرنسا قد سلموا به مرغمين فى وقت كانوا يكابدون فيه هزائم فى الكوت وفى غاليبولى وفى جهات أخرى من أوربا .

وعلى كل حال ، فانه ليوجد ما يدل على أن الحكومة البريطانية لم تكن تنوى عندما وقعت اتفاقية سايكس ـ بيكو فى مايو (أيار) ١٩١٦ أن تنفض يدها نهائيا من ولاية الموصل ومن بترولها • فقد كتب سير أدوارد كراى فى ١٥ مايو ، قبل توقيع هذه المعاهدة بيوم واحد الى مسيو كامبون السفير الفرنسي في لندن رسالة سرية يشير فيها الى انه يجب أن يكون واضحا ومفهوما بأن كل الامتيازات البريطانية الحالية كحقوق الملاحة ، وكذلك حقوق وامتيازات المؤسسات البريطانية الدينية والصحية والتعليمية ، يجب أن تستمر قائمة ، وان يحافظ عليها فى المنطقة التى ستصبح تحت النفوذ الفرنسى • وقد أجاب عليه السفير الفرنسى بموافقة حكومته(٤٣)•

ويرى بعض الباحثين ، أن الحكومة البريطانية قد خدعت الحكومة الفرنسية بهذه المراسلات ، لانها وقتئذ ، لم تكن تعلم بأن شركة البترول التركية ـ وهى بريطانية ـ كانت قد حصلت فى ٢٧ حزيران (يونية) ١٩١٤ من وزير المالية التركية على موافقة بمنحها امتيازا للبترول فى ولاية الموصل•

على أن بترول الموصل لم يكن فى حد ذاته السبب المباشر للصراع السياسى الحاد الذى قام بين فرنسا وبين بريطانيا خلال الفترة القصيرة السابقة على توقيع اتفاقية سان ريمو فى ٢٤ أبريل (نيسان) سنة ١٩٢٠ • فان التفاهم قد جرى بشأنه مبدئيا بين لويد جورج وبين كليمانصو اثناء زيارة الاخير لندن فى كانون الاول ١٩١٨ ثم أعيد هذا التفاهم فى اتفاقية بيرينجية ـ لونج فى ١٨ نيسان (ابريل) سنة ١٩١٩ ، وفى اتفاقية بيرينجيه ـ جرينود فى ٣٩ ديسمبر (كانون الاول) من نفس السنة ، على أساس أن تنال فرنسا منه النصيب الذى كان لالمانيا فى شركة البترول التركية • وترجع علاقته بهذا الصراع الذى قام بين الدولتين ، من جهة ، لان الانجليز قد استخدموه فى الضغط على الفرنسيين لكى ينالوا منهم موافقة على حصولهم على مزايا فى جهات أخرى • ومنها موافقتهم على أن يكونوا هم المنتدبين على فلسطين • وترجع من جهة أخرى الى ان اطماع الانكليز في هذا البترول لم تقتصر على استحواذهم على نصيب الاسد منه فحسب ، وانما امتدت وشملت أيضا أرض الولاية نفسها(٤٤)•

أما لماذا قبلت فرنسا أن تتنازل للانكليز عن ولاية الموصل وبحيرة البترول التى فى باطن أرضها ، فربما لانهم قد أوهموها بأنهم حاصلون من الاتراك على امتياز صحيح لشركة البترول التركية للكشف عن بترول هذه الولاية واستغلاله • وهى بدورها قد قبلت هذا الايهام على نفسها تسليما منها بالامر الواقع • ذلك لان القوات الانكليزية ، فى وقت اجراء المساومات ، لم تكن تسيطر على ولاية الموصل وبترولها فحسب ، وانما كانت تسيطر ايضا على كل العالم السورى(٤٥)•

ولم ينته الصراع بين بريطانيا وبين فرنسا على هذه الولاية بعد أن

قرر مجلس الحلفاء الاعلى فى سان ريمو(٤٦) ضمها الى منطقة الانتداب الانكليزى فى العراق . وبعد أن تعهدت الحكومة البريطانية باعطاء الحكومة الفرنسية نصيبا قدره ٢٥٪ من بترولها بسعر السوق . لان الفرنسيين استمروا يشعرون بأنهم قد غبنوا ، وأن الانكليز يتحكمون فيهم . فبينما هم قد سلموا للانكليز بأطماعهم فى ولاية الموصل فانهم بعد ان سيطروا عليها، تحكموا فيهم وفرضوا عليهم أن يكونوا مستهلكين لنصيب قدره ٢٥٪ من صافى الناتج اذا كنت الحكومة البريطانية وحدها هى التى تقوم باستخراجه من أرض العراق . أما اذا تكونت لذلك شركة فانهم يصبحون منتجين لهذا النصيب ومستهلكين له ، على شرط أن تكون الشركة انكليزية وللانكليز عليها حق الاشراف التام . وفى حالة ما اذا سمح للمصالح الوطنية العراقية بالاشتراك فيها ، بنصيب لا يتجاوز ٢٠٪ ، فان على الفرنسيين ان يتحملوا النصف من هذا النصيب . ومع هذه التحكمات فان ما سمح به الانكليز للفرنسيين من بترول العراق قد نالوا فى مقابله تسهيلات جمة وامتيازات ضخمة تتعلق بنقل بترول الشركة الانكليزية وصيانته خلال منطقة نفوذهم فى سوريا ولبنان .

وعلى هذا البترول العراقى قام صراع آخر بين الانكليز من جهة وبين الامريكيين فى الولايات المتحدة والاتراك من جهة أخرى(٤٧).

اتجهت الانظار الى بترول ولاية الموصل منذ الربع الاخير من القرن التاسع عشر بعد أن زارها جماعة من الخبراء وقرروا أن باطن أراضيها يحتوى على بحيرة من زيت البترول . وفى خلال المدة التى تلت ذلك حتى قيام الحرب العالمية الاولى تقدمت هيئات مختلفة الى الحكومة التركية بطلبات لمنحها امتيازا لاستخراج هذا البترول واستغلاله(٤٨) . ولكن جميع هذه الهيئات لم تنل فيه حقوقا شرعية ، وان كان بعضها قد نال موافقة مبدئية على الامتياز الذى طلبه . ويهم هنا أن نشير الى امتيازين نال كل منهما من الحكومة التركية مثل هذه الموافقة . أحدهما ، هو امتياز مستر كولبى شستر ، وهو امريكى ، وقد احتضنته ـ الامتياز ـ الحكومة الامريكية . والآخر هو امتياز شركة البترول التركية وقد احتضنته الحكومتان الانكليزية والالمانية .

ومستر شيستر كان من أمراء البحرية الامريكية . وقد اكتسب ثقة الحكومة التركية وتقديرها عندما أوفدته حكومته على سفن حربية الى البسفور لتهديد الحكومة التركية وارغامها على دفع تعويض عن الخسائر التى أصابت بعثات التبشير الامريكية اثناء مذبحة الارمن التى حدثت فى سنة ١٨٩٦ . وذلك لانه بدلا من أن يسلك مسلك التهديد ، عمل على التقريب بين حكومته وبين الحكومة التركية . وفى سنة ١٩٠٨ عاد ثانية الى تركيا ممثلا لمصالح غرفة تجارة نيويورك وبعض الهيئات المالية

الامريكية • وبتأثير الرعاية الشخصية من الرئيس الامريكى تيودور روزفلت ومساعدات السفارة الامريكية في استانبول حصل من السلطان على امتياز واسع وشامل فى نواحى كثيرة • كان منها انشاء شبكة من خطوط سكة الحديد ، واستغلال مصادر زيت البترول والنحاس وغيره من المعادن • الا أن هذا الامتياز لم يكتسب صفته الشرعية ، وبالتالى لم يستغله صاحبه • لانه فى نفس السنة التى نال فيها الامتياز حدثت الثورة ضد السلطان عبدالحميد مانح الامتياز • والسلطان الجديد ، وهو محمد الخامس ، وان كان قد أقره ، فان الظروف السياسية المضطربة قد عرقلت تنفيذه • ولما أريد تقديمه الى البرلمان التركى للمصادقة عليه فى سنة ١٩١٠ تأجلت هذه المصادقة بسبب تدخل الالمان واعتراضهم عليه ، من ناحية أنه يتعدى على امتياز خط سكة حديد بغداد الممنوح لهم • وكذلك بسبب تدخل الانكليز • ولم تتيسر المصادقة عليه اطلاقا بعد ذلك بسبب المشاكل التى واجهت الاتراك فى طرابلس وفى البلقان(٤٩)•

أما شركة البترول التركية فقد تكونت فى ١٩١٢ ، بعد أن بذل الانكليز جهودا عنيفة لعرقلة أى امتياز آخر لا يعطيهم نصيب الاسد فى بترول ولاية الموصل • وبعد أن لعب (كولبنكيان)(٥٠) دورا مهما فى التوفيق بين مصالحهم وبين مصالح كل من ألمانيا وهولندا • وكان رأس مالها ٨٠ر٠٠٠ جنيها موزعا على النحو الآتى •

٣٥٪ للبنك الاهلى التركي ، وهو بنك بريطاني يرأسه كولبنكيان •
٢٥٪ للبنك الالماني • ٢٥٪ لشركة البترول الانكليزية ـ السكسونية (تمثل مصالح جماعة شل) • ١٥٪ لكولبنكيان •

ثم أعيد تشكيل الشركة فى ١٩ اذار (مارس) ١٩١٤ بعد أن ضوعف رأس مالها • وبعد أن تم الاتفاق على ، ١ ـ أن يخرج منها البنك الاهلى التركى ، وتدخل شركة البترول الانكليزية ـ الفارسية مشتركة بنصف رأس المال • ٢ ـ ان تخفض حصة كولبنكيان من ١٥٪ ـ ٥ ٪ وتخصم مناصفة من حصة كل من الشركة الانكليزية ـ الفارسية والشركة الانكليزية السكسونية • وبذلك أضحى توزيع الاسهم على النحو الآتى •

٤٧ر٥٪ لشركة البترول الانكليزية ـ الفارسية •
٢٢ر٥٪ لشركة البترول الانكليزية ـ السكسونية (تمثل جماعة شل)•
٢٥٪ لبنك الرايخ الالمانى •
٥٪ لكولبنكيان •

وفى ١٨ أيار (مايو) ١٩١٤ تقدمت شركة البترول التركية تعضدها الحكومتان الانكليزية والالمانية الى الحكومة التركية بطلب منحها امتيازا لاستثمار مصادر زيت البترول فى ولايتى الموصل وبغداد • وفى يوم ٢٧

حزيران (يونية) وهو اليوم السابق على حادث ساراجيفو الذى اشعل نار الحرب العالمية الاولى ، أشار وزير المالية التركية بقبول الطلب ، على أن تناقش شروط الاتفاق فيما بعد • وعندما اشتعلت نار هذه الحرب ، كانت الشركة قد حصلت على مجرد وعد من الحكومة التركية بمنحها الامتياز ، ولكنها لم تحصل عليه فعلا ، وبالتالى لم تقم فيه ببحث وتنقيب(٥٢).

ومما تقدم يلاحظ أنه عندما قامت الحرب العالمية الاولى ، وبعد أن انتهت ، لم يكن لاحد حق مشروع فى بترول الموصل • ولكن هذه الحرب قد وضعت البترول تحت تجربة قاسية فخرج منها ظافرا • ووصفه كليمانصو فى سنة ١٩١٧ بأنه الدم الضرورى لحياة فرنسا فى معاركها المقبلة • وامتدحه كرزون فى سنة ١٩١٨ قائلا ، ان موجة منه هى التى حملت الحلفاء الى النصر • كما امتدحه غيرهما • فقال احد الكتاب ان الذى يملك زيت البترول هو الذى يملك العالم • لانه سيسيطر على البر وعلى البحر وعلى الجو باستخدام بعض مشتقاته فى تحريك وسائل النقل والمواصلات البرية والبحرية والجوية • كما أنه سيسيطر على نظرائه فى ميدان النشاط الاقتصادي ، باستخدامه مشتقاته الاخرى في كثير من نواحي هذا الميدان • وقال كاتب آخر ان الدولة التى تسيطر على زيت البترول ستسيطر حتما على التجارة العالمية • ولا قيمة للجيوش البرية ولا للاساطيل البحرية ولا للطائرات بدون البترول • بل انه لا قيمة بدونه للاموال وكذلك للبشر • وكان القائد الالمانى لودندورف قد أشار فى مذكراته الى ان عجز المانيا عن سد مطالبها الحربية من البترول كان من بين الاسباب الرئيسية التى حملت اركان حرب الجيش الالمانى على طلب الهدنة • وان الحرب قد برهنت على اهمية الدور الذى يلعبه البترول فى أى كفاح عالمى من أجل البقاء والتفوق(٥٣).

وخروج البترول ظافرا من المحنة التى ابتلى بها فى أثناء الحرب ، والاعتقاد الذى ساد بين قادة العالم عن أن الدولة التى تسيطر على البترول ستسيطر على العالم ، قد جعله هدفا مباشرا لمعظم الحكومات • كما جعل التسابق على الاستيلاء على مصادره السبب الاول للمناورات السياسية التى جعلت الفترة التالية على نهاية الحرب بالغة فى الغموض والتشويش • كما جعلت من الحلفاء فى وقت الحرب اعداءا فى وقت السلم أو شبه اعداء • فنرى انكلترا تجاهد فى التخلص من فرنسا بعد أن ساعدتها على التخلص من منافسة أمريكا لها على المصالح فى بلاد العرب التركية • ونرى فرنسا تحقد على انكلترا ، ولكى تصيب أطماعها بالفشل ، تعقد مع تركيا صلحا منفردا • وتقف بجانب مصطفى كمال وتمده بالمساعدات الحربية ، كما توءيد عصمت اينونو أثناء بحث قضية الموصل فى موءتمر لوزان • كما نرى الحكومة الامريكية فى رسائلها تفيض حنقا على سياسة الانكليز وعلى أنانيتهم البغيضة،

لسماحهم لاصحاب رؤوس الاموال الانكليزية بالبحث عن موارد البترول وغيره من الثروات فى البلاد العربية التى تحتلها قواتهم ، وحرمان اصحاب الاموال من الامريكيين من القيام بمثل هذه الابحاث(٥٤).

وقد ازداد حنق الامريكيين عليهم بزيادة الاهتمام بزيت البترول فى الدوائر الامريكية ، وقيام الخبراء من بينهم بالبحث عن موارده فى بلادهم وتقدير الكميات التى تحتوى عليها • وقد انتشرت بينهم شائعات منذرة بأن الكميات الموجودة منه محليا لا تكفى • وانه من الضرورى الحصول على موارد اضافية منه من جهات أخرى من العالم • وفى الواقع أنه منذ اوائل سنة ١٩٢١ كان معدل الاستهلاك اليومى فى الولايات المتحدة يفوق كثيرا معدل الانتاج من آبارها المحلية • واهتمت الحكومة الامريكية بهذه الآيات والنذر، وبادرت بارسال رسائل مستعجلة الى جميع قناصلها ووكلائها السياسيين فى الخارج تطلب منهم جمع المعلومات عن البترول فى مناطقهم ، وكتابة تقارير مفصلة عنه ، وعن شروط شرائه والحصول على امتيازاته • وأكدت عليهم بضرورة الاهتمام بالسعى للحصول على موارد مهمة من الزيت الخام • كما أكدت بضرورة تقديم كل المساعدات المشروعة للباحثين من الامريكيين عن هذه الموارد وعن غيرها من موارد الثروات الاخرى •

وجاءت التقارير الى الحكومة الامريكية • ومنها ما يشير الى أن موارد البترول فى العراق تقدر بنحو أربعة آلاف مليون برميل • ومنها ما يقول ان الانكليز يمنعون شركة (استاندرد اويل أوف أمريكا) من مزاولة حقها فى البحث عن البترول وغيره من المعادن فى فلسطين• وان القائد الانكليزى هناك لم يتورع عن القبض على واحد من رجالها وايداعه فى سجن القدس ، بالرغم مما هو معروف من أن الشركة حاصلة من الحكومة التركية على سبعة امتيازات تعطيها الحق في البحث عن المعادن المختلفة واستثمارها ، ولرجالها أبحاث سابقة فى وادى اليرموك ، وفى المنطقة الواقعة حول بيت لحم ، وكذلك فى جنوب البحر الميت ، وفى شرق الاردن • وان الانكليز ، لكى يقاوموا نفوذ هذه الشركة الامريكية الضخمة فى جهات أخرى من العالم ، أنشأوا على غرار شركة البترول الانكليزية ـ الفارسية ، شركة (ذى برتش كونترولد أويل فيلدز) برأس مال بلغ أربعين مليونا من الجنيهات الاسترلينية • وأشار بعض هذه التقارير الى أن الانكليز يعملون جاهدين على تحويل أساس امبراطوريتهم من الفحم الى البترول • وانهم سيمنعون بكل وسيلة ممكنة أى شركة امريكية من أن تعمل فى أى منطقة من المناطق التى ستقع فى أيديهم من الاراضى المنسلخة عن الامبراطورية التركية •

وأزعجت هذه التقارير وغيرها الحكومة الامريكية • وبدأ فى دوائرها تساؤل عما اذا كان الغرض الذى تهدف اليه الحكومة البريطانية من وراء هذه السياسة هو ايقاف نمو البحرية الامريكية حتى لا تنافس البحرية

الانكليزية فى السيادة على البحار • وبادرت وزارة الخارجية الامريكيةمبرقة الى هيئة مفاوضات الصلح فى باريس مشيرة الى ان الدوائر الامريكية للبترول مهتمة اهتماما كبيرا بكل ما يتعلق بأعمال البحث والتنقيب عن البترول فى العراق وفى فلسطين • وطلبت أن تكون شروط معاهدة الصلح بحيث تسمح للشركات الامريكية بالعمل فى هذه البلاد تحت شروطمتساوية مع الشركات الاجنبية الاخرى • كما أبرقت الى السفير الامريكى فى لندن لكى يوضح للحكومة البريطانية بأن ممثليها قد وافقوا على أن الانتداب المرموز اليه بحرف (أ) هو الذى سيطبق على الاراضى المنسلخة عن الدولة التركية • وأن هذا النوع من الانتداب يلزم الدولة المنتدبة بأن تضمن لرعايا جميع الدول الاعضاء فى عصبة الامم حقوقا متساوية مع حقوق رعاياها فى جميع نواحى النشاط الاقتصادى فى الاراضى المنتدبة عليها • كما طلبت منه أيضا أن يوضح لهذه الحكومة بأن مستر لويد جورج قد وافق ، كما وافق مندوبا فرنسا وايطاليا ، فى مجلس الاربعة الكبار فى باريس على رأى الرئيس ويلسون وهو أنه لا يجوز بأى حال تفضيل رعايا الدولة المنتدبة على رعايا غيرها فى الحصول على الامتيازات • وأن هذا الرأى قد صدر به قرار(٥٥).

واستمرت الحكومة الامريكية التى كانت قد نفضت يدها من مشاكل أوربا والشرق الاوسط تكتب من الجانب الغربى للمحيط الاطلسى رسائل وبرقيات الى الحكومة البريطانية تذكرها بحوادث معينة ، وبالقرارات التى ووفق عليها أثناء محادثات موءتمر الصلح ، وبمبدأ الباب المفتوح والحقوق المتساوية التى يتضمنها قرار الانتداب المرموز اليه بالحرف (أ) • وكانت رسائلها هادئة أحيانا وشديدة أخرى • وتتلقى عنها تارة اجابات مبهمة ، وتارة أخرى لا تتلقى عنها شيئا • وفى أثناء هذه المراسلات نشرت اتفاقية سان ريمو التى تضمنت فى المادة الثامنة منها ما يشير الى أن الحكومة البريطانية قد أعطت الحكومة الفرنسية نصيبا قدره ـ ٢٥٪ من صافى الزيت الخام الذى ستستغله من آبار بترول العراق • فاستبان الامريكيون منها ان القصد هو ابعادهم عن مراكز انتاج البترول فى الشرق الاوسط بمساعدة فرنسا ، بجانب القصد فى ابعادهم عن مناطق انتاجه فى جهات أخرى من العالم(٥٦).

وقد أثار نشر هذه الاتفاقية التى تجوهلت فيها مصالح الامريكيين حنق الدوائر الامريكية • كما أثارتها مقالة كتبها السير ادوارد مكاى ، وهو شخصية انكليزية لها اعتبارها ، فى جريدة سبيرلنج ، مشيرا فيها الى أن نحو ثلثى آبار زيت البترول المستغلة فى أمريكا الوسطى والجنوبية فى أيد بريطانية • كما هو الحال فى أقطار غواتيمالا ، وهندوراس ، ونيكاراجو ، وكستاريكا وبناما ، وكولومبيا ، وفنزويلا ، والكوادور • كما أشار الى أن جماعة الفس (برتش كونترولد أويل فيلدز) التى تمتلك نحو ثلثى مصادر

البترول فى عالم البحر الكاريبى ، هى بريطانية تماما ، وتخدم مصالح بريطانيا العظمى • وانه لا يوجد من الامريكيين من له فى أمريكا الوسطى ، أو يمكن أن يكون له فيها مركز يضاهى مركز الفس • واذا اعتبرنا أيضا منظمة شل الملكية ، وهى أعظم منظمة بترولية فى العالم ، نجدها تمتلك ، أو تسيطر ، على أعمال البترول فى كل دول العالم بما فى ذلك الولايات المتحدة ، وروسيا ، والمكسيك ، وجزر الهند الهولندية ، ورومانيا ، ومصر ، وفنزويلا ، وترينداد ، والهند ، وسيلان ، وولايات الملايو ، والصين ، وسيام والفليبين • ولا شك فى اننا سننتظر بضع سنين قبل أن نجنى ثمار هذه المكانة السامية التى نشغلها فى عالم البترول ، ولكنه لا شك أيضا فى انها سوف تكون ثمارا رائعة • كما انه سوف لا يمضى وقت طويل حتى نرى الولايات المتحدة مضطرة لان تشترى من هذه الشركات البريطانية بملايين الجنيهات سنويا • وسوف تدفع بالدولارات ثمن ما تحتاج اليه من المنتجات البترولية التى لم تعد مواردها تستطيع الوفاء بها • وأضاف بأنه اذا استمر استهلاك الولايات المتحدة يتزايد بمعدله القائم فانها ستجد نفسها فى خلال عشر سنوات مضطرة لان تستورد خمسمائة مليون برميل • وهذا يعنى انها ستدفع ثمنا لها نحو الف مليون دولار • والقسم الاكبر من هذا المبلغ سيدخل فى جيوب بريطانيا(٥٧)•

وكتبت الحكومة الامريكية الى الحكومة الانكليزية رسائل أشد في لهجتها محتجة على ابعاد المصالح الامريكية عن بترول العراق وطالبت بالمساواة التامة بين جميع الامم• كما أشارت فيها الىأن نصوص اتفاقيةسان ريمو تتناقض مع المبادىء العامة التى اتفق عليها فى محادثات موءتمر الصلح تناقضا لا شك فيه • كما تناقض صك الانتداب الخاص بالاراضى المنسلخة عن البلاد التركية والذى ينص على أن تدار هذه الاراضى بطريقة تضمن معاملة متساوية فى الحقوق وفى جميع الفرص لكل شعوب العالم الممثلة فى عصبة الامم •

وأجاب لورد كيرزون على هذه الرسائل برسائل أخرى تجمع بين العتاب وشدة اللهجة(٥٨)• وذكر فيها بأنه ليس هناك تحيز ضد الشركات الامريكية فى العراق • وأن التوقف عن منح التسهيلات اللازمة للبحث عن مصادر الثروة فى بلاد العرب التركية قد أملته الضرورة • أما الحقوق البريطانية القائمة فى العراق فان شرعيتها ترجع الى ما قبل الحرب ، عندما تكونت شركة البترول التركية ، وللحكومة الانكليزية من أسهمها العادية ٢٠٠ ألف سهم ، كما أنها تشرف عليها بالاشتراك مع منظمة رويال دتش• وانه لولا الحرب لكان امتيازها قد استغل من زمن مضى • وأما الحقوق التى اكتسبتها الحكومة الفرنسية بموجب اتفاقية سان ريمو فهى الحقوق التى كانت لالمانيا فى هذه الشركة قبل الحرب • وقد أعطيت لفرنسا فى

مقابل التسهيلات التى أعطتها لنقل البترول المنتج الى ساحل البحر المتوسط . وأوضح بأنه لا يوجد لدى الحكومة البريطانية ، أى تفكير فى السيطرة على بترول العراق . وأن القصد الاول الذى تعمل هذه الحكومة من أجله هو الاحتفاظ بهذا البترول للدولة العربية التى ستقوم فيه . وأنه لا حقوق شركة البترول التركية ، ولا اتفاقية سان ريمو ، ستمنع هذه الدولة العربية من التمتع بكافة الفوائد المترتبة على ملكيتها لمواردها من البترول ، أو من فرض الشروط التى تراها ضرورية لاستثمارها . ومع ذلك فقد أعطيت فى معاهدة الصلح مع تركيا اعتبارات خاصة للحقوق الشرعية المكتسبة ، سواء أكانت أمريكية مثل حقوق شركة استاندرد اويل فى فلسطين ، أم كانت بريطانية مثل حقوق شركة البترول التركية فى العراق. وأضاف بأنه لا توجد لدى الحكومة البريطانية رغبة فى أن تنكر على الولايات المتحدة نصيبها عند التوسع فى صناعة البترول فى العراق . كما أشار الى أن لندن لا توافق واشنطون على تقديراتها عن موارد البترول فى الدول المختلفة . والحقيقة القائمة هى أن الولايات المتحدة تنتج نحو ٨٢٪ مما ينتجه العالم من زيت البترول ، بينما كل الانتاج البريطانى منه لا يتجاوز ٥ر٤٪ . ولهذا ، فان قلق الدوائر الامريكية من هذه الناحية غير مفهوم . وليس من السهل القول بعدالة حكومة الولايات المتحدة فى اصرارها الحالى على أن يمتد الاشراف الامريكى الى الموارد التى يمكن استثمارها فى الاراضى الواقعة تحت الانتداب . وبالرغم من ذلك ، فان الحكومة البريطانية تتفق بصفة عامة مع رغبة الولايات المتحدة فى أن تكون موارد البترول فى العالم مفتوحة أمام جميع الشعوب دون نظر الى قوميتها . ثم غمر الحكومة الامريكية باشارته الى ان مناقشة صك الانتداب لا يكون الا فى عصبة الامم ، ومن قبل الامم الموقعة على ميثاقها(٥٩).

وفى رسالة اللورد كيرزون مغالطات كثيرة . منها ادعاوه بأن شركة البترول التركية قد اكتسبت حقوقا مشروعة فى بترول العراق . ومنها ادعاوه ان قصد الحكومة البريطانية هو الاحتفاظ بموارد البترول للدولة العربية التى ستقوم فى العراق . ولا يعرف الا هو ، كيف يتفق هذا القصد مع ادعائه بأن لشركة البترول التركية ـ وهى انكليزية ـ حقوقا شرعية مكتسبة فى هذا البترول . ولا يعرف الا هو كذلك ، كيف يتفق هذا القصد مع ما ورد فى المادة الثامنة من اتفاقية سان ريمو التى تنص على أن لا يسمح للحكومة الوطنية (العراقية) ، أو لاى مصالح وطنية أخرى ، اذا رغبت فى الاشتراك فى الشركة بنصيب يتجاوز ٢٠٪ من أسهمها . وايضا لا يعرف الا هو ، كيف تعطى فرنسا المنتدبة على سوريا حقا فى بترول العراق فى مقابل التسهيلات المتعلقة بمد خطوط للانابيب الى البحر المتوسط عبر أراض لا تملكها ، وانما هى ملك خاص لسوريا ولبنان . والمعروف ان الانتداب ادارة

وليس تملكا · وان الغرض منه تقديم المشورة والمساعدة للدولة المنتدب عليها حتى تصير فى أقرب وقت قادرة على القيام بشوءونها · وفضلا عن ذلك فان الولايات المتحدة وهى العارفة ببترولها تعلم ان ما كانت تنتجه وقتئذ لا يتجاوز ٦٤٪ من البترول العالمى ، وليس ٨٠٪ ، وأن قسما كبيرا منه فى أيد بريطانية عن طريق منظمة رويال دتش شل ، وان استهلاكها المحلى من البترول يعادل ضعف استهلاك جميع شعوب العالم مجتمعة · بينما تقدر مواردها منه بنحو سبع موارد العالم ، وان استهلاكها السنوى منه كان يتزايد بنسبة تفوق انتاجها · ففى سنة ١٩٢٠ مثلا زاد استهلاكها منه بمعدل ٣٥٪ عما كان عليه فى سنة ١٩١٩ ، بينما لم يزد انتاجها الا بمعدل ١١٪فقط(٦٠)·

ومعاهدة الصلح مع تركيا التى أشارت اليها رسالة كرزون هى معاهدة سيفر · وقد وضعت فى ١٠ أغسطس (آب) ١٩٢٠ · وكان من بين ما تضمنته بنودها ضم ولاية الموصل الى العراق · وقد رفض الكماليون هذه المعاهدة ، وأيدتهم فرنسا بعقدها معهم صلحا منفردا · وكادت أن تنشب بسبب هذه الولاية حرب يواجه الانكليز وحدهم فيها الاتراك ، فى وقت كانوا يكابدون فيه من ثورة العراق خسائر كبيرة في الانفس والاموال · وهم لهذا هزوا اكتافهم لفرنسا ، وأجابوها على موقفها بأنه مادام الاتراك قد رفضوا معاهدة سيفر وهي قد أيدتهم ، فانهم يعتبرون أنفسهم لايزالون مرتبطين بنصوص هدنة مدروس · وكان هذا تهديدا واضحا لفرنسا · لانه يعني ان جميع الاتفاقيات التي تمت بينهم وبينها بخصوص البلاد المنسلخة عن الامبراطورية التركية بعد توقيع هذه الهدنة تعتبر ملغاة · ومن حقهم ، ان تعود قواتهم الى احتلال الاراضى السورية واللبنانية ثانية ·

وقد حمل هذا التهديد فرنسا على ان تغير بعض الشيء من سياستها العدائية نحوهم ·

ثم اتخذت الترتيبات لعقد مؤتمر لوزان لوضع أسس لمعاهدة صلح جديدة مع الاتراك بدلا من معاهدة سيفر التي رفضوها ، وجعلوها غير ذات موضوع بانتصاراتهم في ميدان الحرب وفي ميدان السلم ، وتخليصهم كل هضبة الاناضول من الاطماع الاستعمارية فيها · وفي اثناء ذلك لم يكن موقف الانكليز قويا بمثل موقفهم الذي كانوا عليه اثناء عقد معاهدة سيفر · فان الاتراك ، بعد انتصاراتهم ، لم يعد موقفهم أمام الانكليز ذليلا · كما ان فرنسا وان كان تهديدهم لها قد جعلها تعدل في سياستها العدائية نحوهم ، الا انها كانت لاتزال حانقة عليهم بسبب موقفهم المعارض لمصالحها في منطقة الرور الالمانية · وأمريكا كذلك ، كانت تقف منهم موقفا معاديا ، ترد على مغالطاتهم وترفض مساوماتهم ، وتشنع عليهم فى عصبة الامم · وتطالب بتأليف هيئة تحكيم دولية للفصل في شرعية امتياز شركة البترول التركية · كما تطالب

بتحديد موعد لمناقشة موضوع الانتداب • وهي لاشك ستستمر دائبة على هذه السياسة ومتعقبة اياهم في جلسات هذا المؤتمر • وفضلا عن ذلك كانت تجرى مناقشات بين الرئيس الامريكي وبين مجلس الشيوخ حول اتخاذ اجراءات تأديبية ضدهم • (٦١)

وكان الانكليز في الوقت نفسه مدركين ان اطماعهم في بترول ولاية الموصل لن يتحقق الا في حالتين • احداهما أن يقرر مؤتمر لوزان ضم هذه الولاية الى العراق • والاخرى أن يحصلوا على اعتراف بشرعية امتياز شركة البترول التركية • ولتحقيق احد هذين الغرضين ، أو كلاهما معا ، وجدوا أن عليهم ، بجانب استخدامهم لكل احابيل سياستهم ، أن يكتسبوا لانفسهم أنصارا • فسعوا الى اغراء الحكومة الايطالية ، بوعدهم اياها بحقوق اقتصادية في العراق • كما سعوا الى التقرب من الامريكيين • وقد واتتهم الفرصة بذهاب الرئيس ويلسون ، وكانوا يأملون في ان تكون روح مبادئه قد ذهبت أيضا من نفوس الامريكيين • ففي أواخر يوليو (تموز) ١٩٢٢ أبدت الدوائر البريطانية للدوائر الامريكية موافقتها على تخفيض نسبة الانصبة المعطاة لاصحاب شركة البترول التركية حتى ينفسح مجال لاصحاب رؤوس الاموال من الامريكيين • وقبيل عقد مؤتمر لوزان ، سافر الى الولايات المتحدة وفد على رأسه السير جون كادمان المستشار الفني لشركة البترول الانكليزية ـ الفارسية والمهيمن على السياسة البريطانية لشؤون البترول، لغرض التفاهم مع الدوائر الامريكية • وليؤكد لها بأن السياسة البريطانية لاتهدف الى ابعاد الامريكيين عن الاقاليم المنتجة للبترول في العالم ، الا حيث توجد قيود تقضي بذلك في بعض أجزاء الامبراطورية • وليعلن لهم عن ترحيبه بتعاون رؤوس الاموال الامريكية مع رؤوس الاموال الانكليزية • وان حكومته لا تعارض في أن تقوم شركة استاندرد مقام المصالح الروسية في المقاطعات الخمس في القسم الشمالي من بلاد فارس • وقد نجح كادمان في تخفيف حالة التوتر التي كانت قائمة في نفوس الامريكيين نحو الانكليز، وفي أن يخفت بعض الوقت صوت الدعوة الى الباب المفتوح(٦٢) •

وبفضل هذه السياسة الماكرة ، أصبحت مناقشات مؤتمر لوزان صراعا بين الانكليز من جانب وبين الاتراك وحدهم ـ في الغالب ـ من جانب آخر وكان الهدف الاول للانكليز هو أن يحصلوا من مؤتمر لوزان على قرار بضم ولاية الموصل للعراق • لان هذا القرار لايعطيهم هذه الولاية وبترولها فحسب ، وانما يعطيهم أيضا مافيها من مصادر اخرى للثروات وما تتضمنه من مقومات استراتيجية • وكان الهدف الثاني ، أن يحصلوا على اعتراف لهم بشرعية امتياز شركة البترول التركية • أما هدف الاتراك فكان الحصول على هذه الولاية وعلى بترولها • وكان الوفد التركي ، برئاسة عصمت اينونو متمسكا في محادثاته بنص المادة الاولى من الميثاق القومي التركي ، وهي تصر على عدم التنازل عن أي جزء من أراضي الامبراطورية التركية لم تحتله قوات

الحلفاء قبل هدنة مدروس في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ · وهو لهذا كان يعتبر الموصل التي احتلها الانكليز بعد اعلان هذه الهدنة ببضعة أيام جزءا لا يتجزأ من الاراضى التركية ·

والانكليز ، الذين احتلوا الموصل بعد اعلان الهدنة ، كانوا أدهى من ان يجادلوا في شرعية احتلالهم لها · وهم لهم أساليبهم الخاصة في التخلص من المآزق الحرجة · ولهذا أجاب كيرزون رئيس وفدهم في المؤتمر ،ببساطة بأنه لم يحدث في التاريخ أن دولة ظافرة في حرب قد جودلت بمثل هذه المجادلة من دولة مهزومة فيها · وأضاف متهكما ، ان الوفد التركي يريد منا أن نرفع ايدينا عن قسم كبير من الاراضى التى فتحتها قواتنا ، وتولينا ادارتها منذ ذلك الوقت ، لا لشيء ، الا لان البرلمان التركي قد وضع في فبراير (شباط) ١٩٢٠ بضع قرارات سميت بالميثاق التركي · (٦٣)

وأيد الاتراك حقهم في ولاية الموصل بالمطالبة بمبدأ تقرير المصيرواجراء استفتاء بين السكان · ولكن الوفد الانكليزي كان يعرف مقدما ان الاكراد المتعصبين للاسلام ، والذين لم يتخلوا عن الاتراك ، اثناء الحرب ،على عكس ما فعل الارمن والآثوريون ، سيفضلون بلاشك البقاء مع الاتراك على انيكونوا أقلية في دولة عربية تخضع لنفوذ الانكليز · ولهذا أجاب كيرزون مبديا عدم الاكتراث بما يقول الوفد التركي قائلا ، دعونا نتصور استفتاءا يجرى في كردستان ، حيث السكان في حركة دائمة ، وحيث أغلبيتهم جاهلة · ولاشك في ان الاكراد سيطالبون بإستقلال كردستان · وسيطالب العرب فيها بقيام حكومة عربية · كما ان الاتراك فيها سوف يطالبون بالانضمام الى تركيا · أما المسيحيون من السكان فانهم ، على كل حال ، لن يقبلوا الانضمام الى الاتراك مهما كانت الظروف · وواتب اللورد كيرزون فرصة سانحة استغلها في اضعاف قضية الوفد التركي عندما قال رئيسه عصمت اينونو بأن الاكراد من السلالة التركية · اذ تمسك بهذا القول وهزأ به ، قائلا يجب علينا ان نحتفظ للوفد التركي بالحق في هذا الاكتشاف الاول في التاريخ ، فا نأحدا لم يكتشف من قبل بأن الاكراد من السلالة التركية · والمعروف أن الاكراد من السلالة الايرانية ، ويتكلمون لغة ايرانية ، بينما يختلفون كثيرا عن الاتراك في مميزاتهم الجسمية وفي عاداتهم الاجتماعية وتقاليدهم · واضاف ، انني لست عالما في الاجناس ، ولكنني مع ذلك مستعد لان اميز لكم الكردي عن التركي في أى يوم من أيام الاسبوع ، واذا اخطأت في ذلك أكون أعمى · ثم لبس مسوح القسس ، وادعى بأن تمسك حكومته بولاية الموصل انما هو واجب حتمي تفرضه عليها مسؤوليتها في الوصاية على مصلحة العراق · واشار الى ان مسالة البترول لها موضوع مستقل · وأنه وان كان لايعرف أيوجد في هذه الولاية بترول فعلا أم لايوجد فيها اطلاقا ، كما لا يعرف ان كان هذا البترول المزعوم يمكن استغلاله اقتصاديا ام لايمكن ، الا ان حكومته بعد أبحاث قانونية شاملة مقتنعة

بشرعية الامتياز الممنوح لشركة البترول التركية . ثم أضاف قائلا انه لاجدال في ان استغلال هذا الامتياز اذا نجح فسيكون العراق هو الرابح الاول منه ، كما أن العالم سيربح منه أيضا .

واستغل الانكليز كل فرصة في صالحهم للتغلب على حجج الاتراك . ومن ذلك أنه بينما كان المؤتمر في لوزان يوالي جلساته ـ ولم يكن قد فصل بعد في مسألة الموصل ـ وكان الوفد الامريكي يسند الوفد التركي ويفند مزاعم الوفد الانكليزي في شرعية امتياز شركة البترول التركية ويقترح عرض موضوعها على لجنة تحكيم ، ارتكب الاتراك خطأ اضعف مركزهم ، كما أضعف مركز الوفد الامريكي معهم . فقد فاجأ الوفد الانكليزي المؤتمر بأن الحكومة التركية قد منحت امتيازا لشركة امريكية ، هي شركة الاستثمار الأمريكية ـ التركية ، لغرض انشاء شبكة من الخطوط الحديدية تمتد الى داخل ولاية الموصل . ويتضمن امتيازها ايضا حق استغلال جميع المعادن في نطاق عرضه ٢٠ كم على كل جانب من جانبي الخط . واستغل ساسة الانكليز وكتابهم هذا الامتياز للتنديد بنزاهة الامريكيين ومقاصدهم في المؤتمر . وأشارت جرائدهم ، متهكمة ، الى أنه لو كانت الترتيبات قد اتخذت فعلا لاشراكهم في امتياز شركة البترول التركية لما استمر الوفد الامريكي مصرا على البحث في شرعية حقوق هذه الشركة . وازاء هذا الاتهام اضطرت الحكومة الامريكية أن تعلن ، بأنها لايد لها مطلقا في الحصول على هذا الامتياز . وان شيئا من ذلك لايؤثر في سياستها القائمة على مبدأ الباب المفتوح . وأنها لاتريد أكثر من أن يحصل رعاياها على حقوقهم المشروعة ، وان يقفوا مع غيرهم على قدم المساواة . (٦٤)

وازداد موقف الوفد التركي ضعفا عندما وقف لورد كيرزون مفاجئا المؤتمر بقوله ، انه بينما يوالي هذا المؤتمر جلساته في بحث قضية الموصل ، اذا بالوفد التركي هنا يرسل من خلفه رسلا الى لندن لمساومة أصحاب امتياز شركة البترول التركية على منحهم امتيازا آخر في منطقة الموصل التي لايملكونها . ووقف عصمت اينونو يساجل لورد كيرزون مؤكدا أن الوفد التركي ينظر الى مسألة الموصل نظرة اقليمية وأنه يستند في ذلك الى كافة الاعتبارات الطبيعية والبشرية .

واشار الى أن أهمية زيت البترول ليست مجهولة . وأن سياسة تركيا نحوه ، هي أنه لاينبغي أن يحرم احد منه . وأنها مستعدة ، اذا ما أصبحت ولاية الموصل في حوزتها ، أن تمنح التسهيلات اللازمة لاستغلال بترولها بالطرق المشروعة . كما أشار الى قضية الرسل الذين أوفدهم الوفد التركي الى لندن قائلا ، ان هذا الوفد منذ وصوله الى لوزان وهو يتلقى طلبات ورسائل من أفراد وهيئات يستفسر فيها مرسلوها عما اذا كانت تركيا مستعدة لتقديم التسهيلات لهم بعد عودة ولاية الموصل اليها . ومن حقه ان يتأكد بدوره من قدرة أصحاب هذه الطلبات ، وانه قد أرسل لهذا الغرض

اثنين من خبرائه الى لندن ·

وهكذا نجح الانكليز في عزل الاتراك ، وفي الحصول من المؤتمر على قرار بتأجيل البت في قضية الموصل ، بينما اتخذت قرارات في المسائل الاخرى · ووقعت معاهدة لوزان في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢٣ · ونص فيها ـ الفقرة الثانية من المادة الثالثة ـ على ان مسألة الحدود بين تركيا وبين العراق ستسوى بالطرق الودية بين بريطانيا وبين تركيا خلال تسعة اشهر تنتهي في ٥ حزيران (يونيه) ١٩٢٤ · وانهما اذا لم يتفقا على شيء فسيعرض الامر على مجلس عصبة الامم · وكانت النتيجة أنهما لم يتفقا · فعرض الامر على هذا المجلس الذي لم تكن تركيا ممثلة فيه ، والذي قال كيرزون عنه انه لايصدر قرارات بغير موافقة الانكليز · فقرر ارسال لجنة تحقيق الى الموصل وقد جاء قرار اللجنة في مصلحة العراق بشروط ، منها ان يكون خط بروكسل[٦٥] خط الحدود السياسية بين العراق وبين تركيا ٢ ـ ان تقدم الحكومة البريطانية لمجلس العصبة معاهدة جديدة تعقدها مع العراق لضمان استمرار الانتداب عليه لمدة ٢٥ سنة ، مالم يقبل العراق عضوا في عصبة الامم قبل انتهاء هذه المدة · ٣ ـ ان تقدم الحكومة البريطانية للمجلس التدابير الادارية التي ستتخذها لتأمين الضمانات للاكراد ·

وبينما كانت هذه اللجنة تقوم بعملها ، أشاع الانكليز بأن الاتراك قد اتصلوا بهم ، وعرضوا عليهم امتيازات ضخمة تتضمن استثمار جميع موارد البترول في بلادهم ، ومد خطوط الانابيب اللازمة لذلك · كما تتضمن انشاء ست موانٍ واستخدامها ، ومد نحو ثلاثة الاف كيلومتر من خطوط سكة الحديد · وكل ذلك في مقابل ان يتساهلوا معهم في قضية الموصل · ولكنهم أجابوهم بأن هذا لايجوز · لانهم اوصياء فقط على العراق ، وليسوا مالكين له · ولا يستطيعون أن يساوموا على الشعب العراقي ومصالحه في مقابل مصالح تعطى لاصحاب رؤوس الاموال من البريطانيين ·[٦٦]

ولا يعجب القارىء من هذه البراءة الانكليزية والاخلاص ، فان هذا لم يكن الا تمثيلا منهم وقد نجحوا فيه · فهم من جهة قد أضعفوا مركز الاتراك في عصبة الامم وأمام الرأي العالمي ، ومن جهة اخرى قد اكتسبوا ثقة العراقيين كما أخافوهم من احتمال ضياع ولاية الموصل منهم · وكان الاجر الذى نالوه من وراء هذا التمثيل ، هو حصولهم من الحكومة العراقية في ١٤ (مارس) اذار سنة ١٩٢٥ على امتياز جديد لشركة البترول التركية مدته ٧٥ سنة ، قبل ان يصادق مجلس عصبة الامم نهائيا على ضم هذه الولاية الى العراق بعدة شهور ·[٦٧]

والعراق لم يكن الرابح الاول من بتروله ، كما كان لورد كيروزن يؤكد في مراسلاته الرسمية مع حكومة الولايات المتحدة ، وفي أقواله في مؤتمر لوزان · بل انه لم يحصل على النصيب الضئيل الذى لايتجاوز ٢٠٪ فقط ، وهو النصيب الذي سمحت له به العصبة الاستعمارية في سان ريمو · وكانت

نصوص الامتياز الذي منحه للشركة الجديدة مجحفة به أيضا من نواحي أخرى . والباحث في هذا الامتياز وفي ملابسات منحه يدرك ان الانكليز لم يحرموا الشعب العراقي من الاستفادة الحقة من بتروله فحسب ، وانما حرموه أيضا من الحرية الكاملة في التصرف فيه . فهم كانوا يقفون أمام حكومة هذا الشعب واحدى أيديهم ممسكة بولاية الموصل وممتدة بها في الاتجاه نحو الاتراك ، بينما كانت يدهم الاخرى ممتدة نحو هذه الحكومة وممسكة بعقد الامتياز الجديد لشركة البترول التركية . (٦٨)

والامريكيون ، الذين لم تكن لهم في العراق مصلحة قبل قيام الحرب العالمية الاولى ، قد تمكنوا من دخول بابه عن طريق اصرارهم على التمسك بمبدأ الباب المفتوح في البلاد المنتدب عليها . ففي تموز (يوليو) ١٩٢٨ اشتركوا في شركة البترول الجديدة بنصيب قدره ٢٣٫٧٥٪ على اساس مبدأ اتفاقية الخط الاحمر الذى كانوا يعارضونه . ولكنهم مع ذلك قدتمكنوا نتيجة اصرارهم السابق على مبدأ الباب المفتوح من تحديد المساحة التي يتضمنها امتياز هذه الشركة بأربع وعشرين قطعة من أراضى ولايتي الموصل وبغداد . وتكون كل قطعة قائمة الزوايا ، ومساحتها حوالى ١٣ كم مربع . وقد نص في المادة الخامسة من عقد الامتياز على ان تقوم الشركة باختيار هذه القطع في خلال ٣٢ شهرا من تاريخ التعاقد . وان تبدأ في خلال ثلاث سنوات منه عمليات الحفر ، وبواسطة ست آلات على الاقل من آلاته . واذا لم تتحقق هذه الشروط يعتبر الامتياز الممنوح ملغى . أما فيما يتعلق بالاراضي الباقية بعد الامتياز ، فقد نص في المادة السادسة على أن تقوم الحكومة العراقية في خلال أربع سنوات من تاريخ التوقيع على العقد بافراز مالايقل عن ٢٤ قطعة أخرى ، ومثلها في كل سنة من السنوات التالية ، وأن تقوم بعرض امتيازاتها لمنافسة حرة . (٦٩)

ولعل الامريكيون كانوا يدافعون عن مبدأ الباب المفتوح عن عقيدة . ولعلهم أيضا كانوا يقصدون من ورائه تهيئة الفرص لتدخل الشركات الامريكية . على انه سواء أكان هذا هو الذى قام عليه دفاعهم عن هذا المبدأ أم كان ذلك فانهم لم يستمروا على التمسك به(٧٠) حتى بعد ان اخلت الشركة بما يوجب فسخ عقد امتيازها . ذلك لان البترول قد انبثق فعلا بغزارة من بئر باباگرگر في منطقة كركوك في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٧ . وقدرت الكمية المنبثقة منه خلال الستة الايام الاولى بمعدل ٩٢ ألف برميل يوميا . وبسبب ذلك تناسى الامريكيون مبدأهم والمبادىء النبيلة الاخرى التي نادى بها الرئيس ولسون، واشتركوا في الضغط على الحكومة العراقية حتى لاتستعمل حقها المشروع في الغاء امتياز الشركة فتعطيه لشركة اخرى تمثل فيها مصالح ثمان دول ومن بينها كذلك مصالح عراقية . وكانت هذه الشركة قد تقدمت بطلبه والحت عليه فى دوائر الحكومة العراقية وفي دوائر عصبة الامم بعد ان اخلت الشركة التركية بالتزاماتها واستحقت فسخ عقدها .

وتحت الضغط الشديد ، رفضت الحكومة العراقية اجابة طلب الشركة الدولية الممثلة فيها مصالح رعاياها · ودخلت في مفاوضات مع شركة البترول التركية على اساس تعديل عقد امتيازها بحيث يشمل كل الاراضى الواقعة في شرق نهر دجلة من ولايتى الموصل وبغداد · وذلك باستثناء المنطقة المحولة ، بموجب اتفقية الحدود المعقودة في سنة ١٩١٣ بين الحكومتين التركية والفارسية ، الى العراق من أرض فارس والتي تدخل ضمن امتياز شركة البترول الانكليزية ـ الفارسية · وقد اعطى العراق هذه المنطقة فى سنة ١٩٢٥ امتيازا لشركة بترول خانقين التابعة لشركة البترول الانكليزية ـ الفارسية ·

وهذا التعديل الجديد لامتياز شركة البترول التركية لم يكن فى مصلحة العراق بلاشك · ذلك لانه يحرمه مزايا المنافسة الحرة · وهو كذلك لايتفق مع المبادىء التي تضمنتها المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم بخصوص رعاية مصالح الشعوب المنتدب عليها واعتبارها وديعة مقدسة · كما أنه لايتفق مع ما تضمنته المادة الحادية عشرة من صك الانتداب البريطاني على العراق من ناحية مراعاة عدم التمييز بين رعاية الدولة وبين رعاية الدول الاخرى الممثلة في عصبة الامم ومنحهم جميعا فرصا متكافئة ويلاحظ أن هذه المبادىء جميعها قد تضمنتها أيضا المادة الحادية عشرة من المعاهدة العراقية ـ الانكليزية المعقودة في ١٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٢ ·(٧١)

وقد يعجب القارىء بعد هذا من قبول الحكومة العراقية لهذا التعديل· كما قد يعجب من تحملها الطويل لتلك الشركة وعدم قيامها بفسخ عقدها المجحف بعد اخلالها بالشروط الملزمة بها ، مما يعطيها حق هذا الفسخ ،وحق اعطاء امتيازها للشركة الاخرى التي طالبت به ، وفيها ممثلة مصالح وطنية عراقية · وهو بلاشك سيزداد عجبا ، اذا عرف أن نصوص الامتياز المعدل اكثر اجحافا بمصالح الشعب العراقى من نصوص الامتياز الاصلي ·ولكن عجبه قد يتحول الى عطف على هذه الحكومة ، اذا عرف بأن مساومة ما كانت هناك ، فلقد كان الانكليز في هذه المرة يواجهون الحكومة العراقية واحدى أيديهم ممسكة بعقد الامتياز المعدل ، بينما يدهم الاخرى ممسكة بقلم وهى مستعدة لان تشطب به صك الانتداب ، وتكتب به معاهدة جديدة ، وكذلك طلبا الى عصبة الامم لقبول العراق عضوا فيه ·

في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٩ أبلغت الحكومة الريطانية ، عن طريق معتمدها السياسي في العراق ، الحكومة العراقية بأنها مستعدة لمعاضدة ترشيح العراق عضوا في عصبة الامم ، وتأمل ان تعقد معها ماهدة على أساس المقترحات الاخيرة لمشروع المعاهدة البريطانية ـ المصرية ، لغرض تنظيم علاقاتها به بعد قبوله عضوا في عصبة الامم · وجرت مفاوضات لعقد المعاهدة ، كما جرت في الوقت نفسه أيضا مفاوضات اخرى لتعديل الامتياز·

وفي ٣٠ يونيه سنة ١٩٣٠ وقعت المعاهدة . وفي ٢٤ مارس سنة ١٩٣١ وقع عقد الامتياز المعدل لشركة البترول التركية . وفي ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٢ تمت المساعي الخاصة بقبول العراق عضوا في عصبة الامم .

اما شركة البترول التركية ، التي اصبحت منذ ١٩٢٩ تعرف باسم جديد وهو شركة بترول العراق فقد اصبح توزيع اسهمها على النحو التالي :

٧٥ ر٢٣٪ لشركة البترول الانكليزية ـ الايرانية .(٧٢) (شركة دارسي)
٧٥ ر٢٣٪ لشركة البترول الانكليزية ـ السكسونية . (شركة شل)
٧٥ ر٢٣٪ لشركة البترول الفرنسية (تمتلك الحكومة الفرنسية ٣٥٪ من أسهمها)
٨٧٥ر١١٪ لشركة استاندرد اويل أوف نيو جرسى (امريكية)
٨٧٥ر١١٪ لشركة سوكونى فاكوم (امريكية)
٥٪ لكولبنكيان

وفي ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٣٢ منحت الحكومة العراقية امتيازا لشركة تنمية الزيت البريطانية ، وهي التى غيرت اسمها في سنة ١٩٤٢ الى شركة بترول الموصل . كما منحت في ٤ ديمسبر (كانون الاول) ١٩٣٨ امتيازا آخر لشركة بترول البصرة . وأصحاب هاتين الشركتين هم أيضا أصحاب شركة بترول العراق .(٧٢) وعدا هذه الشركات الثلاث ، توجد في العراق شركتان أخريان . احداهما شركة بترول خانقين ،(٧٢) وهي تمارس نشاطها في المنطقة المحولة من فارس الى تركيا بموجب اتفاقية الحدود المعقودة بينهما في سنة ١٩١٣ . والشركة الاخرى هي شركة بترول الرافدين ، وهي تحتكر توزيع البترول وبيعه في العراق . وتتبع هاتان الشركتان شركة البترول الانكليزية ـ الايرانية . وهذه الشركات الخمس شركات بريطانية ويشمل امتيازها كل جزء من أرض العراق . (٧٥)

ومعاهدة ٣٠ يونيو ١٩٣٠(٧٦) هى التى حددت العلاقات التى قامت بين العراق وبين بريطانيا منذ وقت عقدها الى ان الغيت وحل محلها الاتفاق الخاص الذى عقد فى نيسان ١٩٥٥ . وقد حددت مدتها بخمس وعشرين سنة تبدأ من تاريخ دخول العراق عضوا فى عصبة الامم . وتتكون من ١١ مادة ، ولها ملحقان أحدهما عسكرى والآخر مالى . وتشير مقدمتها الى أن الرغبة المشتركة فى انهاء الانتداب ، وفى استقلال العراق ودخوله عضوا فى عصبة الامم ، تستدعى تحديد العلاقات بين الجانبين المستقلين بمعاهدة تحالف وصداقة تقوم على قواعد من الحرية والمساواة التامتين والاستقلال التام .

وتنص المادتان الاولى والثانية منهما على أن يقوم بينهما تحالف وثيق توطيدا لصداقتهما الدائمة . وتجرى بينهما مشاورات تامة وصريحة فى

جميع شوءون السياسة الخارجية التى لها مساس بمصالحها المشتركة · كما يقوم بينهما تبادل للتمثيل الدبلوماسى · وتنص المادتان الثالثة والرابعة على توحيد المساعى لتسوية النزاع الذى يحدث بين العراق وبين دولة أجنبية أخرى ويوءدى الى خطر قطع علاقاته بهذه الدولة · أما اذا اشتبك العراق ، أو الانكليز ، فى حرب فانه يجب على الجانب الآخر أن يبادر فى الحال الى معاونته ·كما يجب عليهما معا أن يبادرا الى توحيد جهودهما عند خطر التهديد بالحرب · وفى حالة الحرب أو التهديد بها ، تنحصر معونة العراق لبريطانيا فى أن يقدم لها فى أراضيه كل ما فى وسعه من تسهيلات ومساعدات ، ومن بينها وسائل النقل والمواصلات ، كالسكك الحديدية والانهار والموانى والمطارات · وتنص المادة الخامسة على أن العراق هو المسؤول الاول عن حفظ الامن فى داخله ، كما أنه كذلك من ناحية الدفاع عن نفسه ضد أى اعتداء خارجى بشرط مراعاة أحكام المادة الرابعة · ولكنه مع ذلك يعترف بأن حفظ وحماية مواصلات الامبراطورية تهم الجانبين المتحالفين بصورة دائمة وفى جميع الاحوال · وهو لهذا يتعهد بأن يمنح بريطانيا طول مدة التحالف موقعين لقاعدتين جويتين ، تختارهما هي في البصرة أو بالقرب منها وموقعا واحدا آخر لقاعدة جوية تختاره في غرب الفرات · كما يأذن لها بأن تقيم لنفسها قوات فى هذه القواعد ، على ان لا يعتبر وجودها احتلالا، أو مسا بحقوق سيادته · وتنص المادة السادسة على أن ملاحق هذه المعاهدة جزء منها · وتنص المادتان السابعة والثامنة على أن هذه المعاهدة قد حلت محل المعاهدتين السابق عقدهما فى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٢٢ وفى ١٣ يناير سنة ١٩٢٦ والاتفاقات الفرعية الملحقة بهما · وأن جميع الالتزامات التى كانت على بريطانيا نحو العراق بموجب هذه المعاهدات والاتفاقيات قد اصبحت منتهية · وتنص المادتان التاسعة والعاشرة على أنه لا يوجد في هذه المعاهدة ما يناقض ميثاق عصبة الامم أو معاهدة تحريم الحرب الموقعة فى باريس فى ٢٧ أغسطس (آب) سنة ١٩٢٨ · وانه اذا نشأ خلاف بين الجانبين على تطبيق هذه المعاهدة أو على تفسير نصوصها يعالج وفقا لميثاق عصبة الامم · أما المادة الحادية عشرة وهي الاخيرة فتحدد مدة المعاهدة ووقت البدء في تنفيذها · وتشير الى أنه يجب على الجانبين المتعاقدين أن يقوما ، بناء على طلب أحدهما فى أى وقت ، بعد مضى ٢٠ سنة من تاريخ بدء تنفيذها ، بعقد معاهدة جديدة ينص فيها على الاستمرار على حفظ وحماية المواصلات الامبراطورية فى جميع الاحوال · وعند الخلاف على ذلك يعرض الامر على مجلس عصبة الامم ·

أما الملحق العسكرى فيشير فى المادة الاولى منه الى حق بريطانيا فى تعيين عدد القوات التى تقيم بالعراق من آن لآخر بعد مشاورة الحكومة العراقية · وفى أن تقيم لها قوات فى الهنيدى (بجوار بغداد) ، وفى الموصل

لمدة أقصاها خمس سنوات تبدأ من تاريخ تنفيذ المعاهدة ، وتنقل بعدها الى القواعد التى حددت فى المادة الخامسة من المعاهدة • ويشير فى المادة الثانية الى وجوب احتفاظ القوات البريطانية فى العراق بحصانتها وامتيازاتها • ما لم يتفق الطرفان على احداث تعديلات فيها • ويشير فى المادتين الثالثة والرابعة الى أن على الحكومة العراقية أن تقوم بجميع التسهيلات الممكنة لنقل هذه القوات البريطانية وتدريبها واعالتها • وان تقدم ، عند طلب الحكومة البريطانية وعلى نفقتها ، حرسا خاصا من أفراد جيشها لحماية القواعد الجوية التى تشغلها القوات البريطانية • ويشير فى المادة الخامسة الى أن بريطانيا تتعهد عند طلب العراق ، وعلى نفقته ، بجميع التسهيلات الممكنة للامور الآتية :- وهى تدريب الضباط العراقيين فى المملكة المتحدة ، وتقديم معدات الحرب بما فيها السفن والطائرات، وكذلك تقديم الضباط البريطانيين من مختلف الاسلحة للعمل كمستشارين للقوات العراقية • ويشير فى المادة السادسة الى تعهد الحكومة العراقية بأن لا تستخدم مدربين عسكريين لقواتها من غير الرعايا البريطانيين ، والا توفد مبعوثين من قواتها للتدريب العسكرى فى الخارج لغير بريطانيا ، الا اذا امتنعت المعاهد البريطانية ومراكز التدريب فيها عن قبولهم • كما تتعهد بأن تكون التجهيزات الاساسية للقوات العراقية وأسلحتها من نوع تجهيزات القوات البريطانية وأسلحتها• وتشير المادة السابعة ، وهى الاخيرة ، الى موافقة الحكومة العراقية ، عند طلب الحكومة البريطانية ، على أن تقوم بجميع التسهيلات الممكنة لمرور القوات البريطانية عبر أراضيها ، ولنقل ، وخزن جميع المؤن والتجهيزات التى تحتاج اليها هذه القوات • وتتناول هذه التسهيلات استخدام طرق العراق ، البرية ، والمائية ، وسككه الحديدية ، وموانيه ، ومطاراته • كما تأذن اذنا عاما للسفن البريطانية بزيارة شط العرب ، على أن تحيط الحكومة العراقية علما بهذه الزيارات قبل القيام بها •

وأما الملحق المالى ، وهو مؤرخ فى ١٩ اغسطس سنة ١٩٣٠ ، فقد كان لحل المشاكل المالية المعلقة بين الجانبين • وبموجبه ، انتقلت ملكية السكك الحديدية ، وميناء البصرة من الحكومة البريطانية الى الحكومة العراقية ، مع شروط معينة تعطى للانكليز بعض النفوذ فيهما •

وهذه المعاهدة ، بعد عقدها ، لم تحز قبولا لدى الشعب العراقى(٧٧). وطالب بعض ساسته برفضها ، ووصفها بأنها قد زادت فى اغلال العراق ، وصاغت له الاستقلال من مواد الاحتلال • وأنها استبدلت الانتداب الوقتى عليه باحتلال أبدى • ومع ذلك ، فلا يمكن انكار أن العراق قد كسب من ورائها بعض المكاسب • وأهم ما كسبه هو اعتراف الانكليز له رسميا باستقلاله التام وبموقفه منهم على قدم المساواة ، ثم قبوله عضوا فى عصبة الامم • أما أهم ما حرص الانكليز عليه فيها فهو تأكيد مبدأ الاعتراف بأهمية

حفظ وحماية مواصلات الامبراطورية بصورة دائمة وفى جميع الاحوال(٧٨). وهم فى سبيل تحقيق هدفهم هذا ، عملوا على أن يحتفظوا لانفسهم بنفوذ فعال ، وان كان مستترا فى ادارة السكك الحديدية وفى ميناء البصرة . ومدوا طرقا من الدرجة الاولى خلال الصحراء السورية ، وأقاموا مطارين ضخمين أحدهما فى الحبانية والآخر فى الشعيبة . كما عملوا على أن يقيدوا العراق بدفاع مشترك . وحرصوا على أن يحتفظوا لانفسهم فيه ببعض النفوذ فى وقت السلم عن طريق هذه القواعد ، وعن طريق اتخاذ شط العرب ، وهو المنفذ المائى الوحيد للعراق الى العالم الخارجى مزارا للاسطول البريطانى وقتما يشاء . وكذلك عن طريق النصوص المتعلقة بتدريب القوات العراقية وتزويدها بالعتاد والاسلحة .

ومما تقدم نلاحظ أن أطماع الانكليز فى العراق قد انكمشت كثيرا فى بعض النواحى فى سنة ١٩٣٠ عما كانت عليه قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها بقليل . فهى قد اضمحلت من الناحية السياسية ، وتحددت كثيرا من الناحية الاقتصادية ، حيث اقتصرت على نحو نصف موارده من زيت البترول ، وعلى شراء ما يحتاج اليه لقواته من عتاد وأسلحة . كما تحددت أيضا من الناحية الاستراتيجية ، واقتصرت على مطارين ، وعلى بعض النفوذ فى سككه الحديدية ، وفى ميناء البصرة وكذلك فى معاهدة الدفاع المشترك . والناحية الخطرة حقا هى ما ورد فى المادة الخامسة عن حفظ وصيانة مواصلات الامبراطورية بصورة دائمة فى جميع الاحوال(٧٩).

والعراق يتضمن القسم الشرقى من خطوط مواصلات الامبراطورية البريطانية عبر سهول الشرق الاوسط . أما القسم الغربى منها فيتضمنه العالم السورى . ومن هذا العالم كانت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى الذى استمر من سنة ١٩٢٠ الى أن نال كل منهما استقلاله كاملا فى سنة ١٩٤٦ . ومصالح الانكليز فيهما قاصرة على خطوط الانابيب التى تنقل بترول العراق الى طرابلس على ساحل لبنان ، والى بانياس على ساحل سوريا . وليس للانكليز فى الوقت الحاضر سلطات فى فلسطين بعد مغادرتهم اياها فى ١٥ مايو (أيار) سنة ١٩٤٨ . أما فى شرق الاردن فقد حرص الانكليز على أن يحتفظوا لانفسهم فيه بنفوذ قوى . لانه يجاور مصر وقناة السويس ، ويتحكم فى مدخل خليج العقبة . فضلا عن كونه يتصل مباشرة بأرض العراق ، ويكون قاعدة كبرى على طريق المواصلات عبر الشرق الاوسط . ولا شك أن أهميته بالنسبة لهم كانت قبل قيام اسرائيل اكبر مما هى الآن . لانها قد فصلت بينه من جهة وبين ساحل البحر المتوسط وقناة السويس من جهة أخرى .

وشرق الاردن ، هو الجزء الواقع من العالم السورى فى شرق منخفض الغور وامتداده جنوبا فى وادى العرابة الى رأس خليج العقبة . وتلتقى

حدوده الشمالية مع حدود سوريا عند نهر اليرموك . أما من الشرق فان حدوده تلتقي صناعية مع حدود العراق والمملكة العربية السعودية . وبينما يمتد من القسم الشمالى الشرقى منه ذراع يربط بينه وبين العراق ، حيث تجرى خلاله اتصالات الامبراطورية ، كما يمتد خط انابيب بترول كركوك ـ حيفا ، يتدخل في وسطه مثلث من أراضي المملكة العربية السعودية الى خط طول ٣٧ شرقا .

ويتكون سطحه من حافةجبلية تشرف علىمنخفض الغور ، وتنحدر نحوه انحدارا سريعا . وتبلغ ذروة ارتفاعها فى القسم الشمالى منها ، وفى القسم الجنوبى . الا أنها ، بينما تتصل فى قسمها الجنوبى مباشرة بجبال السراه التي تمتد في غرب الحجاز مشرفة على منخفض البحر الاحمر ، فان جبل عجلون الذي يكون القسم الشمالي منها لايمتد ويتصل بسلسلة جبال لبنان الشرقية . اذ يوجد بينهما منخفض واسع يكونه سهل حوران الذى يجرى خلاله نهر اليرموك منحدرا الى مصبه فى نهر الاردن . وفىمقابل هذا المنخفض يوجد منخفض آخر فى الجانب الفلسطينى . ويكون هذان المنخفضان معا الممر الرئيسى للاتصالات المنقولة بين خليج عكا وبين الخليج العربى . وخلالهما ، قد مد خط لسكة الحديد بين حيفا عند رأس خليج عكا وبين درعا فى سهل حوران على وادى اليرموك . ودرعا مدينة ، يلتقى عندها هذا الخط الحديدى بخط سكة حديد الحجاز الممتد فى الوقت الحاضر من حلب الى معان . وكان قبل الحرب العالمية الاولى يمتد الى المدينة فى الحجاز . وخلال هذين المنخفضين توجد أيضا طرق برية أخرى ، كما مد خط أنابيب بترول كركوك ـ حيفا .

ووراء هذه الحافة الجبلية نحو الشرق يوجد نطاق هضبى ، وفيه توجد عمان ، ومعان ، وبعض آخر من بلدان شرق الاردن . وهو محدد بعض الشىء بنطاق غير متصل من الحرات البركانية . وهذا التحدد بين الحافة الجبلية من جهة الغرب وبين نطاق الحرات من جهة الشرق ، قد حدد الوظيفة التاريخية لهذا النطاق ، كممر لسير التجارة والهجرات البشرية بين داخل الجزيرة العربية وبين الساحل الشرقى للبحر المتوسط ، وكذلك بين رأس خليج العقبة وبين دمشق . وفى الماضى كانت أهمية هذا الممر أكبر بكثير مما هى الآن . فعليه قام تنافس وصراع بين البطالسة فى مصر وبين السلوقيين فى سوريا . وفيه قامت دولة النبطيين حول بطرى على أساس تجارى ، وبلغت درجة كبيرة من القوة مكنتها من أن تتغلب على قوات الامبراطورية الرومانية أكثر من مرة . وعندما استطاعت هذه الامبراطورية أن تقضى عليها فى عهد تراجان ، لم تغفل أهمية هذا الممر فعبدت خلاله طريقا كان جزءا من طريقها المشهور الذى كان يمتد بين طرابزون على البحر الاسود وبين خليج العقبة . ولصيانته أقامت عليه فى بعض المواقع حاميات رومانية،

وكان من بين مهامها منع البدو وغيرهم من سكان داخل الجزيرة العربية من الهجرة أو الاغارة على عالمهم السورى المتحضر • ولكنهم فشلوا ، وكان فشلهم ذريعا لدرجة أنهم — كما يقول بعض المؤرخين — قد جلبوا أسودا وأطلقوها هناك لاخافة البدو واشغالهم بها ، ولكنهم فشلوا أيضا واضطروا فى النهاية أن يقيموا دولة الغسانيين مصدا • وقد استمرت الى أن جاء الفتح الاسلامى ، وأعاد لعرب الجزيرة منفذهم الذى وهبتهم الطبيعة اياه •

وفي شرق هذا النطاق توجد صحراء الحماد • وهي اقليم هضبي مموج وشديد الجفاف • ولكنه مع ذلك يتضمن كثيرا من موارد المياه فى بعض منخفضاته وفى بعض وديانه • ووادى سرحان هو أهم الوديان التى يتضمنها • وهو وادى واسع يحتوى على كثير من الآبار والعيون ومناطق الواحات • ويمتد بين واحات الجوف (دومة الجندل) فى داخل الاراضى السعودية وبين واحة قصر الازرق فى داخل الاراضى الاردنية • وقد حددت الطبيعة الوظيفة التاريخية لهذا الوادى بين الاراضى القاحلة التى تكتنفه ، وجعلته ممرا آخر للاتصالات البشرية المنقولة بين داخل الجزيرة العربية وبين العالم السورى وموانى الساحل الشرقى للبحر المتوسط خلال ممر تيماء ، الواقع بين جبال مدين وبين صحراء النفود • أو خلال ممر جوبا الذى يقع فى داخل هذه الصحراء ، ويصل بين حايل وبين واحات الجوف•

والانكليز كانوا مدركين تماما الاهمية الاستراتيجية التى لشرق الاردن عندما سعوا فى موءتمر سان ريمو الى ضمه الى منطقة انتدابهم فى فلسطين • وعندما عملوا على ايجاد ثغرة فى المادة الخامسة والعشرين من صك الانتداب على فلسطين تمكنهم من تأجيل شرط الانتداب عليه أو ايقاف تنفيذه ، ومن أن يتخذوا فى ادارته الحالة التى تتلاءم ومصلحتهم(٨٠) • وعندما حرصوا فى سنة ١٩٢٥ على أن يحتفظوا لانفسهم بمنطقتى العقبة ومعان بعد أن استولى ابن سعود على الحجاز • وللاولى أهمية استراتيجية ، لانها ميناء عند رأس خليج العقبة ، ومدخل الى سهول الشرق الاوسط وفلسطين من البحر الاحمر • وللثانية أهمية استراتيجية أيضا على هذا المدخل ، وعلى مدخل آخر من داخل الجزيرة العربية ، عن طريق تيماء • ومن المعروف أن فى منطقة معان قامت بطرى ، وفيها قامت دولة النبطيين قوية واستطاعت أن تمد نفوذها فيما بين تيماء وبين دمشق • وكذلك عندما اقاموا عليه الامير عبدالله الهاشمى فى وجه الوهابية وأميرها ابن سعود • وحرصوا على تضمين المعاهدات التى عقدوها معه نصوصا تمكنهم من الاستفادة من هذه الاهمية الاستراتيجية التى لموقعه الجغرافى •

والامير عبدالله بن الحسين شريف مكة ، وأخو فيصل(٨١)• عاش فى استانبول ، وتعلم في مدارسها ، وهي وقتئذ مهد للمؤامرات السياسية والمنافسات الاستعمارية • وكان عضوا ممثلا للحجاز فى البرلمان التركى ،

فلمس عن كثب خطط الاستعمار وأحابيله ، واكتسب من وراء ذلك خبرة واسعة • وازدادت خبرته بأساليب السياسة الاستعمارية واتجاهاتها نحو البلاد العربية وقتما كان يعمل كوزير خارجية لوالده في الاتصالات الشخصية والمراسلات العديدة التي جرت بينه وبين كتشنر أولا ، ومع مكماهون ثانية ، لغرض أن تحصل البلاد العربية على استقلالها بعد الحرب في مقابل أن تتخلى عن تأييد تركيا ، وتقف بجانب الانكليز ضدها • وهو ، وان لم يستطع بسبب فقر شرق الاردن وقلة عدد سكانه أن يجارى الشعوب العربية الاخرى في كفاحها وثوراتها ضد الاستعمار وفضل أن يسلك معه مسلك المسالمة(٨٢) ، فانه رجل طموح • وبفضل طموحه وخبرته السياسية استطاع ، رغم قلة وسائله ، أن يحطم من قيود الاستعمار التي تقيد بلاده عدة حلقات واحدة بعد أخرى • ففي معاهدة ٢٠ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٨ استطاع ان يحصل من الانكليز على اعتراف باستقلال شرق الاردن • وهو وان كان استقلالا مقيدا بقيود ثقيلة ـ منها أن لا يجند في بلاده جيشا أو يحتفظ فيها بقوات مسلحة • ومنها أن يخضع لتوجيهات الحكومة البريطانية في كل المسائل الخاصة بعلاقاته الخارجية ـ فانه استطاع مع ذلك في سنة ١٩٣٦ أن يحطم القيد الاول وان يضعف القيد الثاني • ففي تلك السنة نجح في الحصول على موافقة الحكومة البريطانية على أن يجند جيشا وان يحتفظ بقوات مسلحة ، وفي أن يقيم علاقات قنصلية مع جيرانه من الدول العربية•

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية وقف الامير عبدالله مواليا للانكليز(٨٣)• واشترك الجيش العربي مع القوات الانكليزية في الحوادث التي جرت في سنة ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ في العراق ، وفي سوريا ، كما اشترك معها ضد القوات الالمانية في معركة العلمين • وفي ٢٢ مارس سنة ١٩٤٦ وقعت بين شرق الاردن وبين بريطانيا معاهدة صداقة وتحالف لمدة ٢٥ سنة• وقد جاء في مقدمتها ، أن الجانبين يرغبان في تحديد العلاقات التي ستقوم بينها على أساس الحرية الكاملة والمساواة والاستقلال • وفيها اعترف الانكليز باستقلال شرق الاردن ، وبالامير عبدالله ملكا عليه • ولكن هذه المعاهدة وملحقاتها لم يقدر لها أن تعمر طويلا ، فان الحوادث السريعة التي كانت تجرى في فلسطين ، وفي العراق على أثر توقيع معاهدة بورتسموث في يناير (كانون الثاني) ١٩٤٨ حملت الانكليز على أن يعقدوا مع شرق الاردن معاهدة جديدة في ١٥ مارس سنة ١٩٤٨(٨٤) يضمنوها كل ما أمكنهم تضمينه من أهداف لخدمة مصالحهم العامة في الشرق الاوسط • وبموجبها تقررت العلاقات التي قامت بين شرق الاردن وبين الانكليز حتى ١٩٥٧ •

وتتكون هذه المعاهدة من سبع مواد وملحق(٨٤)• وتنص المادة الاولى منها على أن التحالف الوثيق القائم بينهما سيستمر ، توطيدا لصداقتهما وتفاهمها وعلاقاتهما الطيبة • وعلى ان لا يقف أي منهما في علاقاته مع الدول

الاجنبية موقفا لا يتفق مع هذا التحالف ، أو قد يولد مشاكل للجانب الآخر · وتنص المادة الثانية على انه اذا قام نزاع بين أحد الحليفين وبين دولة أخرى، وادى الى خطر قطع العلاقات بهذه الدولة ، يكون على الجانبين ان يوحدا مساعيهما لتسوية هذا النزاع بالطرق السلمية وفقا لميثاق عصبة الامم ، ولاى تعهدات دولية أخرى مماثلة · وتنص المادة الثالثة على أنه ، مع مراعاة أحكام المادة الثانية ـ اذا اشتبك أحد الجانبين المتحالفين فى حرب فان على الجانب الآخر أن يبادر في الحال الى مساعدته · وعليهما معا في حالة خطر حرب محدق أن يبادرا فورا الى توحيد جهودهما فى اتخاذ التدابير اللازمة للدفاع · وتنص المادة الرابعة على أنه لا يوجد لهذه المعاهدة ما يناقض الحقوق والالتزامات القائمة لايهما ، أو عليه ، وفقا لميثاق عصبة الامم أو لاى اتفاقيات ومعاهدات دولية أخرى · وتنص المادة الخامسة على أن هذه المعاهدة التى يكون ملحقها جزءا منها ، ستحل محل معاهدة التحالف المعقودة فى لندن فى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٦ مع ملحقها والرسائل الاخرى والمذكرات المتبادلة حولها ، فيما عدا المادة التاسعة من هذه المعاهدة فتبقى نافذة المفعول · وتنص المادة السادسة على أنه اذا حدث خلاف فى تطبيق هذه المعاهدة أو فى تفسير نصوصها ، ولم يتوصل الى حل ، يعرض الامر على محكمة العدل الدولية ، الا اذا اتفق الطرفان على الفصل فيه بشكل آخر · وتنص المادة السابعة ، وهى الاخيرة ، على أن مدة المعاهدة عشرون سنة تبدأ من وقت تنفيذها ، وان على الجانبين المتحالفين أن يقوما ، بناء على طلب أحدهما ، فى أى وقت بعد مضى ١٥ سنة بعقد معاهدة جديدة وينص فيها على استمرار التعاون فى الدفاع عن مصالحهما المشتركة ·

ويتكون الملحق من سبع مواد أيضا · تنص المادة الاولى منه على أنه فى حالة الحرب أو التهديد يقوم كل من الحليفين بدعوة حليفه ليجلب الى أراضيه ، أو الاراضى التى يسيطر عليها ، القوات اللازمة من جميع الاسلحة · وعليه أيضا أن يقدم له كل التسهيلات والمساعدات الممكنة ، بما فى ذلك كل وسائل النقل ، والمواصلات ، وخطوطها ، بالشروط المالية التي يتفق عليها · وعلى الحكومة الاردنية أن تحافظ وتصون ، وكذلك أن تحسن عند الضرورة، مطاراتها ، وموانيها ، وطرقها ووسائل الاتصالات وخطوطها ، فى داخل بلادها وعبرها ، حسبما يتطلب الامر ، لخدمة أغراض هذه المعاهدة وملحقها · ولها أن تطلب مساعدة الحكومة البريطانية اذا شاءت · والى أن يتفق الطرفان على أن حالة الامن الدولى لا تجعل هذه الاجراءات ضرورية ، تدعو الحكومة الاردنية الحكومة البريطانية لان تحتفظ بوحدات من القوة الجوية الملكية فى مطارى عمان والمفرق ، وتقدم كل التسهيلات اللازمة لها ·

وتنص المادة الثانية على تأليف مجلس استشارى مشترك دائم لتنسيق شوءون الدفاع بينهما · ويقوم بالتصريح بتنفيذ الخطط المتفق عليها للمصالح

الاستراتيجية المشتركة ، وبالتشاور الفورى عند حدوث تهديد بالحرب ، وبتنسيق الاجراءات التى تمكن لقوات كل منهما من القيام بتعهداتها وفقا للمادة الثانية من المعاهدة ، وعلى الاخص الاجراءات المتعلقة بحراسة وصيانة المطارات والموانى وخطوط المواصلات • وبالتشاور فيما يتعلق بالتدريب وتوفير المعدات • وبتقديم تقارير سنوية وتوصيات عن ذلك • وباتخاذ الترتيبات اللازمة لعمليات التدريب • وبالاهتمام والتوصية بالاماكن الاخرى التى توضع فيها القوات البريطانية فى المملكة الاردنية ، مما سوى الاماكن التى أشير اليها فى المادة الاولى من هذا الملحق •

وتنص المادة الثالثة على أن تدفع الحكومة البريطانية الى الحكومة الاردنية جميع التكاليف التى تتحملها لتقديم التسهيلات المشار اليها فى المادة الاولى من هذا الملحق • كما تقوم باصلاح أى ضرر ينشأ عن أعمال أفراد قواتها المسلحة أو تدفع تعويضا عنها ما عدا الاضرار التى تحدث من جراء العمليات العسكرية بمقتضى المادة الثالثة من هذه المعاهدة •

وتنص المادة الرابعة على أن الحكومة الاردنية تقدم عند الطلب جميع التسهيلات اللازمة لمرور وحدات القوات البريطانية عبر اراضيها بمعداتها وذخائرها بنفس الشروط المطبقة على القوات الاردنية •

وتنص المادة الخامسة على أن تظل القوات البريطانية في المملكة الاردنية متمتعة بحصانتها الى ان يتم عقد اتفاق بين الجانبين لتوضيح تفاصيل هذه الحصانة من الناحيتين المالية والقضائية •

وتنص المادة السادسة على أنه لكي يكون التعاون كاملا بين الجانبين ورغبة في توحيد التدريب وأساليبه بين قواتهما المسلحة ، تقدم بريطانيا التسهيلات الممكنة في المملكة المتحدة ، أو في مستعمراتها ، لغرض تدريب القوات الاردنية • وتقوم سنويا بتوفير وحدات من قواتها للقيام بعمليات التدريب المشترك مع القوات الاردنية ، على أن تقوم الحكومة الاردنية بتقديم التسهيلات اللازمة في اراضيها لخدمة هذا التدريب • وتتعهد الحكومة البريطانية بأن تقدم للحكومة الاردنية عند طلبها أي شخص من قواتها ممن ترى ان خدمته ضرورية لضمان كفاية قواتها • كما تتعهد بتقديم كل التسهيلات الممكنة لغرض تعليم الضباط الاردنيين تعليما عسكريا في معاهدها الخاصة • وتزويد القوات الاردنية بما تحتاج اليه من اسلحة وذخائر ومهمات وطائرات وغير ذلك من الالات الحربية • على ان تقوم الحكومة الاردنية بدفع نفقات التعليم والتزويدات المشار اليها ، وتتعهد بأن تكون اسلحة قواتها وتجهيزاتها الرئيسية من نفس النوع الذى تستعمله القوات البريطانية •

وتتعهد كذلك بأن لاترسل أي فرد من قواتها من أجل التدريب العسكرى في الخارج لغير المعاهد العسكرية البريطانية ومعاهد التدريب

المخصصة للقوات البريطانية ٠

وتنص المادة السابعة وهي الاخيرة على أن تسمح الحكومة الاردنية لسفن البحرية البريطانية بأن تزور موانيها متى شاءت ، على ان تبلغ بهذه الزيارات قبل حدوثها ٠

وهذه المعاهدة التى حددت علاقات بريطانيا بشرق الاردن حتى ١٩٥٧ هي بلاشك أشد وطأة من معاهدة سنة ١٩٣٠ التي حددت علاقاتها بالعراق٠ ومع ذلك يلاحظ من نص المعاهدتين ومن روحهما أن الاهداف من ورائهما واحدة ٠ وهي تثبيت مبدأ الاعتراف بحراسةوصيانة مواصلات الامبراطورية دائما وفي كل الاحوال ٠ وارهاب شعوب الشرق الاوسط بصفة عامة وايقافها عند حد محدود ـ عن طريق القواعد العسكرية ـ والاحتفاظ بحق مرور القوات البريطانية بذخائرها ومعداتها من جهة الى أخرى عبر أراضي العراق وشرق الاردن ٠

ومما تقدم يلاحظ ان اطماع الانكليز في تكوين امبراطورية في الشرق الاوسط بعد ان خلا ميدانه من منافسيها القدماء لم تتحقق لاسباب شتى من اهمها ، أنهم واجهوا فيه شعورا قوميا قويا ٠ ومنها موقف روسيا المعاضد لشعور هذه الشعوب وكفاحها لتحقيق أمانيها ٠ ومنها كذلك موقف الولايات المتحدة واصرارها على التمسك ببعض المبادىء التي تخدم مصلحة هذه الشعوب من جهة كما تخدم مصالحها الخاصة من جهة اخرى ٠ وقد كان الانكليز قد وقفوا موقف المعاند أمام هذه القوى الثلاث ٠ وحاولوا اجتذاب فرنسا لكي تقف بجانبهم ضدها ، ولكن أطماع فرنسا كانت اكبر مما قدموه لارضائها ٠ذلك لانها كانت تعتبر ان ما يتفضلون به عليها من اقرار انتدابها على سوريا ، او اعطائها نصيبا من بترول الموصل ، انما هو جزء من الحقوق التي أعطتها اياها اتفاقية سايكس ـ بيكو ٠ وبسبب ذلك اضطر الانكليز الى الحد من أطماعهم في هذا الشرق ٠ وتغيير سياستهم فيه ٠ والعمل على ارضاء الامريكيين ـ الذين لم تبد منهم فيه من قبل اطماع استعمارية اقليمية منافسة لهم ـ باشراكهم معهم في بعض المصالح حتى يقفوا بجانبهم أمام القوى الاخرى عند الضرورة ٠ والمنطقة التي اتجه الانكليز اليها لخلق مصالح للامريكيين فيها هي منطقة الخليج العربي ٠ وذلك لانها منطقة حرجة ٠ فهى تجاور الهند ٠ كما ان أطماع الايرانيين تتجه اليها ، كما تتجه اليها كذلك أطماع الروس ٠ وقد يتفقان معا فى اطماعهما فيها ٠

ولم تكن للامريكيين مصالح في هذه المنطقة قبل قيام الحرب العالمية الاولى ٠ وقد بدا اول اهتمام لهم بها عقب هذه الحرب عن طريق اهتمامهم بالبحث عن مصادر خارجية للبترول ٠

وقد لوحظ فيما سبق أن صراعا سياسيا حادا قد قام بينهم وبين

الانكليز على بترول العراق . وبدا اهتمام الامريكيين ببلاد فارس وبترولها عندما احتلتها القوات الانكليزية وفرضت عليها معاهدة في ١٩ أغسطس (آب) ١٩١٩ . وكانت الولايات المتحدة من بين الدول التي أعلنت استنكارها لذلك . فعندما أبلغ كيرزون الحكومة الامريكية بموقف فرنسا المعادي لهذه المعاهدة وطلب مساعدتها ، أجابته بأن فرضها على الحكومة الفارسية قد ترك في نفوس الامريكيين أثرا سيئا فلا تستطيع ان تقف منها موقفا وديا .(٨٥)

وهذا الموقف من الحكومة الامريكية ، بجانب ماكان معروفا عن مواقفها الاخرى من ناحية الدفاع عن حقوق الشعوب المغلوبة على امرها ، دعا بعض الساسة الفارسيين الى التقرب منها وخلق مصالح لها فى بلادهم وذلك لغرض الاستعانة بها على ايقاف أطماع الانكليز في بلادهم عند حد. ففي الوقت الذى تقدم فيه الانكليز بطلب امتياز البترول الذي كان لمسيو أكاكى خوشتاريا في القسم الشمالى من بلادهم وكونوا لذلك شركة بترول القسم الشمالى من فارس كفرع لشركة البترول الانكليزية ـ الفارسية ، اتصلوا بالدبلوماسيين الامريكيين وأعلنوا لهم أن بلادهم يسرها أن ترى أصحاب الاعمال الامريكيين يأتون اليها ويستثمرون أموالهم فى مرافقها . وقد ابلغ هؤلاء الدبلوماسيون حكومتهم بهذه الرغبة . وأجابت الحكومة الامريكية بالموافقة ، وابلغت بأن الشركات الامريكية تتهيأ في ذلك . وأن شركة « استاندرد أويل أوف نيوجرسي » قد أعلنت عن استعدادها للعمل في بلاد فارس ، اذا تمكنت من الحصول على اتفاق ملائم .

وهكذا بدأ أول تصادم بين الاطماع الانكليزية الاستعمارية في ايران وبين المصالح الامريكية الاقتصادية فيها . فعندما تقدمت شركة بترول القسم الشمالي من فارس الى الحكومة الفارسية بطلب الامتياز ، طلبت الحكومة الامريكية من وزيرها في طهران أن يبلغ الحكومة الفارسية بأن من مصلحتها القصوى أن تؤجل منح امتيازات اخرى لبترولها حتى تتمكن الشركات الامريكية من التقدم للمنافسة الحرة عليها . كما طلبت منه أيضا أن يدافع دفاعا قويا أمام الحكومة الفارسية عن المصالح الامريكية ، وعلى الاخص اذا بدا ان المصالح الانكليزية ستنال تفضيلا عليها .(٨٦)

وانزعج الانكليز من المحادثات التي جرت بين الفرس وبين الامريكيين بشأن استثمار الاموال الامريكية في فارس . فكتبت الحكومة الانكليزية الى الحكومة الامريكية رسالة قالت فيها ، انه قد وردت اليها تقارير موثوق بصحتها تفيد بأن الحكومة الفارسية قد عرضت على شركة أمريكية امتيازا للبترول في القسم الشمالى من بلادها ، على اعتبار ان امتياز خشتاريا الروسي التبعية في هذا القسم قد أصبح باطلا تبعا لتنازل الروس عن كل ماكان لهم من حقوق وامتيازات في بلاد فارس . ولكن الحكومة البريطانية

تؤكد أن هذا الامتياز قد نقل اليهم بصورة صحيحة . وانها لم تدع لدى الحكومة الفارسية شكا في صحة حقها فيه . فأجابت الحكومة الامريكية على هذه الرسالة تقول ، بأن المعلومات التي لديها عن هذا الامتياز ليست كافية ، وان كان هناك شك كبير في صحته . ثم اضافت بأنها ـ بهذه المناسبة ـ تشير الى ان شركة البترول الانكليزية ـ الفارسية تسيطر سيطرة تامة على القسم الاكبر من بلاد فارس ، ويبدو أن المطالبة بامتياز آخر في القسم الشمالي من هذه البلاد يهدف الى اقصاء الشركات الامريكية عنها .(٨٧)

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٢١ قررت الحكومة البريطانية سحب قواتها من فارس . وفي فبراير (شباط) عقدت الحكومة الروسية مع الحكومة الفارسية معاهدة على أساس أن فارس للفرس . وقد تنازلت فيها عن كل الحقوق والامتيازات التي كانت لها . وتعهدت فيها الحكومة الفارسية من جانبها بألا تمنح هذه الحقوق والامتيازات المعادة اليها الى دولة اخرى، أو لأحد من رعاياها ، وأن تحتفظ بها للفرس فقط . وفي نوفمبر (تشرين الثاني) من نفس السنة وافقت السلطات الفارسية على منح شركة استاندرد الامريكية امتيازا للبترول في القسم الشمالي من بلادها ، بشرط ان لايكون لها حق مطلقا في ان تشرك معها في امتيازها أحدا ، أو تتنازل عنه لاي فرد أو شركة أخرى أو حكومة الا بعد موافقة الحكومة الفارسية .(٨٨)

واحتجت حكومة الاتحاد السوفييتي على منح هذا الامتياز قائلة أنه مادام التصديق على معاهدة فبراير (شباط) ١٩٢١ لم يتم ، فان جميع الحقوق الروسية في ارض فارس لاتزال قائمة . وحتى لو كان التصديق قد حدث ، فان هذا الامتياز يناقض ماورد في المادة الثالثة عشرة من المعاهدة ، وهي التي تنص على الامتناع عن اعطاء أي امتياز كان في يد الرعايا الروس لرعايا دولة اجنبية الا بعد موافقة الحكومة الروسية . وقد ردت الحكومة الفارسية على هذا الاحتجاج بقولها ان امتياز خوشتاريا لم يكن صحيحا في أى وقت مضى ولم يكتسب صفة شرعية . واحتج الانكليز أيضا ، وكان احتجاجهم شديد اللهجة . ومما جاء فيه أن الحكومة البريطانية تؤيد تأييدا تاما الحقوق التي اكتسبتها شركة بترول القسم الشمالي من فارس ، وانها لاتستطيع ان تسمح باعتداء على حقوق رعاياها بسبب ترتيبات عملت بين الحكومة الفارسية وبين حكومة اجنبية أخرى لغرض اقصاء رعاياها . وأنها تعتبر منح الامتياز لشركة امريكية عملا غير ودى ، ولا يمكن تبريره اطلاقا . وأنها ستبقى مستمرة على تأييد حقوق رعاياها بكل مالديها من وسائل(٨٩)

ونجاح الامريكيين في الحصول على الامتياز لم يؤثر في العلاقات الرسمية بين الحكومتين الفارسية والروسية . ويمكن القول بدرجة صغيرة من الشك بأن الروس لم يغضبوا جديا من هذا النجاح . وذلك لما هو

معروف ، من ان التوجيه الجغرافي لبترول هذا القسم الشمالي من بلاد فارس يكون خلال أراضيهم في القوقاز الى البحر الاسود .

وأدرك الانكليز أن هذا النجاح الذى احرزه الامريكيون سوف يمكنهم من المساومة الفعالة على المصالح الاقتصادية الاخرى في الشرق الاوسط ، وعلى الاخص بترول العراق . كما أدركوا أن موقفهم المعادي لهم لاجدوى فيه بل انه قد يؤدي الى تقارب بين الامريكيين والروس . وعلى الاخص، لان كلا منهما يتفق مع الآخر ، الى حد كبير ، فيما يدعيه من مناصرة الشعوب المغلوبة على أمرها في تحقيق أمانيها القومية . ولهذا عدلوا عن سياستهم وعملوا على تقريب مابينهم وبين الامريكيين . وأرسلوا لهذا الغرض السير جون كادمان المستشار الفني لشركة البترول الانكليزية ـ الفارسية الى امريكا للمساومة . ونجح في مهمته . فرفضت الشركة الامريكية الامتياز الممنوح لها في القسم الشمالي من فارس . وكتبت احدى المجلات الانكليزية المهتمة بشؤون البترول تقول بأن صفقة ستتم بين شركة البترول الانكليزية ـ الفارسية وبين شركة استاندرد على أساس المساواة . وأن هذه الصفقة، اذا تمت فستكون واحدة من أهم المشاريع الدولية للبترول ، ان لم تكن الاهم فعلا . وعندئذ ستزول نهائيا من أذهان الامريكيين فكرة ان البريطانيين يعملون على أقصاء أصحاب رؤوس الاموال الامريكيين من الاشتراك في مصادر زيت البترول الموجودة في مناطق نفوذهم .

ولم يرض الفرس عن موقف شركة استاندرد . وكذلك لم يرض الروس عن موقفها ، لانهم اذا كانوا قد عارضوا في وجود هذه الشركة الامريكية وحدها فأنهم من باب اولى يعارضون في وجودها متحدة مع شركة البترول الانكليزية ـ الفارسية . والحكومة الامريكية أيضا لم ترض عن موقف الشركة الامريكية واعتبرتها قد خدعت . وأن الانكليز يريدون اتخاذها مخلب قط لفرض نفوذهم على القسم الشمالي من بلاد فارس بجانب قسمها الجنوبي . وقد شجع هذا الموقف شركة سنكلير الامريكية على التقدم للمطالبة بالامتياز . وقبلت الحكومة الفارسية طلبها في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٣ . ولم تعترض الحكومة الروسية عليها ، مالم تشرك معها شركة أخرى في امتيازها ، أو تتنازل عنه لاي فرد أو حكومة اجنبية اخرى . ولكن ضغطا وجه الى هذه الشركة حملها على ان تتنازل عن امتيازها قبل أن تجري عليه أبحاثها .(٩٠)

وتقدمت شركات أخرى مطالبة بامتيازات للبترول في ايران ، وعلى الاخص بعد أن ألغي الامتياز القديم لشركة البترول الانكليزية ـ الفارسية، وحدد امتيازها الجديد بمساحة قدرها نحو ٢٦٠ الف كم٢ فقط من أصل مساحتها البالغة نحو مليون ونصف كم٢ . ولكن هذه الشركات كانت تلغي امتيازها دون أن تمارسه . وربما ترجع أسباب ذلك الى الاتجاه

القومي العنيف الذي بدا في ايران بعد أن سيطر رضا شاه على مقاليد الحكم فيها ، والى المخاوف التي تولدت لدى الامريكيين عندما قام هذا الشاه فالقى في وجه الاسد البريطاني بامتياز شركة البترول الانكليزية ـ الفارسية.(٩١)

وسياسة الانكليز المعدلة كانت ـ كما سبقت الاشارة ـ ترمي الى ايجاد مصالح للامريكيين في بعض مناطق معينة من الشرق الاوسط ليكونوا سندا لهم أمام الشعور القومي العنيف ، وأمام الاطماع التاريخية للروس .وليس العراق الذي نال الامريكيون نصيبا من بتروله من بين هذه المناطق . ذلك لان عصبة الامم تسند ظهرهم فيه باعتبارهم وكلاء عنها في ادارته . وكذلك لان ظهر العراق محمي بقواتهم في فلسطين ، وشرق الاردن ، ومصر ، وبالقوات الفرنسية في سوريا ولبنان . أما المناطق الخطرة فتوجد في عالم الخليج العربي . وذلك لاتجاه الاطماع التاريخية للروس اليها كما ان الاطماع التاريخية لابن سعود تتجه اليها ايضا . وفضلا عن ذلك اتجهت اليها أطماع ايران . وقد سبقت الاشارة الى السياسة التى اتبعها رضاشاه نحو ابعاد النفوذ الانكليزي عن سواحل بلاده وجزرها ومياهها الاقليمية في هذا الخليج . وانه بعد أن أقصى هذا النفوذ عن بلاده تبعه الى جزر البحرين محاولا اقصاءه عنها أيضا .

وجزر البحرين كما هي معروفة توجد في خليج البحرين الواقع بين شبه جزيرة قطر وبين اراضى المملكة العربية السعودية في الاحساء ، وتقع على مسافة نحو ٢٥ كيلومترا من الساحل السعودي . وهي مجموعة من الجزر ، أكبرها جزيرة البحرين التي يبلغ طولها نحو ٤٤ كم وعرضها نحو ١٩ كم .

وفي الشمال الشرقي لهذه الجزيرة تقوم جزيرة محرق ،ولكنها ليست منفصلة عنها تماما . اذ يوجد نطاق ضيق من اليابس يربط بينهما . وعند رأسه قامت منامة عاصمة جزر البحرين التي هى ميناؤها في نفس الوقت. اذ تشرف من جهة الجنوب على خليج ومن جهة الشمال على خليج آخر . والخليج الجنوبي أكثر عمقا ولذلك يستخدم للسفن ، أما الخليج الشمالي فمياهه أقل عمقا ، ولذلك اتخذ مطارا مائيا للطائرات .

وسطح جزر البحرين سهلي منخفض ، ومغطى برمال متماسكة .وهو لهذا يقدم فرصة لاقامة مطار ضخم عليه . ومناخها ، وان كان مزعجا في فصل الحرارة لشدة حرارته ووفرة رطوبته ، فهو في فصل البرودة معتدل ولطيف ، ويفضل مناخ أي منطقة أخرى على ساحل الخليج العربى .

وتتركز الثروات الطبيعية في منطقة جزر البحرين في المياه الضحلة التي تكتنفها والتي تكون مصايد جيدة للاسماك ولاستخراج اللؤلؤ . كما تتركز في مينائها العميق ، وكذلك في القسم الشمالي منها . اذ تتوفر في هذا القسم مياه الينابيع فتسقي بساتين النخيل والفواكه وحقول البرسيم

الحجازي . كما أن فيه جبل الدخان ، حيث يحيط به حقل البترول .

وقد ادرك الانكليز منذ دخولهم الخليج العربى في أوائل القرن السابع عشر اهمية جزر البحرين ، لموقعها الاستراتيجي في داخل هذا الخليج ولبعدها عن الساحل ومشاكله العديدة ، ولمينائها الطبيعي الذي استخدم كقاعدةأمامية للحملة التيوجهت لغزوالعراق عندقيام الحرب العالمية الاولى . وزاد اهتمامهم بها بعد ان دخل الطيران في اعمال ميدان السلم وميدان الحرب على السواء . اذ على سطحها وفي مائها ، ما مكنهم من اقامة قاعدتين ضخمتين على طريق مواصلات الامبراطورية . وازداد اهتمامهم بها اكثر بعد ان اكتشفوا البترول فيها ، وبعد ان أصبحت مقرا لوكيلهم السياسي منذ ابعاده عن بوشير ، ومقرا لاسطولهم ، بعد ان أبعد عن قاعدة جزيرة هنجام الفارسية .

وقد خضعت جزر البحرين للبرتغاليين بعد دخولهم الى الخليج العربي في القرن السادس عشر واستمرت في أيديهم الى سنة ١٦٢٢ . ثم استولى الفرس عليها وبقيت تحت سيطرتهم الى سنة ١٧٧٩ ، حيث أغارت عليها قبيلة العتبي (أو العتوب) من قطر والكويت وسيطر شيوخها آل خليفة عليها بعد ان ابعدوا الفرس عنها . ولكن الامر لم يستقر لهم فيها ، فقد نافسهم عليها الوهابيون وسلطان مسقط . وانتهز الانكليز الفرصة ، واختاروا مناصرة آل خليفة وعقدوا معهم ، كما سبقت الاشارة ، معاهدة في سنة ١٨٢٠ . ولم ينس الفرس ادعاءاتهم على هذه الجزر منذ انغادروها ففي ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ وقعت الحكومة البريطانية مع الملك عبدالعزيز آل سعود معاهدة جدة التى اعترفت له فيها ، في المادة الاولى منها ، باستقلاله التام المطلق في الحجاز ونجد وملحقاتها . وتعهد لها في المادة السادسة منها بأن يحافظ على علاقات الصداقة والسلام مع الكويت والبحرين ومشيخات قطر وساحل عمان الذين تربطهم بالحكومة البريطانية معاهدات خاصة . فلما علمت الحكومة الايرانية بذلك ، وجهت في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٧ الى الوزير المفوض البريطاني في طهران رسالة احتجت فيها على ورود ذكر جزر البحرين فى المعاهدة المعقودة بين الحكومة البريطانية وبين الملك آل سعود بأنها امارة عربية مستقلة تربطها ببريطانيا معاهدة خاصة . واشارت الى ان هذه الجزر ملك لاشك فيه لايران ، واستندت في ذلك على مذكرة الحكومة البريطانية التي وجهتها الى فارس في ٢٩ ابريل (نيسان) ١٨٦٩ ، والتى اعترف فيها اللورد كلاريندون بسيادة فارس عليها . وطالبت الحكومة البريطانية بأن تتخذ الاجراءات اللازمة للعمل على ازالة الاثر الذي يخلفه ذكر جزر البحرين كامارة مستقلة في هذه المعاهدة . وارسلت في الوقت نفسه صورة من هذا الاحتجاج الى مجلس عصبة الامم .

وأجابت الحكومة البريطانية منكرة حق ايـــران ، ومشيرة الى ان الحكومة الايرانية مخطئة تماما اذا هي تصورت أن الحكومة البريطانية قد قصدت من مذكرة نيسان ١٨٦٩ الاعتراف بأن جزر البحرين ملك لايران. ولم تتوقف الحكومة الايرانية عن توجيه الاحتجاجات الى الحـــــكومة البريطانية وارسال نسخ منها الى مجلس عصبة الامم والى الدول الاعضـــاء الممثلة فيه . وازدادت هذه الاحتجاجات عنفا بعد ان عرف ان جزر البحرين تحتوي على ثروة من زيت البترول .(٩٢)

وبترول جزر البحرين بدأ البحث عنه بواسطة فرانك هولمز ، وهـــو نيوزيلندي ومن المغامرين الذين انتشروا للبحث عن المعادن ومصادر الثروات الاخرى في الشرق الاوسط ، عقب اعلان الهدنة ، وقتما كان نفوذ الانكليز فيه لايدانيه نفوذ . وفي جزر البحرين تعاقد معه « الشيخ » على حفر عدد من الآبار المائية ، وفي اثناء قيامه بالحفر كشف عن وجود البترول .وتولى بالنيابة عن شركة آيسترن آند جنرال اللندنية مفاوضة الشيخ في الحصول على امتياز البترول . وقد نجح في مفاوضته ، ومنح الشيخ الامتيازللشركة في ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٥ . ولكنها لم تستغله ، وتنازلت عنهفي تشرين الاول ١٩٢٧ لشركة امريكية هي شركة بترول الخليج . وقد قامت هذه الشركة بأبحاثه ، وجاءت تقارير خبرائها مشجعة عن وجود البترول في جزر البحرين . ولكنها ، مع ذلك لم تستطع الاستمرار على القيـــــام باستغلال امتيازها . ذلك لانها أصبحت عضو في مجموعة الشركات المشتركة في تكوين شركة البترول التركية التي لايجوز ،بمقتضى اتفاقية الخط الاحمر المعقودة بين اعضائها ، لاي عضو فيها ان يقوم بمفرده بممارسة نشـــاط خاص في البلاد العربية (٩٣) . وكان على شركة الخليج ان تعرض الامتياز الذي حصلت عليه في جزر البحرين على شركة البترول التركية لتقـــوم باستغلاله باسم مجموع أعضائها . وقد عرضته عليها فعلا ، ولكنها رفضت قبوله . ترى أرفضته لانها ارادت أن تستحوذ عليه شركة انكليزية خالصة؟ ربما كان هذا محتملا ولكن لا أحد يستطيع ان يقرر السبب الحقيقي .ذلك لان المسائل المتعلقة ببترول البحرين قد غطيت بغطاء كثيف من السرية . والغريب حقا ان هذا الامتياز قد عرض على شركة البترول الانكليزيـــة ـ الفارسية فرفضته هي أيضا ، ثم جاءت شركة امريكية ، وهي شركـــــة « استاندرد أويل أوف كاليفورنيا » فاستولت عليه وقامت باستغلاله .

وجه الغرابة في الامر : ١ ـ ان شركة البترول الانكليزية ـ الفارسية شركة انكليزية بحتة ، تمتلك الحكومة البريطانية معظم أسهمها . وقـــد شنت هذه الحكومة حربا بترولية ضد الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الاولى ، وكانت تقصد الاستحواذ على كل مصادر البترول في الشرق الاوسط وحرمان رؤوس الاموال الامريكية من الاشتراك فيها . ٢ ـ العلاقة المكانية

بين جزر البحرين وبين منطقة الامتيـــاز التي يشغلها امتيـــاز الشركة الانكليزية ـ الفارسية في القسم الجنوبي من ايران ٠ ٣ ـ العلاقةالسياسية بين جزر البحرين وبين بريطانيا ، ولها فيما يتعلق بالبترول ناحيتـان : الناحية الاولى ناحية الاطمئنان ٠ اذ لم يكن لدى البحرية البريطانية فى ذلك الوقت ما هو أهم من الاستحواذ على مصدر مضمون من البتـرول ٠ وجزر البحرين ، وان لم تكن جزءا فى الامبراطورية البريطـانية فان العلاقـات السياسية بينها وبين بريطانيا ، وكذلك الاحوال الاجتماعية السائدة فيها تجعل بترولها لايقل ضمانا عنه فيأيجزء منأجزاءالامبراطورية ٠٠ أماالناحية الاخرى ، فهى أن هذه العلاقات تحرم على الشيخ أن يمنح امتيـاز بترولـه لشركة امريكية ٠ وهو لا يستطيع أن يمنحه لها الا اذا وافقت عليه الحكومة البريطانية(٩٤) ٤ ـ العلاقة الاقتصادية ، فبترول جزر البحرين يتميز على بترول جميع المناطق الاخرى المنتجة له فى الشرق الاوسط برخص تكاليف انتاجه ٠ فهو يكاد ان يكون (من البئر الى نـاقلات البترول » ، فضلا عن كونه أقرب الى أسواق الهند والشرق الاقصى(٩٥).

ولتنازل الانكليز للامريكان عن بترول البحرين بالطبع أسباب قوية. ولا يبدو ان من بينها ما يقوله الانكليز من أن خبراءهم قد قرروا أن كمية البترول قليلة وان استغلالها لهذا السبب غير اقتصادي ٠ ذلك لانالبترول قد انبثق على نطـاق تجـارى قبل أن تمضى سنتـان على ممارسة الشركة الامريكية لامتيازها ٠ والاكثر احتمـالا أن الانكليز أرادوا من جهـة ان لا يوجدوا لشركات البترول الانكليزية مشاكل فى هذه المنطقة الحرجـة من الشرق الاوسط ، وعلى الاخص بعد أن بدا رضا شاه عنيفـا فى معـالجة مسائله معهم ، وقوى الاصرار فى ادعائه بملكية جزر البحرين ٠ وأرادوا من جهة أخرى أن يوجدوا للامريكيين مصـالح فى هذه المنطقـة حتى يقفوا معهم فى وجه أطماع الايرانيين والشيوعيين والملك الطموح ابن سعود(٩٦).

ومن الغريب أيضا ان شركة (ايسترن أند جنرال) اللندنية هى أول شركة نالت امتيازا للبترول فى القسم الشرقى من البلاد العربية السعودية، وهو القسم الذى ينتج فى الوقت الحاضر كل البترول السعودى ٠ ففى سنة ١٩٢١ قابل مستر هولمز الامير عبدالعزيز آل سعود فى العقير ، وهو ثغر للاحساء ، على خليج البحرين ٠ وحصل منه على امتياز لهـذه الشركة فى مقابل ألفى جنيه استرلينى ذهبا ، تدفع سنويا الى أن ينبثق زيت البترول. ولكن هذه الشركة قد أهملت أيضا امتيازها واستولت عليه فى ١٩٢٣ شركة امريكية ، هى شركة (استاندر أويل أوف كاليفورنيا) ٠ ومن الغريب كذلك أن الوسيط الذى اشترك فى عقد الصفقة بين هذه الشركة الامريكية وبين الامير آل سعود انكليزى ، وهو مستر فلبى ٠ ومستر فلبى ، بحكم ولائه لقوميته ، كتب الى شركة البترول الانكليزية ـ الفارسية لكى تدخل منافسة،

ولكنها امتنعت · وهذا الموقف المجامل الذى وقفه الانكليز تجاه الامريكيين على بترول المملكة العربية السعودية يؤكد ما نذهب اليه من أن الانكليز كانوا شديدى الاهتمام بخلق مصالح مهمة للامريكيين فى منطقة الخليج العربى ·

وتكررت القصة مرة أخرى فى الكويت · ففى ١٩٢٠ حصل فرانك هولمز ممثل شركة (ايسترن أند جنرال) على الامتياز ثم عرضه على الشركة الانكليزية الفارسية · ولكنها رفضت بالرغم من العلاقات المكانية التى تربط بين الكويت وبين القسم الجنوبى من فارس ، حيث تمارس الشركة المذكورة نشاطها · وبالرغم من الاعتبارات الاقتصادية التى تقوم على العلاقة المكانية المباشرة بين الكويت والخليج العربى · وتمت القصة فى ١٩٣٣ باشتراكها فى الامتياز مناصفة مع شركة أمريكية هى شركة جولف اكسبلوريشن(٩٧)·

والانكليز لا يؤثرون الامريكيين على أنفسهم أبدا بالبترول ، وهو المادة الاستراتيجية الاولى فى أوقات السلم وفى أوقات الحرب ، الا اذا كانوا يهدفون الى ما هو أهم منه · وكان هذا الاهم الذى هدفوا اليه ، هو أن يستخدموا الامريكيين لخدمة مصالحهم فى الشرق الاوسط · يرهبون بهم الروس والايرانيين وابن سعود · ويوقفونهم معهم حراسا على خطوط مواصلات الامبراطورية · ويساعدونهم على الاحتفاظ بنفوذهم فى هذا الشرق ، وعلى تأييد سياستهم فيه · ألا تقوم للامريكيين مصالح اقتصادية مهمة فيه ؟ أو ليست هذه المصالح الامريكية المهمة مصونة بفضل نفوذ الانكليز فى المنطقة الذى يرتكز على قواعدهم العسكرية فى البحرين وفى الكويت وفى العراق وفى شرق الاردن وفى فلسطين وفى مصر ؟ ولا شك فى أن الامريكيين بدورهم يدركون أن البترول سهل التخريب ، ما لم تقم عليه حراسة قوية ·

والخلاصة أنه عندما قامت الحرب العالمية الثانية كانت أطماع الانكليز الكبرى فى تكوين امبراطورية الشرق الاوسط ، فيما بين وادى النيل ووادى السند ، قد فشلت · ولكن مصالحهم التى استطاعوا تكوينها فى المنطقة كانت قد استقرت عن طريق نفوذهم السياسى فى الجنوب العربى وفى الخليج العربى ، وعن طريق المعاهدات التى عقدوها مع العراق ومع مصر ومع شرق الاردن (المملكة الاردنية الهاشمية) ومع المملكة السعودية واليمن وافغانستان وتركيا وايران · وعن طريق النفوذ الفرنسى فى سوريا ولبنان وفى حقول شركة بترول العراق · وكذلك عن طريق المصالح التى خلقوها للامريكيين فى حقول بترول شركة بترول العراق وفى حقول بترول السعودية والكويت والبحرين ، وعن طريق المصالح التى خلقوها لليهود فى فلسطين، وأيضا عن طريق مصالح الدول الاوربية التى خلقوها لها فى بترول الشرق

الاوسط بصفة عامة وفى بترول الشرق العربى بصفة خاصة . ولم يبق فيه ما يهدد هذه المصالح الا وجود نفوذ قوى للالمان وللروس فى أرض ايران . والا احتمالات القومية العربية .

ملاحظة : مابين قوسين ( ) هو رقم المرجع في قائمة المراجع الموجودة في آخرالكتاب .

١ ـ راجع وقارن (١٢٣) ص ١٧٧ ، ١٩٦ـ١٩٧ . (٩١) ص ٤٢ـ٤٣ ، ٢٩٢ .

٢ ـ (١٧١) ص ١٨٤ وما بعدها . (٧٦) ص ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ـ٣٢٢ . (٨٤) ص ٣٨٩ ، ٣٩١ . (١٦٩) ص ١٧٥ . (١٢٣) ص ١٧٧ . (٧٣) ص ١٦٧ وما بعدها . (٢١٠) ص ١٧٤ . (٧٩) ص ٥٧ .

٣ ـ بعد أن استولى الامير ابن سعود على الحجاز في ١٩٢٥ وخلع عن نفسه لقب الامارة واتخذ لها لقب الملك ، اعترف به ملك بريطانيا . ووقع معه في ١٩٢٧ معاهدة اعترف فيها باستقلال الاراضى التي يحكمها صاحب الجلالة ملك الحجاز وملحقاتها استقلالا كاملا ومطلقا . راجع (٥٥) ص ١١٥ـ١١٦ ، (١٢٤) ص ٦٧ .

٤ ـ اعترفت فرنسا بالملك عبدالعزيز بن سعود ملكا على الحجاز في ١٩٢٥ . فكانت بذلك أولى الدول الكبرى التي اعترفت به . كما أنها ايضا كانت الاولى في رفع قنصليتها بجدة الى درجة مفوضية . راجع (١٨) ص ١٦٤ .

٥ ـ راجع (١٧١) ص ١٨٨ـ١٨٩ . (١٦٩) ص ١٦٥ . (١٢٣) ص ١٣٣ . (٩١) ص ٦٠ .

٦ ـ راجع (١٠٨) ص ٤٩ـ٥٠ . (١٢٣) ص ٢٠٧ـ٢١٠ . (٧٦) ص ٣١٦ ، ٣٣٥ . (١٦١) ص ١١٢ ، ١١٤ـ١١٥ .

٧ ـ راجع (١٢٣) ص ٢٠٧ـ٢٠٨ ، ٢١١ـ٢١٣ . (٦٢) ص ٢٢٢ وما بعدها . (٩٦) ص ١٣٦ . (٥٧) ص ٧١ . (٥٥) ص ٩١ .

٨ ـ (١٢٣) ص ٢٠٧ـ٢٠٩ .

٩ ـ راجع نصوص هذا الميثاق في (١٧١) ص ٣٠٤ـ٣٠٦ (الملحق العشرون) . (٥٧) ص ١٩٩ـ٢٠٢ (الملحق الاول) .

١٠ـ كانت الحدود السياسية بين العراق وبين ايران تتمشى مع الضفة اليسرى لشط العرب بموجب اتفاقيات الحدود السابقة . ثم قبل العراق في أثناء المفاوضات التي جرت لعقد ميثاق سعد اباد تعديل الحدود مسافة ٣ ك م في منطقة عبادان حيث يترك خط الحدود الضفة اليسرى ويتمشى مع خط الاعماق في شط العرب . ووقع بذلك اتفاقية مع ايران .

١١ـ (١٣٦) ص ٥٤ ، ٦٧ـ٦٨ .

١٢ـ (١٦٩) ص ٩٤ . (٢١٠) ص ١٧٤ـ١٧٥ .

١٣ـ (١٣٦) ص ١٠٩ـ١١٣ . (١١٧) ص ١٩٤ـ١٩٥ . (٥٥) ص ٨٩ .

١٤ـ (١٣٦) ص ١٠٤ـ١٠٩ . (١٦٩) ص ١٣٤ . (١٤٦) ص ٢٣ ، ٦٢ ، ١٣٩ . (٥٥) ص ٨٩ ، ١٢٧ وما بعدها .

١٥ـ (١٣٦) ص ٥٩ـ٦١ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ١١٥ـ١١٦ . (١٧١) ص ٩٨ـ٩٩ . (٥٥) ص ٩٢ـ٩٣ .

١٦ـ (١٣٦) ص ١١٧ـ١٢٣ . (٥٥) ص ١٢٧ .

١٧ـ راجع فيما سبق ص وراجع ايضا (١٢٣) ص ٢١٠ـ٢١١ . (٨٥) ص ٤٨٢ . (٥٥) ص ٨٩ ، ١٣٥ . (٩٦) ص ١٩٨ـ١٩٩ .

١٨ـ في ١٩٣٥ أصدر رضا شاه مرسوما غير به اسمي فارس والفرس الى ايران والايرانيين . راجع (٥٥) ص ١٢٦ . (٧٩) ص ٦٠ وما بعدها .

١٩ـ كان هذا الامتياز ينتهي في ١٩٦١ .
٢٠ـ راجع (٧٩) ص ٢٠ـ٢١ ، ٥٩ـ٦٠ ، ٦٧ وما بعدها . (١٧٢) ص ٢١ ، ٤١ وما بعدها ، ٥٧ (الهامش ٢٩) . (١٥٠) ص ٤١ . (٩٦) ص ١٤٨ـ١٥١ . (٥٥) ص ١٢٣ـ١٢٥ . (٥١) ص ١٩٤ـ١٩٥ ، ٢٠٦ . (٨٤) ص ٣٨٦ـ٣٨٧ . (١٦٩) ص ١٦٢ . (١١٦) ص ٤٠ . (١٢٧) ٢٣٠١ـ٢٣٠٢ . (١٢٦) ص ٢٥٢ . (١) ص ١٦٩ . وما بعدها . (١٢٢) ص ٩٦ .
٢١ـ (٥١) ص ١٨٩ ، ١٩٥ـ١٩٦ ، ٢٢٦ـ٢٢٨ . (١٦٢) ص ٨٥ . (١٢٣) ص ١٧٤ .
٢٢ـ (٥٠) ص ٢٠١ـ٢٠٢ .
٢٣ـ (٥٠) ص ٢٠٦ . (١٧٨) ص ٥٨ـ٥٩ . (٥٥) ص ٨٩ ، ١٢٥ـ١٢٦ . (٩٦) ص١١٨، ١٣٧ . (١٢٢) ص ٩٦ .
٢٤ـ (١) ص ٢٨٤ وما بعدها . (١٧٢) ص ٢٥ـ٢٧ ، ٥٩ـ٦٢ ، ١٠٣ وما بعدها .(٩٦) ص ١١٩ وما بعدها ، ١٥٥ـ١٥٦ . (٧٩) ص ١٠٤ وما بعدها . (٥٥) ص ١٣٠ .
٢٥ـ (١٧٩) ص ١٨٢ ومابعدها . (١٦٦) ص ٢٢٠ .
٢٦ـ (٥٠) ص ٢٠٧ـ٢٠٨
٢٧ـ (٤٦) ص ٨٩ ومابعدها . (١٣٧) ص ١٢٨ .
٢٨ـ عن هذه العهود والوعود والمواثيق راجع (١٦٩) ص ١٤ـ٤١ ، ١٣٨ . (١٧١) ص ٢٣٧ـ٢٣٩ . (٩١) ص ٣٩ ، ٦٠ـ٦٢ ، ٦٧ـ٦٨ ، ٧١ـ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٧ـ٧٨ ، ٨٤ـ٨٥ ، ٨٩ . (١١٦) ص ٤٥٧ـ٤٦٠ . (١٢٣) ص ١٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٧٧ . (١٦٦) ص ٦٥ـ٦٧ . (٥٥) ص ٩٠ . (٧) ص ٦ ومابعدها . (٦ـ١) ص ٣١ـ٣٢ . (٢) ص ٢٥ وما بعدها . (١٥٧) ص ٣ـ٤ .
٢٩ـ (١٠٨) ص ٤٩ـ٥١
٣٠ـ راجع صك الانتداب على العراق في (٢) ص ١٢٧ـ١٣١ . (٩١) ص ٢٩٧ .
٣١ـ (٩١) ص ٤٩ ، ٨٤ ، ٨٨
٣٢ـ أعلن فيصل ملكا على العراق في ١١ تموز (يوليو) ١٩٢١ .
٣٣ـ (١٦٩) ص ١١٣ ، ١٤٢ ، ١٥٥ . (٩١) ص ٩٧ـ١٠٠ ، ١٠٩ـ١١٠ ، ١٢٢ـ١٢٣ ، ٢٧٤، ٢٩٧ـ٢٩٩ . (١٩٣) ص٧٠ـ٨٤ . (١١٦) ص٩٦ . (١٢٣) ص٢٧٧ . (٤٩)ص٤٧ـ٤٨ . (٢٧) ص ٢ ، ١٩ وما بعدها . (٥٥) ص ١٠٨ ، (٨) ص ١٦ . (٢٦) ص ٢٠ .وراجع وقاق أيضا (٦٤) ص ١١٦ .
٣٤ـ (٩١) ص ٤٣ ، ٨٦ ، ٩٣ـ٩٤ . (١٤١) ص ١٢٣ . (١٠٤) ص ٣٣١ . (١٧٢) ص ٢٣٨ـ٢٣٩ . (٥٥) ص ٨٦ ، ٨٧ . (٣٣) ص ٣٢ . (٤٩) ص ٤٢ .
٣٥ـ (٩١) ص ١٠١ـ١٠٢ ، ١١٤ . (١٦٢) ص ١٨ .
٣٦ـ (٩١) ص ٤٢
٣٧ـ(١٢٣) ص ١٧٢
٣٨ـ (٩١) ص ١٣٢ .
٣٩ـ (١١٦) ص ١٧٦ ومابعدها .
٤٠ـ (٢٠٢) ص ١٨ـ٢٢ .
٤١ـ (٢٠١) ص ١٥٣ . (٢٠٢) ص ٧ . (٢٦) ص ٧ـ٨ .
٤٢ـ تذكر بعض المصادر أن سايكس ، في أثناء محادثاته مع بيكو بشأن اتفاقية سايكس ـ بيكو ، قد أبدى مخاوفه من أن وجود روسيا في أرمينية وكردستان يكون تهديدا خطيرا لاقليم البترول (في ولاية الموصل) . راجع (١٤٨) ص ٦١٧ـ٦١٨ وراجع أيضا (٢٦) ص ٤٤ .

٤٣ـ (١٣٥) ص ٢٨٥ ، (١٧٢) ص ٢٠٠ ، (١٥٤) ص ١٦٥ ، (١٣٨) ص ١٦٣ـ١٦٤ ، (١٨) ص ١٧ـ١٩ ، (١) ص ١٢٢ ، (٦٤) ص ٦٣ ، (١٠١) ص ٣٦٠ ، (٢٦) ص٣٤ ،

٤٤ـ (٧٦) ص ٣١٩ ومابعدها ، (١٧٢) ص ٢٠٠ـ٢٠٣ ، (٤٦) ص ٣١٠ـ٣١١ ، (٥١) ص ٢٣٠ـ٢٣١ ، (٩١) ص ١٢٨ ، (٥٥) ص ٩٠ (١٨٣) ص ١٨٢ ، (٥٥) ص ٩٠ ،

٤٥ـ (١٣٥) ص ١٧٠ ، (٦٤) ص ٥٩ وما بعدها ، (٢٦) ص ٨ـ٩ ،

٤٦ـ وقع على اتفاقية سان ريمو في ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ،

٤٧ـ (١٣٤) ص ١٨٣ـ١٨٥ (الملحق الخـــامس) ، (١٢٣) ص ١٧٧ـ١٧٨ ، (٧٣) ص ٣٥ـ٣٦ ، ١٥٢ ، (١١٦) ص ١٧٧ ، (١٧٢) ص ٢٠٣ـ٢٠٤ ،

٤٨ـ (٢٦) ص ٣٠٢ وما بعدها ،

٤٩ـ (١٧٢) ص ١٩٣ـ١٩٨ ، ٢٢٠ ، (١٤٢) ص ٢٨ وما بعـدها ، (٧٦) ص ١٤ـ١٥ ، (٩١) ص ١٤٠ ، (٢٠٧) ص ٩٥٣ـ٩٥٤ ، ٩٥٧ـ٩٥٨ ، (٥٨) ص ٤٩٤ـ٤٩٥ ، (٧٣) ص ٢١ وما بعدها ، (٢٥) ص ٣٠٩ ، (١) ص ١٣٩ـ١٤٠ ،

٥٠ـ مسيو (كلبنكيان) أرمني ، من أسرة كانت تشتغل ببيع البترول الروسي في الاسواق التركية ، ثم تجنس بالجنسية البريطانية ، وخدم مصالح بريطانيـــا في الشـــرق الاوسط ، وعلى الاخص في الدولة العثمانية ، وكان أول رئيس للبنك التركي ، وهو بنك بريطاني انشيء لخدمة مصالح بريطانيا في تركيا ، وتشير بعض المصادر الى انه كان له فضل كبير في نجاح المفاوضات التي جرت بشأن امتياز البترول ،

٥١ـ أصبحت شركة شل الهولندية شركة بريطانية في ١٩١٥ ،

٥٢ـ راجع وقارن (٧٧) ص ٢٦٩ وما بعـدها ، (٧٩) ص ٤٣ـ٤٤ ، (١٧٢) ص ١٩٤ـ١٩٧ ، (١٤٢) ص ٢٧ وما بعدها ، (١) ص ٨٢ـ٨٣ ، ١٤٠ ، (٢) ص ٨٢ـ٨٣ ، (١٧٨) ص ٣١ـ٣٢ ،

٥٣ـ (٧٣) ص ١٦ ، ٢٤ـ٢٥ ، ٢٧ـ٢٨ ، (٨٦) ص ١٩٤ـ٢٠١ ، (١٣٥) ص ٨٠ وما بعدها ، ٣٠١ ، (١٥٤) ص ٣٥ ، (٨٤) ص ٣٨٦ ، (٩١) ص ١٣٠ ، (٩٣) ص ٣ ، (١) ص ٣١ـ٣٢ ، (٦ـ١) ص ٥٤ـ٥٥ ، (١٥٥) ص ٢٦٣ ،

٥٤ـ (١٧٢) ص ٢٠٤ وما بعدها ، ٢١٧ وما بعدها ، (١٢٣) ص ١٧٧ ، (٩٣) ص ٣ـ٤ ، (١١٦) ص ١٧٧ ، (٧٩) ص ٤٤ ، (٨٧) ص ٩ ، (١٣٥) ص ١٦٨ ، (١١٤) ص ٣٤٧ ،

٥٥ـ (٧٣) ص ١٩ـ٢٠ ، ٩٦ ، (١٧٢) ص ٢٠٥ـ٢٠٦ ، (١٥٠) ص ٢ ، ١١ـ١٢ ، (١٢٣) ص ١٧١ (٩١) ص ١٣٤ ، (١) ص ١٨٦ وما بعدها ،

٥٦ـ راجع وقارن (١٧٢) ص ٢٠٤ وما بعدها ، (٩١) ص ١٣٤ـ١٣٥ ، (١٢٣) ص ١٧٩ ، (٧٦) ص ٣٤٠ـ٣٤٥ ، (١٣٤) ص ١٨٤ـ١٨٥ (الملحق الخامس) ، (١٥٠) ص ١٢ ، (٥٥) ص ٨٨ ، (٧٩) ص ٤٤ـ٤٥ ، (١) ص ١٨٧ ،

٥٧ـ (١٣٥) ص ١٢٧ـ١٢٨ ، (٧٣) ص ١٨ ، ٣٠ ، ٩٥ـ٩٦ ، (١٧٢) ص ٢٠٧ ، ٢٤٢ ،

٥٨ـ (١٠٢) ص ١٠ ، (٩١) ص ١٠٥ ، ١٣٦ ، (٧٣) ص ١٥٢ ، (٢٢) ص ٣٠٤ ومابعدها ،

٥٩ـ (٩١) ص ١٠٦ ، ١٣٦ـ١٣٩ ، (١٧٢) ص ٢٠٧ ، (١) ص ١٨٧ـ١٨٨ ، (٢٥) ص٣٠٦ ،

٦٠ـ (١٣٥) ص ٣٣ ، ٥٢ ،

٦١ـ (١٥٤) ص ١٨٥ـ١٨٨ ، (٧٣) ص ١٥٣ـ١٥٤ ، (١١٤) ص ٣٦٤ وما بعدها ، (٧٦) ص ٣٢٦ ، (١٢١) ص ١٦٢ ، ٢٣٢ ،

٦٢ـ (١٢٣) ص ١٧٨ـ١٧٩ ، (١٧٢) ص ٢١٢ـ٢١٣ ، ٢١٩ـ٢٢٠ ، ٢٢٤ـ٢٢٦ ، ٢٣٣ وما بعدها ، ٢٤٢ـ٢٤٣ (٧٣) ص ٤٣ـ٤٤ ، ١٥٣ـ١٥٤ ، (٩١) ص ١٤١ ، (٥٥) ص ٨٨ ، (١) ص ١٨٩ ، (١٥٨) ص ٢٨١ ،

٦٣ـ (٥١) ص ٢٣١ـ٢٣٢ ، وراجع أيضا نص المادة الاولى من الميثاق التركي في(٢٥)ص٣٠٥ ،

٦٤ـ راجع وقارن (١٧٢) ص ٢٢٠ـ٢٢٥ • (٥٥) ص ١٠٩ـ١١٠ • (٧٣) ص ١٥٤ـ١٥٥ • (٧٦) ص ٣٣٤ ، ٣٤٢ـ٣٤٣ • (٩١) ص ١٤٢ـ١٤٥ • (٥١) ص ٢٣١ـ٢٣٣ • (١٥٨) ص ٢٨١ ، ٣٣٦ـ٣٣٩ • (١٠١) ص ٣٦٠ـ٣٦١ • (٢٦) ص ٣٠٩ـ٣١٠ •

٦٥ـ نسبة الى بروكسل عاصمة بلجيكا حيث عقد مجلس عصبة الامم اجتماعا طارئا في ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٤ للنظر في تردي الحالة في منطقة الحدود العراقية ـ التركية • وقد قدمت احدى اللجان التي شكلها المجلس خريطة للمنطقة مبينا عليها خط حدود مؤقت بين الطرفين • ووافق عليه الطرفان ، كما وافق المجلس • وعرف باسم خط بروكسل • راجع (٢٦) ص ٥٥ـ٥٨ •

٦٦ـ راجع وقارن (١٧٢) ص ٢٢٦ـ٢٣٣ ، ٢٣٩ـ٢٤١ • (٥٢) ص ١١٧ـ١١٨ • (٩١) ص ١٢٨ ، ١٤٧ • (١٣٢) ص ٨٦ـ٨٩ • (١٠١) ص ٢٦٠ـ٢٦١ ، ٣٦١ وما بعدها ، ٣٩٧ • (١٦٧) ص ٥٢٩ • (٥٥) ص ١٠٩ •

٦٧ـ تمت هذه المصادقة في ١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٥ • راجع ايضا (٤٩) ص ٥٥ـ٥٦ • (٢) ص ٧٧ـ٧٨ ، ٨٢ـ٨٣ ، ٨٥ـ٨٦ • (١٧٢) ص ٢٤٠ـ٢٤١ • (٨٤) ص ٣٩٠ • (٢٥) ص ٣٠١ ، ٣١٣ •

٦٨ـ (١٢٣) ص ١٧٩ـ١٨١ • وراجع عقد الامتياز في (٨٩) ص ٣٠٣ـ٣١٥ • (١١٥) • وقد استقرت الحالة في منطقة الحدود العراقية ـ التركية بعد عقدمعاهدة انقرة في ٥ حزيران (يونيه) ١٩٢٦ بين العراق وبريطانيا وبين تركيا • وقد تضمنت هذه المعاهدة ادخال تعديل بسيط على خط بروكسل • كما تضمنت تعهدا من الحكومة العراقية بان تدفع للحكومة التركية ١٠ ٪ من عائداتها من زيت البترول سنويا لمدة خمس وعشرين سنة ابتداء من تاريخ تنفيذ المعاهدة (١٨ حزيران ١٩٢٦) •

٦٩ـ (١٧٢) ص ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ـ٢٤٣ ، ٢٤٧ • (١٤٢) ص ٦٨ وما بعدها • (٥٥) ص ١١٠ • (٧٩) ص ٤٥ـ٤٦ •

٧٠ـ يلاحظ أنه في الوقت الذي كان فيه الامريكيون يتمسكون بمبدأ الباب المفتوح ، كان مؤسسوا شركة البترول التركية يعتنقون مبدأ آخر وهو مبدأ انكار الذات • ويقضي هذا المبدأ الاخير بأن لا يقوم أي عضو من أعضاء الشركة بالبحث عن البترول في اراضي الدولة العثمانية مستقلا عن الاعضاء الآخرين • وقد استمر الصراع قائما بين المبدأين في كل المحادثات التي جرت بين الطرفين حتى انهزم المبدأ الامريكي بعد انبعاث الزيت من بئر بابا كركر • اذ تقدمت الشركة الفرنسية بخريطة للشرق الاوسط محاطة فيها الاراضي التي كانت تابعة للدولة العثمانية حتى عام ١٩١٤ ، باستثناء الكويت والمنطقة المحولة في العراق ، بخط أحمر • على اعتبار أن هذه الاراضي يسرى عليها مبدأ انكار الذات • وفي ٣١ يوليو (تموز) ١٩٢٨ وقعت بين اصحاب شركة البترول التركية (شركة بترول العراق) اتفاقية بهذا المضمون عرفت باتفاقية الخط الاحمر • راجع (٧٩) ص ٤٥ـ٤٦ • (٩١) ص ١٣٣ ، ٢٥١ • (١٥٠) ص ٧ (١٤٢) ص ٦٧ ، وما بعدها • (١٧٢) ص ٢٤٢ ، ٢٤٦ (الهامش) • (١١٢) ص ٢٠٢ـ٢٠٣ • (١٣٤) ص ١٥ـ١٦ (١٧٨) ص ٣٧ـ٣٨ • (١ مايو ١٩٥٨) ص ٤ـ٩ •

٧١ـ راجع وقارن (٨٩) ص ٢١٨ـ٢٢١ • (١٣٣) ص ١١٧ ، ١٨٢ والملاحق ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ • (١٧٢) ص ٢٣٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ـ٢٤٩ • (١٤٢) ص ٧١ ، ٧٣ـ٧٥ • (٧٩) ص ٤٥ـ٤٧ • (٩١) ص ٢٥١ـ٢٥٢ • (٧٣) ص ١٥٩ ، ١٦٢ • (١) ص ١٤١ وما بعدها • (٨) ص ٣٣ـ٣٤ • (١٠٥) ص ٧ •

٧٢ـ راجع وقارن (٧٣) ص ١٥٦ـ١٥٧ • (٧٩) ص ٤٤ ، ٤٦ • (١٧٢) ص ٢٤٦ والهامش •

٧٣ـ مدة امتياز كل من الشركتين ٧٥ سنة • ويشمل امتياز شركة الموصل كل الاراضي

العراقية الواقعة في غرب نهر دجلة وشمال دائرة عرض ٣٣° شمالا . وينتهي في سنة ٢٠٠٧ م . أما امتياز شركة البصرة فيشمل جميع الاراضي العراقية التي لا تشملها امتيازات شركة بترول العراق وشركة بترول الموصل وشركة بترول خانقين . كما تشمل أيضا المياه الاقليمية والنصف غير المحدد من المنطقة المحايدة العراقية-السعودية وينتهي امتيازها في سنة ٢٠١٣م .

٧٤- حصلت شركة خانقين على امتيازها في ٣٠ آب (اغسطس) ١٩٢٥ . وانشأت لها مصفى الوند . وتقوم شركة بترول الرافدين التي تكونت في أوائل ١٩٣٢ بتوزيع منتجات هذا المصفى .

٧٥- (١٥٠) ص ٤٤ .

٧٦- راجع نص هذه المعاهدة وملاحقها في (٨) ص ١٦٦ وما بعدها . (٢٠٦) ص ١٩٧ وما بعدها . (٢) ص ١٠٠-١٠٥ . (١٧١) ص ٢٤٠-٢٤٢ (الملحق الثالث) . (١٤٥) ص ٢٣٧-٢٥٠ (الملحق الاول) (٩١) ص ٢٨٨-٢٩٢ .

٧٧- (٢) ص ١٠٥-١٠٦ . (٨) ص ٢١٦-٢١٧ . (٢٧) ص ١٤ .

٧٨- (١٠٣) ص ١٣٨ وما بعدها .

٧٩- قارن نصوص المعاهدة العراقية - البريطانية الاولى المنعقدة في ١٠ تشرين الاول(اكتوبر) ١٩٢٢ والبروتوكول الملحق بها ، ونصوص المعاهدة العراقية - البريطانية الثانية التي عقدت في ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٦ ، ونصوص المعاهدة العراقية - البريطانية الثالثة التي تم التوقيع عليها في ١٤ كانون الاول (ديسمبر ١٩٢٧) ، بالمعاهدة العراقية - البريطانية وذيولها التي عقدت في بغداد في ٣٠ حزيران (يونية) ١٩٣٠ ، في (٨) ص ٣٧-٣٨ ، ١٩٧-٢١٢ . (٢) ص ١٣٢-١٦٤ .

٨٠- قارن (١٧١) ص ١٦٩ وما بعدها . وقد قامت امارة شرق الاردن في ١٩٢١ .

٨١- (٤٦) ص ١٢٦ وما بعدها (١٦٦) ص ١١٩ وما بعدها .

٨٢- قارن (٩٧) ص ٤٤٥ .

٨٣- (١٧١) ص ١٧٤ . (١٣٦) ص ٤٦ .

٨٤- انظر نص المعاهدة وملاحقها في (١٧١) ص ٢٧٨-٢٨٤ .

٨٥- (١٧٢) ص ٢٩-٣١ .

٨٦- راجع وقارن (١٧٢) ص ٨٢ وما بعدها . (٧٢) ص ١٧٣ . (١٢٣) ص ١٧٥ . (٧٩) ص ٣٧ . (١) ص ٢٥٨-٢٥٩ .

٨٧- (١٧٢) ص ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ .

٨٨- (١٧٢) ص ٨٣-٨٦ . (٨٤) ص ٣٩١-٣٩٢ . (٧٢) ص ٢٤٠-٢٤١ . (٧٣) ص ١٧٣ . (٩٦) ص ١١٧ ، ١٣٤-١٣٦ . (٧٩) ص ٣٧-٣٨ . (٥٠) ص ٢٠١ .

٨٩ - (١٧٢) ص ٨٧ ، ٨٨-٨٩ . (٧٣) ص ١٧٤ . (٧٩) ص ٣٨ .

٩٠- (٧٣) ص ١٧٤-١٧٨ . (٧٩) ٣٩-٤١ . (١٧٢) ص ٨٩-٩٠ ، ٩٣-٩٤ ، ٤٤٤ . (١) ص ٢٥٩-٢٦٠ .

٩١- راجع وقارن (٧٦) ص ٢٣٦-٢٣٧ . (١٥٠) ص ٣ ، ٤٢ . (١٧٢) ص ٩٤-٩٩ . (١) ص ٢٦٠ .

٩٢- (١٢٨) ص ٦٠٥-٦٠٧ . (١٢٩) ص ١٠٨٣ . (١٣٠) ص٩٧٨ . (١٣٨) ص ١٣٤-١٣٦ . (١٧١) ص ٢١٥ . (٥٥) ص ١٢٤ . (٥١) ص ٢١١ . (١٦٤) ص ٢٢٢ . (١٧٢) ص ٣٧٢-٣٧٣ . وأخيرا في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧ أعلنت ايران ضم جزر البحرين اليها .

٩٣- انظر الهامش رقم ٧٠ .

٩٤ـ تغلبت الدبلوماسية البريطانية ـ الامريكية على هذه المشكلة بتكوين شركة بترول البحرين (بابكو) كفرع لشركة استاندارد أويل في كلفورنيا التي تمتلك كل اسهمها • ثم سجلت في كندا • راجع (١٧٢) ص ٢٠٤ ، ٣٧٣ـ٣٧٤ • (١١٢) ص ٢٠٤ • (١٤٢) ص ١٠١ـ١٠٤ (١٣٤) ص ٢١ـ٢٢ •

٩٥ـ كشفت اعمال الشركة عن البترول على نطاق تجاري في ١٩٣٢ • ولكنها وجدت نفسها عاجزة عن تصريف انتاجها امام منافسة الشركات الاخرى • فاضطرت فى ١٩٣٤ الى أن تشرك معها مناصفة شركة امريكية أخرى هي شركة تكساس التي كانت مستحوذة على اسواق واسعة للتصريف دون أن تكون لها موارد خاصة • وكونتا معا شركة بترول البحرين التي كانت النواة الاولى لمنظمة البترول العالمية المعروفة باسم كلتكس (كلفورنيا تكساس) وقد انشأت الشركة في جزر البحرين مصفى تبلغ طاقته أكثر من ١٠ ملايين طن سنويا •

٩٦ـ راجع وقارن (٥١) ص ١٩٨ـ١٩٩ ، ٢٠٥ـ٢٠٦ • (١٧٢) ص٣٧٠ـ٣٧١ ، ٣٧٣ـ٣٧٤ • (١٤٢) ص ١٠٠ـ١٠٣ • (١١٢) ص ٢٠٤ • (١٥٠) ص ٤٩ • (٨٢) ص ١٠٣ ومابعدها (١٢٤) ص ١١٠ـ١١١ •

٩٧ـ راجع وقارن (١٦٤) ص ٢٢٢ ، ٢٩٥ـ٢٩٦ • (١٦٥) ص ٨٩ـ٩٠ ، ١٥٤ـ١٥٥ ، ١٧٦ـ١٧٧ • (١٦٢) ، ص ٥١ـ٥٢ • (١٤١) ص ٩٨ وما بعدها • (١١٢) ص ٢٠٦ـ٢٠٨ (١٣٤) ص ١٧ـ٢١ • (١٧٢) ص ٢٨٦ وما بعدها ، ٣٨٤ـ٣٨٨ •

الفصل الثامن

الشرق الاوسط فى اثناء الحرب العالمية الثانية وفيما بعدها حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق : نجاح سياسة الاستعمار في تركيا وايران • وقيام صراع ضار بين قوى الاستعمار وبين القومية العربية تنتصر فيه هذه القومية •

قامت الحرب العالمية الثانية في ١٩٣٩ واستمرت خمس سنوات ، الى ١٩٤٥ • وكان قيامها فرصة لتلقين الاستعمار(١) درسا فى مدى كراهية الشعوب ـ التى غلبها على أمرها ـ له • وكان من حق الشعب العربى الذى غدر به غير مرة أن ينتهز الفرصة وينتقم منه • كان من حقه أن يساهم فى اضعاف قواه بأن يشن عليه حرب عصابات يخرب فيها مطاراته ووسائل اتصالاته ويعطل استخدامه لبترولـه • ولكنه ، باستثناء حركة رشيد على الكيلاني ، لم يفعل شيئا آخر مهما •• وليس ذلك لانه لم يرد ، وانما لانه لم يتمكن • وذلك لان الاستعمار كان قد فرق صفه وولد النعرات الاقليمية والعنصرية والطائفية بين ابنائه يوم قام بعد الحرب العالمية الاولى وقسم أرضه الى أقاليم ووضع بينها الحواجز • ولانه أقام عليه فى أقاليمه حكومات هزيلة ترى فيه سيدها وولى نعمتها • وقد سترت تلك الحكومات ، فى اثناء الحرب ، هزالها أمام الجماهير بسترة مستعارة من صفات العرب النبيلة • فجعلت شعارها قول الملك عبدالله ، في الاردن ، لـكلوب (ان العرب لا يخدعون أصدقاءهم ولا يتخلون عنهم فى وقت محنتهم) ، مدركة كانت أم غير مدركة ، انها تخدع بهذا الشعار نفسها كما تخدع مشاعر أبنائها • ثم قامت تلك الحكومات ، بعد أن أوحى اليها الاستعمار تحت ضغط ظروف الحرب ، وربما لاغراض استعمارية مبيتة ، لكى تمتص ثوران نفوس أولئك الابناء ، بتوجيه اهتمامهم نحو أمنيتهم الغالية وهى جمعهم تحت لواء واحد يضم صفوفهم ويجمع قواهم(٢)• وشغلوا بانتظار مخاض حكوماتهم الذى تعسر بعض الوقت ، حتى جاء الوليد فكان (جامعة الدول العربية)(٣)• وقد فرحوا بها كثيرا • ولكن فرحهم لم يلبث أن انكمش بعض الانكماش • وكان ذلك عندما ادركوا أن الاسم اكبر كثيرا من المسمى • فهى لم تكن وحدة عربية ولا اتحاد يجمع بين جماهير الشعب العربى كما يجمع بين حكوماته ، وانما بدت فى شكل عصبة (حكومات) عربية فحسب • اذ كان من حق اعضائها أن يرتبطوا بمعاهدات مع دول أخرى حتى ولو كان فى هذا

الارتباط ضرر بالمصلحة العربية(٤)، كما حدث عندما ارتبط العراق بحلف بغداد مثلا او عندما ارتبط لبنان بمبدأ ايزنهاور • كما كان من حقهم أن يقسموا العصبة فيما بينهم الى عصبات ، فظهرت عصبة الهلال الخصيب وعصبة سوريا الكبرى وعصبة الهاشميين وعصبة المصريين والسعوديين • وقد كان التناحر بين هذه العصبات أحد الاسباب الرئيسية ، ان لم يكن السبب الرئيسى الاول فى فشل العرب أمام الصهيونية من جهة وامام الاستعمار وقتا طويلا من جهة أخرى •

وهكذا انتهت الحرب بسنواتها الخمس دون ان يستغلها العرب ويستفيدوا من ورائها الكثير • والاسوأ فى ذلك ، ان ميزان القوى فى الشرق الاوسط قد أخذ ، بعد الحرب ، يميل عنهم كثيرا الى جانب أعدائهم • فاسرائيل التى كانت حلما قامت واصبحت حقيقة • والولايات المتحدة الامريكية لم تعد مصالحها فى هذا الشرق قاصرة على البترول وعلى النواحى الثقافية والتجارية التى كانت لها من قبل ، وانما اتسعت وشملت وضع هذا الشرق فى استراتيجيتها العالمية الموجهة ضد الاتحاد السوفيتى وأقطار الكتلة الشرقية • وفرنسا أيضا ، بعد استقلال سوريا ولبنان ، لم تعد مصالحها قاصرة على البترول وعلى النواحى التجارية والثقافية ، وانما امتدت الى مقومة القومية العربية التى يوءدى نموها فى المشرق العربى الى تهديد نفوذها ومصالحها فى المغرب العربى(٥)• وكذلك تركيا وايران الجارتان اللتان تربطهما بالعرب روابط الاسلام وروابط التاريخ قد سارتا على درب الاستعمار ، ضدهم •

وقد نتجت تلك التطورات عن أحداث كثيرة جرت فى اثناء الحرب وفيما بعدها ، فى داخل محيط الشرق الاوسط وفى خارجه • وقد كانت لتلك الاحداث أيضا آثار بعيدة المدى على تقوية الوعى العربى والقومية العربية وعلى تطويرهما • وأدت الى احداث تغير كبير فى الاوضاع السياسية التى كانت لسوريا ولبنان ومصر والعراق والاردن قبل الحرب • ووفرت الفرص أمام هذه الاقطار العربية لتحرير أراضيها من قوات الاستعمار ، والعمل على استكمال حريتها واستقلالها والتخلص من نفوذه السياسى والاقتصادى • وللمسير فى طريق تطويرها اقتصاديا واجتماعيا • وللعمل على تحقيق آمال ابنائها في وحدة تضم شملهم أو اتحاد يلمهم • وباعتبار ذلك ، يمكن القول ، ان نتائج تلك الاحداث لم تكن كلها فى مصلحة الاستعمار • كما أنها لم تكن كلها فى غير مصلحة العرب • وانما كانت سجالا فى صراع ضار تناوبت فيه الانتصارات والهزائم كل جانب منهما • ولا يزال هذا الصراع قائما ، لم يتوقف بعد • ولا يمكن التنبوء بالوقت الذي يتوقف فيه ولا بالنتائج الاخرى التى سوف تترتب عليه • فانه بالرغم مما يبدو الآن من صعود نجم العرب وهبوط نجم الاستعمار ، فان هذا الاستعمار

لا يزال يحمل فى جرابه الشباك والاحابيل . كما لا يزال له أيضا بين العرب منحرفون يستخدمهم صنائع وأدوات .

ولعل من الاصح ـ قبل أن نتعرف على طبيعة هذا الصراع وعلى وسائله واتجاهاته فى مراحله المختلفة وعلى النتائج التى انتهى اليها فى كل مرحلة ـ أن نتعرف على القوى العاملة فى جانب كل طرف من طرفيه من خلال عرض سريع للحوادث التى جرت فى خلال هذه الفترة .

أ ـ في خارج محيط الشرق الاوسط كانت معظم الاحداث في مصلحة العرب . وذلك مثل ، ١ ـ حصول كل من الهند والباكستان وبورماوسيلان على حريتها واستقلالها . اذ قد اسقط ذلك حجة الاستعمار البريطانى التى كان يتذرع بها ويصر على النص عليها فى معاهداته التى عقدها مع العراق ومع مصر ومع الاردن ، وهى حفظ وصيانة مواصلات الامبراطورية البريطانية عبر أراضى هذه الاقطار . ٢ ـ الصراع الذى قام بين الشرق وبين الغرب ، ونجاح الاتحاد السوفييتى فى صنع القنبلة الذرية وفى غيرها من اسلحة الدمار الشامل ، قد حد من ضراوة الاستعمار من جهة وجعل من جهة أخرى دول الشرق توءيد مواقف العرب ضد الاستعمار الغربى فى داخل الامم المتحدة وفى خارجها . ٣ ـ قيام الامم المتحدة . ٤ ـ الزيادة المطردة فى عدد الدول الصغيرة المشتركة فى الامم المتحدة . ٥ ـ نجاح موءتمر باندونغ وقيام التضامن الاسيوى ـ الافريقى . ٦ ـ انتشار مبدأ الحياد الايجابى وعدم الانحياز ٧ ـ تحرر اكثر من ٦٠٠ مليون صينى . ٨ ـ التقدم الكبير فى وسائل الاعلام فى كل انحاء العالم .

ب ـ في محيط دول الاستعمار : ١ـ خرجت كل من بريطانيا وفرنسا منهارة فى قواها العسكرية وفى قواها المالية والصناعية والتجارية(٦) . ٢ ـ صفى الاستعمار البريطانى والفرنسى والهولندى فى آسيا ، كما صفى الاستعمار البريطانى والفرنسى والايطالى والبلجيكى فى افريقية . وهذا فى مصلحة العرب من ناحيتين . الناحية الاولى ، أنه هدم قلاع الاستعمار التى كان يستخدمها فى الضغط عليهم من العالم المحيط بهم . والناحية الاخرى انه قطع روابط المصلحة الاستعمارية المشتركة التى كانت تربط من قبل بين هذه القوى الاستعمارية . ٣ ـ خرجت الولايات المتحدة من الحرب وهى وحدها التى تملك القنبلة الذرية . وهذا لم يكن في مصلحة العرب . لانه ملأها بالغرور . فجعلها تنسى ، بين وقت وآخر ، سياستها القديمة التى اكسبتها حب الشعوب ، وتسير على سياسة أخرى متعالية ، متأثرة بروح قنبلتها الذرية التى أرغمت الشعب اليابانى على الاستسلام فى الحال . وبهذه الروح اشتركت بكل قواها فى جريمة فلسطين ، ابشع الجرائم التى ارتكبت ضد العرب فى كل تاريخهم . وبها افترضت لنفسها حق الزعامة على كل شعوب العالم . وبهذا الافتراض

استهانت بمشاعر شعوب الشرق الاوسط واعتبرت وجودهم فيه فراغا ٠
حـ ـ فى داخل محيط الشرق الاوسط ٠

١ ـ فى محيط دول الهضاب الشمالية ، بقيت افغانستان فى اثناء الحرب العالمية الثانية وفيما بعدها ، متمسكة بحيادها وحريصة على استقلالها ٠ وفى سبيل المحافظة على ذلك رفضت الانضمام الى حلف بغداد٠ وقد ترتب على رفضها احداث ثغرة واسعة فى بناء هذا الحلف اضعفت من قيمته ٠ كما أنها بقيت محافظة على الروابط التى تربطها بالعالم العربى ٠ ولقد كانت من بين أوائل الدول ، غير العربية ، التى واجهت بشجاعة سخط قوى الاستعمار عليها عندما قامت حكومة وشعبا توءيد حق مصر المشروع فى تأميم شركة قناة السويس وفى ادارتها بنفسها وحدها ، وتستنكر العدوان الثلاثى عليها ٠

وتركيا وقفت أيضا في أثناء الحرب محايدة ٠ وقد فرض عليها موقف الحياد أن ترفض الموافقة على مرور المساعدات العسكرية المرسلة من الحلفاء الى الاتحاد السوفييتى عبر المضايق اثناء الضيق الشديد الذى كان يكابده من تقدم القوات الالمانية المهاجمة فى أراضيه ٠ وقد بدت بذلك متنكرة لفضله السابق عليها ابان محنتها القاسية بعد الحرب العالمية الاولى ، عندما كان الحلفاء يحتلون أراضيها الاصلية فى الاناضول ويتقاسمونها فيما بينهم وفق المعاهدات السرية التى كانوا قد عقدوها فيما بينهم اثناء تلك الحرب(٧)٠ ولعل ذلك الموقف الذى وقفته تركيا من الاتحاد السوفيتى وما تصورته من احتمالات عداء قد تترتب عليه ، من بين الاسباب الرئيسية التى دفعتها بعد الحرب الى أن تترك سياسة الحياد وتسير فى تيار الاستعمار الغربى ٠وليس أمرا عجبا أن تفعل تركيا ذلك ، فقد تكون وجدت فيه حماية لنفسها ، أو تحسينا لاوضاعها الاقتصادية والعسكرية بالمساعدات التى تقدمها لها الولايات المتحدة ٠ ولكن الذى يستدعى العجب هو تنكرها لصلاتها القديمة بالعالم العربي ، ولصلات الجوار ، ولاخوة الاسلام التي تربط بينها وبينه ٠ فقد كانت مواقفها كلها معادية لمصالح القومية العربية ٠ اذ اعترفت باسرائيل ، وتبادلت معها التمثيل الدبلوماسى ، وتاجرت معها لكى تخفف عنها تأثير الحصار الاقتصادي الذي ضربه العرب حولها ٠ وعارضت ، أثناء مفاوضات الجلاء ، فى جلاء القوات البريطانية عن قاعدة السويس ٠ كما وقفت فى جانب الاستعمار توءيده ضد حقوق مصر المشروعة فى قناة السويس ٠ وذلك بالاضافة الى تآمرها على سوريا وتهديدها اياها اثناء الازمة التى خلقها حلف بغداد واثناء العدوان البريطانى ـ الفرنسى ـ الاسرائيلى على مصر(٨) ٠ وكذلك اثناء الازمة التى خلقها مبدأ ايزنهاور ٠ ونحن مع أسفنا لموقف تركيا ضدنا رغم كل تلك الروابط ، لا نستطيع أن نصفها بأنها قد اصبحت كالآلة يحركها الاستعمار فى الاتجاه الذى يريده ٠

ولكننا نستطيع أن نفسر مواقفها المعادية للقومية العربية بسببين · احدهما، خوفها من أن تنمو القومية العربية وتتطور الى الحد الذى يحتمل معه أن تقوم بمطالبتها بتعديل خط الحدود السياسية واسترداد الاراضى العربية التى استولت عليها بغير حق · أما السبب الآخر فيبدو أنه مجرد غرور قديم يدفعها الى أن تعمل ما يجعلها تبدو قوة ـ ولو مصطنعة ـ لها رأى ينبغى اعتباره فى المسائل التى لها علاقة بمنطقة الشرق الاوسط ·

أما ايران ، فانها وان كانت قد أعلنت حيادها ، فان الحلفاء خرقوه فى أثناء الحرب ، وداست أقدامهم أرضها ، متعللين بحجة أن الشاه يبدو عاجزا عن ايقاف نشاط الالمان فى بلاده ، مع ضرورة ايقاف هذا النشاط ووضع طرق الاتصالات فى الاراضى الايرانية تحت حراسة قوات الحلفاء ، لضمان وصول المساعدات العسكرية الى روسيا · وترتب على موقف الحلفاء أن تنازل الشاه عن العرش · وخلفه ابنه محمد رضا (الشاه الحالى) الذى هجر سياسة والده وسار مع الحلفاء · وفى ١٩٤٦ تم جلاء قوات الاحتلال عن أرض ايران ، مخلفة وراءها الشعب الايرانى منهارا فى ماديـاته وفى معنوياته · كما خلفته منقسما على نفسه · يدعو قسم منه لمصالح الانكليز أو الامريكيين ، ويدعو قسم لمصالح الاتحاد السوفييتى · أما القسم الآخر الباقى فكان يرى ان ايران للايرانيين ، وليست للانكليز ولا للامريكيين أو للروس · وكان على رأس هذا القسم الاخير ، المخلص لوطنه ولقوميتـه ، الدكتور محمد مصدق وجماعته من أعضاء الجبهة الوطنيـة ·· وفى سبيـل مصلحة بلادهم ، قاموا بتأميم شركة البترول الانكليزية ـ الايرانية ، لكى يستعينوا بالارباح الضخمة التى كانت الشركة تجنيها من البترول الايرانى على بناء أسس سليمة تصحح وضع ماديات بلادهم ومعنوياتها المتدهورة · ولكن الانحلال والانقسام اللذين كان الشعب الايرانى يكابدهمـا قد جعلاه تربة خصبة لدسائس الاستعمار والرجعية ، وأضاعا عليه فرصة النهوض· فقد قبض على الدكتور مصدق ، ونكل بالاحرار الآخرين ، وألقـى بمصيـر ايران فى أحضان الرأسمالية الامريكية ـ الانكليزية · فاتخذها الاستعمار قاعدة فى حلف بغداد · واتخذها عضوا فى موءتمرات لندن التى عقدهـا ضد مصر لبحث مسألة قيامها بتأميم شركة قناة السويس · وكان موقفها معاديا صريحا ضد القومية العربية · فقد أيدت الاستعمار ضد حق مصر ،واعترفت باسرائيل ، كما وقفت من العراق موقفا معاديا عندما قام بثورته للاطـاحة بالحكم الفاسد · ولا تزال تعتدى على حق العراق فى ادارة حركة الملاحـة فى شط العرب ، وعلى حقوقه فى مناطق أخرى من الحدود ·

٢ ـ فى محيط العالم العربى ، نالت الامة العربية انتصـارات كمـا أنها اصيبت بانتكاسات · وقد جرت فيه الحوادث على النحو الآتى ·

فى ابريل (نيسان) ١٩٤١ ، قام الجيش العراقى ، بزعامة رشيد على

الكيلاني ، بحركة ضد الاستعمار البريطاني الممثل فى نصوص معاهدة ١٩٣٠ ، وضد الحكم الفاسد الحريص على تنفيذها · وهى حركة طليعة · وذلك لانها كانت المرة الاولى التى يواجه فيها الاستعمار حركة مسلحة تقوم ضده ويشترك فيها الجيش مع الشعب ، منذ أن استقر له نفوذه فى الوطن العربي · وقبلا ، كان يواجه مجرد مظاهرات احتجاج ينظمها شباب أعزل · وتقوم الشرطة غالبا بتفريقها · كما أن الجيش نفسه كان يشترك ايضا فى تفريقها أحيانا · ومع انها قد فشلت وأهمل البحث فيها تحت تأثير الظروف التي مرت بعدها ، الا انها مع ذلك قد خلفت وراءها آثارا · ١ـ انها خلفت فى نفوس الانكليز اعتقادا ، بأن الجيش العراقى قد تخطى مرحلة الطفولة الطيعة الى مرحلة الشباب والاعتداد بالنفس · ٢ ـ وخلفت فى نفوس الشعب كراهية للحكم القائم ، لانه فرض عليه فرضا بحراب الانكليز · ٣ ـ وخلفت فى نفوس الحكم القائم اعتقادا بأنه لا يستطيع الاعتماد على ولاء الشعب والجيش · وبأن بقاء الانكليز فى العراق هو الضمان الاكيد لبقائه · ولعل هذا الاعتقاد هو السبب الذي جعل حكام العراق فى السابق يتشبثون بالسير فى جانب الاستعمار ، حتى ولو كان فى الاتجاه المضاد لسير القومية العربية ·

وفى ١٩٤٢ ، أذل الاستعمار البريطانى الشعب العربى فى مصر عندما أحاط بدباباته قصر عابدين ، وفرض على الملك السابق فاروق تأليف حكومة مصرية معينة · وقد ولد هذا الحادث المهين كراهية عميقة لكل اولئك الذين اشتركوا فيه · كما ملأ نفوسهم بالثورة التى تفجرت فى صباح ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ ·

وفى مايو (أيار) ١٩٤٥ قامت جامعة الدول العرسية · وهى ، مهما بدت ضعيفة ودون المستوى المنشود ، فانها مع ذلك تعتبر خطوة عملية طليعة فى اتجاه الوحدة العربية ·

وفى ١٩٤٦ ، استقلت سوريا كما استقل لبنان · ومع آخر جندى فرنسى خرج من أراضيهما ، انحسر عن الشرق الاوسط آخر مظهر سياسي لنفوذ فرنسا فيه · وليس هذا ما كسبه العرب فحسب وانما كسبوا أيضا ما يترتب على تحطيم قوة استعمارية · كانت تدعم قوة الاستعمار البريطانى فى المشرق العربى · وفى نفس السنة أيضا وقع الاردن مع بريطانيا معاهدة اعترفت له فيها باستقلاله ·

وفى ٨ يوليو (تموز) ١٩٤٧ تقدمت مصر الى الامم المتحدة بشكوى ضد بريطانيا مطالبة اياها ، ١ ـ بجلاء قواتها عن مصر والسودان جلاء تاما ناجزا · ٢ ـ بانهاء النظام الادارى القائم فى السودان · وفى جلستى ٥ ، ١١ اغسطس (آب) وقف النقراشى ، رئيس الحكومة ، أمام مجلس الامن يندد بالاستعمار البريطاني ويشرح قضيته منذ أن ضرب بأسطوله مدينة

الاسكندرية فى ١٨٨٢ . وهذا الموقف على بساطته يعتبر نصرا للعرب ، لانه فى الواقع موقف طليعى . وذلك لان كل الحكومات العربية التى قامت قبل هذا التاريخ سواء فى مصر او فى العراق أو فى الاردن ، ما كان أى منها يجروء على أن يواجه الانكليز بمثل ذلك . كانوا قبلا يواجهونهم فى دور سفاراتهم فى العواصم العربية أو فى لندن . وفى ١٩٤٧ أيضا ، افتتح في القاهرة مكتب المغرب العربي الذي تخرج فيه معظم قادة الوعى العربي فى هذا المغرب . وقد استفادت القومية العربية كثيرا من الاتصالات التى جرت بين هوءلاء القادة وبين القادة الآخرين فى المشرق . ومع ذلك ، ففى نفس السنة أصيبت القومية العربية بهزيمة مزدوجة . وذلك عندما تخاذلت الحكومات العربية حتى عن مجرد التهديد باستخدام سلاح البترول ، مبقية مقررات موءتمر بلودان حبرا على ورق(٩) . وبذلك مكنت الاستعمار من تأييد الصهيونية فى الامم المتحدة ، باصدار قرار بتقسيم فلسطين بين العرب ، سكانها الاصليين ، وبين اليهود الدخلاء عليها .

وفى ١٩٤٨ انتصر العرب فى مصر بحمل بريطانيا على اجلاء قواتها من قواعدها فى القاهرة والاسكندرية ونقلها الى منطقة القناة . كما انتصروا فى العراق ايضا باسقاط معاهدة بورتسماوث (جبر-بيفن) . ولكنهم هزموا مرة خرى هزيمة مزدوجة أمام الاستعمار والصهيونية عندما تخاذلوا عن استخدام سلاح البترول في منع حدوث جريمة اسرائيل . وتكررت الهزيمة بسبب الخيانات المتعددة النواحى التى ترتب عليها توسع اسرائيل فى الاراضى التى تركها للعرب قرار التقسيم فى ١٩٤٧ .

وفى ١٣ ابريل (نيسان) ١٩٥٠ نجح الوعى العربى فى جمع الاقطار العربية للمرة الثانية بصورة ايجابية ، بعد أن جمعتهم الجامعة العربية ، فى معاهدة للدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى(١٠) . ولكن الاستعمار الذى أدرك خطورة هذا التجمع العربى على اسرائيل وعلى أهدافه الخاصة من اقامتها ، بادر فأصدر تصريحه الثلاثى المعروف فى ٢٥ مايو (مايس) والذى وقعته فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة . وكان القصد منه ١ ـ تأكيد وجوده في المنطقة واشعار الاقطار العربية بأنها تدخل في دائرة نفوذه . ٢ ـ تطمين اسرائيل ، بضمانه وضعها (القائم) فى فلسطين . ٣ ـ فتح باب موضوع الدفاع عن منطقة الشرق الاوسط . ٤ ـ بعث الامل في نفوس الاقطار العربية بامكان الحصول منه على السلاح للدفاع عن نفسها(١١). وقد قبلت الاقطار العربية ، مع الاسف ، هذا التصريح العدوانى ضمنا ، اذ أنها لم تستنكره بالرغم من انه صدر دون أن يؤخذ رأيها فيه ، ودون موافقة الامم المتحدة . كما أنها لم تستنكر أيضا محاولة ادخال فرنسا مرة أخرى فى شوءون المنطقة ، بعد أن خرجت منها . ولكنها مع ذلك لم تقبله على علاته . فقد اجتمعت الجامعة العربية في يونيو (حزيران) وردت عليه بتصريح

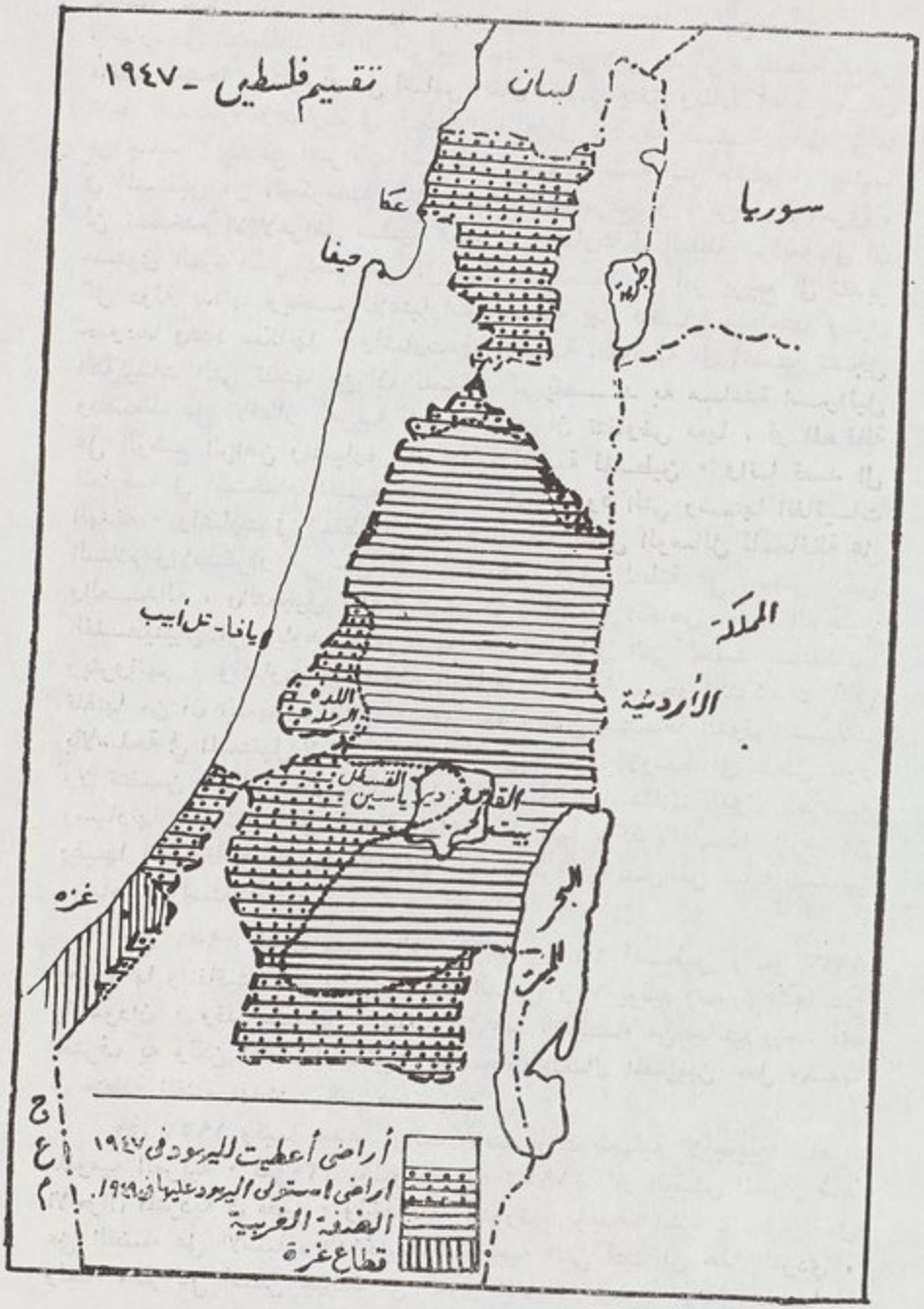
تقسيم فلسطين - ١٩٤٧
لبنان
سوريا
عكا
حيفا
الناصرة
يافا - تل أبيب
المملكة الأردنية
اللد
الرملة
القدس
بيت لحم
دير ياسين
غزة
البحر الميت
أراضي أعطيت لليهود في ١٩٤٧
اراضي استولى اليهود عليها في ١٩٤٩
الضفة الغربية
قطاع غزة

(١١)

يتضمن عشر نقاط أبدت فيها وجهة نظرها فيما تضمنه من مقاصد ، فأشارت في النقطة الثانية الى أن أمر الدفاع عن الأمن الدولي في المنطقة يقع على عاتقها وحدها مباشرة أو على أساس اتفاق اقليمي يتفق والمادة ٥٢ من ميثاق الامم المتحدة . وأشارت في النقطة الثالثة الى نواياها السلمية وانها تؤكد من جديد ، ردا على افتراءات اسرائيل ، بأن الأسلحة التي طلبتها أو تطلبها في المستقبل من الحكومات الثلاث صاحبة التصريح أو « من دول أخرى » لن تستخدم الا لأغراض سلمية بحتة . وأشارت في النقطة الرابعة الى أن مستوى القوة الذي يجب على كل دولة أن تحتفظ به أمر يرجع الى تقدير كل دولة بذاتها ويخضع للاعتبارات الخاصة بها كاتساع مساحتها وطول حدودها وعدد سكانها . وأشارت في النقطة الخامسة الى أنها تسجل التأكيدات التي تلقتها من أن التصريح لم يقصد به مساعدة اسرائيل والضغط على الأقطار العربية لاجبارها على أن تتفاوض معها ، أو المحافظة على الوضع الراهن واعتباره حلا نهائيا لقضية فلسطين . وانما قصد الى المعارضة في استخدام القوة أو في خرق الحدود التي رسمتها اتفاقيات الهدنة . وأشارت في النقطة السادسة الى أن أفضل الوسائل للمحافظة على السلام والاستقرار هي حل المشكلات القائمة في المنطقة على أساس الحق والعدالة ، والتعجيل بتنفيذ قرار الامم المتحدة الخاص بعودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم وتعويضهم عن الخسائر التي لحقت بممتلكاتهم وبثرواتهم . وأشارت في النقطة السابعة الى أنها تسجل التأكيدات التي تلقتها من أن التعهدات التي تقدمها الدول التي ستمدها الدول الثلاث بالأسلحة في المستقبل لا تعني اطلاقا تقسيم الشرق الاوسط الى مناطق نفوذ ولا تتضمن المساس بأي شكل من الاشكال باستقلال الدول العربية وسيادتها . وأشارت في النقطة العاشرة الى أنها تؤكد ، أنها بالرغم من رغبتها الصادقة في السلام لايمكنها أن تسلم بأي عمل من شأنه المساس بسيادتها واستقلالها .

وفي ١٩٥١ قامت مصر بالغاء معاهدة ٢٦ أغسطس (آب) ١٩٣٦ وملحقاتها واتفاقيتي ١٩ يناير (كانون الثاني) و١٠ يوليه (تموز) المتعلقتين بالسودان . وقد اعتبرت بريطانيا أن هذا الالغاء من جانب واحد فلم تعترف به ولكن أعمال الفدائيين وانسحاب العمال المصريين جعل وضعها في منطقة القناة مهددا ، غير مستقر .

وفي ١٩٥٢ وفيما بعدها توالت الانتصارات العملية الايجابية الباهرة للقومية العربية . ففي ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ ، ثار الجيش المصري ضد الاحوال المتردية في مصر . وأخذ قادة الثورة ، يؤيدهم الشعب ، في العمل على القضاء على الاسباب الداخلية والخارجية التي أدت الى هذا التردي ، ولبناء مصر على أسس جديدة من القوى المادية والمعنوية ترتكز عليها في

نهوضها وفي تحررها من الاستعمار الاجنبي ومن نفوذه(١٢) ، وحدثت أولى خطوات التحرر سريعة في نفس السنة . ففي نوفمبر (تشرين الثاني) بدأت مفاوضات الثورة مع بريطانيا بشأن السودان وانتهت بتوقيع اتفاقية ١٢ فبراير (شباط) ١٩٥٣ التي بموجبها تم استقلال السودان . ولم تكسب القومية العربية بهذه الخطوة استقلال السودان واشتراكه الحر في نشاطها ضد الاستعمار والصهيونية فحسب ، وانما كسبت أيضا ، في نفس الوقت ، تقلص قوة الاستعمار بانحسار قوات احتلال عن قسم كبير من أراضيها(١٣) .

وفي ١٩٥٣ أيضا كسبت القومية العربية جولة ضد اسرائيل وحلفائها عندما استطاعت أن تحمل مجلس الأمن على أن يصدر قرارا يقضي بأن توقف اسرائيل الأعمال التي كانت تقوم بها لتحويل مجرى نهر الأردن(١٤).

وفي ١٩٥٤ جاءت الخطوة الثانية من خطوات التحرر العربي . ففي ٢٧ يوليو (تموز) وقعت مصر وبريطانيا بالأحرف الاولى اتفاقا ينهي الاحتلال البريطاني وينظم عملية جلاء القوات البريطانية عن منطقة القناة . وفي ١٩ اكتوبر (تشرين الاول) احتفل بتوقيع اتفاقية الجلاء رسميا . وفي ١٠ يناير (كانون الثاني) اجتمع رؤساء الوزراء العرب وأصدروا بيانا أعلنوا فيه ان سياستهم الخارجية تقوم على أساس تحرير السياسة العربية من كل نفوذ أجنبي . كما اجتمع في نفس الشهر مجلس الدفاع المشترك وأصدر في ١٤ منه بيانا أكد فيه سير القوات المسلحة للبلاد العربية نحو التوحيد لتأمين الدول العربية وسلامتها . وفيها نجح الوعي العربي في مصر في مواجهة حرب القطن التي فرضتها عليه الدول الغربية فأعلنت الحكومة في ١٩ فبراير (شباط) أنها عقدت مع الاتحاد السوفيتي صفقة صدرت له فيها ما قيمته عشرة ملايين جنيه من القطن في مقابل مواد بترولية . كما أعلنت في ٢٣ مارس (آذار) أنها تبحث مشروع عقد معاهدة تجارية مع الصين الشعبية تصدر لها فيها قطنا ومنسوجات في مقابل أسلحة . وكذلك أعلنت في ١٣ ابريل (نيسان) أنها سوف تقوم بشراء محصول القطن بسعر أعلى من أسعار العام الماضي بمقدار أربعة ريالات (٨٠ قرشا) .

وفي ١٩٥٥ واجه الوعي العربي الاستعمار في معركة احتكار السلاح وفي أسطورة توازن القوى وانتصر عليه بعقد مصر صفقة الاسلحة التشيكية في ٢٧ سبتمبر (ايلول)(١٥) . وبقيام كل الأقطار العربية في وجهه تؤيد حق مصر في أن تسلح جيشها من أي مكان . كما واجهه في حرب القطن وانتصر عليه أيضا بعقده صفقتين للقطن المصري ، احداهما مع روسيا ورومانيا والاخرى مع الصين الشعبية . وفيها نجح ، في ٢ مارت (مارس) في عقد اتفاقية القيادة العسكرية الموحدة بين مصر وسوريا والمملكة السعودية واليمن ، ردا على العدوان الغادر الذي قامت به اسرائيل على قطاع

غزه في ٢٨ (فبراير) شباط . كما نجح في هزيمة سياسة الولايات المتحدة الرامية الى تثبيت كيان اسرائيل برفضه مشروع جونسون الخاص بتوزيع مياه نهر الأردن . وفيها أيضا هزم النفوذ البريطاني في المملكة الأردنية . هزمه في ديسمبر (كانون الاول) في شخص الجنرال السير جيرالد تمبلر رئيس أركان الجيش البريطاني الذي جاء ليفرض الارادة البريطانية بضم المملكة الى حلف بغداد(١٦) . وهزمه في شخص هزاع المجالي رجل بريطانيا وداعيتها الاول الى ذلك الحلف(١٧) . وهزمه كذلك بانضمام تسعة أقطار عربيـــة الى مؤتمر التضامن الآسيوي ـ الأفريقي الذي انعقد في باندونغ بأندونيسيا في ١٨ـ٢٤ ابريل (نيسان) ، بجانب عشرين دولة أخـــرى أسيوية وأفريقية(١٨) . وفيها كسب العراق من بريطانيا الغـــاء معاهدة ـ ١٩٣٠ ، وجـلاء القوات العسكرية البريطـــانية التي كانت تحتل من أراضيه قاعدتي الحبانية والشعيبة(١٩) . ومع كل هذا النجاح فقد هزم في العراق في شباط (فبراير) حيث نجح الاستعمار في ضمه الى حلف بغداد، وفي اتخاذ بغداد نفسها المركز لهذا الحلف . على أن الاستعمار اذا كان قد نجح في معركة حلف بغداد في العراق فانه قد فشل فيها في كافة الأقطار العربية الاخرى بما فيها الأردن .

وشهدت ١٩٥٦ العديد من الانتصارات الباهرة للقومية العربية . ففي ١٠ فبراير (شباط) عقدت مصر مع الاتحاد السوفيتي اتفـاقا لانشاء معمل ذري . وفي ٢٩ من نفس الشهر أقال الوعي العربي في الاردن كلوب وكلوب فرد ولكنه كان قوة كبيرة . وقد اطلقت عليه بعض المصادر تسمية الملك غير المتوج في الاردن . وقد استمر يقـــود الجيش الاردني ويخدم المصـــالح البريطانية في المشرق العربي منـــذ قدومه الى الاردن في نيسان ١٩٣٩(٢٠) . وكان قبلا يخدمها في العراق . وبابعـــاده ، أصبح الجيش الاردني عربيا لحما ودما . اذ أعطى الملك حسين قيادته لعلى أبو نوار ، من الضباط العرب . وقد نتج عن هذا التغير في القيادة أن دخل الاردن مع مصر وسوريا في معاهدة للدفاع المشترك(٢١) . وفي ٦ مارس (آذار) اجتمع الرئيسان عبدالناصر والقوتلي مع الملك سعود للبحث في تنسيق الدفاع عن العالم العربي . وأصدروا في ١٢ منه بيانا مشتركا أعلنوا فيه رفض الأحلاف الأجنبية ، والتمسك بحقوق عرب فلسطين كاملة ، وتأييد الاردن ومساندته ضد أي عـــدوان اسرائيلي ، ومطالبة فرنسا باستقلال الشعب العربي في شمال أفريقية . وفي ٢١ ابريل (نيسان) اجتمع في جده الرئيس جمال والامام يحيى مع الملك ســـعود ووقعوا اتفاقية للـــدفاع المشترك(٢٢) . وفي ١٦ مايو (أيار) اعترفت مصر بجمهورية الصين الشعبية، كما اعترفت بها سوريا في ٢ يوليو (تموز) . وبذلك كسب الشعب العربي صداقة أكثر من ٦٠٠ مليون صيني ، كما كسب سوقا واسعة لمنتجاته ،

وعلى الأخص للقطن المصري الذي كان الاستعمار يتخذه دائما وسيلة فعالة من وسائل ضغطه على مصر . وفي ٢١ يونيو (حزيران) عرض الاتحاد السوفييتي على مصر قرضا لتمويل مشروع السد العالى ، وكرر عرضه في أول آب (أغسطس) بعد انسحاب الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولى من الاشتراك في تمويله . وفي ١٨ يونيه احتفل برفع العلم المصري فوق أرض القناة ، بعد أن تحررت مصر كليا من القوات البريطانية البرية والبحرية والجوية . وفي ٢٦ يوليو (تموز) أعلن الرئيس جمال في ميدان التحرير بالاسكندرية القرار الجمهوري بتأميم مصر لشركة قناة السويس البحرية . وبه استكملت مصر سيادتها على أرضها فضلا عن استحواذها على دخل يبلغ (وقتئذ) نحو ٣٥ مليونا من الجنيهات (بالعملات الاجنبية) كانت تحصل عليها الشركة المؤممة . وفي ٢١ اكتوبر (تشرين الاول) تكامل التكوين القومي في الاردن عندما انبثقت عن ارادة الجماهير حكومة برئاسة سليمان النابلسى تؤمن بالقومية العربية وبالوحدة العربية(٢٣) . وفي ٢٩ منه بدأ العدوان الثلاثي ، بهجوم الجيش الاسرائيلى على مخفر الكونتيلا عند الحدود المصرية ـ الفلسطينية . وفي نفس اليوم أعلنت الحكومة البريطانية انها لن تستغل القتال الذي نشب بين مصر واسرائيل للتدخل . وكان اعلانها الرسمي خداعا . والغرض منه تمزيق الجيش المصري وعزل القسم المتقدم منه في سيناء لصد العدوان الاسرائيلى عن مركز تموينه . وفي اليوم التالى ، أي في ٣٠ اكتوبر وجهت الحكومتان البريطانية والفرنسية انذارهما المشترك ، المعروف ، الى مصر ، والذي كانت مدته ١٢ ساعة تنتهي في السادسة والنصف من صباح ٣١ اكتوبر . وفي الساعة العاشرة من مساء يوم الانذار ردت مصر برفض الانذار . وبدأ العدوان عليها من جانب بريطانيا وفرنسا بالاضافة الى اسرائيل . وفي نفس يوم العدوان قدم داك همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة استقالته من منصبه استنكارا لهذا العدوان . ثم عدل بعد ذلك عن استقالته بعد أن رجته مصر أن يظل في منصبه من أجل السلام . وفي ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) قامت القومية العربية في سوريا بنسف أنابيب البترول العراقي . وفي نفس اليوم تمكنت القوات المصرية المتقدمة الى سيناء من الانسحاب منها والنجاة من الفخ الذي نصب لها . وفي ٣ نوفمبر قدم انطوني ناثنك وزير الدولة البريطاني استقالته من منصبه احتجاجا على سلوك حكومته . وفي نفس اليوم الذي استقال فيه الوزير البريطاني فشلت محاولة قوى العدوان في غزو مدينة السويس . وفي ٤ نوفمبر بدأت عمليات هذه القوى في غزو مدينة بورسعيد من الجو . وفي اليوم نفسه قامت الحكومة المصرية بتوزيع السلاح للدفاع عن الوطن لكل من يطلبه من أبناء الشعب العربي . وفي ٥ منه هدد الاتحاد السوفييتي بضرب بريطانيا وفرنسا بالصواريخ . وفي ٦ منه أصدر مجلس الأمن قرارا

بوقف اطلاق النار . وفي اليوم التالى توقف العدوان ، وقررت الامم المتحدة ارسال قوات طوارىء دولية حتى يتم انسحاب جميع قوى العدوان . وفي مساء السبت ٢٢ ديسمبر (كانون الاول) تم انسحاب قوات بريطانيا وفرنسا يحف بها فشلها وعارها . وفي نفس الوقت استولت مصر نهائيا على القاعدة العسكرية(٢٤) . وفي رأيي ان النصر الذي أحرزته القومية العربية باستيلائها على هذه القاعدة لايقل عن النصر المباشر الذي أحرزته بهزيمة العدوان في بورسعيد . وذلك لانها ضخمة جدا(٢٥) . وقد أعدها الاستعمار البريطاني اعدادا لتكون بؤرة ارهاب ، لا لمصر وحدها ، وانما لكل من يحاول التمرد على نفوذه أو يهدد مصالحه من شعوب المنطقة وما حولهـــا . ولم تكسب القومية العربية انحسار هذا الارهاب عنها ، وانما كسبت تملكها هي نفسها للقاعدة بكل ما احتوت عليه . كما كسبت تحرر الشعوب المجاورة واعترافها بفضلها(٢٥) . وكسبت كذلك ما يترتب على زوال سند كبير لاسرائيل(٢٦) .

وبدأت سنة ١٩٥٧ ، وفي أول يوم منها أعلنت مصر سقوط اتفاقيـة الجلاء المبرمة مع بريطانيا في ١٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٤ ، واعتبارها ساقطة منذ اللحظة التي بدأ فيها العدوان البريطاني ، أي في الساعة السادسة من مساء يوم ٣١ اكتوبر ١٩٥٦(٢٨) . وفي اليوم التاسع استقال ايدن ، عدو القومية العربية ، من رئاسة الوزارة البريطانية وأعلن اعتزاله السياسة، وسافر الى جزيرة « جميكا » لبريح أعصـابه(٢٩) . وفي ٨ مارس (آذار) تم انسحاب القوات الاسرائيلية من قطاع غزة ومن شرم الشيخ (على ساحل خليج العقبة) . وفي ١٩ ابريل (نيسان) تم تطهير قناة السويس وبـدأت الملاحة الدولية فيها وأخذت السفن المارة تدفع الرسوم الى الادارة المصرية. وفي ١٦ يونيه (حزيران) تعاقدت مصر على شراء غواصات من روسيا . وفي ٥ أغسطس (آب) بدأت أفراح القومية العربية باشتراك نواب سوريا في اجتماع مجلس الامة المصري . وفي ١٤ سبتمبر (أيلول) وضعت مصر وسوريا خطة مشتركة لمواجهة العدوان الاستعماري الذي كان يدبر وقتئذ ضـــد سوريا . وفي الوقت الذي أعلنت فيه مصر وقوفهـــا بكل طاقاتها بجانب سوريا ، أرسلت ، كدليل عملي على وحدة المصير المشترك ، قوة مصرية لتقف مع القوات السورية على الأراضي السورية لمواجهة أي عدوان متوقع . وفي ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) أعلن أعضـــاء مجلس النواب السـوري ومجلس الامة المصري عن رغبة بلادهما في اقامة الوحدة بين سوريا ومصر . وفي ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) فشلت محاولة الاستعمار في الاطاحة بالحكم القائم في مصر وبالوحدة المرتقبة . عندما دفع لهذا الغرض مبلغ ١٦٢٫٥٠٠ جنيه لضابط مصري فأخـــذها وسلمها للرئيس جمال . وفي نفس السنة نجحت الاتصالات التي أجرتها مصر وسوريا والسعودية مع المملكة الاردنية في سبيل تصفية قواعد الاستعمار من جهة وللرد على اسطورة الفراغ التي

تضمنها مبدأ الرئيس الامريكي من جهة أخرى · وفي هذه الاتصالات تعهدت الحكومات العربية الثلاث بأن تدفع للحكومة الاردنية المعونة المالية التي تدفعها لها الحكومة البريطانية اذا ما نجحت في الغاء معاهدة ١٩٤٨ وفي اجلاء القوات البريطانية عن أراضيها · وفي ١٩ كانون الثاني (يناير) وقع الملك حسين في القاهرة اتفاقية التضامن العربي(٣٠) · وفي ١٤ مارس (آذار) وقعت الحكومة الاردنية مع بريطانيا اتفاقا يقضي بالغاء معاهدة ١٩٤٨ وملحقاتها وبتصفية القواعد البريطانية في الاردن وبجلاء القوات البريطانية عن الأراضي الاردنية في خلال ستة أشهر من توقيع الاتفاق · ولم تمض بضعة أيام على توقيع هذه الاتفاقية حتى بدا انطلاق الاردن نحو الوحدة العربية بتوقيعه اتفاقية ثقافية مع مصر وسوريا · على أن هذا الانطلاق الاردني الذي عاشه الشعب الاردني كأسعد أيامه لم يلبث أن انتكس على يد العناصر اللا قومية ومبدأ ايزنهاور · فسقطت الوزارة القومية التي كان يرأسها سليمان النابلسي لرفضها قبول هذا المبدأ · وافتعلت المبررات للتخلص من الاتفاقيات التي كانت معقودة من قبل مع مصر وسوريا · وفي نفس الوقت عرض العراق والسعودية مساعدتهما على الاردن(٣١) · ولم تنتكس القومية العربية ، بتأثير مبدأ ايزنهاور في الاردن فحسب وانما انتكست أيضا في لبنان وفي السعودية كما كانت منتكسة في العراق من قبل بتأثير حلف بغداد · كان هدف مبدأ ايزنهاور ، كما كان هدف حلف بغداد ، ايقاف اطراد نمو القومية العربية من جهة وفرض النفوذ الامريكي في المشرق العربي من جهة أخرى · ولكن الوعي العربي استطاع أن ينتصر عليهما معا في ١٩٥٨ · استمر يحاصر حلف بغداد في بغداد ، فعاش فيها مريضا حتى مات وقبر بعد قيام ثورة ١٤ تموز (يوليو) في العراق(٣٢) · أما مبدأ ايزنهاور فقد مرض بفشله في سوريا ، وبتهديد العمال العرب في شركة أرامكو بتخريب منشآت البترول اذا اعتدى على سوريا · ثم مات وقبر بقيام الجمهورية العربية المتحدة في اليوم الاول من فبراير (شباط) · وبقيام الثورة الوطنية في لبنان في ١٥ مارس (آذار) وقضائها على دعاة المبدأ الأمريكي في٣١ يوليو(٣٣) · وبقيام ثورة ١٤ تموز في العراق · وبانسحاب القوات الامريكية والاسطول الامريكي من أرض لبنان ومن مياهها · وبانسحاب القوات البريطانية من الاراضي الاردنية(٣٤) ·

ومن هذا العرض السريع للحوادث حتى قيام ثورة ١٤ تموز في العراق يمكن القول بأن الشعب العربي في المشرق العربي قد استطاع أن يحرر أقطاره ، مصر وسوريا والعراق ولبنان والاردن ، من قوات الاستعمار التي كانت تحتل أجزاء منها · كما كان من الممكن أن يقال بأنه قد أصبح في استطاعة هذه الاقطار الناشئة أن تسير حرة مع قافلة الأقطار الحرة في العالم · وكان من المتوقع أن يقوم بينها تعاون في وضع الأسس القويمة التي

تقوم عليها سياستها الداخلية وسياستها الخارجية · كما كان من المتوقع أيضا أن تسعى الى تكملة وحدتهـا التي تعطيها القوة في المحافظـة على مكاسبها والتي تمكنها من تحرير فلسطين والاراضى العربيـة الاخرى التي لا تزال ترزح تحت نير الاستعمار ، في المشـرق وفي المغرب · ولكن الذي حدث لم يكن هذا الذي كان يبدو متوقعا · وانما ذلك الذي كان يبـدو مستحيلا · فثورة ١٤ تموز التي قامت ضـد لا قوميـة نوري السعيد وعبدالاله والتي فرح بها الشعب العربي في كل مكان أكثر مما فرح بأي ثورة عربيـة أخرى قامت من قبـل ، لم تلبث أن انحرفت الى الاتجـاه اللاقومي · وثورة ١٤ رمضان (٨ شباط) ١٩٦٣ التي قامت لتمحوالانحراف وتعيد العراق الى الخط القومي ، والتي فرح بها الشعب العربي أكثر ممـا فرح بثورة ١٤ تموز ، لم تلبث أن انحرفت عن اتجاه المصلحة القوميـة العامة الى المصلحة الحزبية والفردية الخاصـة · وفي سوريا كذلك ، قام انقلاب في ايلول (سبتمبر) ١٩٦١ ونجح الانفصاليون في فصم عرى الوحدة ثم حدثت ثورة ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ ضد الانفصال ولتعيد الوحدة فقـام ضدها انقلاب ركز الانفصال ·

ومع ذلك ففي جو هذه الانتكاسات اللاقومية الرهيبة قامت ثورة في السودان في ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٨ لتعـود بالسودان الى الخط القومي[٣٥] · وقامت في اليمن في ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢ الثورة القومية ضد الرجعية العاتية ونجحت رغم كل الصعوبات التي وضعتها الرجعيـة والاستعمار في طريقها · كما قامت ثورة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ في العراق ضد انحراف ثورة ٨ شباط ونجحت أيضا[٣٦] · وفي يوم الاثنين ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٤ يجتمع جميع رؤساء العرب وملوكهم ، متناسـين ما بينهم من خلافات ، في جبهة واحدة ولهـدف قومي واحد هو مجابهـة « الخطر الصهيوني المتزايد في فلسطين » ·

والباحث في هذه الفترة المتلاحقة الأحداث من انتصارات وانتكاسـات يتضح له أمران : ١ـ أن هناك صراعا عنيفا تعمل فيه قوى متعادية · قوى تعمل في صف الشعب العربي ، وقوى أخرى تعمل في الصف المعادي له ، ٢ـ أن القوى العربية أقوى من القوى المعادية بدليل أن الشعب العربي يتقدم الى الامام ولا يتأخر ·

ومن البحث يتضح أن في الجانب العربي خمس قوى هائلة ، هي : ١ـ قوة القومية العربية · ٢ـ قوة الوحدة العربية · ٣ـ قوة البترول · ٤ـ قوة قناة السويس · ٥ـ قوة قناة العرب الجوية · وقد استخدم القوة الاولى في كل أدوار كفاحه · واستخدم القوة الثانية جزئيا عنـدما قامت الوحدة بين مصر وسوريا · وكذلك استخدم القوتين الثالثة والرابعة جزئيا اثناء العدوان الثلاثي · أما القوة الخامسة فلم يستخدمها بعد · وأمـا في

الجانب المعادي فتوجد قوى الاستعمار والصهيونية من القوى الخارجية ، وقوى اللاقومية ، في الداخل ، من الجماعات التي تجمع بينها صفة الانحراف عن القومية • وقد استخدمت كل هذه القوى وبكل طاقاتها في آن واحد ضد القومية العربية •

والبحث المفصل عن القومية العربية في هذا المجال قد يعتبره بعض الكتاب حشوا من الناحية الموضـوعية أو الفنية • ومع ذلك ، وفي سبيل الهدف القومي ، يحسن ، ولو بايجاز ، أن نعرف حقيقة قوانا كما نعرف حقيقة قوى أعدائنا •

القومية العربية تعبير عن معنى العرب قومي • أو عن معنى أن جميع العرب اخوة • وفي مضمونها شعور ووعي • شعور بالولاء للوطن العربي بأجمعه من المحيط الى المحيط يحمله له المواطن العربي في كل مكان فيه• ووعي يرتفع بادراك هذا المواطن الى مستوى الرضاء بتضحية مصلحته الخاصة أو مصلحة حزبه ، عند الضرورة ، في سبيل المصلحة العربية العامة • وهدفها الاول تحرير أجزاء الوطن العربي وجمعها في وحدة تضم كل قواه • ثـم استخدام هذه القوى في القضاء على نواحي الضعف المتخلفـة في بنائـه ، خارجية كانت أم داخلية •

واذا فتشنا في نفوس المواطنين في الوطن العربي عن هذا المضمون للقومية العربية فسوف نجدها تنقسم الى ثلاثة أقسام : ١ـ قسم قومي ، يؤمن بالقومية العربية شعورا ووعيا • ٢ـ قسم لا قومي ، لا يؤمن بهـا شعورا أو وعيا • ٣ـ قسم يجمع بين القوميـة وبين اللا قومية • فهو من جهة يؤمن بالقومية العربية شعورا ، ولكنه من جهة أخرى يعوزه الوعي • وهذا القسم الاخير ، غير الواعي ، هو الذي بانضمامه الى أحد الجانبـين المتصارعين يرجح كفته على كفة الجانب الآخر • وتبعا لذلك ، يجب على القوى القومية وجوبا حتميا أن تعمل على كسب هذا القسم المرجح في صفها • أما كيف يكون الكسب وما هي وسائله ، فهذه أمور أكبر بكثير من أن يستطيع معالجتها واحد بمفرده • ومع ذلك فمن الممكن لأي شخص أن يكسب شخصا آخر الى جانبه اذا استطاع هو نفسه أن يكسب ثقة ذلك الشخص فيـه واطمئنانه اليه • ومن الواضـح أن الرئيس جمال عبدالناصر لم يكتسب شعبيته التي يتمتع بها في أرجاء الوطن العربي ـ لا في مصر وحدها ـ الا بعد الثقة التي كسبها في محيط هذا الوطن بالاعمال الباهرة التي قام بها • ومع ذلك ، فانه لو قام كل رئيس عربي أو ملك في كل قطر عربي ـ والوطـن العربي على ما هو عليه من تجزؤ ـ بمثل الاعمال التي قام بها الرئيس جمال لكسبت الاقليمية الكثير ، ولكن القومية العربية لا تكسب الا القليل ، بل انها قد تخسر الكثير • لان الولاء عندئذ سوف ينحسر الى الاقليم ويتجه نحو الافراد الذين يقومون على رؤوس الاقاليـم • وهم بشر معرضون لأهـواء

مختلفة كما أنهم معروضون للفناء · بينما تكسب القومية العربية الكثير لو وحدت الاقاليم وقام هؤلاء الرؤساء والملوك متضامنين على رأس وحدتها · ولما كانت الاقطار العربية بصفة عامة صغيرة وناشئة ، والقومية العربية قد برهنت على أنها الدرع الذي يستطيع أن يحميها من أعدائها المتربصين بها في الخارج وفي الداخل ، فينبغي أن تكون توعية ذلك القسم غير الواعي توعية قومية ، لا توعية اقليمية · وهذا يصعب تحقيقه مادامت هناك أقاليم تفصل بينها حدود· ومادام هناك من يقول أنا عراقي أو سوري أو مصري أو يمني ···· بينما يسهل تحقيقه لو الغيت الحدود وربطت المصالح وقال الكل أنا عربي · ولو حدث ذلك لتنوسيت الاقليمية تدريجيا وصفيت · ولو صاحب ذلك عدالة اجتماعية في الداخل وأعمال مجيدة ترفع من شأن العرب في الداخل أيضا وفي الخارج لثبت بناء القومية العربية ، ولاستطاعت أيضا أن تحول الكثير من اللاقومية الى القومية · وذلك لان اللاقوميين فئات ، لا فئة واحدة · وباستثناء الفئة المنحرفة بطبيعتها والتي تغلبت في نفوسها مصلحتها الخاصة على المصلحة العامة ، فان باقي الفئات الاخرى قابلة للاصلاح ، لانها اما أن تكون متأثرة بتلك الفئة تحت ضغط منها أو تغرير · واما أن تكون قد فقدت الثقة بعروبتها تحت تأثير فقدها الثقة بحكامها · وفي تصوري أن هذه الفئات اللاقومية القابلة للاصلاح تندفع دون تردد من الصف اللاقومي الى الصف القومي لو طبقت النظم الاشتراكية التي تكفل لها عدالة اجتماعية ، وعزلت عنها الفئة المنحرفة · وفي تصوري أيضا أن تطبيق النظم الاشتراكية سوف يؤدي بعد جيل واحد أو جيلين الى تصفية البقية الباقية من الفئات اللاقومية ·

وعندئذ ، وبعد أن تم تحرر المغرب العربي ، تبدو عند أفق تصوري صورة دولة عربية كبرى تتمتع بمقومات هائلة ، وربما لا تتمتع بمثلها دولة كبرى أخرى في العالم ·

١ـ تبلغ مساحتها نحو ١١ر٥ مليونا من الكيلومترات ، أي أنها أكبر مساحة من قارة أوربا · وتضعها هذه المساحة بين دول العالم في المركز الثاني بعد الاتحاد السوفييتي · ويعتبر كبر المساحة أحد المقومات الأساسية التي تتميز بها الدول الكبرى (العظمى) · لأنه يعني احتمالات واسعة لثروات طبيعية كثيرة ومتنوعة · وبالاضافة الى ذلك تكون هذه المساحة الكبيرة وحدة جغرافية ـ Realm متصلة الاجزاء · ويساعد هذا الاتصال على تقوية الروابط بين أجزائها · كما يسهل تحقيق رغبات أبنائها في التوحيد السياسي والعسكري والاقتصادي ·

٢ ـ يبلغ عدد سكانها نحو ١٠٠ مليون · ويضعها هذا العدد في المرتبة الخامسة بين دول العالم الكبرى في عدد السكان · أي بعد الصين

والهند والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية · وتعتبر كثرة عدد السكان أيضا من المقومات الأساسية التي تتميز بها الدول الكبرى · لان ذلك يعني توفر الكفاءات المختلفة على نطـــاق أوسع · كما يعني من الناحية العسكرية قدرة أكبر على الدفاع · وباعتبار المساحة الكبيرة للدولة العربية يعتبر هذا الرقم لعدد السكان ناحية ضعف في بنائها · ومع ذلك فان هذا الضعف يبدو ضعيف الخطر للاعتبارات الثلاثة التالية :

أولا ، أن نحو ٩٥٪ من السكان على الأقل تجمعهم رابطة واحدة هي رابطة القومية العربية · وأن الجماعة الكبيرة نسبيا بين القسم الباقي ، والتي لا تبدو منسجمة تماما مع غالبية السكان ، وأعنى بها جماعـــة الاكراد ، تربطها بالقومية العربية أخوة الاسلام · كما أن منطقة كردستان التي يتمركز فيها الاكراد يربطها التوجيه الجغرافي بسهول دجلة والفرات التي تسود فيها القومية العربية · بمعنى أن ظروف السطح في المنطقـــة وما حولها تفرض أن يكون سير اتصالات كردستان مع العالم الخارجي عن طريق الاراضى العربية في العراق أو في سوريا · وباعتبار الروابط الدينية والعلاقات المكانية بالاضافة الى العلاقات التاريخية يبدو عدم الانسجام أمرا غير طبيعي · وفي الواقع انه حصيلة عزلة كردستان · فالأخ الكردي في العراق الذي فرضت عليه عزلته في كردستان أن يكون كرديا فقط نظلمه اذا طلبنا منه أن يكون عربيا يؤمن بالقومية العربية · وكيف يكون عربيا يؤمن بالقومية العربية وهو لايعرف اللغة العربية حديثا أو قراءة أو كتابة· واللغة ، كما هي معروفة ، هي الوسيلة التي تتجاوب بها القلوب والنفوس كما تتجاوب العقول والألسنة · ان هذا الأخ الكردي لو نشأ طفـــلا في الرمادي أو في الديوانية لقام شابا ورجلا عربيا كغيره من الشباب والرجال المحيطين به · وتبعا لذلك يبدو في الامكان ازالة عدم الانسجام كلـه أو معظمه عن اخوتنا الاكراد في كردستان اذا فتحنا أبواب عزلتها لتدخلهـــا التيارات السارية في العالم العربى ، ولتخرج منها تياراتها المحبوســـة في وديانها زمنا طويلا · واذا وسعنا في مصالحهم ، وربطناها بمصالح العرب بروابط أقوى مما هي عليه الآن ·

وفي الواقع ان الكردي في العراق أو في سوريا هو مواطـن عربي ، كأي مواطن عربي آخر ، مادام يتمتع بجنسية الوطن العربي أو قطر من أقطاره · وما دام يتكلم اللغة العربية · وذلك لأن العرب ليسوا جنسا ، وانما قوم ، يربط بينهم مكان هو الوطن العربي كما تربط بينهم لغة هي اللغة العربية · ولا اعتبار بعد هذا لأصل (جنس أو سلالة) أو لدين أو لمذهب · ولنضرب لذلك مثلا بالعرب في العراق · ان أول من سكن سهل العراق ، أي الأجداد الاول للعراقيين ، وهم أصحاب حضارة العبيد لم يأتوا من الجزيرة العربية وانما جاءوا من هضبة ايران · وبعدهم جاء أصحاب

حضارة الوركاء من هضبة الاناضول . كما أن السومريين الذين جاءوا بعدهم لم يأتوا من جانب الجزيرة العربية وانما جاءوا من سيبريا أو من وسط آسيا . وباستثناء هجرات الاكاديين والعموريين والاراميين التي جاءت من الجزيرة العربية نجد أن الهجرات الاخرى جاءت من خارجها . فالكاشيون جاءوا من ايران . والجوتيون جاءوا من كردستان . والحيثيون من الاناضول . والفرس الاخمينيون من ايران . والاغريق من البلقان . والفرس البارثيون والفرس الساسانيون من ايران واليهود من فلسطين . وأكثر من ذلك ، كان الملوك في عهد الاشوريين وفي وعهد الكلدانيين يقومون بعملية خلط السكان في امبراطوريتهم فينقلون عشرات الالوف من تركيا مثلا أو من كردستان الى جنوب العراق وينقلون مثلهم من العراقيين في الجنوب الى تركيا أو الى كردستان . حتى جاء الاسلام فنشر بتعاليمه اللغة العربية . وبقيت اللغة العربية منتشرة في مناطق السهول التي دخلها الاسلام ، لانها مفتوحة للتيارات المنبعثة من مراكز الخلافات الاسلامية في الحجاز وفي دمشق وفي بغداد وفي القاهرة . أما في مناطق الهضاب والجبال الوعرة كايران وكردستان فقد قام نطاق جبال طوروس ـ زاجروس حاجزا يعترض انتشار تلك التيارات . والى هذا الاعتبار ، بالاضافة الى الاعتبارات الاخرى السياسية يرجع السبب في موت اللغة العربية في هذه الاقاليم الاسلامية . وهذا يعني أنه لو كانت أراضي ايران وكردستان سهولا مفتوحة لكان الايرانيون والاكراد يتكلمون اللغة العربية وبالتالي كانوا عربا . ومن المعروف أن في ايران مثلا وفي كردستان جماعات عربية هاجرت اليها ثم فرضت عليها العزلة أن تنسى لغتها فتأيرنت او تكردت . ولكن الوضع بينها يختلف ، فالجماعات التي هاجرت الى ايران أصبحت ايرانية لان ايران دولة . أما الجماعات التي هاجرت الى كردستان وتكردت فانها لاتزال عربية . لان كردستان ليست دولة وانما هي جزء من الوطن العربي . ولا يمكن أن يسمى الوطن العربي بالوطن العربي ـ الكردي ـ القوميات المتآخية الاخرى كما كان يفعل الشعوبيون اللاقوميون في عهد عبدالكريم قاسم . فالوطن في العادة ينسب الى غالبية السكان . وقد أطلقت تسمية الوطن العربي على جميع الاراضي التي لمتكلمي اللغة العربية فيها غالبية . وتبعا لذلك يكون كل من يعيش في داخل حدود الوطن العربي ويحمل جنسيته مواطنا عربيا سواء أكان يعيش في جبال كردستان أم كان يعيش في هضبة نجد . وسواء أكان مسلما أم كان مسيحيا ، أو كان يعتنق أيا من المذاهب الدينية الاخرى . ولما كان المواطنون في دولة ما شركاء فيها ، للواحد منهم من الحقوق مثل ما لغيره وعليه من الواجبات مثل ما عليه ، لهذا ينبغي على كل مواطن في الوطن العربي أن يحبه ويخلص له ويربط مصالحه الحالية

والمستقبلة بمصالح هذا الوطن . ولما كانت اللغة هي الوسيلة التي تعبر عن الحب والاخلاص والمصالح ، لهذا ينبغي أيضا على كل مواطني الوطن العربي أن يتكلموا اللغة العربية . وبهذا المضمون يمكن تقسيم المواطنين في الوطن العربي ثلاثة أصناف : أ ـ المواطن العربي ، هو الذي تتوفر فيه كل الاعتبارات السابقة ب ـ المواطن العربي المنحرف ، وهو الذي لاتتوفر فيه اعتبارات الاخلاص . ج ـ المواطن العربي غير المنسجم ، وهو الذي لايتوفر فيه اعتبار اللغة . لانه بسبب عدم قدرته على التكلم باللغة العربية أو على التفاهم بها يكون عاجزا عن الانسجام مع الغالبية التي تتكلم هذه اللغة وتتفاهم بها . وتبعا لذلك يعتبر الاكراد الذين لايعرفون التكلم باللغة العربية أو لايعرفون التفاهم بها مواطنين عربا ، ولكنهم غير منسجمين . على أنه ينبغي مع هذا مراعاة اعتبار أن عدم انسجام هؤلاء المواطنين لايرجع السبب فيه اليهم ، وانما يرجع بالدرجة الاولى الى عزلة كردستان ، والى اهمال الحكومات المتعاقبة فتح أبواب هذه العزلة .

ثانيا ـ تمكن زيادة عدد السكان في الوطن العربي بكثرة النسل . ولا شك في أن السبب ، الذي يدعو الكثيرين من الأزواج في الوقت الحاضر الى الاتجاه نحو تحديد عدد أبنائهم ، هو عدم اطمئنانهم الى ضمان مستقبل حياتهم وحياة أبنائهم بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة في محيطهم . فاذا شملت البلاد العربية نهضة اقتصادية شاملة في فروع الانتاج تفتح آفاقا واسعة في المستقبل ، ووجهت خيرات هذه النهضة الى خدمة المجموع ، وأحس أولئك الآباء بأن ماينجبونه من بنين وبنات تتوفر لهم فرص متكافئة في حياة يسودها الرخاء والعدالة ، يصبح من المشكوك فيه أنهم يشعرون عندئذ بالأسف اذا وجدوا أن عدد أبنائهم قد زاد واحدا آخر أو اثنين أو ثلاثة آخرين .

ثالثا ـ والطبيعة أيضا قد عوضت الوطن العربي عن النقص في عدد سكانه ، من وجهة النظر العسكرية المتعلقة بالدفاع ، بقوى حامية هائلة تتمثل ، أ ـ في الصحراء الافريقية الكبرى وفي صحارى الربع الخالى والنفود والدهناء والحماد والشامية . ولا ينكر أحد أن الصحارى تكون صعوبات كأداء في وجه أي جيش مهاجم ، مهما بلغت استعداداته العسكرية . ب ـ وفي سواحلنا البحرية الطويلة على البحر المتوسط وعلى المحيط الأطلس وعلى البحر الأحمر وعلى البحر العربي وعلى الخليج العربي . وذلك لأن غزو أي اقليم عن طريق البحر لايمكن أن يحدث من كل مكان من سواحله ، وانما يكون عن طريق موانيه ، وعلى الأخص الموانى ذات المياه العميقة التي تستطيع فيها السفن أن تصل الى الشاطىء وتفرغ على أرصفتها ما تحمله من أجهزة الغزو . وهذا يعني أن سواحلنا البحرية الطويلة تقوم بمهمة الحماية لأراضينا وتمكننا من تركيز قوانا الدفاعية في أماكن قليلة معينة

ج – وفي جبالنا التي تقف خط دفاع آخر وراء قسم كبير من سواحلنا في المغرب العربي ، على المحيط الأطلسي وعلى البحر المتوسط ، وفي سوريا ولبنان وفلسطين على البحر المتوسط أيضا ، وفي مصر والسودان والمملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية على البحر الاحمر ، وفي الجنوب المحتل على البحر العربي ، وفي عمان على خليج عمان . وذلك لأن غزو أي اقليم عبر الجبال لايمكن أن يحدث من كل مكان من السفوح ، وانما يكون عن طريق ممرات معينة فيها . وهذا يعني أيضا أن جبالنا تقوم بمهمة الحماية لنا وتمكننا من تركيز قوانا الدفاعية على ممراتها . وفي التاريخ حوادث كثيرة قامت فيها قوات صغيرة تسيطر على مشارف ممرات جبلية من رد قوات ضاربة معادية على أعقابها والحاق هزائم ساحقة بها .

٣– ويتمتع الوطن العربي كذلك بموقع جغرافي ممتاز في كل نواحيه ، لايكاد يناظره موقع أي دولة كبرى أخرى في العالم . والموقع الجغرافي لأي دولة يمكن التعبير عنه من وجهات النظر المختلفة المتعلقة به . ولعل أشمل تعبير عنه هو أن يقال « انه مكانها على سطح الارض بين مايكتنفها من ظاهرات طبيعية ومن ظاهرات أخرى بشرية » . ويقصد بالظاهرات الطبيعية الاشياء التي لا دخل للانسان في وجودها سواء أكانت من اليابس أم كانت من الماء أو كانت تتعلق بالهواء . أما الظاهرات البشرية فيقصد بها البشر وأعمالهم وصورها في الأماكن التي يعيشون فيها .

أولا – يقع الوطن العربي من الناحية القارية أو العالمية في القسم الجنوبي الغربي من آسيا وفي القسم الشمالي من أفريقية ، مكونا نطاقا واسعا يمتد بين المحيط الهندي وبين المحيط الأطلسي . ويربطه المحيط الاول بجنوب آسيا وجنوبها الشرقي ، كما يربطه بشرق أفريقية . ويربطه المحيط الآخر بغرب أوربا وبغرب أفريقية ، كما يربطه بالعالم الامريكي . وبالاضافة الى هذا تتدخل فيه من هذين المحيطين بحار واسعة وخلجان تكون مداخل له الى جهات أخرى من العالم . فيكون البحر العربي مدخلا له الى الهند والباكستان ، والخليج العربي الى ايران ، والبحر الاحمر الى الحبشة وما جاورها والبحر المتوسط الى القسم الجنوبي من أوربا . وفضلا عن ذلك . يتصل بأوربا عبر مضيق جبل طارق ، ويتصل بأفريقية عبر مضيق باب المندب ، ويتصل بعالم البحر الاسود عبر المضايق التركية. كما أن نهر النيل يكون مدخلا له الى قلب افريقية ، ويكون نهرا دجلة والفرات مداخل له الى الاناضول وغرب ايران واقليم القوقاز . وأكثر من ذلك أنه أصبح بعد فتح قناة السويس على اتصال بالاركان الاخرى النائية في العالم . ويعطيه هذا الموقع الممتاز الاعتبارات التالية : ١– من الناحية الحضارية يكون بؤرة تلتقي فيها اتصالات العالم ومنها تخرج لتتوزع . وباستطاعته ان يستفيد الكثير من ذلك . ٢– ومن الناحية

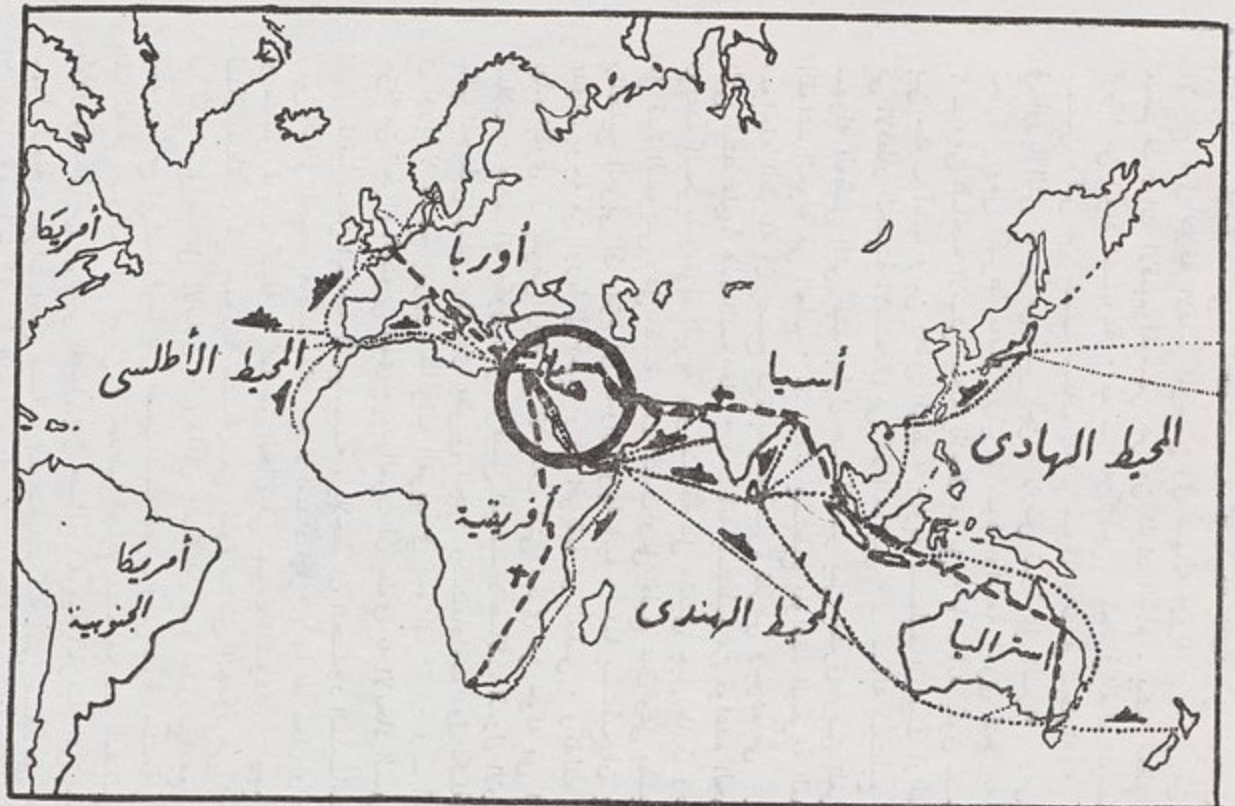

(٦) هنا المشرق العربى حلقة اتصالات أوربا وآسيا وأفريقية، جوا وبحرا.

التجارية يلاحظ مايلى : أ ـ أنـــه كوسيط يقف بين اقليمين مختلفي الانتاج ، في شرقه الاقليم الموسمي وفي شماله أوربا • وأكثر من ذلك أن معظم صادرات الاقليم الموسمي هي من المواد الخام ، بينما معظم صادرات أوربا من المواد المصنوعة • ب ـ أنه كتاجر ، يجد في العالم الموسمي الذي يتضمن أكثر من نصف سكان العالم سوقا واسعة لتجارته • كما يجد في أوربا التي تعتبر من أكبر أجزاء الارض قدرة على الشراء ، ومن أنشطها تجارة ،ومن أكثرها تقدما ورقيا ، سوقا واسعة أخرى لتجارته أيضا •

٣ ـ ومن الناحية الاستراتيجية يلاحظ ما يلى • أ ـ أنه يكون جسرا يربط بين جنوب آسيا وبين داخل افريقية • وبه يستطيع ان يبث آراءه وأفكاره فى الاقطار الحديثة الاستقلال فى كلا الجانبين • ب ـ أنه يستطيع أن يتخذ سهوله العظمى التى تمتد بطول هذا الجسر بين الشرق وبين الغرب اكبر القواعد الجوية فى العالم • جـ ـ أنه يستطيع بقواعده البحرية العديدة على سواحله الطويلة أن يصبح قوة بحرية كبيرة تفرض وجوده فى كل البحار التى تمتد عليها هذه السواحل • د ـ أنه يستطيع من قواعده الجوية ومن قواعده البحرية وبقواه البرية ، وباشرافه على مضيق جبل طارق وبسيطرته على قناة السويس وعلى مضيق باب المندب وعلى خليج عدن وعلى مضيق هرمز والخليج العربى ان يهزم أى عدوان يوجه اليه • كما يستطيع أن يشل أى عدوان يوجه من أوربا الى آسيا أو الى افريقية او العكس • وكذلك يستطيع بهذه القوى أن يفرض رأيه فى الاحداث التى تجرى من حوله فى القـارات الثلاث • هـ ـ أنه يكون الممر الرئيسى الوحيد لاتصالات الدول الاوربية مع عالم المحيطين الهندي والهادى بطريق الجو• وذلك مادامت دول الكتلة الشرقية في أوربا لا تسمح بمرور الطائرات الغربية في أجوائها(٣٧) • و ـ أنه يكون جزءا من الحزام الجنوبى الذى يريد الغرب أن يطوق به الاتحاد السوفييتى•

ثانيا ـ من الناحية السياسيـة ، يلاحظ ان الحـدود السيـاسية بينه وبين العالم المحيط به طبيعية فى معظم امتداداتها • لانها اما بحار أو صحارى أو مناطق غابات كثيفة ، كما هو الحال فى جنوب السودان • ومع ذلك ، فهناك منطقتان من حدودنا تعتبران من أسوء مناطق الحدود فى العالم ان لم تكن أسوأها على الاطلاق • وهاتان المنطقتان هما حدودنـا مع تركيـا وحدودنا مع ايران ، فيما بين مصب شط العرب وبين شرق حلبجة •وترجع المبالغة فى سوئهما الى أمرين • أحدهما أنها لا تمتد مع قمم سلاسل جبال طوروس ـ زاجروس التى تفصل بين مصالح القومية العربية التى تسود فى سهول دجلة والفرات وبين مصالح القومية التركية التى تسود فى هضبـة الاناضول ومصالح القومية الايرانية التى تسود فى هضبة ايران • والامـر الآخر انها مدت عند قواعد تلك الجبال وفيما وراءهـا من سهول • وهـذا يعنى أنها من جهة قد أعطت لكل من الاتراك والايرانيين على حساب العرب

كل المزايا الاستراتيجية التي يتمتع بهـا كل من يسيطر على الجبـال قمما وسفوحا · كما يعنى من جهة أخرى أنها أدخلت فى أراضى هاتين الدولتين أراضى عربيـة بسكانهـا العرب الذين كانوا يسكنونها قبل أن تمد الحدود السياسية بوقت طويل بل قبل أن يأتى الاتراك لسكنى الاناضول · فمثلا عربستان التى قامت فيها امارة المحمرة التى كان آخر أمرائها الشيخ خزعل من بنى كعب تدخل الان ضمن أراضى ايران · ومنطقة ديار بكر التي لا تزال تحمل تسمية قبيلة بكر التى كانت تسكنها منذ العهد الساسانى تدخل الان ضمن أراضى تركيا · ومع ذلك يلاحظ ما يلى · أ ـ ان هاتين المنطقتين من حدودنا قد مدتا فيأوقات لم يكن لنا فيها صوتيسمع ولا رأى يستشار · ب ـ أن فرنسا ، التى خططت حدودنا لمصلحة تركيا فى اتفاقية انقرة التى عقدت بينهما فى ١٩٢٠ ، والتى عادت وعدلت فيها لمصلحة تركيا مرة أخرى فى اتفاقية انقرة التى عقدت بينهما فى حزيران ١٩٣٩ ، لم تكن تملك حق التخطيط كما أنهـا لم تكن تملك حق التعـديل(٣٨) · جـ ـ أن المصـالح الخاصة التى أملت على كل من روسيـا وبريطـانيا وفرنسا هذا التخطيط السيء لمصلحة فارس قد زالت نهائيا من المنطقة · د ـ أن الجارتين اللتين تقوم بيننا وبينها مشكلة هاتين المنطقتين من الحدود ترتبطان بنا بروابط قوية من الدين ومن التاريخ · وهذا كله يعنى من جهة ان لنا حقا فى تعديل حدودنا تعديلا عادلا ، لا يعطى لاحد الجانبين مزايا استراتيجية على حساب الآخر · ويعنى من جهة أخرى احتمالا فى امكان احداث التعديل بالطـرق السلمية ، عن طريق الاستفتاء مثلا وحق تقرير المصير ·

ثالثا ـ يشغل وطننا العربى من دوائر العرض نحو ٣٤ دائرة ، بين نمولى في جنوب السودان عند دائرة عرض ٤ درجات شـمالا وبين زاخـو فى شمال العراق عند دائرة ٥٣٨ شمالا أيضا · وهو بهذا الموقع يدخـل ضمن المنطقتين الحارة وشبه الحارة · ومن أهم ما تتميز به أقـاليم هاتين المنطقتين أن درجات الحرارة فيهما لا ينخفض معدلهـا الى الصفـر فى أى شهر من شهور السنة ، فيما عدا المناطق الجبلية · ويترتب على ذلك أمران على جانب كبير من الاهمية · أحدهما أن مياهنا ، سواء فى البحار أو فى الانهار أو فى التربة ، لا تتجمد · وهذا يعنى من جهة أن بحارنا وموانينا مفتوحة للملاحة دائما فى كل وقت من أوقات السنة · ويعنى من جهة أخرى أن المياه فى انهارنا جارية دائما أيضا ، ويمكن استخدامها فى كل وقت للرى كما يمكن استخدامها كذلك فى توليد الطاقة الكهربائيـة · وهذا لا يتوفر لاى من الدول الكبرى الاخرى فى العالم · والامر المهم الآخر هو أن فصل النمو للحياة النباتية دائم كذلك طول السنة · ومعنى هذا أن الاراضى الزراعية فى الوطن العربى تكون معملا دائما للانتاج · وهذا ايضا لا يتوفر لاى من الدول الكبرى الاخرى فى العالم · ففى الولايات المتحدة والاتحاد

السوفييتى والصين وبريطانيا وفرنسا والمانيا توجد مساحات واسعة يتوقف فيها الانتاج خلال فصل البرودة . وهذا يعنى ، بالمقارنة ، أن الطاقة الانتاجية لاراضينا تبلغ الضعف على الاقل بالنسبة لتلك المساحات فى تلك الدول .

واذا راعينا من جهة أن لكل نوع من أنواع النبات حدا أدنى من ناحية درجات الحرارة ، وراعينا من جهة أخرى أن الكثير من أنواعه ليست لها حدود حرارية عليا ، أمكن القول بأن الاراضى الزراعية فى الوطن العربى لا تتميز بطاقة انتاجية دائمة فحسب وانما تتميز أيضا بصلاحيتها لانتاج الكثير من أنواع الغلات الاقتصادية . واذا اعتبرنا كذلك أراضينا المرتفعة التى تنخفض عليها معدلات درجات الحرارة الى الصفر او ما دونه فى بعض الشهور ، أمكن القول بأن باستطاعة وطننا العربي أن ينتج معظم الغلات الاقتصادية المعروفة على سطح الارض ، سواء منها ما يدخل فى غذاء الانسان وما يكون مواد اساسية لكثير من الصناعات .

ويتمثل فى المنطقتين الحارة وشبه الحارة ، اللتين تتضمنان أراضينا ، أنواع عديدة من المناخ كالاستوائى وشبه الاستوائى والموسمى والسفانا والصحراوى والاستبس الحار والاستبس شبه الحار والبحر المتوسط . ولكن الكتاب المتأثرين بنزعات غير عربية يتجاهلون هذه الحقيقة ويوحون الينا بأن نتجاهلها كذلك . مع أنهم فى الغالب يعرفون أن بلادنا صالحة لان تنتج من أنواع الغلات اضعافا مضاعفة لما تنتجها بلادهم . اذ هى تنتج فعلا أو انها قابلة لان تنتج كل انواع الغلات التى تنتجها بلادهم أو معظمها . كما أنها تنتج كذلك أنواعا أخرى كثيرة لا تستطيع بلادهم أن تنتجها كالقطن والارز وقصب السكر والموز والبن والتمور وجوز الهند وغيرها، ويوجهون الانظار نحو الجفاف فقط . والجفاف ، وان كان يتمثل حقا فى قسم كبير من أراضينا فانه ليس شرا كله . وفي الحقيقة يتضمن الجفاف نعما من نواحى كثيرة . فهو يعنى قلة فى الرطوبة الجوية وقلة فى كمية المطر . كما أنه يعنى أيضا وفرة من ضوء الشمس . ولا يستطيع أحد أن ينكر أهمية الجفاف للصحة . وأهمية أشعة الشمس فى قتل المكروبات وفى نضج الغلات الزراعية ، وفى توفير الضوء الطبيعى . وكذلك فى توفير الظروف المثالية للنقل والمواصلات فى الجو وفى البحر وفى البر . ويعتبر نعمة أيضا من ناحية أنه يوسع أمام الانسان فرص البحث عن ثرواته المطمورة . ولا جدال فى أنه لولا الجفاف لما أمكننا الكشف عن كنوزنا الهائلة من زيت البترول . ولما أمكن الكشف كذلك عن الخامات المعدنية العديدة التى عثر عليها فى صحارى مصر وصحارى المغرب العربى .

أما قلة المطر فيمكن أن نعوض عنها باستغلال ثرواتنا المائية ، وهى كبيرة ، سواء أكانت جارية أنهرا كبيرة كالنيل ودجلة والفرات . أم كانت

أنهارا صغيرة يوجد العديد منها فى المغرب العربى وفى العالم السورى • أو كانت متفجرة عيونا أو مختبئة تحت سطح الارض تنتظر المعاول تحفر لها الآبار • وحقيقة ، أن الانتاج الزراعى على المطر يوفر بعضا من الجهد ومن النفقات • ولكن أحدا لا ينكر ايضا أنه يفرض انواعا معينة من الغلات ، ويطرد أنواعا أخرى قد تكون أكبر قيمة من الناحية الاقتصادية • كما أن أحدا لا ينكر أن الانتاج على الرى من الجداول يكون اكثر ضمانا وأكثر تنوعا ، كما يعطى محصولا اكثر من الوحدة الزراعية • وذلك لان المطر لا يمكن التحكم فيه • فأحيانا يسقط بمقدار يكون أقل من حاجة النبات ، وأحيانا أخرى يكون اكثر • كما أنه يسقط أحيانا فى غير وقت الحاجة اليه بينما فى أحيان أخرى يمتنع فى وقت تكون الحاجة اليه شديدة • ويترتب على كل حالة من هذه الحالات حدوث خسائر كبيرة • أما الرى من الجداول فانه يجنب الزراع التعرض لمثل ذلك • لانه يمكنهم من أن يعطوا النبات حاجته من الماء دون زيادة فيها او نقص •

٤ ـ وفى وطننا العربى أعظم قوتين استراتيجيتين عالميتين معروفتين فى الوقت الحاضر • وأعنى بهما زيت البترول وقناة السويس • ولا شك فى أن من يمتلك ما يقرب من ثلثى قوة زيت البترول التى تدير عجلات الانتاج فى العالم ، سلميا كان أم عسكريا ، ومن يمتلك قوة قناة السويس التى ينتقل خلالها قسم كبير من هذا الزيت(٣٩) وقسم كبير آخر من انتاج تلك العجلات ، يمتلك احتمال التفوق في العالم • وقد برهن توقف سير بعض هذا البترول عبر القناة والاراضى السورية بسبب العدوان الثلاثى على مصر أننا نملك التحكم في مصير أوربا(٤٠) •

وقيام الدولة العربية التى تحمل فى بنائها كل هذه المقومات محتمل • وقد ازداد احتمالا باجتماع روءساء العرب وملوكهم فى القاهرة فى ١٣ يناير (فبراير) ١٩٦٤ • لان هذا الاجتماع الذى انعقد من أجل فلسطين التى لا يمثلها فيه ملك أو رئيس يكون فى حد ذاته تعبيرا عن قدرةالقومية العربية على فرض ارادتها •

ولا نستطيع أن نجزم بأن الاستعمار قد سار فى سياسته نحونا تحت تأثير أن ادراكه قد امتد الى كل ذلك • والاكثر احتمالا أنها قامت ، فى خلال هذه الفترة ، على أساس تفرقنا • وانها سارت على هذا الاساس متأثرة بوجهة نظره المتعلقة بمصالحه الخاصة التي تعتمد على وجود نفوذه فى المنطقة • ويمكن القول بعبارة أخرى ، أنها جرت على خطط تهدف الى الابقاء على هذا التفرق وعلى هذا النفوذ لصيانة تلك المصالح فى مواجهة التحركات العربية الخطرة التى بدت تهدد نفوذه وتنذر بالقضاء عليه • وكذلك فى مواجهة خطر الاتحاد السوفيتى المتربص من وراء الحافة الشمالية بتلك المصالح(٤١)•

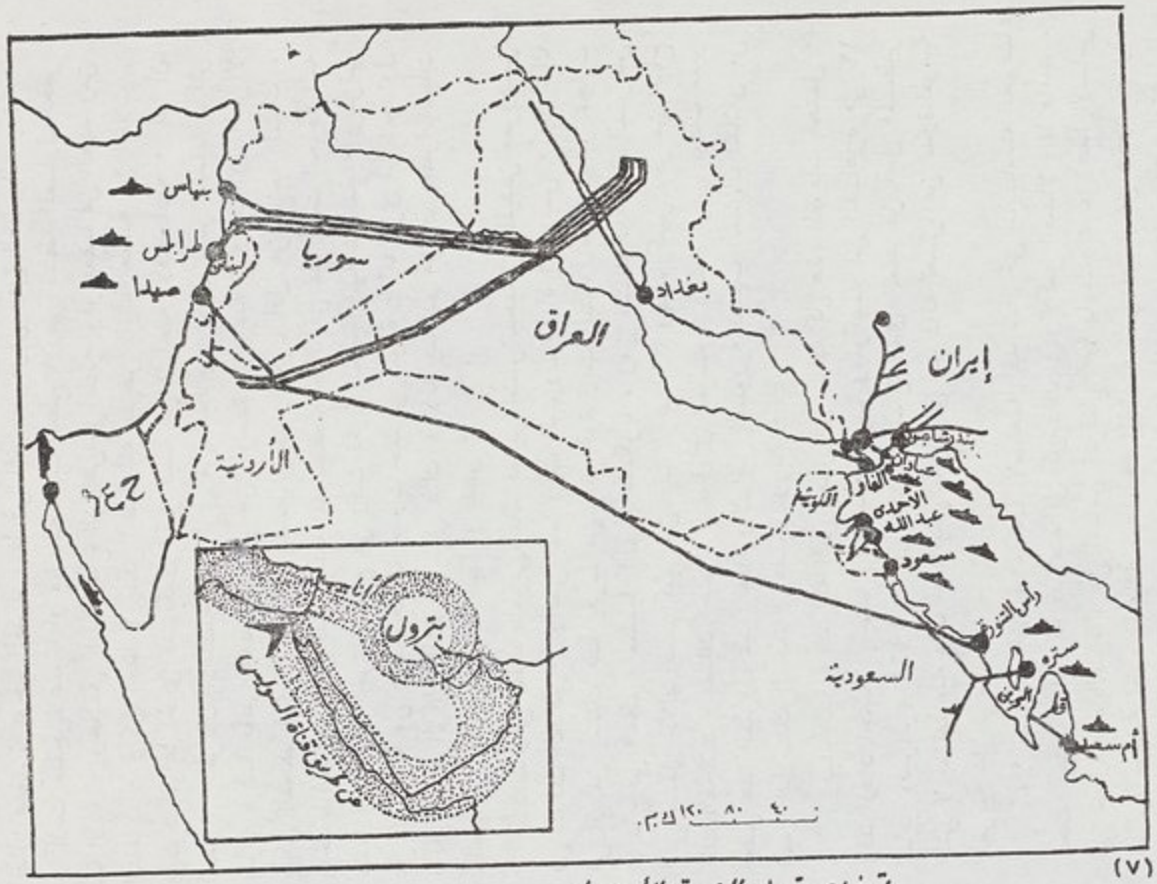

(٧)

توزيع بترول الشرق الأوسط

وكانت أولى التحركات العربيـة ثورة الجيش العراقى فى ١٩٤١ ٠ وكانت الثانية قيام جـامعة الدول العربيـة فى ١٩٤٥ ٠ وكانت الثـالثة استقلال سوريا ولبنان فى ١٩٤٦ وخروج الاستعمـار الفرنسى من المشرق العربى ٠ وكانت الرابعة شكوى مصر ضده فى الامم المتحدة فى ١٩٤٧ ٠

وهذه النذر العربية التى أشعرت الاستعمار بالخطر فى المستقبل هى التى جعلته يغير من سياسته المتعلقة بفلسطين(٤٢) ويعمل على اقامةاسرائيل فيها كقوة اضافية مساعدة له تسندها الصهيونية العالمية بكل قواها ٠ كما جعلته يشرك معه فرنسا بعد خروجها ، ويستبدل بقيادة بريطانيا قيـادة الولايات المتحدة الامريكية(٤٣)٠

ارتكب الاستعمار باقامة اسرائيل أفظع الجرائم التى ارتكبت طوال عصور التاريخ الحديث والمتوسط ٠ ودونها بكثير جرائم الحروب الدامية والتسلط الاستعمارى ٠ ذلك لانها أدت الى تشريد شعب مسالم ، لم يعتد على أحد ، وحرمته من كل ذكرياته ومن كل تراثه القديم منه والحديث ٠ كما حرمته الامان والاطمئنان في مستقبله ، وفرضت عليه الضياع ٠ جريمة أملاها الخوف والحقد الاعمى والتقاء المصالح(٤٤) ٠ وتغافل الضمير العالمي عن التدخل لمنعها او لايقاف تطورها ازاء جبن قـادة العرب أنفسهـم حتى عن مجرد التهديد باستخدام سلاحهم القوى الذى كان باستطاعته وحده أن يوقف الجريمة ، وهو سلاح زيت البترول فى السعودية وفى العراق ٠

كما ارتكب بها أيضا أكبر اخطائه ٠ ١ ـ لانها لطخت تاريخه ، وهذا شأنه ٠ ٢ ـ ولانه اختار صداقة اليهود الذين لا يملكون في المنطقة شيئا ضد العرب الذين يملكون فيهـا كل شىء ٣ ـ ولانهـا جريمة حيـة ٠ ولهـذا لا يمكن للعرب أن ينسوهـا ٠ وبالتـالى لا يمكنهم ان يغتفروهـا له(٤٥)٠ ٤ ـ ولانها كشفت للعرب عن زيف ادعائه بصداقتهم ٠ فان الذى يضربهم بمثل هذا العنف لا يمكن أن يكون الا عدوا لدودا ٠ ٥ ـ ولانها برهنت على أنه لا قيمة لتعهداته ومواثيقه ٠ فوعد بلفور الذى اصدره الانكليز قد ضمن الحقوق المدنية والدينية لعرب فلسطين ٠ والانكليز هم الذين تولواالانتداب على فلسطين وأصبحوا مسوءولين أمام عصبة الامم عن تنفيذ هذا الضمان٠ ومع ذلك فهم أنفسهـم قد نقضوه ومكنوا اليهود الصهيونيين من تشريـد الفلسطينيين ٠ والانكليز ايضا كانوا مرتبطين بمعاهدات مع العراق فـى ١٩٣٠ ومع مصر فى ١٩٣٦ ومع الاردن فى ١٩٤٨ ٠ وفى كل معاهدة من هذه المعاهدات نصوص تقول ، أ ـ اذا اشترك أحد الطرفين المتحالفين فى حرب فان على الطرف الآخر ان يقوم فى الحال بمساعدة حليفه ٠ ب ـ أن يبادر الطرفان فورا فى حالة خطر محدق الى توحيد جهودهمـا فى اتخـاذ التدابير اللازمة للدفاع ٠ ومع ذلك فهـم بدلا من أن يعملـوا على تقويـة حلفائهم أضعفوهم بوضع اسرائيل جرثومة بينهم ٠ وليس هذا فحسب وانما

وقفوا ايضا بجانبها ضدهم يقوونها بالسلاح لتعتدى عليهم ويدعمون وجودها بينهم فى ميدان الامم المتحدة وفى كل ميدان آخر . ٦ ـ ولان صراع العرب ضد اسرائيل قد جمعهم على هدف واحد ، وفيه تدعم الولاء فى القومية العربية بالوعى . وبهذا الوعى أخذ الغموض الذى كان يكتنف تفكير العرب بالانقشاع عنه واستطاعوا أن يميزوا أعداءهم وأن يكتشفوا الخطط التى يستخدمها الاعداء ضدهم(٤٦) . كما عرفوا كيف يقاومون هذه الخطط ويضعون العراقيل في طريقها . وبهذه المقاومة المدعومة بالوعى والتى كان هذا الوعى يزداد فى أثنائها نضجا ، كما كانت القومية العربية تزداد قوة ، بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ النضال العربى . وفيها استطاع العرب أن يهزموا الاستعمار فى كل مكان نازلوه فيه .

ولعل أكبر الهزائم الذى لحقته من وجهة النظر المتعلقة بفلسطين كانت فى فلسطين نفسها . وذلك لانه لم يرتكب جريمته النكراء فيها ارضاءا للصهيونية العالمية أو تحت ضغط منها فحسب ، كما يقول بعض الناس ، وانما ارتكبها ، بمستوى التضحيات الكبيرة التى بذلها من سمعته ومن شرفه ومن تاريخه ، فى سبيل تحقيق هدف كبير ، وهو ضرب القومية العربية وعرقلة تطورها ، بصرفها عن أهدافها فى التحرر وفى التطور وفى الوحدة ـ الى مقاومة اسرائيل التى اتخذها مخلب قط وقرن ثور وأداة حرب أعصاب(٤٧) . ولكن هدفه هذا لم يتحقق . والذى تحقق فعلا هو حدوث الجريمة وتجسدها أمامه وأمام أنظار كل العالم فى اسرائيل وفى العرب المشردين فى الخيام . وهذا التجسد هو الذى يمسك بوحدة الاقطار العربية مهما تدهورت العلاقات بين حكوماتها . وفى موءتمر القاهرة أبلغ دليل على ذلك .

والولايات المتحدة الامريكية التى اشتركت فى جريمة فلسطين بكل قواها ، كانت قبلا تتمتع بالكثير من المودة والتقدير بين معظم أبناء الامة العربية . لانها دولة كبرى قوية ولها رأى مسموع ومع ذلك لم تبدلها أطماع استعمارية . وكانت علاقاتها بالوطن العربى علاقات ثقافية فى الغالب حتى دخلت الشركات الامريكية فى ١٩٢٦ مشتركة فى استغلال بترول الشرق العربى . وأصبح لها كل بترول السعودية وكل بترول البحرين ونصف بترول الكويت بالاضافة الى نحو الربع فى شركة بترول العراق وفروعها . وقد بلغت روءوس الاموال الامريكية المستغلة فى هذا البترول ومنشآته نحو ٢٠٠٠ مليون دولار فى أواخر ١٩٥٢(٤٨) .

وعلى هذا البترول العربى وعلى روءوس الاموال الامريكية المستغلة فيه ، وعلى المصالح الامريكية الاقتصادية والمالية والسياسية المترتبة عليه ، وضعت الولايات المتحدة سياستها فى الشرق الاوسط . وهى ليست سياسة مستقلة بذاتها ، وانما تكون جزءا أساسيا فى حلقة سياستها

العالمية التى تهدف الى تجنيد معظم دول اوربا ومعظم دول آسيا للسير في ركابها وتأييد سياستها فى سبيل المحافظة على أمنها الخاص وسلامتها · وضمانا لصيانة هذا البترول فى آباره وفى انتاجه وفى نقله من أماكنه فى البلاد العربية الى هذه الدول(٤٩) ، اعتنقت فى بادىء الامر سياسة تدعيم النفوذ البريطانى فى المنطقة · ولكنه لما بدا ضعف هذا النفوذ فى مقابلة تلك البادرات العربية الخطرة تقدمت هى لقيادته فى عهد الرئيس ترومان، فى وقت كانت فيه لا تزال متأثرة بروح قنبلتها الذرية فى اليابان ·

وليست ظاهرة تولى الولايات المتحدة قيادة الاستعمار فى المناطق ذات الاهمية الاستراتيجية من العالم قاصرة على الشرق الاوسط ، وانما هى ظاهرة عامة تحس بها شعوب أوربا كما تحس بها شعوب آسيا وأفريقية · فان قنبلتى هيروشيما ونغازاكى اللتين قتلتا من الشعب اليابانى نحو مليونين من الرجال والنساء والاطفال واللتين بتأثيرهما خرت اليابان صريعة وتوقفت الحرب العالمية الثانية فى الحال ، كما ملأتا قلوب العالم كله بالذعر ، قد ملأتاها فى الوقت نفسه بالتعالى والغرور ، وبتصور تفوق الشعب الامريكى ، وبالتطلع الى سيادة العالم ·

ونسيت الولايات المتحدة فى هذا المنهج من التفكير المبادىء التى نادى بها الرئيس ويلسون بعد الحرب العالمية الاولى ، والمبادىء التى قامت عليها الامم المتحدة · كما نسيت كفاحها المرير فى سبيل حريتها واستقلالها وفى سبيل وحدتها · وتجاهلت آمال الشعوب الصغيرة فى أن تساعدها على تحقيق أهدافها ، واتجهت الى فرض ارادتها على هذه الشعوب رضيت بها أم لم ترض · مستعينة بالاستعمار القديم وبأفراد من خدامه الذين لا يحسون بأحاسيس مواطنيهم ولا يشعرون بمشاعرهم الوطنية · ومستخدمة اساليب استعمارية منها ما هو قديم ومنها ما هو مبتكر ومستعملة المقاييس التى تتلاءم وحالة كل شعب(٥٠)·

وبهذه الروح جاءت تقود الاستعمار القديم فى منطقة الشرق الاوسط، ضخمة بثرائها وبقوتها · وهى تمشى على أرجل الاستعمار البريطانى والفرنسى ، يحف بها الاسطول السادس فى البحر المتوسط والاسطول السابع فى المحيط الهندى · وتحمل فى ارجله قذائف اسرائيل والاحلاف العسكرية · بينما تحمل فى أيديها خزائن الدولار تعطى منه من تشاء وتمنعه عمن تشاء · وتحدثت بعبارات تبدو مستوحاة من روح الانسانية ومن مبادىء الامم المتحدة · تحدثت عن البشرية التى تستطيع أن تعلو الى أسمى مظاهرها اذا أمكن خلق عالم يسود فيه القانون والعدالة · وتحدثت عن الشيوعية وأخطارها · كما تحدثت عن الانعاش الاقتصادى وضرورة بذله للامم «المتخلفة» التى من بينها دول الشرق الاوسط(٥١)·

ودهش الوعى العربى لحديثها عن العدالة والقانون ، وهو الضحية

لجريمتها فى فلسطين • وأدرك مرماها من حديثها عن الشيوعية وأخطارها وعن الانعاش الاقتصادى وضرورة بذله للمنطقة ، عندما وجدها تفرض نفسها عليها فرضا بالتصريح الثلاثى الذى صدر فى ١٥ مايو (أيار) واشتركت معها فى أصداره دولتا الاستعمار القديم ، وبعقدها مع هاتين الدولتين ومع تركيا الحليفة معاهدة للدفاع عن الشرق الاوسط فى ١٣ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١ ، ودعوتها اقطار المشرق العربى للاشتراك فيه • وقبلا بمبدأ ترومان الذى صدر فى مارس ١٩٤٧ والذى أدخلها في شؤون اليونان وايران وتركيا • وأخيرا بالسعى لضم كل شعوب المنطقة فى حلف بغداد •

وفى كل ذلك كان ذهن الولايات المتحدة ، على ما يبدو ، غير مدرك أن الوعى العربى قد اكتسب الكثير من الخبرة فى صراعه الطويل ضد اخطبوط الاستعمار • وأن الاستعمار قد بذر فى نفس كل عربى بذرة الشك فى كل من يحاول التدخل فى شؤون وطنه • وأنها ، بعد أن ضربت العرب بالعنف الذى بلغ مستوى اشتراكها مع بريطانيا فى جريمة فلسطين لا تجد عربيا واحدا يصدق بأن ما تقوله أو تفعله فيه مصلحة لهم • كما كان غير مدرك أن القومية قد انطلقت وأن روابطها قد انعقدت • وانها أصبحت أقوى من الفذائف ومن اغراء الدولار ومشاريع الانعاش الاقتصادى • ولهذا فشلت كل الخطط التى وضعتها لاعادة المشرق العربى تحت النفوذ الاستعمارى واحدة بعد الاخرى(٥٣).

وكان للصراع الذى قام به الشعب العربى لمقاومة هذه الخطط آثار بعيدة المدى فى نواحى مهمة أخرى • فقد ساعد على تطوير الوعى العربى وتنقيته • ومكنه من أن يكتشف قيادته الرشيدة • فسار وراءها يؤيدها ويدفعها الى الامام ، وهى تقوده ضد خطط الاستعمار(٥٤) من نصر الى نصر، حتى استطاعت أن تمزق أوصالها فى معركة السويس فى ١٩٥٦ ، وفى معركة مبدأ ايزنهاور فى ١٩٥٧ ، وفى وضع بذرة الوحدة العربية الشاملة فى ١٩٥٨ • كما مكنه أيضا أن يكشف المنحرفين الذين أغراهم الاستعمار بالمغريات ، وعزلهم •

ودهش الوعى العربى اذ رأى الولايات المتحدة تريد أن تحول المصالح السلمية التى تكونت لها فى أرضه الى أهداف استعمارية ، وتستخدمه فيها وقودا لخدمة هذه المصالح والاهداف• فما دامت هى تعادى الاتحاد السوفييتى وتخشى منه على هذه المصالح ، فاذن عليه وعلى كل شعوب المنطقة أن تغير مناهج سياستها السلمية لتتمشى مع سياستها العدائية ضد هذا الاتحاد(٥٥). بينما هو لا يرى لنفسه مصلحة فى ذلك • بل انه ، على العكس ، يرى أن ضررها عليه محقق • وفى أحسن الظروف كما فى أسوئها ستكون الاضرار التى تصيبه من وراء هذه السياسة أفدح بكثير مما تتعرض له

الولايات المتحدة نفسها • وذلك لان الاتحاد السوفييتى عضو فى مجموعة دول الشرق الاوسط • ويستطيع من قواعده ، وقت الاحداث ، أن ينجده اذا كان صديقا له ، وأن يلحق به الاذى اذا كان عدوا ، بسرعة أكبرمما تستطيع الولايات المتحدة أن تفعل • وقال • ولم ندخل أنفسنا فى عداء دولة كبيرة تعطف على كفاحنا الذى يتفق مع مصلحتها الخاصة ضد الغرب ، ولم تعتد علينا من قبل ، فى سبيل امور مبالغ فيها يضخمها فى أذهاننا الاستعمار القائم بيننا والذى نلاقى منه كل شر فى كل بقعة من وطننا • بينما مصلحتنا فى أن ننشد صداقة هذه الدولة الكبيرة لتشد أزرنا فى كفاحنا ضده •

ولما كانت مصر الثورة هي التي جاهرت بمثل هذا القول وبدت في مقاومتها ضده صلبة ، لا تلين(٥٦) ، فقد أناخ عليها بكل ثقله • اتهمها بالاتجاه نحو الشيوعية ، وسلط عليها اسرائيل لتعتدى عليها ، وامتنع عن تزويدها بالسلاح فلا تقاوم هذا الاعتداء • وضغط عليها اقتصاديا • كما سعى الى عزلها عن أشقائها ببث الشكوك حولها والريب فى نواياها • ووصولا الى تحقيق هذا المسعى الاخير قام ببث دعايات نفسية مدروسة لاثارة نعرات اقليمية بالية وشكوك قديمة • فقال ان مصر فى عهدها الجديد لا تكتفى بما كانت فى عهدها القديم تدعيه لنفسها من زعامة على الاقطار العربية الاخرى فحسب وانما تريد أيضا أن تفرض عليها وصايتها • وقد جازت هذه الدعاية الرخيصة على بعض حسنى النية • فسمع منهم من أخذ يناقش فى مسألة الوصاية كحقيقة واقعة • كما سمع من أخذ يتساءل عن السر فى اختيار القاهرة ، دون غيرها من العواصم العربية مقرا دائما لجامعة الدول العربية ، وفى اختيار أمينها العام من بين المصريين وحدهم • ولما كانت الجامعة العربية تعبيرا عن تكتل الاقطار العربية مع مصر فقد سعى الى هدمها بمختلف الوسائل حتى تعود هذه الاقطار الى سابق تفرقها الذى يمكنه من فرض ارادته عليها ، على انفراد ، واحدة بعد الاخرى •

وفى العراق ، اتجه نحو اثارة الحرص على المصلحة الشخصية • فأشارت أجهزته الى ما تكابده مصر من فقر والى ما يكابده المصريون من جوع • وألمحت الى أطماع قائمة على البترول وعلى التمر أيضا • بينما تحدثت عن العراق على أنه جنة عدن • ولكى تثبت هذا الزعم ، اعلنت حكومة العراق عن أنها استردت ملايين الدنانير حقا لها من شركات البترول • كما أعلنت عن منحة تقدمها لموظفيها ومستخدميها ترفيها عنهم • وأعلنت أيضا عن قانون لرفع المرتبات • ثم قامت بفتح باب الاستيراد على مصراعيه للسيارات والثلاجات والغسالات الكهربائية والتلفزيونات وغيرها مواد كثيرة لم تكن شائعة من قبل • وكان هدفها من هذا الترفيه وهذا الاستيراد أن تمسك بالموظفين والمستخدمين وعائلاتهم فى قبضتها بقيد شرائهم لتلك المواد

بالاقساط . كما قامت بعد ذلك بمهرجانات ضخمة عن مشاريع للاصلاح يقوم بها مجلس الاعمار وأنفقت عليها بتبذير .

وفى محيط الحكام والساسة ورفاقهم من ذوى المصالح المستغلة ، اتجهت تلك الاجهزة نحو اثارة المخاوف على السلطان والنفوذ وعلى الاموال والضياع . وقالت ان للثورة فى مصر أهدافا استعمارية خطيرة . انها تسعى الى ثل العروش واقامة حكومات ثورية تتجاوب معها تمهيدا لاقامة دولة عربية متحدة تسير على سياسة اشتراكية(٥٧) . وقد أحدثت تلك الدعاية بين تلك الجماعات ذعرا شديدا . وكان الذعر على أشده فى العراق . أما بين الجماهير فقد لقيت ترحيبا .

وقاومت مصر خطط الاستعمار فى المحيط العربى بتوعية الجماهير توعية قومية . وبالقيام بكل الاعمال التى تكشف عن جوهرها وتظهر حسن نواياها وتكسبها ثقة هذه الجماهير . وقاومته فى المحيط العربى أيضا وفى المحيط العالمى بتجنيد كل اجهزة اعلامها من جهة لتعريته على حقيقته بالكشف عن نواياه وأطماعه ، وعن خططه التى يستخدمها لتحقيق هذه النوايا والاطماع فى كل مكان على سطح الارض تقوم له فيه نوايا واطماع . ومن جهة أخرى ، بفضح سياسته الخاصة بالاحلاف العسكرية ، ودعوة كل شعوب العالم المحبة للسلام الى شجب هذه السياسة والى اعتناق سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز(٥٨) .

وقد أذهل الاستعمار نجاح دعوة الحياد التى أثمرت موءتمر باندونغ فى نيسان ١٩٥٥ . وما الحياد من وجهة نظره الا تيار يجرف معه القوى الاحتياطية التى يريد ان يستخدمها لمصلحته الخاصة فى السيطرة على العالم . كما أثاره الاستقبال الحماسى الذى استقبل به الرئيس جمال عبدالناصر فى الهند وفى الباكستان وفى بورما وفى باندونغ ، بعد نجاحه فى التطويح بحلف بغداد عن هدفه فى ضم مصر والاقطار العربية الاخرى اليه بجانب العراق .

وقد وضعت الولايات المتحدة سياستها الخاصة بالاحلاف العسكرية على أثر فشلها فى كوريا وفى الصين وفى الهند الصينية ، ونجاح الحركات الشيوعية في هذه الاقطار . فقد ملأها فشلها ـ وهي صاحبة قنبلتى هيروشيما ونغازاكى ، وظفر أعدائها ، وهم حديثو العهد بالاستقلال ـ حقدا على الشيوعية العالمية ، وخوفا من أن يتسع نطاقها الى جهات أخرى من العالم . وازدادت حقدا عليها كما ازدادت خوفا منها بعد أن أصبح الاتحاد السوفيتى ينافسها ، ان لم يكن قد تفوق عليها ، فى صنع القنابل الذرية ونحوها من أسلحة الدمار الشامل . ولمقابلة ذلك أخذت تعمل مع ما أسمته بالعالم الحر على اقامة نطاق من الاحلاف للدفاع المشترك(٥٩) يلتف حول العالم الشيوعى . واستطاعت أن تقيم فى ١٩٤٩ حلف شمال الاطلسى فى

غرب أوربا وتمده فى جنوبها حتى تركيا · كما استطاعت أن تقيم فى ٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٥٤ حلف جنوب شرقى آسيا منها ومن بريطانياوفرنسا واستراليا ونيوزيلنده والفلبين وتايلاند والباكستان(٦٠) · وذلك بالاضافة الى حلف أنزوس فى ١-١١-١٩٥١ الذى اشتركت فيه معها استراليا ونيوزيلندة ، والمعاهدات الاخرى الخاصة التي عقدتها مع كل من اليابان وكوريا وفورموزا والفلبين وتايلاند والباكستان والتى تعطيها الحق فى اقامة قواعد عسكرية فى أراضى هذه الدول(٦١) · واستطاعت كذلك أن تقيم حلف بغداد من العراق وبريطانيا وتركيا وايران والباكستان · ولكنها ، كما فشلت فى ضم دول كالهند واندونيسيا وبورما وسيلان الى حلف جنوب شرق آسيا ، فشلت فى ضم أفغانستان وباقى أقطار المشرق العربى الى حلف بغداد ·

وتتذرع الولايات المتحدة لاقامة هذه الاحلاف بحجة صيانة العالم الحر من عدوان يقوم به العالم الشيوعى بصورة مباشرة أو غير مباشرة · ولكن هذا ليس الهدف الوحيد بل هناك أهداف أخرى · أولها وأهمها هو أمنها الخاص وسلامتها · اذ بأقامة هذه الاحلاف تجعل ميادين الحرب بين الغرب وبين الشرق بعيدة عن أراضيها · فحلف شمال الاطلسى · يمكنها من جعل المحيط الاطلسى بحيرة أمريكية ومن مد خط دفاعها الاول عبره الى أراضى أوربا نفسها · وحلف جنوب شرقىآسيا معحلف انزوس والقواعدالعسكرية فى الاقطار الاخرى فى المنطقة يمكنها من جعل المحيطين الهندى والهادى بحيرتين أمريكيتين ، ومن مد خط دفاعها الاول عبرهما الى الاراضى الآسيوية نفسها · وليس لحلف بغداد اعتبار كبير فى هذا الهدف· والهدف الثانى يرتبط بالهدف الاول ، كما يدخل فى اعتباره حلف بغداد ، وهو ابعاد أخطار الحرب عن الاراضى الامريكية أطول مدة ممكنة ·· وذلك باتخاذ شعوب الدول المشتركة معها فى الاحلاف الوقود الاول للحرب · وهذا طبيعى ، فان على دول الكتلة الشرقية أن تشق طريقها أولا عبر أراضى هذه الدول · والهدف الثالث هو جعل تلك الدول أتباعا لها يأتمرون بأوامرها، ولا يستطيعون الخروج على ارادتها · وذلك لان هذه الاحلاف ، سواء أكانت لاغراض عدوانية أم كانت لاغراض دفاعية ، تتضمن لجانا مختلفة · ويقوم اعضاء هذه اللجان ، الذين تصر الولايات المتحدة على تسميتهم بالخبراء ، بدراسة المقومات الاستراتيجية للدول المشتركة في الحلف لغرض تهيئة هذه المقومات لخدمة الاغراض المشتركة · ووراء هذه اللجان يتغلغل النفوذ الامريكى في كل مرفق من مرافق هذه الدول ، حتى تصبح كالآلة تحركها الولايات المتحدة ، وليست لها القدرة على التصرف في أمورها الداخلية والخارجية الا ما يتمشى مع آراء خبراء الولايات المتحدة وسياستها · والهدف الرابع هو حصر دول الكتلة الشرقية اقتصاديا بفرض عدم التعامل التجاري

بين دول الاحلاف وبينها في المواد التي يراها الخبراء استراتيجية . وتعبير الاستراتيجية قد أصبح منذ قامت الاحلاف مطاطا يمكن مده حتى يشمل المواد الغذائية وكل المواد الاخرى التى تعتبر مفيدة للعدو . والهدف الخامس هو تدعيم الاقتصاد الامريكى . فما هو ممنوع على دول الاحلاف أن تصدره من المواد الاستراتيجية الى دول الكتلة الشرقية تستطيع الولايات المتحدة أن تشترى منه ما تشاء وتدفع ثمنه سلعا تحتاج اليها الدول المصدرة . وبذلك تستطيع أن تزيد في نمو صناعتها وزراعتهاوتجارتها ، وأن تقاوم مشاكل البطالة فيها . والهدف السادس هو أن تسحب تلك الدول حتى لا تدخل في أحلاف مماثلة مع الدول الشيوعية ضدها .

على أنه اذا كانت هذه الاهداف الستة هي التي تستهدفها الولايات المتحدة من سياستها المتعلقة بالاحلاف بصفة عامة ، فانها وبريطانيا تستهدفان من حلف بغداد أهدافا أخرى بالغة الاهمية . منها أ ـ الدفاع عن بترول الشرق الاوسط ضد عدوان قد يتعرض له من جانب الاتحاد السوفييتي أو من جانب القومية العربية الثائرة(٦٢) . ولا شك في أن بترول الشرق الاوسط يمثل أضعف الجوانب في استراتيجية الغرب . ب ـ تهديد حقول البترول الروسى في اقليم القوقاز ، والمراكز الصناعية الكبرى في شمال البحر الاسود وفي اقليم جبال أورال وما وراءه شرقا ، في وسط سيبريا(٦٣) . جـ ـ التمتع بالاعتبارات الاستراتيجية الاخرى التى يتميز بها الشرق الاوسط كحلقة تربط بين آسيا وبين أوربا وبين أفريقية . وكجسر تنتقل عبره الاتصالات البحرية والجوية بين المحيط الاطلسي وبين المحيط الهندي .

ولتحقيق هذه الاهداف ، كان لابد من تعزيز مركز تركيا ، الطرف الشرقى لحلف شمال الاطلسي . ومن تعزيز الباكستان الطرف الغربي لحلف جنوب شرقي آسيا ، ويكون ذلك بأقامة جبهة تسندهما على طول حدود الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ، فيما بين اليونان وبين جبال الهملايا ، وتشترك فيها بريطانيا وتؤازرها الولايات المتحدة ، وتنضم اليها الدول الاخرى في المنطقة .

وكان من الضروري ضم العراق اليه . لان العراق مدخل سهل الى الشرق الاوسط من جهة المحيط الهندي . وبريطانيا على وشك أن تخرج من قواعدها العسكرية فيه عند انقضاء مدة معاهدة ١٩٣٠ في ١٩٥٧ . كما كان من الضروري أن تنضم اليه سوريا . لانها تكون مدخلا سهلا آخر اليه من جهة البحر المتوسط . ولانها تقع على طريق سير الاتصالات المنقولة برا بين تركيا والعراق . وكان من الضروري كذلك أن تنضم اليه مصر . لان قناة السويس تكون الطريق البحري الرئيسي لنقل اتصالات الغرب مع الباكستان ومع ايران ومع العراق . وحتى تمكن العودة ثانية الى قاعدة السويس . وبالمثل كان من الضروري ضم المملكة الاردنية . لانها مدخل آخر

الى الشرق الاوسط من البحر الاحمر وخليج العقبة . ولان مصر تقوم باغرائها على القيام بالغاء معاهدة ١٩٤٨(٦٤) وضم لبنان ، وضم اسرائيل ، باعتبارهما مدخلين له من البحر المتوسط . وفضلا عن ذلك فان أجواء هذه الاقطار تكون الطريق الرئيسي الوحيد لنقل الاتصالات الغربية بالطائرات. كما ان سهولها تكون أكبر القواعد الجوية الموجهة ضد الاتحاد السوفييتي . ولكن اسرائيل قد استبعدت مؤقتا على ما يبدو(٦٥). لان انضمامها لابد أن يترتب عليه امتناع الاقطار العربية عن الانضمام اليه .

وأدرك الوعي العربي الاهداف التي يتوخاها الاستعمار من الاحلاف بصفة عامة ومن حلف بغداد بصفة خاصة ، وأدرك أخطارها الكبيرة على كيان الوطن العربي ومستقبله(٦٦). أدرك أنها سوف تؤدي الى عرقلة انطلاق القومية العربية . والى تفكيك روابط الوطن العربي وصرفه عن العمل لتحقيق وحدته . والى تكبيل أقطاره بقيود استعمارية جديدة لا تقل خطرا عن قيوده القديمة ، تشل ارادتها وتضعها في مآزق سياسية واقتصادية وعسكرية لا تستطيع منها خلاصا بدونه . كما لا تستطيع احتجاجا أو مقاومة ، عندما يقوم بالعمل على تصفية قضية فلسطين أو تجميدها وتمكين اسرائيل من الانطلاق .

وتصفية قضية فلسطين بشكل أو بآخر هدف عدواني كبير من أهداف الاستعمار ضد القومية العربية . لانها تؤدي الى ١ ـ تخفيف وزن جريمته التي ارتكبها أمام ضميره وأمام الرأي العام العالمي وأمام التاريخ . فما دام العرب قد رضوا بتصفية قضية فلسطين فمعنى ذلك أنه كان لليهود وجه حق ، وأن قيام اسرائيل له صفة شرعية ، ومعناه أيضا أن الجريمة التي ارتكبت في فلسطين لم تكن بالبشاعة التي عزيت اليها . ومعناه كذلك أن العرب لم يكونوا واثقين من أنهم على حق . أو أنهم كانوا أذلاء ، يقبلون الضيم على أنفسهم . ومن يقبل على نفسه الضيم لا يجد من يدافع عنه . ٢ ـ تصفية فكرة الوحدة العربية . لان قضية فلسطين هي الشأن الوحيد من شؤون العرب الذي لم يحدث أن اختلفوا عليه لا في المحيط العربي ولا في المحيط الدولي . واذا صفيت فكرة الوحدة انصرف كل قطر بنفسه عن أخيه ، وبمصالحه الاقليمية الخاصة عن المصالح القومية العامة . وهذا أول ما يسعى الاستعمار اليه . حيث يستطيع أن ينفرد بكل قطر على حدة ، ويوجه اقتصاده الوطني وسياسته الداخلية والخارجية الوجهة التي تتفق ومصالحه الخاصة ، سياسية واقتصادية .

وعندما تصفى قضية فلسطين تنطلق اسرائيل . حيث تنفك عنها قيود المقاطعة ، ويفتح أمامها طريق قناة السويس(٦٧) وطريق خليج العقبة . ويعاد اصلاح خط أنابيب البترول العراقي ليتدفق الى حيفا(٦٨). ويكسب الاستعمار هو أيضا من وراء هذا الانطلاق تأييد الصهيونية العالمية ، وتخفيف

أعباء المساعدات التي يقدمها لاسرائيل سنويا · كما يكسب كل المزايا التي يضفيها عليه اشتراك اسرائيل في المنطقة كعضو فيها يعترف الجميع بوجوده·

وقد أدرك الوعي العربي حقيقة أهداف الولايات المتحدة ورفقائها ضد القومية العربية وضد فكرة الوحدة العربية ، فرفض فكرة الاحلاف بكل صورها · وقاوم كل مشروع يعطى للاستعمار الفرصة مرة أخرى للتحكم فيه ، أو لبعث نفوذه · كما قاوم كل اتجاه يهدف الى تصفية قضية فلسطين·

أخذت الولايات المتحدة تمهد لاهدافها بالحديث عما أسمته بالفراغ الذي يحدث في المشرق العربي بعد خروج الانكليز منه · وعن الاخطار التى يتعرض لها والتي قد تكون سببا في تهديد سلامة العالم وأمنه اذا سادت فيه الشيوعية نتيجة تدخل سلمي أو حربي · وأشارت الى أن أمن الشرق الاوسط بصفة عامة يحتاج الى دفاع قوى واجراءات جماعية · ولكي تكون هذه الاجراءات فعالة ، ينبغي ان تنتج عن تكاتف اولئك الذين يشعرون بمصير مشترك أمام الخطر المشترك · ودعت الى مشروع للدفاع عن الشرق الاوسط ·

ولكن الوعى العربي بقيادة مصر رفض المشروع · وأجاب بأنه لا يرى خطر الشيوعية محدقا به حاليا · أما الخطر المحدق فهو خطر تعاون الاستعمار مع الصهيونية · وقال بأنه لا يوجد في الشرق الاوسط فراغ(٦٩). فقد قامت فيه دول حديثة أصيلة ، جادة في المحافظة على استقلالها وحريصة على حريتها · ومن مصلحتها الخاصة أن يسود الاستقرار في ربوع الشرق الاوسط · وهذا لا يمكن أن يتم بأحلاف عسكرية تشترك فيها دول أجنبية ، وانما يتم بتكاتف شعوبه وحدها · وهو لهذا يرفض الدخول في مثل هذه الاحلاف لانها لا تساعد على توفير هذا الاستقرار وانما ، على العكس ، تسبب وجود حالة توتر · ويفضل أن يقف على الحياد بين الغرب وبين الشرق ، اذ لا مصلحة له في الدخول في ميدان تتصارع فيه عمالقة بأسلحة حديثة لا يملك مثلها · كما قال للولايات المتحدة ان مسألة الدفاع عن الشرق الاوسط تهم شعوب هذا الشرق أكثر من غيرهم · وهم لذلك سوف يبذلون كل ما في طاقاتهم للدفاع عنه ضد من يحاول الاعتداء عليه من الشرق كان أم من الغرب · وما دام أمر الدفاع عنه يهمها أيضا فما عليها الا أن تقدم لهم السلاح مطلقا ، غير مقيد بأي شرط ، وعليهم هم أن يوفروا الرجال والقواعد · ولديهم أساس ذلك في معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي ·

وكان من الطبيعي أن تغضب الولايات المتحدة على اولئك الذين لم يرضخوا لمشيئتها ، وأن ترفض الاستجابة لمطالبهم · وذلك ، لا لانها تريد بقاء الاقطار العربية ضعيفة لاكثر من سبب · ولا لانها ، كقاعدة عامة ، لا تقدم مساعداتها الا مشروطة بشروط تفرضها ، وانما لان ربط دول

الشرق الاوسط في حلف تحت زعامتها يكون جزءا أساسيا في سياستها التي تريد بها السيطرة على شعوب العالم وسوقها معها في سياستها . وكان من الطبيعي أيضا ، وهي الدولة الغنية المتعالية ، أن تلجأ الى وسائلها الخاصة في معالجة الحكومات التي رفضت الخضوع لمشيئتها ..

وكان من الطبيعي كذلك أن تسعى هذه الحكومات الى كسر النطاق الذي يريد الاستعمار أن يضربه حولها . وأن تتجه نحو حكومات الهند وسيلان وبورما واندونيسيا وغيرها من الحكومات التي تعارض سياسة الاحلاف العسكرية والتي تواجه من الولايات المتحدة وبريطانيا نفس الموقف للعمل على تعزيز التعاون فيما بينها على ايجاد حل لقضاياها المشتركة. ولقد كان من نتائج التعاون بين هذه الدول المحايدة عقد مؤتمر باندونغ في اندونيسيا في نيسان ١٩٥٥ لوضع الاسس السليمة التي يجب أن تقوم عليها العلاقات بين الدول ، دون اعتبار لسياسة الشرق أو لسياسة الغرب. وكانت مقرراته التي تدعو الى احترام سيادة جميع الامم وسلامة أراضيها ، والى الامتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية لاي بلد آخر ، والى تجنب الاعمال العدوانية أو التهديدات أو العنف وتسوية جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية ، والى الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية الجماعية لخدمة المصالح الذاتية لاى دولة من الدول الكبرى ، تحديا صريحا للسياسة التي يريد الاستعمار فرضها على العالم .

وغضبت الولايات المتحدة مرة ثانية . وكان غضبها أشد على مصر . لان رئيسها كان رئيس لجنة السلم العالمي التي وضعت هذه المقررات . أما الاتحاد السوفييتي فقد اغتبط . لان مقررات باندونغ تتفق ضمنا مع مصالحه . وكان من الطبيعي تبعا لذلك أن تحظى الدول التي وافقت على هذه المقررات بعطف الكتلة الشرقية وتأييدها . وكان من مظاهر ذلك عقد صفقة الاسلحة وتقديم الكثير من المساعدات لمصر .

وجد الوعي العربي أن مصلحته في اعتناق سياسة الحياد الايجابي بين الشرق وبين الغرب . وانه لا مصلحة لبلاده في السير وراء الغرب في سياسته العدائية ضد الاتحاد السوفييتي . وان هذا السير ، لو حدث ، ستصيبه من ورائه أضرار محققة ، لم يكن معرضا لها من قبل . ولهذا قام بأعلان استنكاره في كل مكان من الوطن العربي عندما بدا في الافق شبح حلف بغداد .

استهان الاستعمار بالقومية العربية وتجاهل ارادة الوعي العربي ، ودبر أمر عقد الحلف وأصر على قيامه . ولكن الولايات المتحدة لم تستطع الاشتراك فيه رسميا . ذلك لانها لم تجد سببا تبرر به هذا الاشتراك أمام العالم . فهي دولة غريبة عن الشرق الاوسط وبعيدة كل البعد عنه ، وليست لها فيه مستعمرات أو نفوذ قديم . ولكى لا توصف هي أو الحلف بالعدوان،

وحتى لا تعطى للدول المناهضة للاستعمار وللاحلاف ، وهي على وشك الاجتماع في باندونغ ، فرصة للطعن في سياستها ، وربما استهانة منها بعقلية شعوب العالم ، تركت لدول الحلف أمر توجيه الدعوة اليها للاشتراك في اجتماعاته(٧٠) ، ثم الدعوة تلو الدعوة لان تشترك فيه رسميا ٠

وتولت مصر أيضا بامكانياتها قيادة الوعي العربي ضد الحلف ، بالرغم مما بذل لها من اغراء(٧١)٠ واستطاعت بهذا الوعي أن تمنع الاقطار العربية الاخرى ، عدا العراق ، من الاشتراك فيه ٠ وبهذا استطاعت أن تشل الحلف وأن تبقيه مشلولا حتى قضت عليه ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ٠ على أن هذا النصر العربي في معركة الحلف لم يكن هو النصر الوحيد ، وانما كان هناك نصر كبير آخر هو استطاعة الاقطار العربية الصغيرة الناشئة الوقوف في وجه الولايات المتحدة وبريطانيا وحلفائهما ، والصمود أمام كل ما بذل لها من اغراء ومن تهديد ٠ وكان ذلك واحدة أخرى من البوادر العربية الباهرة التي أذهلت الاستعمار ٠

كانت حكومة نوري السعيد في العراق هي الوحيدة من بين الحكومات العربية التي أيدت الحلف واشتركت في تأسيسه ، متذرعة بأن الشيوعية هي الخطر الاكبر على العرب ٠ وان موقع العراق على مقربة من أراضي الاتحاد السوفييتي يجعله أكثر من غيره من الاقطار العربية الاخرى تعرضا لهذا الخطر ٠ وهو لهذا مضطر لان يتعاون مع جيرانه من دول الشرق الاوسط المعرضة لنفس الخطر ، ومع الدول الغربية الكبرى التي تناهض الشيوعية في كل مكان ٠ وتبع ذلك دعاية واسعة عن خطر الشيوعية على الملوك والحكام والنفوذ والسلطان ، وعلى الضياع والاموال ، وعلى البترول ، وعلى القيم المادية والمعنوية للحياة(٧٢)٠ وقد أحدثت هذه الدعاية بلبلة في أفكار بعض الناس وترددا في موقف بعض الحكومات العربية ٠

وكان رأي مصر يخالف رأي حكومة العراق ٠ كان رأيها أن الاستعمار الغربي واسرائيل هما العدو الحقيقي رقم واحد للوطن العربي ، لانه عدو قائم فعلا ٠ أما الشيوعية ، فأنها وان كانت تكون خطرا محتملا ، الا أنها لا تزال بعيدة ، وفي الامكان تجنب خطرها ٠ ويقضي المنطق السليم بمواجهة الخطر المحدق أولا وتمكين الدفاع ضده بالدرجة الاولى مع العمل في نفس الوقت على توقي الخطر المحتمل ٠ ولماذا نجعل الخطر المحتمل في المستقبل خطرا محدقا في الحاضر ، ونتجاهل الخطر المحدق فعلا ؟!٠

كما كان رأيها أن هناك فرقا كبيرا بين الاتحاد السوفييتي كدولة وحكومة وبين الشيوعية كمبدأ وعقيدة ٠ وأن من الخطر ان نتجاهل الفرق بينهما ، ونعتبرهما اسمين لمسمى واحد ٠ لاننا اذا سرنا مع هذا التفكير الخاطىء نكون قد وقعنا في فخ الاستعمار ، فحبسنا برضائنا أنفسنا في داخل قفصه وعزلناها عن كل القوى الاخرى الحرة في العالم ، خارج هذا

القفص · وبعبارة أخرى نكون قد ألقينا بأنفسنا في شباك أحلافه العدوانية ، وحرمناها من فرصة التعاون الحر مع كل دول العالم ومن بينها الاتحاد السوفييتي كقوة كبيرة تستطيع بأمكانياتها ان تساعدنا في ايقاف طغيان الاستعمار والصهيونية عند حد · واذا سارت بعض الاقطار العربية على هذا التفكير وعارضه البعض الاخر فسوف يترتب على ذلك تصدع كبير في فكرة الوحدة العربية ، وهدم للجامعة العربية · كما ستترتب عليه الفرصة لوصف الاقطار المعارضة بالشيوعية · وكذلك لاعتبار القومية العربية المتحررة بأنها ، كالاتحاد السوفييتي ، اسم آخر للشيوعية · وما دامت الشيوعية يخشاها الكثير من الشعوب في العالم فأن موقف هذه الشعوب من القومية العربية يكون موقف التوجس والعداء ·

وكان رأيها أيضا ان العالم العربي تتوفر فيه مقومات قوة كبرى · وأنه اذا استخدم هذه المقومات في تقوية نفسه ماديا ومعنويا ، واتحد وتعاون في هذا الاستخدام ، وسار على سياسة قومية موحدة ، فأنه يستطيع أن يفرض ارادته وأن يقيم علاقاته مع الدول الغربية على أساس الصداقة الحرة والمنفعة المتبادلة ، كما يستطيع ان يتغلب على اسرائيل · وأنه اذا سار على سياسة اشتراكية تحقق العدالة الاجتماعية استطاع أن يتقى احتمال خطر الشيوعية ·

وكان رأيها كذلك ، أن الاحلاف الاقليمية تكون خطرة على الدول الصغيرة اذا اشتركت فيها دولة كبيرة ذات أطماع · وعلى الاخص اذا كانت الدولة الكبيرة من خارج الاقليم · لان الحلف يتحول عندئذ الى منظمة عسكرية تكون فيها أراضى الدول الصغيرة قواعد لخدمة أغراض الدولة الكبيرة · ولا يقتصر الخطر على ذلك فحسب ، وانما هناك أيضا خطر آخر يترتب على معاداة دولة كبيرة أخرى كالاتحاد السوفييتي تقوم في المنطقة(٧٣) · واذا قام هذا العداء ، وهو كبير الاحتمال ، فلا مفر للدول الصغيرة من ان تلقى بمصيرها تحت رحمة الدولة الكبرى المشتركة معها في الحلف · وأنها ادراكا منها لكل هذه المحذورات ، تدعو الحكومات العربية ومن بينها حكومة العراق الى نبذ سياسة الاحلاف ، والى اعتناق سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز · كما تدعوها الى تعزيز جبهة الدول المحايدة والوقوف في صفها كقوة ثالثة تخدم السلام بين المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي ·

وفي هذه المرحلة الحاسمة من تاريخه ، لم يترك الوعي العربي أمر الخلاف في وجهة النظر بين حكومة العراق وبين حكومة مصر حول الخطر المحدق والعدو الحقيقي للوطن العربي يمر دون بحث منه واستقصاء ، وهل هو الاستعمار الغربي والصهيونية أم الاتحاد السوفييتى ؟

ولم يكن هذا الوعي في حاجة الى بحث خطر الاستعمار والصهيونية لانه قائم بينه فعلا تحت بصره وسمعه ، ويحفظ شروره وآثامه عن ظهر

قلب(٧٤). ولهذا اتجه نحو الاتحاد السوفييتي باعتباره مركز الشيوعية يبحث عن اخطاره المحتملة على كيانه المستقل وعلى بتروله .

بحث في كتب التاريخ فلم يجد أن روسيا ، سواء في عهدها القيصري القديم أو في عهدها الجديد القائم ، قد استعمرت يوما جزءا من أرض الوطن العربي أو قام لها نفوذ فيه أو حصلت منه على امتياز . وحتى في جميع الاتفاقيات السرية التي عقدها الحلفاء في أثناء الحرب العالمية الاولى واقتسموا بموجبها فيما بينهم أراضى الدولة العثمانية كاتفاقية سايكس ـ بيكو وغيرها ، لم يجد أن الروس قد اهتموا بالاستحواذ على جزء من هذا الوطن . وهذا يعني احتمال استمرار بقائهم بعيدين عنه اذا بقى هو بعيدا عن أن يصبح «مصدر خطر عليهم(٧٥) .

ونظرا الى المصورات الجغرافية فلم يجد أن بين الاتحاد السوفييتي وبين العراق أو أي قطر عربي آخر حدودا سياسية مشتركة . ووجد ، على العكس ، عشرات من الكيلومترات (نحو ٢٥٠ كم) من أراضي تركيا أو من أراضي ايران ، وتتكون من سلاسل جبال شاهقة الارتفاع ومن هضاب وعرة وتلال وأخاديد عميقة ، تقف حاجزا بينه وبين العراق . كما وجد أن طرق تقل الاتصالات خلالها تتمثل في مسالك جبلية وعرة تستطيع قوة عسكرية صغيرة تسيطر على مشارفها أن تمنع جيشا معاديا كبيرا من المرور فيها .

واتجه نحو بتروله وتساءل هل للاتحاد السوفييتي أطماع فيه ؟ وأجاب ربما ، ولكنه ليس وحده في ذلك . فكل دولة في العالم كبيرة كانت أم صغيرة تتمنى أن تستحوذ عليه . ومع ذلك فربما كان الاتحاد السوفييتى أقل طمعا فيه من الولايات المتحدة بله بريطانيا أو فرنسا وذلك لان موارده البترولية في اراضيه كبيرة على ما يبدو . ومن البديهي أنه ما دام لايشكو من تناقص بتروله ، على العكس مما تفعل الولايات المتحدة(٧٦) ، فلا بد أنه مطمئن الى أن ما لديه منه يكفى لادارة عجلة صناعاته الضخمة في الحال ولامد طويل في المستقبل .

وعاد الوعي العربي الى المصورات الجغرافية يبحث عن الطريقة التي بها يستطيع الاتحاد السوفييتي أن يستغل بتروله ، اذا فرض واستطاع الاستحواذ عليه ، فلم يجدها . وجد أنه قد يستطيع الاستيلاء عليه أو يدمر آباره وخطوط أنابيبه ومنشآته الاخرى في حالة حرب تقوم بينه وبين الدول الغربية ، وعلى الاخص اذا كانت الاقطار العربية صاحبة البترول منحازة الى جانب اعدائه . ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يتصور كيف يستطيع أن يستفيد منه في حالة استيلائه عليه . ورفض القول بأن في استطاعته أن ينقله في أنابيب يمدها عبر هضاب ايران والاناضول وأرمينية الى باكو على بحر قزوين أو الى باطوم على البحر الاسود . كما رفض أيضا القول بأن باستطاعته نقله من صيدا ومن طرابلس ومن بانياس ومن الفاو

ومن الاحمدي ومن عبدالله ومن سعود ومن رأس التنورة ومن سيترا ومن أم سعيد في ناقلات بترول روسية تروح وتغدو بين هذه الموانى العربية وبين البحر الاسود خلال الخليج العربي والبحر العربي والبحر الاحمر والبحر المتوسط والمضايق التركية في مواجهة القوات البحرية والجوية للولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول ذات المصالح في هذا البترول العربي(٧٧).

وخرج الوعي العربي من أبحاثه مقتنعا بصواب رأي حكومة مصر فايدها . وعارض في اشتراك حكومة العراق في حلف بغداد للاسباب الآتية : ١ ـ ان اشتراك العراق وهو دولة صغيرة مع دولة كبيرة ذات أطماع استعمارية في المنطقة معروفة ، هي بريطانيا ، ولخدمة مصالحها المشتركة مع دولة كبيرة أخرى ذات أهداف عدوانية واضحة وهي الولايات المتحدة ، يكون خطرا كبيرا على استقلاله وعلى سيادته وحريته في التصرف . ٢ ـ ان الخطر الذي يتعرض له العراق ، سواء أكان من الغرب أم كان من الشرق ، لا يقتصر عليه وحده ، وانما يمتد الى كيان الامة العربية جميعها . وذلك لانه عضو في جسم هذه الامة ويرتبط بباقي اعضائها بالعواطف كما يرتبط بها أيضا بالمصالح المشتركة التي من أجلها قامت جامعة الدول العربية وعقدت معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي . ٣ ـ ان العراق باشتراكه في حلف بغداد يوجد نوعا من العلاقة بين دول الجامعة العربية وبين سياسة الاحلاف التي تنتهجها الولايات المتحدة وبريطانيا ، وهي علاقة لا ترغب فيها جماهير الامة العربية وتتحاشى التورط في نتائجها . ٤ ـ ان في هذا الاشتراك تعبيرا عن قبول الحماية الغربية . كما أن فيه خروجا على الاجماع العربي وتعبيرا عن ضعف هذا الاجماع . وقد يترتب على ذلك تمكين اعداء الامة العربية من العمل على تجزئتها . ٥ ـ ان هذا الاشتراك سيجعل كل تعاون يبذله العراق للاقطار العربية موضع شك . هل هو مدفوع الى هذا التعاون بدافع القومية العربية أم بدافع من قيادة حلف بغداد الحامية لاسرائيل ؟.

ورغم كل هذه الحجج والاعتراضات ، أصرت حكومة نوري السعيد على اشراك العراق في الحلف ، مضحية بفكرة الجامعة العربية والتضامن العربي والاجماع العربي(٧٨). ودون أن تعوض عن هذه التضحيات بثمن يدفعه الغرب لمصلحة العروبة المرزوءة في فلسطين . واشتركت مع الولايات المتحدة وبريطانيا وتركيا في الضغط على الاقطار العربية لادخالها كلها أو بعضها فيه(٧٩). وان دخلت كلها تدعم الحلف وتحققت أهدافه . وان دخل البعض منها وامتنع البعض الاخر تحقق هدف الاستعمار في تمزيق التجمع العربي المتمثل في جامعة الدول العربية ، وفي القضاء على فكرة الوحدة العربية لوقت ما .

وقام حلف بغداد ، واشترك العراق فيه وحده من بين الاقطار العربية(٨٠). ثم مات دون أن يحقق غرضه في حصر الشيوعية . بل انه على العكس ساعد على انتشارها في العراق ذاته بصفة خاصة . وذلك لان حكومته ، وفق مخطط لجنة مكافحة التخريب أو المبادىء الهدامة التابعة للحلف ، قد اعتبرت كل الحركات الوطنية ضدها حركات شيوعية . وبذلك وضعت الشيوعية في نظر الجماهير المبغضة للحلف ولحكومتها المشتركة فيه موضع البطولة . ومن لا يريد أن يبدو في نظر الجماهير بطلا ؟ وهكذا فتحت حكومة نوري السعيد بنفسها للشيوعية بابا دخل منه اليها الكثير من الشباب الوطني المخلص ليخرج منه بعد ثورة ١٤ تموز وقد انحرف عن وطنيته وعن النهج السليم المؤدي لخير هذا الوطن .

وكان رد الوعي العربي على فرض الحلف حاسما . فقد اشترك في مؤتمر باندونغ الذي جاءت مقرراته مؤيدة لموقفه في شجب سياسة الاحلاف، والذي اكتسب من ورائه مساندة ٢٩ دولة آسيوية وأفريقية ، تمتد فيما بين طوكيو وبين أكرا ، وتضم نحو ثلثي سكان العالم ، وليس من بينها مستعمر ولا مغتصب . وكلها تدعو الى تقديس ارادة الشعوب وتنادي بسياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز . وقام لتدعيم علاقاته بهذه الدول ، بتبادل البعثات الاقتصادية والثقافية مع كل منها واقامة علاقات دبلوماسية مع البعض الذى لم تكن هذه العلاقات قائمة من قبل بينه وبينها . وكان اشتراك الاقطار العربية في هذا المؤتمر ، رغم ما بذلته الولايات المتحدة وبريطانيا من اغراءات لها ومن تهديد لمنعها من الاشتراك فيه ، احدى التحركات العربية التي أكدت حرص هذه الاقطار العربية على تثبيت استقلالها وعلى اثبات حرية ارادتها في التصرف . ورد في محيط الجامعة العربية بعقد معاهدة للدفاع المشترك بين مصر وسوريا ، ونص فيها على توحيد الجيشين وعلى توحيد قيادتهما . وأعقبها بمعاهدة أخرى مماثلة عقدت في جده اشتركت فيها ومصر والسعودية واليمن . كما رد في المملكة الاردنية باعفاء كلوب قائد الجيش الاردني من منصبه وابعاده خارج الاراضي الاردنية ، وباسقاط حكومة هزاع المجالي واقامة حكومة برئاسة سليمان النابلسى . وبذلك نجح في معركته مع الاستعمار ضد حلف بغداد ، ولم يستطع نوري السعيد رغم استخدامه اسم بغداد العزيز أن يجتذب العواصم العربية اليه .

وكان غضب جماعة الحلف على مصر شديدا . وكان من آثار هذا الغضب قيام اسرائيل بعدوانها المدبر الغادر على قطاع غزة في ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٥٥ . ووقوف دول التصريح الثلاثي ازاءه ساكتة ، بالرغم من أن الاسلحة التي استخدمت في هذا العدوان أسلحة امريكية وبريطانية وفرنسية .

وكان هذا العدوان الذى استنكرت وحشيته دوائر الامم المتحدة بدأ مرحلة بالغة الاهمية في تاريخ الشرق الاوسط(٨١). كانت مصر قبل هذا العدوان منصرفة الى حل مشاكلها الداخلية ولم تعط لحدودها مع اسرائيل اهتماما كبيرا ، ربما لانها لم تكن تريد أن تثير اسرائيل في وقت هي فيه في حاجة الى الاستقرار لتنظيم داخل بيتها من جهة ، ولانها من جهة أخرى لم تستكمل تسلحها العسكري . وفي الواقع أن اعتداءات اسرائيل على حدودها كانت قليلة وبسيطة بالمقارنة بالاعتداءات التي كانت تقوم بها على حدود سوريا أو على حدود الاردن(٨٢). فلما حدث عدوان ٢٨ فبراير ووجدت ان دول التصريح الثلاثي لم تستطع منعه ، كما أنها لم تتخذ اجراءا فعالا لمنع تكرر حدوثه في المستقبل . ووجدت كذلك ، أنه بينما تتزود اسرائيل بالدبابات وبطائرات المستير وغيرها من الاسلحة من فرنسا بموجب المعاهدة العسكرية المعقودة بينهما ، تمتنع بريطانيا والولايات المتحدة عن تزويدها هي بما تحتاج اليه من أسلحة للدفاع الشرعي عن نفسها ، اتجهت الى اتخاذ الخطوات المؤدية الى سد الفراغ في هذه النواحي الثلاث . وكان أولى هذه الخطوات عقد صفقة الاسلحة التشيكية ـ الروسية في ٢٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٥(٨٣).

ومرة أخرى غضبت جماعة الحلف على مصر . لا لانها كسرت حلقة احتكار السلاح ، ولا لانها أخلت بأسطورة توازن القوى بين العرب وبين اسرائيل فحسب(٨٤) ، وانما لانها أيضا تخطت حاجز النطاق الشمالي ومكنت الاتحاد السوفييتي من أن يتخطاه أيضا . وأعلنت بريطانيا في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) أنها أوقفت تصدير باقي صفقة الاسلحة التي كانت مصر قد تعاقدت معها عليها ودفعت لها ثمنها ملايين من الجنيهات . وفي اليوم التالي ، أي في ٩ نوفمبر ، أعلنت الولايات المتحدة أنها رجعت في وعدها لمصر بتزويدها بالسلاح . كما أعلنت أنها ستزود بالسلاح اسرائيل بصورة مباشرة أو غير مباشرة . وفي الوقت نفسه قامت اسرائيل باعتداءاتها المدبرة على الحدود المصرية على نطاق واسع .

وردت مصر أنها عقدت صفقات الاسلحة التشيكية والروسية لادراكها حقيقة نوايا اسرائيل ، ولكي لا تتكرر مأساة فلسطين . وأن على الدول الغربية أن تقتنع بأنها دولة حرة ، وليست تحت الحماية . وأنذرت في ١١ نوفمبر بأن اسرائيل اذا حصلت على أسلحة من الغرب ، فانها والاقطار العربية ستدخل في سباق حقيقي للتسلح في الشرق الاوسط . وأنها باستطاعتها الحصول على المزيد من السلاح من الكتلة الشرقية . كما أنذرت في ١٥ نوفمبر بأنه اذا عجز مجلس الامن عن منع اسرائيل من القيام باعتداءاتها فان القوات العربية المسلحة على نطاق واسع هي التي ستقوم بمنعها .

كان موقف الولايات المتحدة من مصر بعد نجاح ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ موقفا محمودا يبشر بعلاقات طيبة . فقد أبدت عطفها عليها بعض الوقت وأيدتها كما قدمت لها مساعدات . وحمد المصريون لها هذا العطف والتأييد والمساعدة . ولكنها لم تكن ، كما دلت الحوادث فيما بعد ، مخلصة في عطفها وتأييدها(٨٥). اذ كانت تستهدف جذبها ـ لما تتمتع به من مركز مرموق بين الاقطار العربية ـ الى سياستها الرامية الى السيطرة على المشرق العربي ، والى تصفية قضية فلسطين ، والى جعل الشرق الاوسط كله قاعدة لها ولحلفائها في سياستها العدائية ضد الاتحاد السوفييتي . دون اعتبار لما يصيب دول هذا الشرق من حرب مدمرة ، ما دامت ستؤخر امتداد نيرانها الى الاراضي الامريكية .

وكان يمكن للولايات المتحدة أن تستمر محتفظة بصداقة العرب وتقديرهم لها ، لو لم تكن مندفعة في اتجاه سياسي لا يتعارض مع مصلحتهم فحسب ، وانما يصطدم بأعز أمانيهم أيضا . ولو لم يكن منهج تفكيرها يختلف تماما عن منهج تفكيرهم . هم كانوا يريدون التحرر التام من السيطرة الاجنبية بجميع مظاهرها ، وازالة حالة التوتر القائم في الشرق الاوسط ، وتوفير الجو المستقر بين ربوعه بحل قضية فلسطين ، ولو كان على أساس قرار الامم المتحدة الصادر في ١١ ديسمبر (كانون الاول) الخاص بتخيير اللاجئين بين العودة الى دورهم وممتلكاتهم في فلسطين وبين أن يعوضوا عنها(٨٦) ، وتمكينهم من الوقوف موقفا محايدا في الصراع القائم بين الغرب وبين الشرق . ولكنها ، لتعاليها ، لم تستطع أن تفهم القومية العربية وتحترم رغباتها . فنظرت الى العرب من خلال الماضي ، بأعين بريطانيا وفرنسا ، كآلات تحركها ارادتها . ولم تحاول التعمق في نفوسهم التي ملأها الاستعمار القديم بالعذاب والالم وبالخوف والعقد . ولهذا لم تستطع أن تدرك قيمة الحرية والاستقلال عندهم ، ومقدار الثمن الباهظ الذي دفعوه في الحصول عليهما ، ومدى الشك الذى يساورهم نحو أي مشروع يكون لبريطانيا أو لفرنسا أو لها نفسها فيه أصبع . كما أنها لم تستطع ، تحت تأثير سياستها الذاتية ، أن تفهم نوع الاستقرار الذي ينشدونه. هم يريدون الاستقرار بمعناه الحقيقي ، متحررا من الخوف والضغط . الاستقرار الذي يكون نتيجة طبيعية لسيادة السلام والامن والاطمئنان ، حتى تتهيأ لهم فرص استخدام حقوق السيادة التي اكتسبوها في المصلحة الخاصة لبلادهم. أما هي فتفهمه بمعنى آخر . تفهمه بمعنى السكوت والرضاء والخضوع للاوامر ، وعدم الاعتراض على كل ما تقول وتفعل . وتلاشي الارادات أمام ارادتها والمصالح الوطنية والقومية في سبيل مصلحتها . وهم يريدون السلام متحررا من المعاهدات الجائرة ، وهي تريد أن تكبلهم بقيود معاهدات جائرة أخرى . وهم يريدون صداقة جميع شعوب العالم ، عدا اسرائيل ،

وهي تأبى الا جرهم في سياستها المعادية لنحو نصف سكان العالم . وهم يريدون استرداد فلسطين ، وهي تريد حملهم على الصلح مع اسرائيل .

وأدرك الوعي العربي أن الولايات المتحدة التي يرجو منها الخير لاتريد به سوى الشر . وأن أهدافها لا تتفق مع أهدافه . وأنها تريد فرض ارادتها عليه متجاهلة ارادته ، في سبيل تحقيق أهدافها . اذا طلب منها أن تؤيد موقفه ضد اسرائيل تجاهلت طلبه . واذا طلب منها أن تزوده بالسلاح للدفاع عن نفسه ضد اعتداءات اسرائيل سوفت وماطلت أو زودته بالقليل وغالبه من الاسلحة الخفيفة . ومع ذلك فهي تأبى أن تتركه يعيش بسلام . وتريد جره معها في صراع استعماري ضد الاتحاد السوفييتي سيكون الخاسر فيه بلا شك ، ولن يكسب من ورائه شيئا مهما تكن نتيجته . ولهذا عارض سياستها ، وأعلن للعالم عن سياسته التي تتفق مع مصالحه وهي سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز .

وكانت هذه المعارضة وهذا الاعلان مثار الحرب باردة شنتها الولايات المتحدة وجماعتها ضد الاقطار العربية المتحررة . استخدم فيها وسائل الاغراء . كما استخدمت وسائل الضغط السياسي والاقتصادي والتحرش العسكرى والتآمر من الخارج ومن الداخل ونحو ذلك من وسائل العدوان التي يمكن لاية دولة كبيرة ، أو أكثر ، معتدية ومغرورة أن تتبعها ضد دول صغيرة ترفض الاذعان لارادتها(٨٧).

وكانما كان الدولار الامريكي ، من بين الوسائل التي اتبعت ، لعنة أصابت الامة العربية . فقد تخاذلت أمام اغرائه بعض الحكومات . وقامت تنصب نفسها لخدمة مصالح الاستعمار وحلف بغداد ، وتكاد أن تمسك بخناق البعض الآخر . وظهرت طبقة الاجراء والانتهازيين ممن فسدت نفوسهم تدس وتثير الشكوك بأقلامها وبأحاديثها . ومع ذلك فان أية واحدة من تلك الحكومات المتخاذلة لم تستطع أن تقف في وجه التيار العربي الذي كان يهدر في القاهرة ودمشق وبيروت وعمان والرياض وصنعاء بل في بغداد نفسها .

أما الحكومات التي لم تتخاذل فقد قاومت كل الضغوط والتيارات المعاكسة بالسلاح الوحيد الذي يفل جميع الاسلحة المعادية ، وهو سلاح القومية العربية . وباستخدام كل أجهزة اعلامها في تقوية الوعي العربي النامي وفي تنبيهه الى الاخطار التي تحدق به من اتباع سياسة الاحلاف التي يريد الاستعمار جره اليها ، وفي تعريفه بالمنافع التي تعود عليه من اتباع سياسة الحياد . وتحت ضغط هذا الوعي لم تستطع أي من الحكومات المتخاذلة أن تعلن عن قبولها الانضمام الى حلف بغداد .

واستطاع الوعي العربي أن يكتشف حقيقة الاستعمار وما يبيته له من نوايا غادرة عندما قامت اسرائيل بعدوانها المدبر على قطاع غزة في ٢٨ فبراير

(شباط) ١٩٥٥ . فقد استطاع ان يكتشف ، بمراعاة الوقت والملابسات ، علاقة بين هذا الاعتداء وبين موقف مصر القيادي في معارضة حلف بغداد . وان يدرك أن دول الاستعمار من ورائه . وأن ما تبديه هذه الدول من حرص على أستقرار الحالة فى الشرق الاوسط ، انما هو خداع لفظي وتمويه وانه يختلف عن مفهوم الاستقرار الذي ينشده الشعب العربي . فالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا هي دول التصريح الثلاثي . وهي في الوقت نفسه الدول التي اشتركت في خلق اسرائيل وفي فرض وجودها . كما أنها هي التي تزودها بقوة المال وبقوة السلاح . ولو أنها قصدت الاستقرار بمعناه الصحيح لضغطت على اسرائيل وفرضت عليها ألا تستخدم السلاح ضد العرب ، ولقامت في الحال ضدها « باتخاذ التدابير اللازمة داخل منظمة الامم المتحدة وخارجها » كنص التصريح الثلاثي . كما أن العقل لا يستطيع أن يصدق أن اسرائيل ربيبة بريطانيا والولايات المتحدة تخرج على ارادتهما ، وتفعل ما هو ضد رغبتهما .

كما اكتشف نواياه ضد القومية العربية بعد أن عقدت مصر صفقة الاسلحة. فقد ثار وهدد لان مصر قد أخلت بالتوازن الدولى في المنطقة . وما يكون هذا التوازن في اعتباره الا اذا كانت قوة اسرائيل وحدها أكبر من قوى الاقطار العربية مجتمعة . وبعبارة أخرى أن تكون اسرائيل قوية لتعتدي ، وتكون الاقطار العربية ضعيفة حتى تشكو . وبقاء الاقطار العربية ضعيفة عنصر أساسي في سياسته(٨٨). لان الضعيف يراعي دائما ارادة من هو أقوى منه ، أما القوي فيراعي ارادته الخاصة أولا . واذا قويت مصر وتلتها الاقطار العربية الاخرى انهدم ركنان من سياسة الاستعمار نحو العالم العربي. أحدهما الركن الخاص ببقاء اسرائيل شوكة في جنب هذا العالم. أما الركن الآخر فهو بقاء العرب شاعرين بحاجتهم الى رضاه حتى يزودهم بالسلاح أو حتى يوقف عنهم عدوان اسرائيل . وبعبارة أخرى حتى يبقى العرب بحاجة اليه(٨٩).

واكتشفها في مؤامرة الانسحاب اللادبلوماسي من الاشتراك في تمويل السد العالي ، في ١٩ يوليو (تموز) ١٩٥٦(٩٠) ، على أثر اجتماع القادة الثلاثة لسياسة الحياد، عبدالناصر وتيتو ونهرو في بريوني بيوغوسلافيا(٩١).

واكتشفها كذلك في نفس شهر يوليو ، في مساء ٢٦ منه ، عندما قامت مصر بتأميم شركة قناة السويس(٩٢). فقد وجده يثور مرغيا مزبدا مفتعلا ضجة كبرى . لماذا ؟٠٠! هل هي شركة أمريكية أو انكليزية أو فرنسية !؟ وهل خرقت مصر بتأميمها قانونا دوليا ؟. انه يعرف ، كما يعرف كل العالم ، وكما تنص الاتفاقيات الدولية الخاصة بها انها شركة مصرية مساهمة تخضع للقوانين المصرية(٩٣) ، ولا فرق في ذلك بينها وبين أية شركة مصرية أخرى . كما يعرف أيضا ويعترف بحق مصر في تأميمها(٩٤) .

وهو لم يحاجج في هذا الحق ، ولكنه طالب بأن لا تكون ادارة القناة في يد مصر وحدها ، وأن تكون ادارتها دولية • وهو طلب تعسفي • لان مصر لم تؤمم الشركة الا لانها اعتبرتها مرفقا من المرافق ذات الاهمية الحيوية التي يجب أن تكون تحت اشرافها حتى توجهها التوجيه الذي يتمشى مع اقتصادها الوطني • كما أنها كمشروع تجارى يدر ربحا فأن من مصلحة مصر الحيوية ، قبل غيرها ، أن تنميه • ومع ذلك ، فأن مصر ، تدليلا منها على حسن نيتها وحتى تفوت على الاستعمار نواياه العدوانية ، أعلنت عن استعدادها للقيام مع حكومات الدول الموقعة على اتفاقية القسطنطينية في ١٨٨٨[٩٥] بالعمل على عقد مؤتمر يضمها كما يضم حكومات الدول الاخرى التي تمر سفنها بقناة السويس ، لغرض اعادة النظر فى هذه الاتفاقية وللبحث في عقد اتفاقية اخرى بين تلك الحكومات جميعها تؤكد من جديد حرية الملاحة فى قناة السويس وتضمنها • وضمان حرية الملاحة هو الشيء الوحيد الذى تلتزم به مصر تجاه العالم فى جميع الاتفاقيات التى ورد فيها ذكر قناة السويس[٩٦] • ولكنه ، أى الاستعمار ، أبى الا أن تقبل مصر مبدأ التدويل مدعيا أن مصر تعجز عن ادارة القناة ، كما تعجز عن المحافظة على حيادها[٩٧]• واندفع الى عقد مشاورات مختلفة واجتماعات ومؤتمرات والى اتخاذ اجراءات وقرارات • وكان من أوائل الاجراءات التى اتخذت الضغط الاقتصادى • فأعلنت بريطانيا وفرنسا تجميد أموال الشركة المؤممة • كما اعلنت الحكومة البريطانية أيضا تجميد الارصدة الاسترلينية التى لمصر على انجلترا ، وتبلغ نحو ١٢٠ مليونا من الجنيهات، ووضع جميع رؤوس الاموال المصرية الخاص منها والعام الموضوعة فى المصارف البريطانية تحت الرقابة[٩٨] • وكذلك أعلنت الحكومة الامريكية تجميدها للارصدة المصرية فى المصارف الامريكية وتبلغ نحو ٦٠ مليونا من الدولارات ، وايقاف تنفيذ كل العقود المصرية مع الشركات الامريكية[٩٩] • وذلك بالاضافة الى تجميدها أرصدة الشركة المؤممة • ورد الشعب العربى فى مصر على هذا الاجراء بالتقشف • وردت عليه بعض الحكومات العربية الشقيقة وبعض الحكومات الاخرى الصديقة بتقديم قروض ومساعدات تجارية لتخفيف آثاره[١٠٠] • وقامت الحكومتان البريطانية والفرنسية باصدار بيان مشترك مملوء بالمغالطات حول مسألة القناة • وردت عليهما مصر ببيان مقابل فندت فيه هذه المغالطات • وقامتا أيضا بالتهديد باستعمال القوة وبارسال قوات عسكرية الى قبرص[١٠١] وبعض قطع حربية بحرية قريبا من القناة، ودعوة رعاياهما الى مغادرة مصر• كما قامتا ، فى الوقت الذى قامت فيه الشركة المنحلة بالاشتراك معهما باغراء المرشدين الاجانب والفنيين لكى يتركوا عملهم فى القناة ، بالدعاية لمشروع اسمته (جمعية المنتفعين بالقناة) ، تتولى الاشراف على قناة السويس واستخدام المرشدين مع اعطاء مصر نصيبا من الربح[١٠٢]•

وجرى كل ذلك ، فى لندن ، فى جو سادته مظاهرات موءتمرات لندن المعروفة والتى رافقتها أقلام كثيرة مأجورة(١٠٣) وفى هذه الموءتمرات التى حرص الاستعمار على أن تكون أغلبية اعضائها من موءيديه(١٠٤) ، عرض مستر دالس اقتراحا بوضع القناة تحت اشراف دولى • ووافق الموءتمر عليه بأغلبية ١٧ صوتا(١٠٥) • ووافق ايضا على اقتراحه بأن يقوم مستر منزيس رئيس وزراء استراليا بالسفر الى مصر على رأس بعثة وابلاغ الرئيس جمال بالقرار(١٠٦) • كما وافق على الشرط الذي تقدمت به بريطانيا وفرنسا ، وهو أن تقتصر مهمة اللجنة على ابلاغ القرار كقرار ، وليس كمقترح تقوم عليه مفاوضة(١٠٧).

وصمد الشعب العربى فى مصر وضبط اعصابه أمام التهديدات والانفعالات والاتهامات • وذلك لكى لا يمكن الدول الغربية من حجة تتذرع بها للاعتداء عليه • وردت مصر على التهديد بالحرب باعداد ابنائها لحرب شاملة(١٠٨) ، وباعلانها عن استعدادها لصد أى عدوان خارجى ، وبالكشف للعالم عن شبكة الجاسوسية البريطانية التي كانت تعمل لحساب بريطانيا • وردت سوريا باعلان التعبئة العامة • ورد الشعب العربى فى كل مكان بالتظاهر وباعلان الاضراب العام(١٠٩) وبطلب الانضمام الى جيش التحرير(١١٠) • وردت على بعثة الرئيس الاسترالى باصرارها على التمسك بسيادتها على القناة وبرفضها مبدأ الاشراف الدولى ، لانه يتعارض مع سيادتها الاقليمية ويفرض نوعا من الحماية أو الوصاية على جزء من أرضها بصورة دائمية(١١١)• وردت على مشروع جمعية المنتفعين بالرفض ، وباعلان قدرتها على ادارة القناة على أحسن وجه • وردت على موءامرة الشركة المنحلة، باعلانها عن طلب مرشدين من كافة انحاء العالم ، وبنجاحها الباهر فى تسيير حركة الملاحة فى القناة(١١٢) • ورد الوطن العربى كله من المحيط الى المحيط بوقوفه صفا واحدا وراءها • وردد العالم صفيره للذين حاولوا تعطيل سير مصالحهم فى القناة ، بينما ردد هتافه لمصر التى تبذل كل ما فى وسعها لتظل القناة مفتوحة •

وأمام صمود مصر واصرارها على التمسك بحقها ، وأمام وقوف الصف العربى ، شعبا وحكومات ، وراءها دفاعا عن هذا الحق ، وأمام تأييد الشعوب الحرة فى العالم لها فى قضيتها العادلة ، وأمام القمة العالية التى ارتفع اليها الرئيس جمال فى طول الوطن العربى وعرضه ، ذهل الاستعمار وأخذ يتخبط فى ادعاءاته وفى خططه وفى اجراءاته ، يغير منها اليوم أو يعدل ما اتخذه بالامس(١١٣).

وأخيرا ، فى ٢٦ سبتمبر (أيلول) رفعت القضية أمام مجلس الامن • وتحدث مستر سلوين لويد مندوب بريطانيا ومسيو بينو مندوب فرنسا وشرحا وجهة نظر حكومتيهما • كما تحدث الدكتور محمود فوزى مندوب

مصر وشرح وجهة نظر حكومته . واتخذ المجلس قرارا باجراء مفاوضات مباشرة بين المندوبين الثلاثة بحضور مستر همرشولد . وعقد أول اجتماع فى ٩ اكتوبر فى نيويورك . وانتهت الاجتماعات بالاتفاق على المبادىء الست التالية . ١ ـ احترام سيادة مصر على القناة . ٢ ـ ومبدأ حرية الملاحة فيها ، ٣ ـ وضرورة تجنيبها الاضطرابات السياسية ، ٤ ـ وتسوية رسوم القناة بين مصر وبين المنتفعين بالقناة بالاتفاق ، ٥ ـ وتخصيص مبلغ من هذه الرسوم لاصلاح القناة وتحسينها ، ٦ ـ وقبول مبدأ التحكيم فى كل الخلافات(١١٤) . وتثبيتا لهذه المبادىء فى اتفاقية رسمية ، اقترح الدكتور فوزى عقد اجتماع آخر يعقد فى جنيف بسويسرا . وترك للممثلين الانجليزى والفرنسى تحديد الوقت المناسب لهما . وبينما كان العالم يعتقد أن ازمة قناة السويس التى وصلت الى حافة الحرب قد حلت ، كانت بريطانيا وفرنسا قد بيتتا نيتهما على العدوان(١١٥) .

وفى الواقع ان الاستعمار كان يدرك أن ادعاءاته لا سند لها . وكان يدرك أن مصالحه فى القناة ومصالح غيره من الدول لن تتعرض لاى ضرر وهى فى يد مصر . كما كان يدرك أنه لا توجد قوة أخرى تستطيع صيانة هذه المصالح ويهمها أن تكون مصونة فى الوقت نفسه غير قوة مصر . ولكنه كان من جهة أخرى يدرك مدى الخسائر السياسية والمادية والمعنوية التى تلحق به من جراء تحرير هذا الممر المائى العظيم من قبضته(١١٦) . وكان يهدف من وراء موقفه المعادى الى أهداف كثيرة ، منها ، ١ ـ حرمان من مصر من نصر كبير آخر بعد انتصارها عليه فى معركة حلف بغداد وفى معركة احتكار السلاح . ٢ ـ تثبيط عزائم العناصر الوطنية فى الاقطار العربية الاخرى وفى غيرها ، والتى قد يشجعها نجاح مصر فى تأميم شركة قناة السويس على القيام بالمطالبة بتأميم شركات البترول وغيرها من الشركات الاستغلالية العاملة فى بلادها . ٣ ـ تهيئة مبرر للاعتداء على مصر(١١٧) والتخلص من العهد الثورى القائم فيها ، تمهيدا للعودة بالمشرق العربى الى ما كان عليه قبل ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ . ٤ ـ وربما لتهيئة الفرصة لمساومتها على موقفها المعادى لسياسته .

وفشلت ضجة الاستعمار ، كما فشلت وسائله الارهابية أمام سلامة موقف مصر وصمودها وضبط أعصابها . وأمام عطف الضمير العالمى وتأييده . وأمام المساعدات المالية والاقتصادية التى قدمتها دول عربية شقيقة ودول أخرى صديقة . وأمام قوة القومية العربية(١١٨) . وكان موقفها رائعا فى العراق وفى ليبيا وقد أصاب الاستعمار بصدمة قوية . فقد أثبتت له فى العراق ، يوم وقف بجانب مصر حكومة وشعبا ، أن روابطها فوق كل خلاف في الرأى بين الحكومات ، وأقوى من الروابط التي تربط حكومة العراق بحلف بغداد وبالاتفاق الخاص . كما اثبتت له مثل ذلك فى

ليبيا يوم أعلنت ، بلسان الحكومة ، أنها لن تسمح باستخدام القواعد العسكرية الاجنبية فى أراضيها للعدوان على مصر(١١٩) .

فشل الاستعمار فى معركة التأميم ، كما فشل من قبل فى معركة احتكار السلاح ، وفى معركة حلف بغداد ، وفى كل المعارك التى خاضها ضد القومية العربية . واضطرت سفنه ، وفى مقدمتها السفن الامريكية الى دفع رسوم المرور فى القناة للادارة المصرية(١٢٠) .

ومن جهة أخرى ، أدى نجاح قيادة مصر فى هذه المعارك وصمودها أمام كل الضغوط الشديدة التى وجهت اليها ، وفى تكوين رأى عالمى واسع يؤيدها ، الى تدعيم مركزها القيادى بين الاقطار العربية ، والى زيادة تأثيرها في الوعى العربي . كما أدى الى تعزيز دعوتها الى الحياد . وكذلك أدى فى الوقت نفسه الى اضعاف مركز الاستعمار . وبفعل ذلك كله ، أصبح موقف الاستعمار منها يشبه بدرجة كبيرة موقفه من الاتحاد السوفييتى بعد فشل سياسته فى كوريا وفى الصين وفى الهند الصينية ونجاح الحركات الشعبية فى هذه الاقطار .

وازاء ذلك كله ، كان لابد لمرجل غيظه أن ينفجر ويأخذ شكلا مدمرا . اذ كيف تجرؤ مصر ، وهو سيدها القديم ، على أن تخرج عن ارادته ، فتنتهج لنفسها سياسة محايدة . وتشهر بسياسته وتعارضها وتدعو غيرها الى معارضتها أيضا . وكيف لها أن تتحداه وتشترى السلاح من الكتلة الشرقية ، وتمد بذلك جسرا ليعبره وراءها من يريد من الدول العربية الاخرى شراءه من هذه الكتلة(١٢١) ، وتقضى بذلك على الايهام الذى كان قد ملأ به أذهان ساسة العرب من أنه وحده ، ولا أحد غيره ، يملك الحق فى تزويدهم بالسلاح . واذا اشترى العرب السلاح من غيره فكيف يجد مبررات لارسال بعثاته العسكرية الى بلادهم ، أو لدعوتهم الى عقد محالفات أو احلاف للدفاع المشترك . وكيف يمكن التهاون مع مصر بعد أن قامت بتأميم شركة قناة السويس وقضت بذلك على آخر أمل بقى عنده فى اعادة نفوذه القديم اليها . ألم يقل الضالعون فى الاستعمار منهم من قبل ان القناة مفتاح مصر ومن يملكها يملك مصر فى الوقت نفسه . ثم ماذا عن ملايين الجنيهات التى ستدخل خزينتها سنويا بمختلف العملات . ألا تساعدها فى تخفيف ضغطه الاقتصادى عليها ؟ وقد تجعل هذا الضغط عبثا . أو ليست ستستخدم فى تقوية الجيش المصرى وفى بناء السد العالى وفى توليد الكهرباء وفى التوسع والتطور زراعيا وصناعيا ؟ وبعبارة أخرى، أليست ستستخدم فى تدعيم مركز عبدالناصر وتعزيزه ، لا فى مصر وحدها ، وانما فى الاقطار العربية أيضا ، وفى كثير من أقطار العالم التى تسعى الى استكمال حريتها وسيادتها ؟

ووصل الاستعمار من تسلسل تفكيره ، حتى بعد عرض القضية على

مجلس الامن والموافقة على المبادىء الست المشار اليها ، الى أن وسائل الحرب الباردة لا جدوى منها مع مصر • وأنه لابد من المغامرة بحرب حارة معها ، على ألا تكون نتائجها أقل من الاطاحة بعبدالناصر وعهد عبدالناصر واعادة مصر الى ما كانت عليه قبل ثورة ٢٣ يوليو ، واعادته هو نفسه الى مركزه السابق فى قاعدة السويس(١٢٢) • والا فقد كل شيء ، لا من مصر وحدها ، وانما فى الاقطار العربية الاخرى ، وربما فى أماكن أخرى من العالم •

وضمانا للوصول الى هذه الغاية الحاسمة ترددت بريطانيا فى أن تغامر وحدها • كما ترددت فرنسا • ثم اتفقتا على أن تشتركا معا فى المغامرة(١٢٣) • وأن تضما اليهما اسرائيل التى لا تقل عنهما رغبة فى تحقيق تلك النتائج • ثلاث دول ، منها دولتان كبيرتان ، جمع الحقد الاعمى بين قلوبها على الوعى العربى المتزايد فدبرت فى الظلام على مصر حربا حمقاء خاطفة تستهدف القضاء على هذا الوعى من أساسه(١٢٤) •

وقبل أن يقوم الاستعمار بمغامرته فى مصر ، بدا شائها أمام العالم فى المغرب العربى • يوم قامت فرنسا باختطاف خمسة من زعماء جبهة التحرير الوطني الجزائرية • لم تنتصر عليهم في حرب فأخذتهم أسرى • ولم تأخذهم بوسيلة ما من الوسائل الاخرى التى يمكن للضمير العالمى أن يلتمس لها بعض العذر فيها • وانما اختطفتهم خطفا بطريقة يستنكرها هذا الضمير فى العالم كله • اختطفتهم غدرا بالخداع والخيانة(١٢٥) • ولم يكن غدرها بهم وحدهم أى بالجزائر وحدها وانما كان بالمغرب (مراكش) وبتونس ، حكومة وشعبا • ولم تقتصر آثار ذلك على اشعال نار القومية العربية فى المغرب العربى كله بالاضافة الى اشتعالها فى المشرق العربى ، وانما أحدثت أيضا بعض التصدع فى المعسكر الغربى • فالولايات المتحدة قد ترى أحيانا أن من مصلحتها السياسية الخاصة أن تجد حليفتيها ، بريطانيا وفرنسا ، واقعتين فى بعض المشاكل مع العالم العربى حتى تتدخل هى فى الوقت المناسب لحلها • فتضعف غرورهما وتدعم زعامتها عليهما من جهة ، وتكسب من جهة أخرى ثقة العالم العربى وصداقته(١٢٦) • ومع ذلك فانه ليس من مصلحتها أن تنحط احدى حليفتيها الى درك الاختطاف • وعلى الاخص لانه قد أشعل نارا فى المغرب العربى قد يمتد لهيبها هائجا ويحرق كل خيوط سياستها التى تعمل على مدها فى المشرق العربى • وربما لم يكن ما فعلته فرنسا مرضيا أيضا لبريطانيا • لانه ، بالرغم من أمر السياسة الحمقاء التى اتبعتها فيما بعد حكومة ايدن ، لم يكن من مصلحتها أن تزيد فى نار القومية العربية اشتعالا ، وأن تثير معها فى نفوس شعوب العالم مشاعر الاحساس بالظلم تجاه موقفها من مصر فى مسألة قناة السويس • ولكنه تخبط فى السياسة وحمق • فبدلا من اخماد النار

زادتها اشتعالا بالعدوان المسلح على مصر ٠

ففى يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٦ أعلنت اسرائيل أن قواتها المسلحة قد بدأت فى غزو الاراضى المصرية(١٢٧) ٠ وبعد أربع وعشرين ساعة من عدوان اسرائيل وجهت الحكومتان البريطانية والفرنسية انذارا مشتركا الى كل من مصر واسرائيل مدته ١٢ ساعة ٠ طلبتا فيه من اسرائيل ان لا تقترب قواتها من القناة ، وان تقف على مسافة عشرة أميال منها ٠ وطلبتا من مصر أن تسحب قواتها بعيدا عن القناة بمثل المسافة ٠ كما طلبتا منها أيضا أن تسمح للقوات البريطانية والفرنسية باحتلال منطقة القناة ، بمدنها الثلاث ، بورسعيد والاسماعيلية والسويس ٠ ونص الانذار على أنه اذا لم توافق الحكومة المصرية على هذا الاحتلال حتى الساعة الواحدة والنصف من صباح ٣١ اكتوبر فان القوات البريطانية والفرنسية ستتدخلان بالقوة التى تريانها ضرورية لتحقيق ذلك(١٢٨).

ورفضت مصر الانذار ٠ وأبلغت رفضها الى السفارتين البريطانية والفرنسية فى القاهرة فى الساعة العاشرة من مساء يوم ٣٠ ٠ واعتبرته اعتداءا على حقوقها وسيادتها وامتهانا صارخا لميثاق الامم المتحدة ٠ وأكدت بأنها ستدافع عن سيادتها وعن حقوقها ٠ وقامت فى نفس الوقت بطلب اجتماع مجلس الامن فورا للنظر فى العدوان الذى هددت به بريطانيا وفرنسا ، مع احتفاظها بحقها فى الدفاع عن نفسها ضد العدوان البريطانى ـ الفرنسى المنتظر ٠

واجتمع مجلس الامن فى نفس اليوم الذى طلبت مصر فيه عقداجتماعه لبحث العدوان الاسرائيلى ٠ وأصدر قرارا بوقف القتال ، بناء على طلب الولايات المتحدة(١٢٩) ٠ ولكن مندوبى بريطانيا وفرنسا استخدما ضده حق الفيتو ، معلنين بذلك عن موافقة حكومتيهما على ما تقوم به اسرائيل من عدوان ٠

وفى نفس الوقت الذى كان فيه مجلس الامن مجتمعا وفى الوقت الذى كانت فيه القوات المصرية تتقدم الى سيناء لرد العدوان الاسرائيلى ، قامت الطائرات البريطانية والفرنسية بالقاء أطنان من القنابل على المدن المصرية ، القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس والاسماعيلية ، وعلى المطارات العسكرية والمدنية ، دون استثناء ٠ وأعلنت وزارتا الدفاع فى بريطانيا وفرنسا بأن العمليات الحربية ضد مصر قد بدأت من الجو ومن البحر تحت قيادة الجنرال كيتلى(١٣٠).

وكشف بذلك الرأى العام العالمى حقيقة المؤامرة ٠ واتضح له جسامة العدوان البريطانى ـ الفرنسى ـ الاسرائيلى على مصر وشعبها المكافح(١٣١). وقام يطالب أن تعقد الجمعية العامة للامم المتحدة دورة غير عادية ٠ واجتمعت الجمعية فى ٢ نوفمبر (تشرين الثانى) وأصدرت بأغلبية ٦٤ صوتا

(٢) قناة السويس

ضد خمسة اصوات(١٣٢) قرارا يقضى بوقف اطلاق النار فورا وانسحاب القوات المعتدية . كما اجتمعت مرات أخرى فى ٤ ، ٥ ، ٧ نوفمبروأصدرت قرارات مماثلة ، ولكن دول العدوان الثلاث تحدث ارادة دول العالم ، ومن بينها الولايات المتحدة ، واستمرت فى عدوانها تضرب المدن المصرية بالقنابل .

وفى يوم ٢ نوفمبر قامت بريطانيا وفرنسا بغزو منطقة القناة من الجو ومن البحر . وفى بادىء الامر ركزتا الهجوم على بورسعكد وعلى السويس معا . ولما شعرتا بقوة المقاومة وفشلت محاولة غزو مدينة السويس من البحر(١٣٣) تخلتا عن فكرة غزو المدينتين صفقة واحدة ، وركزتا هجومهما على بورسعيد وحدها . ووجهتا اليها من الجو ومن البحر ، من قاذفات القنابل ومن مدافع الاسطولين ، قصفا متواصلا . ولقد بلغ عدد الغارات التى قامت بها الطائرات البريطانية والفرنسية فى ليلة ٥ نوفمبر وحدها، وهى الليلة السابقة على عملية الغزو ، ٤٧٣ غارة ، كما ورد فى نص البيان الذى أذاعته القيادة البريطانية ـ الفرنسية المشتركة(١٣٤).

ولقد أحدث القصف الذى استمر متصلا عدة أيام خسائر جسيمة فى الانفس وفى الاموال ، وهدم البيوت على العجزة الذين لم يستطيعوا حمل السلاح من المرضى والنساء والاطفال . كما أشعل الحرائق فى كل مكان. ولكنه مع ذلك قد عجز عن أن يضعف معنوية الابطال الذين قاوموا الغزاة من بيت لبيت ومن شبر لشبر(١٣٥) .

وبورسعيد ليست مدينة كبيرة . وانما هى مدينة صغيرة ، يبلغ عدد سكانها نحو ٢٥٠ر٠٠٠ نسمة . كما أنها لم تكن معدة بوسائل دفاع خاصة أقوى من غيرها . لان أحدا ما كان يتوقع أن تقامر بريطانيا وفرنسا بمصالحهما الكثيرة والكبيرة فى مصر وغيرها من الاقطار العربية فتغامرا بحرب حقيقية ، أو كان يتنبأ بأن العدو سيركز هجومه عليها بالذات . وفضلا عن ذلك ، لم تكن هناك فرصة لتزويدها بدفاع خاص . ومع ذلك بقيت المدينة الصغيرة تدافع عن نفسها ببسالة وتضرب للعدو مثلا حيا لما سوف يلقاه فى كل مكان آخر من أرض مصر حتى جلا آخر جندى من جنوده عنها عنها فى ٢٣ ديسمبر (كانون الاول).

وفشل الاستعمار فى معركة الحرب الحارة مع القومية العربية ، كما فشل من قبل فى كل معارك الحرب الباردة التى شنها ضدها ، دون أن يحقق من ورائها هدفا واحدا من أهدافه . بل انه قد خسر من ورائها الكثير(١٣٦). وفى الواقع ان معركة السويس تعتبر نقطة تحول ، لا فى تاريخ العرب وحدهم ، ولا فى تاريخ الاستعمار العالمى وحده ، وانما فى تاريخ كل شعوب الارض المغلوبة على أمرها .

وقد فشل لانه وجد أن حربه الارهابية لم توهن عزيمة الشعب العربى

فى مصر ولم تحدث فى صفوفه فرقة ، وبقى عبدالناصر يدير المعركة ضده ، والشعب كله ملتف حوله متماسك العرى قوى الاواصر ، لا خائن بين صفوفه ولا متردد(١٣٧) . ولانه واجه فى مدينة مصرية صغيرة رجالا ونساءا وأطفالا يقاومونه بصرار أكيد على دفعه ، ولو خضب كل شبر من أرضها بدمائهم . ولانه واجه القومية العربية فى كل مكان من الوطن العربى تقف من وراء مصر تسندها وتبذل كل ما فى استطاعتها من جهود لنصرتها وتقوية كفاحها . واجهها فى يوم ٢ نوفمبر (تشرين الثانى) يوم خربت خط أنابيب زيت البترول العراقى ومحطاته فى أرض سوريا ، ويوم وقفت اذاعة بغداد وصحافة بغداد فى عهد نورى السعيد توءازر مصر(١٣٨) . ويوم تقدم آلاف من شباب العراق للتطوع مع اخوتهم شباب مصر . ويوم قام الوعى العربى فى الكويت والبحرين وغيرها من امارات الخليج بالتظاهر ضده . ويوم هددت كل اقطار الجامعة العربية بفرض عقوبات اقتصادية على بريطانيا وفرنسا وبقطع علاقاتها الدبلوماسية معهما اذا لم تنسحب القوات المعتدية من أرض مصر(١٣٩) ويوم قررت هذه الاقطار أنها لن تقوم باصلاح خط الانابيب فى سوريا ولا بتطهير قناة السويس للملاحة الا بعد أن يتم الجلاء. وكان قطع البترول فى حد ذاته دليلا على أن القومية العربية قد تطورت الى عمل . كما أن الاقدام على هذا القطع مع ما يترتب عليه من خسائر مادية دليل آخر على أنها أضحت مستعدة لمواجهة كل احتمال . ومن وراء صف القومية العربية ، واجه الاستعمار صفوف الضمير العالمي تستنكر بغيه وتندد به فى داخل الامم المتحدة وخارجها ، بينما تبدى عطفها على مصر وتاييدها وتعرض عليها ارسال آلاف المتطوعين من أبنائها . وكذلك ، لان الاتحاد السوفيتى قد هدده بصواريخه(١٤٠) .

وخرج الاستعمار البريطانى ـ الفرنسى من بورسعيد ، كما خرجت اسرائيل من سيناء ومن قطاع غزة بلا قيد أو شرط ، وبعد أن فقد كل مصالحه فى مصر . ورجع الى قواعده خائبا ، تسمه شعوب العالم المحبة للسلام بالبغى والعدوان(١٤١) كما تسمه بالضعف أمام تهديد الاتحاد السوفيتي(١٤٢) . كما خرج والولايات المتحدة ، حليفته ناقمة عليه . وليس السبب فى ذلك أنه اعتدى على مصر ، وانما ١ ـ لانه فشل فى عدوانه . فان الولايات المتحدة لم تكن أقل منه رغبة فى الاطاحة بعبدالناصر وعهد عبدالناصر . اذ هى تشاركه الاعتقاد فى أن تحقيق الاهداف الاستعمارية المشتركة فى المشرق العربى لن يكون الا بالقضاء على الحكم القائم فى مصر. ولكنها كانت تريد ، أن يحدث العدوان بعد تكتيك مدبر يضمن له النجاح. كانت تريد أن يحدث الاعتداء بعد أن تنضج الحركة المدبرة فى المجر . وبعد افتعال ضجة كبرى حولها تستحوذ على اهتمام الرأى العالمى وتضع الاتحاد السوفيتى موضع المتهم بالاعتداء على حرية الشعب المجرى . وبذلك تتوفر

الفرصة لاضعاف اهتمام الرأى العام بقضية ضرب مصر من جهة ،ولاضعاف موقف الاتحاد السوفيتى فى الدفاع عن هذه القضية من جهة أخرى ·ولكن دول العدوان الثلاثى قد أضاعت عليها فرصة تحقيق الغرضين بتسرعهما فى العدوان(١٤٣) · ٢ ــ لان هذا العدوان قد دعم مركز الاتحاد السوفيتى فى منطقة الشرق الاوسط ·

وبعد أن انسحبت دول العدوان ، اتضحت فى منطقة الشرق الاوسط الظاهرات التالية ·

١ ــ أن مصر ، لفترة من الزمن ، فى مأمن من أن توءخذ من الخارج أو من الداخل · فهى فى الخارج تتمتع بعطف وصداقة الكثير من شعوب العالم وحكوماته ، بالاضافة الى مساندة القومية العربية وموءازرتها · وهى فى الداخل وحدة متماسكة · وقد برهن على ذلك ، فى أثناء العدوان ، يوم كان السلاح مبذولا ، يعطى لكل من يطلبه ، والفرصة مهيأة لمن يريد الطعن من الخلف(١٤٤) ·

٢ ــ أن العرب يملكون فى أيديهم قوتين هائلتين ، هما زيت البترول وقناة السويس ، وفى امكانهم ، عند الضرورة ، استخدامهما ضد الغرب والحاق أضرار جسيمة به ·

٣ ــ أن الاخاء العربى والوعى العربى حقيقتان قائمتان فعلا ·

٤ ــ أن رابطة الاخاء العربى ، وان بدت سليمة بصفة عامة ، فانه يوجد مع ذلك منحرفون · وهوءلاء المنحرفون يمثلون البوءرة التى يمكن أن تتوالد فيها الاخطار على العرب فى المستقبل ·

٥ ــ أن مصر وسوريا وباقى الاقطار العربية ، عدا العراق ، تعتنق سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز · وقد برهنت مصر على تمسكها بهذه السياسة فى سبيل الحرص على السلام العالمى عندما امتنعت ، وهى فى أقسى الظروف ، عن قبول المتطوعين من دول الكتلة الشرقية ·

٦ ــ أن قيام علاقات صداقة ومصالح متبادلة بين مصر وسوريا من جهة وبين الاتحاد السوفيتى من جهة أخرى ، حقيقة قائمة ·

٧ ــ أن تشابه دعوة موءتمر باندونغ الى السلم العالمى مع دعوة الاتحاد السوفيتى الى التعايش السلمى قد دعم الجبهة المعارضة لسياسة الغرب العدوانية ·

٨ ــ أن تدخل الاتحاد السوفيتى فى السياسات العالمية المتعلقة بالشرق الاوسط لا يعد تطفلا منه · أ ــ لانه بجمهورياته الثلاث ، أرمينيا واذربيجان وجورجيا ، يكون جزءا منه · ب ــ لانه يشترك مع الشرق الاوسط فى خط حدود طويل · جـ ــ ولان حلف بغداد موجه ضده يهدد أمنه وسلامته · د ــ لانه يتفق مع غالبية أقطار هذا الشرق فى الدعوة الى التعايش السلمى بين الامم ونبذ سياسة الاحلاف العسكرية ــ العدوانية · وقد اصبح هذا

التدخل حقيقة واقعة بعد الانذار الذى وجهه الى الحكومة البريطانية أثناء العدوان الثلاثى على بورسعيد ٠

٩ ـ أن الاستعمار البريطانى قد خرج نهائيا ، كما خرج من قبل الاستعمار الفرنسى ، ولم يعد لاى منهما وجود فى مصر وسوريا ولبنان والمملكة الاردنية ٠

١٠ ـ أن الاستعمار البريطانى لا يزال مرتبطا بالعراق عن طريق الاتفاق الخاص وعن طريق حلف بغداد ٠ كما أنه لا يزال قائما فى جنوب اليمن المحتل ٠ وكذلك لا يزال نفوذه قائما فى الخليج العربى ٠ ولكنه مع

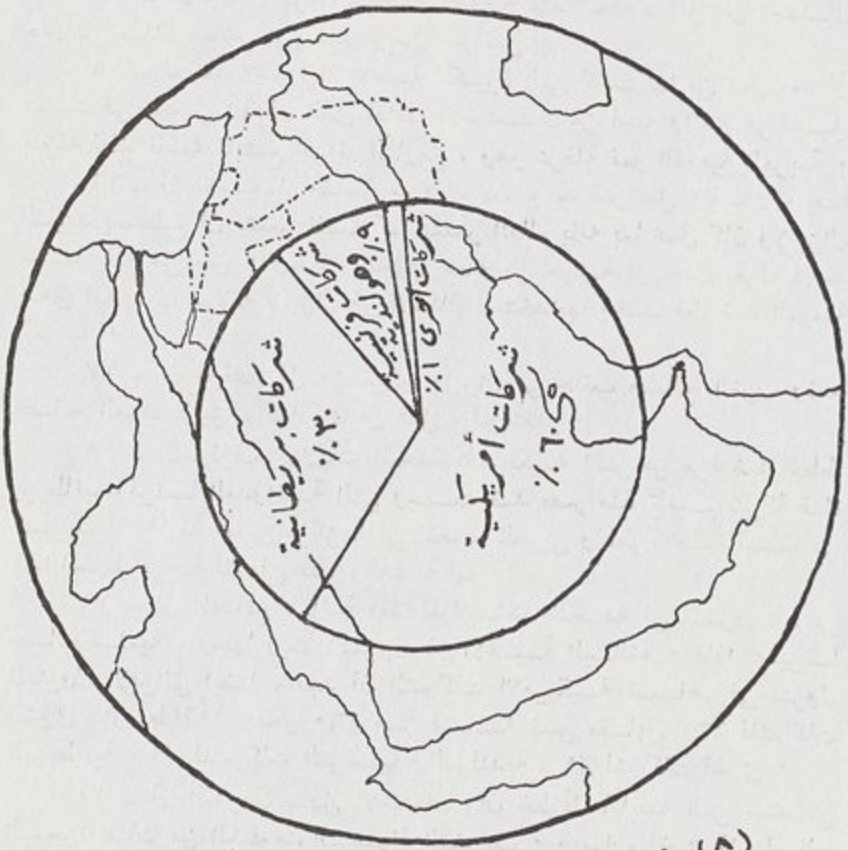

(٨) توزيع احتياطى بترول الشرق الأوسط على الشركات المستغلة

ذلك انهار ، وفقد ثقة كثيرين من الذين كانوا يثقون فيه ويعتمدون عليه .

١١ ـ لم يعد هناك احتمال فى أن تنضم دولة عربية أخرى الى العراق فى حلف بغداد .

١٢ ـ أن جريمة فلسطين لا تزال قائمة بآثامها تثير فى نفوس العرب تيارات الكراهية ضد الذين ارتكبوها ، الغرب واسرائيل .

١٣ ـ ان اسرائيل لم تعد قوة يخشى العرب بأسها بعد أن تسلحت مصر وسوريا بالاسلحة السوفييتية ، وبعد أن خرجت بريطانيا من المنطقة ، وبعد أن سقط العدوان الثلاثى وأسقط معه التصريح الثلاثى .

١٤ ـ ان وقوف قوة الطوارىء الدولية عند الحدود قلل من احتمال حدوث احتكاك مباشر بين مصر وبين اسرائيل .

١٥ ـ لم تعد لاسرائيل الاهمية الكبيرة التى كانت لها من قبل بعد أن فشلت فى تحقيق الهدف الذى أقامها الاستعمار من أجله والذى فى سبيل بلوغه لطخ نفسه بأبشع جرائم التاريخ ، وهو عرقلة نمو القومية العربية .

١٦ ـ أن الاستعمار مضطر مع ذلك لان يؤيد اسرائيل . أ ـ لانه بهذا التأييد يستطيع أن يشعر نفسه كما يشعر العالم بأنه بما عمل كان ولا يزال مقتنعا بأنه على حق . وبذلك يتحول عمله من جريمة الى جدل حول درجة الحق فيه . ب ـ لانه لا يزال فى الامكان استخدامها مخلب قط ضد القومية العربية .

١٧ ـ ان موقف كل من تركيا وايران فى جانب مصالح الغرب وضد مصالح العرب لا يزال كما كان من قبل ، لم يتغير .

١٨ ـ ان وقوف الولايات المتحدة الامريكية اكثر من مرة ضد خطط بريطانيا وفرنسا العدوانية التى وجهت ضد مصر منذ تأميم شركة قناة السويس(١٤٥) قد حسن مركزها فى المحيط العربى وأعطى لاصدقائها فى هذا المحيط فرصة للدفاع عنها والدعاية لها .

١٩ ـ ان المصالح القائمة فعلا للولايات المتحدة فى المشرق العربى مصالح سلمية ، ومنها زيت البترول ذو الاهمية البالغة . فاذا اعتبرنا البترول الايرانى ايضا ، نجد أن الشركات الامريكية تساهم فى بترول الشرق الاوسط(١٤٦) بنحو ٦٠٪ من أسهمه فى مقابل ٣٠٪ للشركات البريطانية ، ٩٪ للشركات الفرنسية والهولندية ، ١٪ لشركات أخرى .

٢٠ ـ أن البترول سهل الاشتعال وأن خطوط أنابيبه التى تمتد فى الصحراء مئات من الكيلومترات سهلة التخريب . وبعبارة أخرى أن المصالح البترولية لا يمكن صيانتها الا اذا ارتضى العرب أنفسهم لها هذه الصيانة .

ومن وجهة النظر المحايدة ، تبدو هذه الظاهرات بمجموعها أو بمعظمها باعثة على الامل فى أن تستقر الحالة فى منطقة الشرق الاوسط بعض الوقت، وفى خلاله يمكن أن يذوب التوتر القائم فى الشرق العربى . ولكن هذا الامل

لم يتحقق . اذ أن الولايات المتحدة الامريكية التى حمد الناس لها مواقفها من قبل ، وحدها ، وسافرة ، تهدد باستخدام الحديد والنار(١٤٨) . كما جاءت الى هذا المشرق تلقى عليه بكل ثقلها . جاءت ، على غير ما كانت تفعل من قبل ، وحدها ، وسافرة ، تهدد باستخدام الحديد والنار(١٨٤) . كما جاءت أيضا بالاسلحة القديمة ، حرب الاعصاب والدس والمؤامرة والضغط السياسى والاقتصادى ، وبالمعونات الاقتصادية والمساعدات العسكريةورشوة الانتهازيين والعملاء بالدولار . ماذا حدث فى المنطقة ؟ لا أحد يدرى .

كل ما دراه الناس أن التاريخ يعيد نفسه . فكما أن الانكليز قد سعوا الى ملء فراغ الشرق الاوسط بعد انهيار الامبراطوريات القديمة فيه ، كذلك تسعى الولايات المتحدة بعد انهيار بريطانيا . فتحدث الرئيس الامريكى دوايت أيزنهاور فى الكونكرس الامريكى فى ٥ يناير (كانون الثانى) ١٩٥٧ ، وأشار فى حديثه الى فراغ منطقة الشرق الاوسط والى أن الحالة فيها أصبحت غير مستقرة ، بعد احداث ١٩٥٦ ، بتشجيع من الشيوعية العالمية . وطلب منحه سلطة ، ١ ـ تقديم المعونات الاقتصادية والمساعدات العسكرية للدول التى تطلبها . ٢ ـ استخدام القوات المسلحة الامريكية لحماية الدول التى تلتمس ذلك ضد عدوان مسلح تقوم به أى دولة توجهها الشيوعية . وأن الكونكرس قد وافق على طلب الرئيس فى ٩ آذار (مارس) وخصص له فى ١٩٥٧ مبلغ ٢٠٠ مليون دولار(١٤٩) . وأن مبعوثا للرئيس الامريكى هو مستر جيمس ريتشاردز سيقوم في ١٣ مارس بجولة في الشرق الاوسط يزور فيها أقطاره لتوضيح المبدأ والاهداف المتوخاة منه .

وفى المنطقة العربية وفى غيرها ارتفعت اصابع كثيرة تتساءل ، بأى حق يتدخل الرئيس الامريكى فى شوءون الشرق الاوسط ويفرض نفسه على شعوبه فرضا ؟ وهل الشرق الاوسط فى اعتباره ولاية امريكية(١٥٠) وهل يتفق هذا التدخل القسرى مع مبادىء الامم المتحدة ؟ واذا كان هناك حالة عدم الاستقرار ، فلم يقحم الشيوعية ، ويتجاهل اسرائيل وهى مصدر القلق ؟ كما يتجاهل تدخله غير المرغوب فيه ؟ ومن هى الدولة التى توجهها الشيوعية ؟ ومن هى الدولة الاخرى التى تشكو اليه منها وتلتمس حمايته ؟ ومن المعروف أن دول الشرق الاوسط قسمان ، قسم يضم تركيا وايران ويوجهه الغرب . وقسم يضم الاقطار العربية وتوجهه القومية العربية . واذا كان هناك خطر من الشيوعية ، فلم لا يوجه الرئيس الامريكى حديده وناره الى الشعب السوفيتي الذي يعتنق الشيوعية ؟

ومع الاصابع المتسائلة ارتفعت الاصوات الشعبية فى الوطن العربى وفى خارجه تحتج على مبدأ الرئيس الامريكى رافضة له ومستنكرة ومعلنة أن الخطر المحدق بها ، ليس من الشيوعية ، وانما من المبدأ الامريكى نفسه ومن الصهيونية والاستعمار البريطاني ـ الفرنسى الذي يدعمها . ومع ذلك

فقد علت أصوات أخرى شاذة تدعو له وتهلل . وكان أعلى هذه الاصوات ينبعث من حناجر حكام لبنان .

كان هدف هذه المحاولة الامريكية الجديدة نفس الهدف من المحاولات السابقة وهو السيطرة على المشرق العربى لخدمة مصالح الغرب المتعلقة بمنطقة الشرق الاوسط من جهة ، وكجزء أساسى فى سياسته العدائية الموجهة ضد الاتحاد السوفيتى من جهة أخرى . ولكن كان هناك ، مع ذلك ، اختلاف فى الاسلوب وفى الطريقة .

فى هذه المحاولة ، استبعدت الولايات المتحدة حليفتيها ، بريطانيا وفرنسا ، بعد انكشفت حقيقتهما الاستعمارية لكل شعوب العالم من خلال معاركهما الباردة والحارة التي قاموا بها ضد مصر . وبعد أن فقدا نفوذهما فى المنطقة كما فقدا فيها هيبتهما . وبمراعاة صدى ذلك فى العالم العربى ، فان المصلحة تقتضى عدم اشراكهما . اذ أن أى حكومة عربية ، مهما بلغت درجة صداقتها للغرب ، لن تستطيع ، على الصعيد الرسمى ، تأييد أى مشروع تشتركان فيه .

وفيها اتجهت مباشرة الى الضغط على مصر وحلفائها . وكان هدفها مصر بالدرجة الاولى . لانها بامكانياتها تكون عقبة كبيرة فى طريق سياستها العالمية ، وليس فى منطقة الشرق الاوسط فحسب . وذلك بسبب تمسكها الاكيد بسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ودعوتها غيرها من الدول الى اعتناق هذه السياسة .

والولايات المتحدة بتقديرها لمصلحتها الخاصة ، من وجهة نظر السياسة التى تتبعها ، ترفض الاعتراف بمبدأ الحياد ، بل انها تعتبر كل من يعتنقه عدوا لها . وذلك لان الحياد لا يشكل ضررا عليها فحسب وانما يكون فى الوقت نفسه مصلحة للاتحاد السوفيتى . وهذا طبيعى . لانه يبعد عنها قوى كانت تستطيع استخدامها لاقرار سياستها فى الامم المتحدة ، كما كانت تستطيع استخدامها قواعد توجه منها العداء للاتحاد السوفيتى والدول الاخرى التى تعارضها . ومن المعروف أن كل الدول التى اعتنقت سياسة الحياد ، باستثناء يوغوسلافيا ، كانت تخضع للغرب بشكل ما . كما أن الغرب لا يزال يعتبرها داخل دوائر نفوذه . وما دام هذا الابعاد فى مصلحة الاتحاد السوفيتى لانه يخفف عنه ضغوطها ، فان كل الدول الداعية الى الحياد تكون فى نظرها منحازة الى هذا الاتحاد .

وبهذا التقدير الذاتى ، اعتبرت ـ ذاتيا أيضا ـ أن كل دول الحياد عدوة لها . ولم يتسع أفقها الى تقدير أن من حق هذه الدول المحايدة أن تنظر الى مصلحتها الذاتية مثلما تنظر هى الى مصلحتها . أو الى تقدير أن دول الحياد تكون صمام أمن للسلم العالمي في الصراع القائم بين الغرب وبين الشرق .

وبهذا التقدير الذاتى وضعت مصر على رأس قائمة الاعداء . ١ ـ لانها ،

كدولة صغيرة كابدت صعوبات الاستعمار ، وكدولة أكدت حيادها تكون دعوتها لهذا الحياد مقبولة لدى الدول الصغيرة الاخرى الحديثة الاستقلال والحريصة على استقلالها · ٢ ـ ولان دعوتها له بين هذه الدول الحديثة وبين الدول الاخرى التى تكافح لتحرير نفسها من الغرب تكون أكثر قبولا من دعوة غيرها · أ ـ بالنظر الى المركز القيادى الذى أصبحت تتمتع به نتيجة كفاحها ، وعلى الاخص بعد انتصارها فى المعارك الاخيرة ضد الدولتين الاستعماريتين الكبيرتين ، بريطانيا وفرنسا ، فى الامم المتحدة وفى منطقة السويس · ب ـ وبالنظر الى ادراك أن جانبا كبيرا من هذا الانتصار يرجع الفضل فيه الى اتباعها سياسة الحياد · ٣ ـ ولان مصر ، وليست الهند أو يوغوسلافيا أو اندونيسيا ، تقع فى قلب هذه الدول التى يمتد عالمها شرقا الا لاوءوس وكمبوديا ، وغربا الى المحيط الاطلسى ، وجنوبا الى جنوب أفريقية ·

وبتأثير كل هذه التقديرات ، اعتنقت الولايات المتحدة ضد مصر سياسة تهدف الى ارغامها على الاستسلام · وكان لهذه السياسة وجهان · وجه اتجه نحو مصر نفسها · أما الوجه الآخر فكان نحو حلفائها ·

مع مصر ، ١ ـ استمرت فى سياسة الحرب الاقتصادية فبقيت مجمدة أرصدتها وموقفة تنفيذ عقودها القديمة مع الشركات الامريكية · ورفضت أن تبيعها القمح الا اذا دفعت ثمنه نقدا بالدولار ، دون اعتبار للارصدة المصرية التى جمدتها · وحاربتها فى أسواق القطن المصرى بدفعها الى هذه الاسواق بكميات من القطن الامريكى طويل التيلة وعرضها للبيع بسعر منخفض وبثمن يدفع أقساطا · وفشلت هذه الحرب · لان مصر استطاعت أن تحصل على القمح من الاتحاد السوفيتى(١٥١) · كما استطاعت أن تحصل على قروض وعلى أسواق جديدة للقطن المصرى من بعض الاقطار الشقيقة ومن بعض الاقطار الصديقة · ولانها اتجهت نحو تطوير صناعاتها القائمة ونحو ادخال صناعات أخرى جديدة · ٢ ـ اتبعت سياسة التهديد بتزويد اسرائيل بالسلاح · فردت بعقد صفقات أخرى للاسلحة مع الاتحاد السوفيتى ، وبالاتجاه السريع نحو تطوير وسائل دفاعها · ٣ ـ كما اتبعت معها أيضا سياسة الاغراء بالمال وبالمناصب · عرضت عليها ٤٠مليونا من الدولارات كمساعدة فرفضت · وعرضت أن تعترف لها بالزعامة على العالم العربى بل وعلى العالم الاسلامى فرفضت أيضا · رفضت قبول المال لانه يتضمن اعترافا منها بمبدأ أيزنهاور الذى أستنكرته ورفضته · ورفضت قبول اعترافها لها بالزعامة لانها لا تسعى الى زعامة · ولان الزعامة لا تعطى، وانما تكسب · ولان الولايات المتحدة لا تمتلك حق الزعامة ، لا فى المحيط العربى ولا فى المحيط الاسلامى حتى تتنازل عنه لغيرها(١٥٢) ·

وفى نفس الوقت الذى كانت فيه الولايات المتحدة تضغط على مصر

بالتهديد تارة وبالاغراء تارة أخرى ، كان وجهها الآخر يمارس نشاطه مع حلفائها . وكانت غايته تمزيق حلف مصر وسحب أعضائه من حولها واحدا بعد الآخر . حتى تجد نفسها فى النهاية واقفة وحدها فى ميدان الصراع ، عزلاء لا سند لها . ثم تحويل حلفائها هؤلاء الى اعداء يستخدمهم ضدها . ولما كان يدرك أن الوعى العربى لن يتخلى عن مصر فقد دبر أن يدمغ هذا الوعى بالشيوعية حتى يضعف نشاطه وحتى يعزله عن الوعى النامى فى الاقطار الاخرى من العالم .

وعمل هذا الوجه ـ أثناء زيارة الملك سعود للولايات المتحدة فى فبراير (شباط) . فقد وافق الملك ، بعد أن قابل الرئيس الامريكى وعددا من المسؤولين الامريكيين المختصين بشؤون الشرق الاوسط ، على اعادة تأجير قاعدة الظهران لهم خمس سنوات أخرى(١٥٣) . كما صرح ، بأن الخطر الذى يعزى الى المبدأ الامريكى مبالغ فيه . وبعد عودته بدا تقربه من الاسرة الهاشمية(١٥٤) فأجتمع بالملك فيصل كما اجتمع بالملك حسين ودعم مركزه بعد خروجه من حلف مصر . كما أنه لم يقدم ، كما كان يفعل من قبل ، على تعزيز جبهة مصر ـ سوريا فى مواجهة التهديد التركى ، بالرغم من اشتراكه فى معاهدة الدفاع المشترك .

فى المملكة الاردنية ، استخدم اغراء الدولار والمعونات الاقتصادية كما استخدم التهديد وحرب الاعصاب . فأوقفت النقطة الرابعة الامريكية معظم أعمالها ، كما أخذت وكالة غوث اللاجئين تشير الى قرب انتهاء مهمتها . وأمام الاغراء(١٥٥) وأمام التهديد وحرب الاعصاب الخفى منها والظاهر ، اضطر الملك المتحمس للقومية العربية(١٥٦) الى الخضوع . فأقال الحكومة الوطنية التى كان يرأسها النابلسى وجاء بحكومة أخرى قبلت مبدأ ايزنهاور ، وأعلنت الاحكام العرفية ، وحلت الاحزاب ، وفتحت السجون للعناصر الوطنية وألقت فيها من لم يستطع الفرار منها سواء أكان من أفراد الجيش أم كان من غيرهم ، متهمة الجميع بالشيوعية . وتم تنفيذ الخطة فى بضعة أيام قليلة .

ولم تستطع حكومة مصر أن تفعل شيئا لحليفها فى الاردن لانه لم يكتف بخروجه من الحلف وانما اتهمها ايضا بأنها تتآمر ضده(١٥٧) . كما أن سوريا لم تستطع أن تفعل له شيئا . ومع ذلك فقد أعلن الرئيس الامريكى فى أواخر ابريل (نيسان) وبعد أن نجحت المؤامرة ، أنه يعتبر سلامة الاردن وكيانه أمرين مهمين للولايات المتحدة . ورافقه ابحار الاسطول السادس الامريكى الى شرق البحر المتوسط ورسوه فى ميناء بيروت ، وقيام الطائرات الامريكية بحرب أعصاب فى الاجواء العربية المجاورة . كما رافقه اعلان من حكومة اسرائيل تصرح فيه بأنها تحتفظ لنفسها بحرية العمل اذا حاولت الدول العربية تمزيق أوصال الاردن .

وتساءل الناس عن الدولة التى تهدد الاردن • وقالوا انها ليست العراق وليست تركيا أو ايران لانها جميعها أعضاء فى حلف بغداد المعادى للشيوعية • كما أنها ليست لبنان وليست السعودية • لان أولاهما اعترفت بالمبدأ الامريكى وقبلته • ولان الاخرى صديقة للاردن كما هى صديقة للولايات المتحدة • كما أنها ليست سوريا وليست مصر ، لان العلاقات بينهما وبين الاردن ، سوا على الصعيد الرسمي أو على الصعيد الشعبى ، كانت قبل بضعة أيام قليلة على أحسن حال • كما أنه ليس من مصلحتهما أن يتمزق الاردن في الظروف الصعبة المحيطة به وبهما • ولكنهم، مع ذلك ، ادركوا أن المقصود سوريا أو مصر عندما عرفوا أن المبعوث الامريكى قد زار كل أقطار الشرق الاوسط عداها ، وعندما وجدوا تركيا تحشد قواتها على حدود سوريا، ووجدوا المملكة الاردنية تطلب سحب القوات السورية من أراضيها من جهة وتتهم مصر بالتآمر عليها من جهة أخرى •

أدرك الوعى العربى من التهديدات الامريكية ومن التهديدات الاسرائيلية ومن الملابسات الاخرى ، أن المسألة ليست فرض مبدأ وتطبيقه بالقوة ، وانما هى مسألة تحقيق غاية بالقوة • مسألة عدوان امريكى صريح عليه لتحقيق أهداف أمريكية مضادة لمصلحة القومية العربية • ولتمكين اسرائيل أيضا من تحقيق أهدافها التوسعية فى الضفة الغربية • وكان هذا الادراك أحد الاسباب فى فشل الخطة الامريكية • لان الرؤساء العرب سرعان ما تناسوا خلافاتهم واتفقوا على مواجهة الخطر •

ولم يبق من حلفاء مصر الا سوريا واليمن ، وبعدهما تتحقق الغاية • وسوريا تكون هدفا كبيرا فى السياسة الامريكية المتعلقة بالمنطقة • ١ ـ لانها الباب الوحيد الذى بقى مفتوحا أمام مصر لدخول المشرق العربى فى آسيا • واذا سد فى وجهها انعزلت تماما عن أقطار هذا المشرق • ٢ ـ ولان فى أراضيها تتجمع خطوط أنابيب البترول العربى المنقولة من العراق الى طرابلس والى بانياس والمنقولة من السعودية الى صيدا • ٣ ـ ولان اراضيها تتضمن أيضا أسهل الطرق وأسرعها لنقل اتصالات حلف بغداد برا بين تركيا من جهة وبين العراق وايران والباكستان من جهة أخرى • ٤ ـ ولان السيطرة عليها تعنى اكمال سيطرة الغرب على مداخل الشرق الاوسط ومخارجه • ٥ ـ ولانها تكون مع لبنان والعراق طوقا ثانيا يدعم طوق تركيا وايران والباكستان المضروب عند الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتى ، مثلما تكون المملكة الاردنية والمملكة السعودية طوقا ثالثا يدعم الطوقين الاول والثانى • ٦ ـ ولانها هى الدولة العربية الوحيدة التي اقتدت بمصر وجرأت على شراء السلاح من الاتحاد السوفيتي، وعلى عقد اتفاقيات اقتصادية معه ، وعلى طلب مساعدات فنية منه • كما جرؤت أيضا على الاعتراف بالصين الشعبية • ٧ ـ وكذلك لانها كانت

تسير فى طريق الاتحاد أو الوحدة مع مصر ٠

ولتحقيق هذا الهدف الكبير ، كان من الضرورى ضم المملكة الاردنية أولا حتى تكمل حلقات الحصار من حولها ، من جهة الجنوب ، كما هى مكملة فى الشمال بتركيا وفى الشرق بالعراق وفى الغرب بالاسطول السادس وبلبنان وبأسرائيل ٠ كا كان من الضرورى شن حرب الاعصاب على نطاق واسع لتحطيم الروح العربية الثائرة فى السوريين ٠ وشنت أجهزة هذه الحرب فى وقت واحد من بيروت ومن بغداد ومن عمان ٠ وشنت أيضا من انقرة ومن قبرص ومن اسرائيل ومن الاسطول السادس ومن كل مكان آخر للغرب فيه نفوذ ، تتهم سوريا بالشيوعية وبأنها الدولة التى تهدد فى المنطقة جيرانها بعدوان شيوعى ٠ كما أوعز الى تركيا بأن تحشد قواتها عند حدود سوريا وأن تتحرش بها ٠

وأدرك الوعى العربى أن موءامرة على سوريا تشبه موءامرة العدوان الثلاثى على مصر توشك أن تحدث ، وعلى نطاق أوسع على ما يبدو ٠ ففى هذه المرة كان القط أكبر حجما وأكبر قوة ٠ كما كانت مخالبه كثيرة تمتد من تركيا ومن لبنان ومن العراق ومن الاردن ، كما تمتد من اسرائيل أيضا ٠ ولهذا كان رده أيضا سريعا وحاسما ٠ رد فى سوريا بطلب المزيد من السلاح من الاتحاد السوفيتى ، وبفضح موءامرة امريكية لقلب نظام الحكم وطرد المشتركين فيها من أعضاء السفارة الامريكية من الاراضى السورية ٠ كما أعلن للعالم تمسكه بمبادىء باندونغ وباخلاصه لمبدأ الحياد ٠ ورد فى مصر بوقوف مصر بكل امكانياتها الى جانب سوريا ، وبوضع خطة مشتركة لمواجهة أى عدوان ، وبارسال قوة من الجيش المصرى للوقوف بجانب الجيش السورى ٠ ورد فى الاردن وفى العراق وفى السعودية وفى لبنان وفى كل مكان من الوطن العربى باستنكار تجاهل الاخوة العربية ، واستنكار الزعم بأن العرب فى سوريا يهددون اخوتهم العرب فى الاردن أو فى أى قطر عربى آخر ٠ وباعلانه فى كل مكان عن وقوفه مستعدا للدفاع عن سوريا ضد أى عدوان يقع عليها ٠ وأمام رده لم يستطع أى صوت رسمى فى الحكومات التى انحرفت أن يرد بغير ما رد ٠

وكذلك رد الاتحاد السوفيتى بتهديد تركيا ، وبارسال بعض سفنه الحربية الى الموانى السورية ٠ وكان رده أيضا ردا على حكومة نورى السعيد فى العراق التى انحازت الى الغرب ولم تفرق بين الاتحاد السوفيتى كحكومة وبين الشيوعية كنظام أو فكرة ٠

ولا يعرف ان كانت الولايات المتحدة قد أدركت من كل ما سبق أم لم تدرك ، أن العرب قد يختلفون فيما بينهم أحيانا كما يختلف أبناء الاسرة الواحدة ، ولكنهم ينسون خلافاتهم أمام الخطر الخارجى ويقفون صفا واحدة كما يفعل أيضا أبناء الاسرة الواحدة ٠ وهل أدركت أم لم تدرك بالمقارنة

بين ملابسات العدوان على مصر فى ١٩٥٦ وبين ملابسات التهديد بالعدوان على سوريا فى ١٩٥٧ ، أن كل محاولة للعدوان على الامة العربية يخسر الغرب من ورائها بينما يكسب الاتحاد السوفيتى تقوية صلاته بها · فى ١٩٥٦ حدث العدوان على مصر في أساسه بسبب قيامها بتقويض خرافة احتكار الغرب للسلاح ، وشرائه من الاتحاد السوفيتى ، بينما فى ١٩٥٧ قامت سوريا فى مواجهة التهديد بالعدوان بطلب المزيد من السلاح منه · وفى كلا الحادثين وقف الاتحاد السوفيتى فى جانب الشعب العربى ونال صداقته وتقديره ·

على أنه سواء ادركت الولايات المتحدة كل ذلك أم لم تدرك ، فان الوعى العربى قد أدرك أن تمزيق روابط الصف العربى هى الوسيلة التى يستخدمها الاستعمار دائما فى تحقيق أغراضه المضادة لمصلحة الوطن العربى · وبهذا الادراك عمل على تمكين هذه الروابط فى وحدة سياسية تقوم بين سوريا ومصر ، كنواة للوحدة العربية الشاملة · وسجل التاريخ أول وحدة تقوم بين دولتين مستقلتين ، وبالرضاء الاجماعى لجمهوريهما، وبتنازل أحد الرئيسين مختارا عن جميع سلطاته للرئيس الآخر · وكان هذا برهانا بليغا آخر على قوة القومية العربية ·

وأمام كل البراهين الدالة على قوة القومية العربية اضطر الاستعمار أن يعزل نفسه عن المنطقة بعض الوقت وأن يتستر وراء أدواته من العناصر اللاقومية التى سعى الى صنعها طوال فترة وجوده فى المنطقة · ومن وراء الستار استخدم هذه الادوات فى حربه المجنونة ضد القومية العربية التى أثمرت قيام الوحدة بين مصر وسوريا كما استخدمها ضد هذه الثمرة أيضا · وفى هذه الحرب استخدم أدواته فى العراق وفى الاردن لاقامة الاتحاد الهاشمى فى ٨ فبراير (شباط) أى بعد أسبوع واحد من قيام الوحدة السوريه ـ المصريه · ثم حاول ضم الكويت اليه ولكنه فشل · وكانت غايته الاولى تفتيت وحدة القومية العربية أجزاءا وعزل كل جزء منها عن الآخر بالحديد والنار وراء أسوار · وكانت غايته الثانية تفتيت الوحدة السورية ـ المصريه من داخل سوريا نفسها بتأثير الضغوط المباشرة التى وجهت اليها من كل جوانبها ، ثم سحب سوريا الى الاتحاد الهاشمى · وبذلك يتحقق أيضا هدف مشروع ايزنهاور فى عزل مصر من افريقية ·

ولكن هذا التخطيط الذى وضع خبراء الاستعمار أدواته وتصاميمه قد مزقته قوة القومية العربية التي تفجرت وعيا في لبنان في ٣٠ مايو (أيار) ١٩٥٨ وأطاحت بحكامه اللاقوميين · كما تفجرت فى العراق فى صباح يوم ١٤ تموز وأطاحت بحكامه اللاقوميين أيضا كما أطاحت بالاتحاد الهاشمى· وليس هذا ما خسره الاستعمار فحسب وانما خسر أيضا انضمام دولتين كانتا تؤيدان سياسته في المنطقة الى الجانب الاخر المعادى لهذه السياسة ·

وهذا بالاضافة الى المأساة المزدوجة التى تعرض لها ، عندما قامت الولايات المتحدة بانزال بعض قواتها على أرض لبنـان لتحمى حكام لبنان من القـومية العربية فى لبنان ، وعندما انزلت بريطانيا بعض قواتها على الاراضى الاردنية حماية لحكام الاردن من القومية العربية فى الاردن · ثم اضطر كل منهمـا تحت ضغط هذه القومية الى اجلاء قواته عن أرض لبنان وعن أرض الاردن ·

ملاحظة : ما بين قوسين ( ) هو رقم المرجع في قائمة المراجع الموجودة في آخرالكتاب.

١ ـ يقصد الكاتب بتعبير الاستعمار كل دولة عملت أو تعمل على فرض نفوذها على دولـة أخرى ، أو على كسب مصالح ذاتية على حساب مصالح تلك الدولة ·

٢ ـ راجع وقارن (٩٧) ص ٣٧٦ · (١١٢) ص ١٢٧ · (١٢٠) ص ٢٥١ـ٢٥٩ ·

٣ ـ تألفت جامعة الدول العربية من الاقطار العربية السبعة المستقلة وهي الجمهورية السورية وامارة شرق الاردن والمملكة العراقية والجمهورية اللبنانية والمملكة العربية السعودية والمملكة المصرية والمملكة اليمنية · ووقع ممثلو هذه الاقطار على ميثاقها في قصـر انطونيادس بالاسكندرية في ٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٤ · ثم أصبحت حقيقة قائمة في ١٠ مايو (أيار) ١٩٤٥ بعد أن تم تصديق حكومات الاقطار المشتركة على الميثاق · وانضمت اليها بعد ذلك ليبيا في ١٩٥٣ والسودان في ١٩٥٦ وتونس والمغرب في١٩٥٨ والكويت في ١٩٦١ والجزائر في ١٩٦٣ ·

٤ ـ تنص المادة التاسعة من الميثاق على أن « لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها في تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه هذا الميثاق أن تعقد بينها ماتشاء لتحقيق هذه الاغراض · والمعاهدات والاتفاقات التي سبق أن عقدتها أو تعقدها فيما بعد دولة من دول الجامعة مع أية دولة أخرى لاتلزم ولا تقيد الاعضـاء الآخرين » · وقد حاولت الاقطار العربية أن تتلافى مثل هـذا العيب في معـاهدة الدفاع المشترك والتعـاون الاقتصادي بين دول الجامعة التي أبرمتها في ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٥٠ فنصت في المادة العاشرة منها على أن الدول المشتركة في المعاهدة تتعهد بعدم الدخول في اتفاقيات دولية تتعارض مع روح المعاهدة أو مع ميثاق الامم المتحدة ·

٥ ـ (٢٠٦) ص ٦٢ وما بعدها ·

٦ ـ خرجت بريطانيا من الحرب مدينة لدول الكمنويلث وللكتلة الاسترلينية بنحو ٣٠٠٠ مليون جنيه استرليني · ومن المعروف انها اضطرت في ١٩٤٩ الى تخفيض قيمة الجنيه الاسترليني ، كعلاج لما يعانيه اقتصـادها من صعوبات · راجع (١٥٢) ص ٥٧ـ٥٩ · (١٦٦) ص ٢٥١ـ٢٥٣ · (١١٢) ص ١٥ ·

٧ ـ راجع فيما سبق ص ·

٨ ـ قامت تركيا بحشد قواتها على حدود سوريا عندما أعلنت سوريا التعبئة العامة معمصر ·

٩ ـ في الثامن من حزيران (يونية) ١٩٤٦ عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعا غير عادي في مصيف بلودان بسوريا للنظر في توصيات لجنة التحقيق الانكليزية ـ الامريكية ، ولاتخاذ قرار فيما اذا قبلت هذه التوصيات وبوشر بتنفيذها · وقد تضمن القرار الذي اتخذ النقاط التالية :

١ ـ العمل على عدم السماح للدولتين أو احداهما أو رعاياهما بأي امتياز اقتصادي جـديد · ٢ـ عدم تأييد مصالحهما الخاصة في أية هيئة دولية · ٣ـ المقاطعة الادبية · ٤ـ النظر في الغاء مايكون لهما من امتيازات في البـلاد العربية · ٥ـ الشكوى الى مجلس الامن وهيئة الامم ·

١٠ـ وقع على هذه المعاهدة في ١٩٥٠ مصر وسوريا ولبنان والسعودية واليمن • ووقع عليها العراق في ١٩٥١ ، ووقع الاردن في ١٩٥٢ • وانضمت اليها ليبيا في ١٩٥٢ ، والسودان في ١٩٥٦ ، والمغرب وتونس في ١٩٥٨ والكويت في ١٩٦١ والجزائر في ١٩٦٣ • راجع نص المعاهدة في (٣٥) ص ٤٦ـ٤٩ • وراجع أيضا (١١٢) ص ١٢٧ ، ١٢٩ـ١٣٠ ، ١٥٨ـ١٥٩ •

١١ـ صدر هذا التصريح في لندن أثناء اجتماع عقده وزراء خارجية الدول الثلاث • وقد أشير فيه من جهة الى ان الحكومات الثلاث تدرك حاجة الدول العربية واسرائيل الى الاحتفاظ بقوى مسلحة على مستوى معين حفظا لامنها الداخلي ، ودفاعا عن نفسها ، وتمكينا لها من تمثيل دورها في الدفاع عن منطقة الشرق الاوسط عامة • واشير من جهة أخرى ، الى أن الحكومات الثلاث التي ترغب في احلال السلام والاستقرار ودعمهما في الشرق الاوسط ، تعلن عن تمسكها بمعارضة استعمال العنف والقوة بين دول هذه المنطقة • وأنها اذا وجدت أية دولة من هذه الدول تستعد للتجاوز على الحدود القائمة (ليست الحدود التي وضعها مشروع التقسيم في ١٩٤٧) أو على خط الهدنة فانها ستقوم في الحال باتخاذ التدابير اللازمة في داخل الامم المتحدة وفي خارجها للحيلولة دون مثل هذا التجاوز •

١٢ـ اعلنت الثورة منذ قيامها عن أهدافها الست التالية • ١ ـ القضاء على الاستعمار وأعوانه ٢ ـ القضاء على الاقطاع • ٣ ـ القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم • ٤ ـ انشاء جيش وطني قومي قوي • ٥ ـ اقامة عدالة اجتماعية • ٦ ـ اقامة حياة ديموقراطية سليمة في ظل مجتمع اشتراكي ترفرف عليه الرفاهية •

١٣ـ تبلغ مساحة السودان نحو ٠٠٠ر٥٠٠ر٢ كم٢ •

١٤ـ راجع (٣٢) ص ١٠٥ •

١٥ـ قدر الغرب قيمة هذه الصفقة بمبلغ ٢٨ مليونا من الجنيهات •

١٦ـ راجع النص الكامل لمشروع تمبلر في (٣٥) ص ١١٤ ـ ١١٥ • وقارن (٩٧) ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ •

١٧ـ جاءت وزارة هزاع المجالي الى الحكم بعد استقالة وزارة سعيد المفتي في ١٣ـ١٢ وسقطت بعد اسبوع واحد أي في ٢٠ـ١٢ • وقد أعلن المجالي صراحة أنه انما جاء الى الحكم لكي يوقع على ميثاق حلف بغداد • راجع (٩٧) ص ٣٩٣ • وراجع أيضا (١٢٤) ص ٢٢ـ٢٣ •

١٨ـ الدول العربية المشتركة هي السودان والمملكة الاردنية والمملكة السعودية والعراق واليمن وسوريا ولبنان وليبيا ومصر • أما الدول الاخرى فهي الهند وبورما والباكستان وسيلان واندونيسيا والصين الشعبية وافغانستان وتركيا وفيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية وكمبوديا ولاوس ونيبال وتايلاند والفلبين واليابان وايران من آسيا ، وليبريا والحبشة وساحل الذهب (غانة) من افريقية •

١٩ـ نص على ذلك في الاتفاق الخاص الذي عقده العراق مع بريطانيا في ٤ نيسان(ابريل) ١٩٥٥ • وقد وجهت الى هذا الاتفاق انتقادات حقة من نواحي كثيرة • ومع ذلك يلاحظ ما يلي ، ١ ـ أنه الغى معاهدة ١٩٣٠ • ٢ ـ أنه لا يتضمن اعترافا من العراق بحق بريطانيا في الاستمرار على حفظ وصيانة مواصلات الامبراطورية • ٣ ـ أنه ربط مدة بقائه نافذ المفعول ببقاء العراق والمملكة المتحدة عضوين في حلف بغداد (الفقرة «ب» من المادة التاسعة • هذا ويلاحظ أن الاستعمار البريطاني بعد جلائه عن قاعدة السويس كان يعتمد في فرض نفوذه على قواعده الموجودة في العراق وفي الاردن • راجع أيضا وقارن (١٢) ص ٩٩ ما بعدها • ، (٢٠٦) ص ٥١ •

٢٠ـ من المعروف أن الجيش الاردنى استخدم ضد ثورة العراق فى ١٩٤١ . ومن المعروف أيضا أن المعونة السنوية التى كانت تقدمها بريطانيا سنويا الى المملكة الاردنية كانت تسلم الى كلوب نفسه ، وليس الى الحكومة الاردنية .

٢١ـ راجع (١٢٤) ص ٢٣ . وانظر وجهة نظر بريطانيا الى الموضوع فى ص ٨٢ـ٨٣ من نفس المرجع . وقارن (٩٧) ص ٤٣٢ـ٤٣٣ .

٢٢ـ راجع نص الاتفاقية فى (٤٣) ص ٤٥ـ٥٢ ، ٧٨ـ٨٥ .

٢٣ـ انظر العلاقة بين هذا الوضع فى الاردن وبين اقدام بريطانيا على مغامرة حرب السويس فى (١٢٤) ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ .

٢٤ـ كان فى الاتفاقية نص على حق بريطانيا فى العودة الى القاعدة فى حالة هجوم من أى دولة ، عدا اسرائيل ، على أية دولة من دول الجامعة العربية أو على تركيا .

٢٥ـ قدرت تكاليف انشاء القاعدة واثمان ما تتضمنه مخازنها من اسلحة ونحوها باكثر من ٥٠٠ مليون جنيه استرلينى . راجع (٢٠٦) ص ٣٨ .

٢٦ـ راجع (٢٠٦) ص ٧٠ .

٢٧ـ (١٢٤) ص ١٨ .

٢٨ـ فى ١٢ فبراير (شباط) اعترفت بريطانيا ايضا بسقوط المعاهدة .

٢٩ـ عن المأساة التى عاشها ايدن فى داخل بريطانيا نفسها فى اثناء فترة العدوان . راجع (١٢٤) ص ٩٥ وما بعدها .

٣٠ـ استبدل فى الاتفاقية بتعبير «المعونة» تعبير «الالتزامات العربية» . وتبلغ ١٢٫٥ مليونا من الجنيهات سنويا ، تدفع كل من مصر والسعودية منها ٥ ملايين وتدفع سوريا الباقى . ونص على أنها اشتراك فى تكاليف الالتزامات التى تقع على عاتق الحكومة الاردنية الهاشمية ، نتيجة لسياسة التعاون والتضامن فى تدعيم الكيان العربى واستقلاله . كما نص على أنها مخصصة للقوات المسلحة الاردنية الهاشمية بما فيها قوات الحرس الوطنى . راجع نص الاتفاقية فى (٤٠ ـ ١٩٥٧/١/٢٠) ص ١ـ٣ . وراجع أيضا وقارن (٩٧) ص ٣٩٣ ، ٤٣٢ـ٤٣٣ .

٣١ـ راجع أيضا وقارن (٩٧) ص ٤٣٣ـ٤٣٩ .

٣٢ـ فى نيسان (ابريل) ١٩٥٩ اقيمت منظمة السنتو (معاهدة الوسط) لتحل محل حلف بغداد . واتخذ مقرها فى أنقرة . واشتركت فيها الولايات المتحدة الامريكية رسميا بجانب بريطانيا وتركيا وايران والباكستان .

٣٣ـ فى ٣١ تموز (يوليو) سقط كميل شمعون وانتخب الشعب اللبنانى اللواء فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية .

٣٤ـ في ١٣ آب (اغسطس) ١٩٥٨ أعلن ايزنهاور مبدأه الثاني الذي يقضى بوضع قوة دولية في منطقة الشرق الاوسط بصفة دائمة . وأطلق عليها تسمية « قوة السلام » .

٣٥ـ كانت سياسة حكومة السودان تسير ، مثلما كانت سياسة لبنان ، على اتباع سياسة الحياد فى محيط الجامعة العربية . أى بين سياسة حلف بغداد الذى يمثله العراق وبين سياسة التضامن العربى .

٣٦ـ قامت الثورات العراقية الثلاث بقيادة الرئيس عبدالسلام محمد عارف . واذا تركنا هذا البطل العربى للتاريخ ، فان العبرة التى يمكن أخذها هى أن أى حكم مهما بلغت سطوته لا يمكن أن يدوم ، ما لم يكن مستجيبا لارادة الشعب .

٣٧ـ اذا أقفل هذا الممر أصبح على الطائرات الغربية أن تسلك طريقا بعيدا نحو الجنوب . يبدأ من داكار (فى السنغال) مثلا ، ويعبر وسط افريقية الى كنيا وزنجبار . وبهذه المناسبة ، تجدر ملاحظة الاهمية الكبرى التى أصبحت للطيران فى الوقت الحاضر ،

فى ظروف السلم وفى ظروف الحرب .

٣٨ـ فى وقت التخطيط لم تكن لفرنسا أى صفة شرعية فى المنطقة . وفى وقت التعديل كانت منتدبة على سوريا . وتبعا لذلك لا يجوز لها أن تتصرف أى نوع من التصرف يضر بمصالح الشعب فى سوريا .

٣٩ـ فى ١٩٥٨ ، بلغ مجموع الصادر العالمى من زيت البترول نحو ٣٨٠ مليونا من الاطنان . ومن هذا المقدار ، بلغ نصيب الشرق الاوسط نحو ١٨٨ مليونا . أى بنسبة تبلغ نحو ٤٩ر٤٪ . ومما صدره الشرق الاوسط نقل عن طريق قناة السويس ٩٤ مليونا أى ٥٠٪ ونقل فى خطوط الانابيب الى بانياس وطرابلس وصيدا نحو ٤٠ر٢ مليونا أى نحو ٢١ر٤٪ . والباقى نقل عن غير هذين المنفذين .

٤٠ـ راجع تفصيلات عن ذلك فى (١٣٤) الفصل الثانى والفصل السادس عشر . وراجع أيضا (٢٠٦) ص ٨٩ وما بعدها . ويلاحظ أيضا ما يلى . ١ ـ فى ١٩٥٥ استوردت بريطانيا نحو ٨٥٪ من حاجتها من بترول الشرق الاوسط عن طريق قناة السويس . واستوردت فرنسا ٨٠٪ والمانيا الغربية ٨٥٪ وايطاليا ٩٠٪ . ٢ ـ فى ١٩٦٠ بلغ مجموع التجارة المارة فى قناة السويس ١٦٨ر٨٨٣ر٠٠٠ طنا . أى ما يعادل نحو ٦/١ مجموع النقل العالمى فى البحار .. ومن ذلك المقدار اتجه الى موانى الاوربية ، فيما عدا موانى البحر الاسود نحو ٧٦ر٤٪ . واتجه الى موانى العالم الامريكى نحو ١١٪ . ٣ ـ ومن المجموع الكلى للتجارة المنقولة فى قناة السويس كان مقدار زيت البترول ١١٧ر٤٢٦ر٠٠٠ أى بنسبة ٦٩ر٥٪ . ٤ ـ ومن ذلك المقدار ، كان المقدار المنقول شمالا (من البحر الاحمر) ١٣٩ر٦٣٠ر٠٠٠ طنا . منه ١١٤ر٤١٩٠٠٠ طنا من زيت البترول ، أى بنسبة تبلغ نحو ٨٢٪ ٥ ـ ومن هذا البترول ذهب الى الموانى الاوربية ٨٨ر٤٪ . وذهب الى العالم الامريكى ٩٪ (٦ر٤٪ للولايات المتحدة ، ٢ر١٪ لكندا) . راجع (١٩٨) ص ٩١ وما بعدها . وراجع أيضا وقارن (١٩ـ٦) ص ١١١ . (١٧٨) ص ٤٣٦ .

٤١ـ فى أواخر ١٩٥٦ قدرت روءوس الاموال الغربية المستغلة فى منطقة الشرق الاوسط بنحو ١٠ر٠٠٠ مليون جنيه . راجع (١٢٤) ص ٩ .

٤٢ـ راجع فيما سبق ص .

٤٣ـ قارن (١١٢) ص ١٥ .

٤٤ـ ساعد الاتحاد السوفيتى ايضا على قيام اسرائيل فى ١٩٤٨ . كما أيد قبولها عضوا فى الامم المتحدة فى ١٩٤٩ . وذلك لانه على ما يبدو كان مدركا أن قيامها سوف يوءدى الى خلق صعوبات كبيرة فى العلاقات القائمة بين الغرب وبين العالم العربى .

٤٥ـ راجع وقارن (١٢٤) ص ١٩ـ٢٠ .

٤٦ـ راجع ايضا (١٥٢) ص ٧٢ـ٧٣ .

٤٧ـ بلغ عدد الاعتداءات التى قامت بها اسرائيل على أراضى مصر وحدها منذ قيامها حتى اشتراكها مع بريطانيا وفرنسا فى العدوان الثلاثى فى ٢٩ـ١٠ـ١٩٥٦ نحو ١١١٢ـ اعتداءا . وبلغ عدد المرات التى قدمت فيها شكاوى الى مجلس الامن ، سواء من جانب مصر أم من جانب اسرائيل نحو ٢٠٠ مرة . راجع (٥) ص وراجع ايضا وقارن (١٢٤) ص ٢٠ .

٤٨ـ راجع (١١٢) ص ٢٢٤ . وراجع ايضا وقارن (١٤٧) ص Xiii – Xii – .

٤٩ـ راجع (١٦٦) ص ٢٢٤ ، ٢٥٨ . (١١٢) ص ١٥ـ١٧ . (١٢٤) ص ٩٩ وما بعدها . (١٣٤) ص ٩ـ٣٦ . هذا ، ويلاحظ أن الشركات الامريكية تساهم بمقدار ٦٠٪ من بترول الشرق الاوسط الذى يبلغ نحو ٧١ر٤٪ من مجموع الاحتياطى العالمى ، خارج

دائرة الكتلة الشرقية ، بحسب تقدير ١٩٥٧ · فهي تساهم بنصيب الربع في امتيازات شركة بترول العراق · وتساهم بنصيب النصف في بترول الكويت · ولها كل امتياز بترول السعودية وكل امتياز بترول البحرين · ولها بالاضافة الى ذلك ٤٠٪ من البترول الايراني · كما أن لها ايضا عددا من المصافي وعددا من خطوط الانابيب ومن بينها خط التابلاين ، أطول خطوط أنابيب نقل بترول الشرق الاوسط على الاطلاق · راجع أيضا (١٧٢) ص ٤٤٣-٤٤٤ ·

٥٠- راجع وقارن (٩٧) ص ٤٤١ ·

٥١- راجع (١٦٦) ص ٢٠٨ وما بعدها · ، (٩٧) ص ٤٤١ ·

٥٢- أصدرت الدول الاربع المشتركة في الحلف بيانا في ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) دعت فيه دول الشرق الاوسط ، الى الاشتراك فيه · وفي الدعوة التي وجهت الى مصر ما يشير الى أنها ستكون مركز القيادة المشتركة ، والى أن مركزها فيه سيكون مساويا لمركز كل من الدول الاربع الموجهة للدعوة · ولكن مصر رفضت · لانها أدركت أن الهدف فيما يتعلق بها هو تحويل الاحتلال البريطاني لمنطقة السويس الذي تسعى الى التخلص منه الى احتلال دولي أشد خطرا ، تشترك فيه بريطانيا ايضا · وذلك عن طريق استبدال معاهدة ١٩٣٦ التي الغتها في السنة السابقة (في ٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٠) بمعاهدة الدفاع المشترك عن الشرق الاوسط · عن بعض تفصيلات هذه المعاهدة· وعن محاولات أخرى لانشاء منظمات أخرى مماثلة للدفاع عن الشرق الاوسط تقوم بدون مصر مع اتخاذ قاعدة السويس مركزا لها أو اتخاذ قبرص ، وتشترك فيها اسرائيل · راجع (١١٢) ص ٢٨١-٢٨٣ ·

٥٣- راجع وقارن (١٢٤) ص ١٥ وما بعدها ·

٥٤- راجع وقارن (١٢٤) ص ١٥ وما بعدها ·

٥٤- راجع وقارن (١٢٤) ص ١٨ وما بعدها ، ٤١ ·

٥٥- (٢٠٦) ص الفصل الرابع ·

٥٦- راجع (١٢٤) ص ١٨ ·

٥٧- راجع وقارن (٩٧) ص ٤٤٢-٤٣ ·

٥٨- راجع (٢٠٦) ص ٨٣-٨٤ ·

٥٩- في ١٩٥٧ بلغ عدد الدول التي تدخل مع الولايات المتحدة الامريكية في معاهدات للدفاع المشترك ٤٢ دولة · راجع (٧٥) ص ٧١ ·

٦٠- انضم الى هذا الحلف في بروتوكول خاص ملحق به دولتا لاوس وجمهورية فييتنام·

٦١ - القاعدة العسكرية تتضمن مخازن ضخمة لكل أجهزة الحرب المتوفرة · كما تتضمن كل الاعتبارات المتعلقة باستخدام هذه الاجهزة وصيانتها · والغرض من اقامتها :
١- الاستعداد للحرب في أي لحظة · ٢- تفادي صعوبات النقل في أثناء الحرب ·
٣- الامساك بالدول الصغيرة التي تقوم في أراضيها القاعدة عن أن تستسلم للدولة الاخرى الكبيرة المعادية ·

٦٢ - راجع وقارن (٢٠٦) ص ٨٣-٨٦ ·

٦٣ - لاشك أيضا في أن وجود حقول البترول والمراكز الصناعية الكبرى في الاتحاد السوفيتي على مقربة من الحدود الشمالية للشرق الاوسط ، في تركيا وايران ، يمثل ناحية ضعف خطيرة في استراتيجيته · وهذا يعني أن هذا الشرق سيبقى أحد الميادين الرئيسية ، ان لم يكن الميدان الاول ، في الصراع القائم ، باردا كان أم حارا ، بين الغرب وبين الشرق · وهذا الامر بالغ الخطورة ويجب على الوعي العربي أن يدركه بعمق وأن يضع استراتيجيته الحالية والمستقبلة على أساسه ، ولا يبعد عن ذهن

الوعي العربي أن قيام الدولة العربية الموحدة الكبرى بمقوماتها التي سبقت الاشارة اليها هو ما ينبغي أن يكون لا للمصلحة العربية وحدها وانما لمصلحة السلام العالمي في المنطقة كلها ·

٦٤ ـ يلاحظ أن المشروع الذي قدمه الجنرال تمبلر الى الحكومة الاردنية في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٥ ينص في الفقرة (د) من المادة الرابعة على أن لا ترتبط الحكومة الاردنية باية التزامات خارج ميثاق حلف بغداد ·

٦٥ ـ راجع وقارن (١١٢) ص ٢٨١ ·

٦٦ ـ راجع وقارن (٥٤) ص١٨٩ـ٢٠٥ ·

٦٧ـ تقوم سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، ماقبل التأميم وفي أثناء وجود القوات البريطانية في قاعدة السويس ، على مصادرة كل سفينة اسرائيلية وكل بضاعة اسرائيلية منقولة في قناة السويس في أي سفينة مهما تكن جنسيتها ، وتعتبر ذلك حقا من حقوق عرب فلسطين ·

٦٨ـ قبل النتائج التي ترتبت على اغتصاب فلسطين وفرض اسرائيل ، كان هناك خط أنابيب قطر ١٢ بوصة ينقل بترول العراق من حقل كركوك الى حيفا حيث أقيم مصفى من أكبر مصافي العالم وتقف في المرتبة الثانية مباشرة بعد عبادان · كما كان هناك خط آخر قطر ١٦ بوصة على وشك أن يتم مده ليشارك الخط الاول في نقل بترول نفس الحقل العراقي ·

٦٩ـ تقوم فكرة الفراغ من وجهة نظر الغرب على الاعتبارات التالية : ١ـ أن الشرق الاوسط يتمتع بمقومات استراتيجية كبرى كالبترول وقناة السويس والموقع الجغرافي · ٢ـ أن هذه المقومات يجب أن تكون في خدمة الغرب · ٣ـ أن هذه المقومات تطمع فيها دولة كبرى أخرى معادية ، هي الاتحاد السوفييتي · ٤ـ أن أقطار الشرق الاوسط ضعيفة ، ولا تستطيع بمؤهلاتها الحالية أن تحرس له هذه المقومات وتؤمنها في مواجهة أطماع الاتحاد السوفييتي · ٥ـ يجب أن يتعاون الحراس (دول الشرق الاوسط) مع صاحب المصلحة (الغرب) في مقاومة أطماع الاتحاد السوفييتي · أما الوعي العربي فيرفض الفكرة ويستنكرها · ويقول المال مالنا ونحن الحراس عليه · وليس أشد من صاحب المال حرصا على حراسته منه ، وعلى الاخص اذا توفرت له امكانيات الحراسة المشددة ، ولا شك في أن الغرب يدرك ما في قول الوعي العربي من صحة · ولكنه من جهة أخرى يخشى أنه اذا توفرت لهذا الوعي هذه الامكانيات أن يوقف ما له على نفسه ، ويحرمه هو أيضا من حرية التصرف فيه · وعلى هذه الخشية بنى الاستعمار سياسته على أساس أن تبقى الاقطار العربية ضعيفة ومفككة من جهة ، وأن يتشبث بالبقاء في المنطقة من جهة أخرى ·

٧٠ـ اشتركت الولايات المتحدة في الاجتماعات بايفاد مراقبين عنها في اللجان العسكرية والاقتصادية ومقاومة المبادىء الهدامة ·

٧١ـ راجع (٤١) ص٥٤ · (٥) ص٦٨ ·

٧٢ـ راجع (٢١٠) ص١١٧ وما بعدها ·

٧٣ـ راجع (٢٠٦) ص٨٣ · (٢١٠) ص١٧١ـ١٨٦ ·

٧٤ـ راجع وقارن (٢٠٩) ص٢٩٥ـ٢٩٦ · (١٣٧) ص١٢٦ وما بعدها ·

٧٥ـ راجع أيضا وقارن (١٣٨) ص١٤٨ـ١٤٩ ·

٧٦ـ في تقرير رسمي نشر في أوائل ١٩٤٥ ، أعلن الرئيس ترومان للشعب الامريكي أن احتياطي البترول في الولايات المتحدة محدود ، ومن المتوقع أن لايبقى أكثر من ١٤ سنة أخرى ، وفي سبيل المصلحة العامة ، ينبغي أن نمد اشرافنا بالقدر الكافي على

كل موارد البترول في العالم . وفي سبيل ذلك ، يجب أن نمد رجالنا بكل تأييد ممكن وبكل حماية دبلوماسية . راجع (١٥٢) ص٢٧ . (٢٠٦) ص١٠٦ . هذا ، وتعتبر الولايات المتحدة في الوقت الحاضر من الدول المستوردة لزيت البترول . بينما تنتج الكتلة الشرقية منه كفايتها وتصدر كمية منه . راجع (آ ـ يوليو ـ اغسطس ١٩٥٩) وقد بدأت الولايات المتحدة تستورد من الشرق الاوسط في ١٩٤٨ . وأخذ المقدار الذي تستورده سنويا يزداد حتى بلغ في أوائل ١٩٥٧ نحو ١٩٪ من انتاج حقولها الوطنية . (آ ـ يناير ١٩٥٩) ص٢ـ٤ . وراجع أيضا (١٧٢) ص٤٣٦ . وفي ١٩٥٨ كان الانتاج اليومي من الآبار الوطنية ٧٫٥٠٦٫٠٠٠ برميلا بينما كان معدل الاستهلاك اليومي ٩٫٠٦٥٫٠٠٠ برميلا ، أي بعجز قدره ـ ١٫٥٩٥٫٠٠٠ برميل ، أي أنه كان على الولايات المتحدة لكي تستكمل حاجتها السنوية أن تستورد ٥٦٩٫٠٣٥٫٠٠٠ برميلا . بينما كان معدل الانتاج اليومي من الآبار الوطنية في الاتحاد السوفييتي ٢٫٢٥٦٫٠٠٠ برميل وكان معدل الاستهلاك ١٫٩٩٤٫٠٠٠ برميل ، أي بزيادة قدرها ٢٦٢٫٠٠٠ برميل وتبلغ هذه الزيادة في السنة ٩٥٫٦٤٠٫٠٠٠ برميل . راجع (آ ـ يوليو ـ اغسطس ١٩٥٩) ص١٣ . ، (آ ـ نوفمبر ـ ديسمبر) ص ١٣ .

٧٧ـ راجع أيضا (١٦٦) ص ٢٣١ .

٧٨ـ انقسمت الجامعة العربية الى ثلاثة أقسام . قسم وقف فيه العراق وحده . وقسم وقفت فيه مصر وسوريا والسعودية واليمن . أما القسم الاخر فوقف موقفا محايدا بين القسمين السابقين .

٧٩ـ بلغ ضغط تركيا على سوريا الى حد تهديد حدودها بالقوات العسكرية التركية .

٨٠ـ تكون الحلف في ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٥٥ بتوقيع معاهدة بين العراق وبين تركيا . ثم اشتركت فيه بعد ذلك ايران والباكستان وبريطانيا .

٨١ـ راجع وقارن (٢٠٦) ص ٥٨ـ٥٩ .

٨٢ـ راجع (٩٧) ص ٣٨٠ـ٣٨١ .

٨٣ـ راجع وقارن (٢٠٦) ص ٨٥ وما بعدها .

٨٤ـ راجع وقارن (١١٢) ص ١٦٠ .

٨٥ـ راجع وقارن (١٢٤) ص ٣ .

٨٦ـ كونت الامم المتحدة لجنة من الولايات المتحدة وبريطانيا وتركيا ، عرفت باسم لجنة التوفيق ، لتنفيذ القرار . وقامت اللجنة باتصالات وعقد مؤتمرات ، ولكن اسرائيل اصرت على عدم عودة اللاجئين .

٨٧ـ راجع وقارن (٩٧) ص ٤٤١ .

٨٨ـ في فبراير (شباط) ١٩٥٦ صرح الدكتور محمد عبدالقادر حاتم بأن بين مصر وبين الولايات المتحدة اتفاقية معقودة في ١٩٥٢ تقضي على الولايات المتحدة بأن تزود مصر بالسلاح . ولكنها لم تزودها الا بالبنادق والاسلحة الخفيفة .

٨٩ـ راجع وقارن (١٢٤) ص ٢٠ .

٩٠ـ كانت الولايات المتحدة قد عرضت على الحكومة المصرية استعدادها للمساهمة في تمويل مشروع السد العالي بمبلغ ٦٠ مليونا من الدولارات . ولما قررت سحب هذا العرض أذاعته قبل أن تبلغ به الحكومة المصرية بالقاهرة . وفي اليوم التالي ابلغ وكيل وزارة الخارجية البريطانية السفير المصري في لندن سحب حكومته للعرض الذي سبق ان قدمته باقراض الحكومة المصرية مبلغ ١٥ مليونا من الدولارات . وفي مساء نفس اليوم أعلن مستر يوجين بلاك ، محافظ البنك الدولي ، أنه بالنظر لانسحاب الحكومتين الامريكية والبريطانية فانه يجد نفسه مضطرا الى سحب القرض الذي كان قد تم الاتفاق عليه مع

الحكومة المصرية فى ١٢ يوليو (تموز) (أى منذ اسبوع واحد فقط) ومقداره ـ ٢٠٠ مليون دولار . راجع (١٢٤) ص ١ـ٢ ، ٤ . (٢٠٦) ص ٦٧ وما بعدها . (٩٧) ص٤٤٠ .

٩١ـ كانت الغاية من الانسحاب ، على ما يبدو ، ١ ـ ضرب جبهة الحياد فى شخص الرئيس جمال . ربما باعتباره أضعف قادة هذه الجبهة الثلاثة سندا من الناحية الدولية .وربما باعتباره أخطرهم على أطماعهم فى منطقة الشرق الاوسط . وربما أيضا باعتبار ان نهرو كان عائدا معه الى مصر فى ضيافته ، فيكون الدرس القاسى واضحا ايضا للرئيس الهندى . ٢ ـ ضرب الرئيس جمال نفسه . باعتبار ان السد العالى قد أصبح أمل الملايين من المصريين فى تطوير مستقبلهم . وفى اعتقاد الحكومتين الامريكية والبريطانية ان الرئيس قد أصبح أمام أمرين وكلاهما مر . فاما أن يخضع لارادتهما واما أن يستمر على عناده . وان خضع ارضاءا لشعبه فى تحقيق أمله خسر مكانته وشعبيته فى كل مكان ، لا فى مصر وحدها . وان كان الامر الآخر خسر مكانته فى مصر ، وعلى الاخص اذا وجهت دعاية قوية تتهم سياسته بالحمق . عن أسباب أخرى لهذا الانسحاب راجع (٢٠٦) ص ٠٦٨ ، (٢٨) ص ٣٩ وما بعدها . ، (٥) ص ٨٠٧ـ٨٠٩ . (٤١) ص ٣٢ـ٣٦ .

٩٢ـ كان من الضرورى لمصر أن ترد سريعا على ضربة الاستعمار (راجع الهامش السابق) بضربة أقوى منها وأبعد صدى . وقد كانت هذه الضربة بتأميمها لشركة قناة السويس بعد أسبوع واحد من اعلان قرار الانسحاب . وفى ميدان التحرير بالاسكندرية الذى أعلن فيه قرار التأميم ، وقف الرئيس جمال يقول ، وأنفاس الشعب تكاد أن تنقطع من الهتاف والتصفيق ، سنحصل بعد اليوم على الخمسة والثلاثين مليونا من الجنيهات التى كانت تربحها الشركة فى كل عام . ولن ندع اولئك الذين يتاجرون بالحرب والانسانية أن يفرضوا ارادتهم علينا . سنعتمد بعد اليوم على أنفسنا . وبالخمسمائة مليون دولار التى سوف نحصل عليها فى مدى خمس سنوات من قناة السويس لن نكون بحاجة الى السبعين مليونا من الدولارات التى وعدتنا بها أمريكا وبريطانيا .

٩٣ـ راجع (١٦) . وراجع أيضا وقارن (٢٠٦) ص ٧٢ وما بعدها . (١٢٤) ص ١ وما بعدها ، ٤٦ .

٩٤ـ يلاحظ أن المكسيك قد أممت شركات البترول الامريكية فى ١٩٣٨ . كما أممت ايران شركة البترول الانكليزية ـ الايرانية (شركة بريطانية) فى ١٩٥١ . كما يلاحظ أن قرار التأميم الذى صدر بشأن شركة القناة قد نص فى المادة الاولى على أن «يعوض المساهمون وحملة حصص التأسيس عما يملكونه من أسهم وحصص بقيمتها مقدرة بحسب سعر الاقفال السابق على تاريخ العمل بهذا القانون فى بورصة الاوراق المالية بباريس» راجع (١٦) ص ٣ .

٩٥ـ الدول الموقعة هى بريطانيا ، والمانيا ، والنمسا والمجر ، واسبانيا ، وفرنسا ، وايطاليا ، وهولندة وروسيا وتركيا .

٩٦ـ مثلا ، المادة الثامنة من اتفاقية ٢٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٨٨٨ وهى الخاصة بضمان حرية استعمال القناة تنص على ، « تعهد الدول الموقعة على هذه المعاهدة الى مندوبيها فى مصر بالسهر على تنفيذها . وفى حالة حدوث أمر من شأنه تهديد سلامة القناة أو حرية المرور فيها ، يجتمع المذكورون ، بناءا على طلب ثلاثة منهم ، برئاسة عميدهم لاجراء المعاينة اللازمة . وعليهم ابلاغ حكومة الحضرة الخديوية الخطر الذى يرونه لتتخذ الاجراءات الكفيلة بضمان حماية القناة وحرية استعمالها . راجع (١٦) ص ٥١ .

٩٧ـ من الجدير بالملاحظة أن بريطانيا نفسها هى التى كسرت حيدة القناة . وكان ذلك عندما منعت السفن الاسبانية من المرور فيها فى أواخر القرن التاسع عشر أثناء الحرب

الاسبانية ـ الامريكية على جزر الفلبين • كما كسرتها فى أثناء الحربين العالميتين الماضيتين • راجع (١٢٤) ص ٤٧ • (١٩ـ٦) ص ٣١ •

٩٨ـ يلاحظ أن موعد القسط المستحق للدفع من الدين الذى لمصر على انكلترا كان فى ديسمبر (كانون الاول) • كما يلاحظ مدى الضرر الذى اصاب الثقة العالمية فى بريطانيا بسبب الاجراء الذى اتخذته بوضع روءوس الاموال المصرية فى البنوك البريطانية تحت الرقابة ، باعتبارها مركزا ماليا عالميا • وذلك بالاضافة الى توقف العمليات التجارية التى كانت قائمة لها من قبل مع مصر وبعض الاقطار العربية •

٩٩ـ لم تكن لمصر ديون على فرنسا • وعلى العكس كانت مصر مدينة لها بنحو ٥ ملايين من الجنيهات •

١٠٠ـ قدمت لمصر مساعدات متنوعة من السعودية ومن سوريا ومن الاتحاد السوفيتى ومن الصين الشعبية ومن الهند ومن اليابان ومن المانيا الغربية وغيرها •

١٠١ـ صدر مرسوم فى ١ـ٩ باباحة نزول القوات الاجنبية التابعة للدول الآتية الى قبرص «كندا ، استراليا ونيوزيلنده وجنوب أفريقية والهند والباكستان وسيلان والولايات المتحدة وفرنسا • ولكن القوات الفرنسية وحدها هى التى نزلت • ويلاحظ أن قبرص تقع على مسافة نحو ٤١٠ كم من منطقة قناة السويس •

١٠٢ـ عن هذه الجمعية والاهداف العدوانية المقصودة منها ، راجع (٢٠٦) ص ٧٥ • (١٢٤) ص ٦٧ـ٧٢ • (١٩ـ٧) ص ٤ •

١٠٣ـ عن بعض فضائح الرشاوى التى أعطيت لاصحاب هذه الاقلام والتى كشف عنها فى بعض الصحف الفرنسية راجع (١٩ـ٦) ص ١٦ـ١٧ • (١٩ـ٧) ص ٣ • (١٢٤) ص ٦٠ •وعن الظروف التى جرى فى أثنائها عقد موءتمرى لندن ، راجع نفس المرجع الاخير ص ٥٨ وما بعدها •

١٠٤ـ كان عدد الدول المشتركة ٢٢ دولة • هى ، المملكة المتحدة وفرنسا والولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلنده وهولنده والدانيمارك والنرويج والسويد والمانيا الاتحادية والبرتغال واسبانيا وتركيا وايران والباكستان واليابان والحبشة والاتحاد السوفيتى والهند وسيلان واندونيسيا • راجع أيضا (١٢٤) ص ٥٥ ، ٦٢ •

١٠٥ـ كان مستر كريشنا منون مندوب الهند قد انتقد اقتراح مستر دلاس وادخل عليه بعض تعديلات راعى فيها سيادة مصر • وقد أيد اقتراحه الاتحاد السوفيتى واندونيسيا وسيلان • كما أن أسبانيا أيضا كانت قد أدخلت بعض التعديل وصوتت فى جانب اقتراحها •

١٠٦ـ كانت البعثة تتألف بالاضافة الى الرئيس الاسترالى من مندوبين عن الحبشة وايران والسويد والولايات المتحدة • ووصلت الى القاهرة فى ٣ سبتمبر (أيلول) لعرض مقترحات عرفت باسم مشروع دالس المعدل • وتتضمن احترام سيادة مصر وحقوقها ، وصيانة قناة السويس بصفتها طريقا مائيا دوليا ، وانشاء نظام ثابت لصيانة حرية استعمال القناة فى أى وقت ولجميع الدول على السواء ، وابعاد القناة عن موءثرات الشوءون السياسية لاية دولة ، واعطاء مصر نصيبا عادلا من ايرادات القناة على أن يعنى بتوسيع القناة وزيادة حركة المرور فيها • وانشاء لجنة تمثل فيها مصر لادارة القناة وصيانتها وتنمية مقدرتها ، على أن يحدد مركز هذه اللجنة بالاتفاق مع مصر • وانشاء لجنة تحكيم لفض المنازعات وتوقيع العقوبات على من يخالف الاتفاق • وقد صاحب قدوم هذه اللجنة شن حرب أعصاب ، منها ١ ـ تهديدات وتحركات عسكرية من بريطانيا ومن القواعد العسكرية البريطانية فى أماكن أخرى من العالم نحو قبرص ونحو ملطا• ٢ ـ صدور مرسوم يسمح للقوات الفرنسية وغيرها باتخاذ قبرص قاعدة لها • ٣ ـ تصريح

لوزير الحرب الاسترالى عن استعداد بلاده للمساهمة فى ارسال قوات عسكرية الى الشرق الاوسط ٠ ٤ ـ تصريح للرئيس الامريكى أيزنهاور بوجوب وضع القناة تحت ادارة دولية ٠ ٥ ـ دعوة الشركة المنحلة بالاشتراك مع الحكومتين البريطانية والفرنسية المرشدين الاجانب والفنيين الى ترك أعمالهم فى القناة ٠ ٦ ـ توجيه الكثير من أجهزة الدعاية ضد مصر ٠ راجع ايضا (١٢٤) ص ٦٣ـ٦٤ ٠

١٠٧ـ راجع (١٢٤) ص ٦٣ ٠

١٠٨ـ فى ٢٦ سبتمبر (أيلول) أدلى اللواء أركان حرب عبدالحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة بحديث عن الاستعدادات لمواجهة أى اعتداء جاء فيه ، أزيد أن يعرف الناس فى وطننا ، مصر والعالم العربى هذه الحقائق ٠ ١ ـ أن الجيش المصرى مستعد الى آخر تفصيل يمكن أن يستعد لمداه جيش ٠ ٢ أن تعبئة القوات المسلحة المصرية تعبئة كاملة قد تمت فعلا ٣ ـ أن تعبئة القوات الاحتياطية وأولها الحرس الوطنى وجميع الوحدات الشعبية المحاربة قد تمت فعلا ٠ ٤ ـ أن قواتنا قد أخذت الاوضاع العسكرية التى تستطيع معها مواجهة أى موقف بقدرة وكفاءة ٠٠٠ ان اطمئناننا لسلامة موقفنا ليس له حدود ٠٠٠ لدينا الهدف الذى نقاتل دفاعا عنه ٠ وما من هدف لاى جيش محارب أعظم من أن يحارب من اجل سلامة وطنه ٠ راجع تفصيل هذا الحديث في (١٩ـ٦) ص ٥ـ٧ ٠ وراجع أيضا (١٢٣) ص ٦٤ ٠

١٠٩ـ حدث الاضراب في يوم ١٦ اغسطس (آب) استنكارا للاقتراح الامريكي بوضع القناة تحت اشراف دولي ٠

١١٠ـ بالاضافة الى ما هو معروف في كل مكان من الوطن العربي عن اقبال أبنائه على التطوع للوقوف ضد العدوان في جانب أخوتهم في مصر فقد أدلى الصاغ أركان حرب كمال‌الدين حسين قائد جيش التحرير بحديث صرح فيه بأنه تلقى خطابات وبرقيات من الاقطار العربية يبدي فيها مرسلوها استعدادهم للتطوع في جيش التحرير ٠٠ كما صرح بأنه يوجد الان بين المتطوعين فرق سودانية ولبنانية وغيرهما من أعضاء الجاليات المؤمنة بقضية السلام العالمي ٠ راجع (١٩ـ٦) ص ٨ ٠

١١١ـ بينما تنص المادة العاشرة من فرمان الامتياز المؤرخ في ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٤ على أنه « عند انتهاء الامتياز تحل الحكومة المصرية محل الشركة وتنتفع بكافة حقوقها دون تحفظ ٠ وتستولي على قناة البحرين (قناة السويس) وجميع المنشآت التابعة لها ٠ ويحدد مقدار التعويض الذي يمنح للشركة في مقابل تنازلها عن المهمات والاشياء المنقولة باتفاق ودي أو بطريق التحكيم ٠ راجع (١٦) ص١٥ ٠

١١٢ـ انسحب المرشدون الاجانب في مساء ١١/١٤ ٠ وكان عدد المرشدين ١٦٥ مرشدا ، بقى منهم ٤٠ مرشدا فقط بينهم ٢٦ مرشدا مصريا ٠ ويلاحظ أن الاستعمار ، استهانة منه بالخلق العالمي ، كان قد دبر تدبيرا مكشوفا لاظهار عجز مصر عن تسيير حركة الملاحة في القناة ، كمبرر للعدوان عليها ، فحشد في اليوم التالي للانسحاب عددا من السفن أكبر من المعدل ، ولكن الايمان بقدرة الوطن مكن هذا العدد القليل من الانتصار على التحدي ٠ ويلاحظ أنه في خلال خمس سنوات فقط من استيلاء مصر على القناة زاد عدد المرشدين الى ٢١٦ ومن بينهم بلغ عدد المرشدين المصريين ١٢٩ مرشدا ٠ كما يلاحظ أنه في خلال هذه الفترة القصيرة تم تنفيذ القسم الاول من مشروع ناصر الذي تكلف ٤٠ مليونا من الجنيهات ٠ وبتنفيذه أصبح في استطاعة السفن الذي يبلغ غاطسها ٣٧ قدما أن تمر في القناة وكان الحد الاقصى قبل ٣٤ قدما ٠

١١٣ـ راجع وقارن (١٩ـ٦) ص١٩ ٠ (١٢٤) ص٧٨ ٠

١١٤ـ كانت بريطانيا وفرنسا قد طلبتا عقد جلسة غير عادية لمجلس الامن للنظر في شكواها

ضد مصر • وفي يوم ٥ اكتوبر (تشرين الاول) طلبتا من المجلس ١ـ أن يدين مصر ، بأن يعتبر قيامها بتأميم شركة القناة نقضا منها لالتزاماتها الدولية ٢ـ أن يطلب من مصر الدخول في مفاوضة على أساس مقترحات مؤتمر لندن الخاصة بالاشراف الدولي • ٣ـ أن تتعاون في نفس الوقت مع جمعية المنتفعين بالقناة • عن تفاصيل ما جرى في مجلس الامن حول هذا الموضوع راجع (١٩ـ١١) •

١١٥ـ راجع (٢٠٦) ص٧٧ وما بعدها • (١٢٤) ص٧٨ـ٨١ •

١١٦ـ راجع (١٢٤) ص١٠ وما بعدها •

١١٧ـ راجع وقارن (١٢٤) ص ٩ ، ١٣ـ١٥ ، ٦٢ـ٦٣ •

١١٨ـ راجع (١٩ـ٦) ص ١٢٨ـ١٤٥ •

١١٩ـ راجع (٢٠٦) ص ٩٠ـ٩١ • (١٩ـ٦) ص ١٣٤ •

١٢٠ـ كان مستر دلاس قد اقترح ، في حالة عدم موافقة مصر على مشروع جمعية المنتفعين ، مقاطعة القناة ، واتخاذ طريق جنوب افريقية • وقد وجدت شركات الملاحة فيه اقتراحا غير عملي • لانه كلما طالت المسافة قل عدد مرات النقل بينما تزيد تكاليفه • كما وجدت ، في الوقت نفسه ، أن القناة مفتوحة فعلا أمامها ، وأنه لايوجد بينها وبين مصر عداء شخصي • راجع (١٢٤) ص ٧٦ـ٧٨ • (٢٠٦) ص ٨٩ـ٩٠ • (١٣٤) ص ٣٢٦ـ٣٢٧ •

١٢١ـ عبرت سوريا هذا الجسر وعقدت صفقة أسلحة في أوائل ١٩٥٦ • وذلك بعد أن أصرت الولايات المتحدة على ألا تزودها بالسلاح الا اذا وقعت معها معاهدة للدفاع المشترك أو الامن المتبادل • وقبل سوريا ، أي في أواخر ١٩٥٥ عبرت السعودية الجسر • راجع وقارن (١٢٤) ص ١٣٥ـ١٣٦ •

١٢٢ـ راجع وقارن (١٢٤) ص×١ وما بعدها ، ٢٣ـ٢٩ ، ٤٣ ، ٥٤ـ٥٧ • (٢٠٦) ص ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٥ـ٦٦ ، ٨٣ وما بعدها • ومن الجدير بالملاحظة أن أيدن كان في نفس الوقت مرشحا لنيل جائزة نوبل للسلام • راجع (٢٠٦) ص٧١ • وقارن (١٢٤) ص١٤١ـ١٤٢•

١٢٣ـ عن ضخامة الاستعدادات العسكرية لهذا العدوان التي لايمائلها الا الاستعدادات لغزو برلين • راجع (١٢٤) ص٦٣ وما بعدها ، (٢٠٦) ص ٩٩ـ١٠٠ ، ١٣٧ـ١٣٩ •

١٢٤ـ في ١٩٤٧ افتتح في القاهرة مكتب المغرب العربي الذي تخرج فيه معظم قادة الوعي العربي في المغرب • وفي القاهرة أيضا تكونت في ١٩٥٦ لجنة التحرير الوطني الجزائرية ووجدت من مصر عونا وتأييدا بالمال وبالسلاح • وتحت تأثير ذلك ، أضحت فرنسا تعتقد أن ثورة الجزائر تدار من القاهرة • وبذلك اتفقت مصالحها مع مصالح بريطانيا واسرائيل في ضرب مصر • راجع (١٢٤) ص ٤٠ـ٤١ ، ٨١ـ٨٢ ، ٨٦ـ٨٧ ، ٨٩ـ٩٠ • (٢٠٦) ص ٤٠ـ٤٢ ، ٥٧ •

١٢٥ـ كانت الحكومة الفرنسية قد أبدت رغبتها للملك محمد الخامس في انهاء القتال الدائر في الجزائر • وطلبت منه الاتصال بزعماء جبهة التحرير لهذا الغرض • وبعد أن اتصل الملك بالزعماء انتقل اليه في الرباط خمسة منهم هم أحمد بن بللا ، محمد خيضر ، مصطفى الاشرف ، محمد بوضياف ، آيت أحمد • وصار الاتفاق على أن يشترك معهم في الاتفاق باي تونس • وسافر الملك محمد الخامس الى تونس لمقابلة الباي على أن يلحق به الزعماء الجزائريون الخمسة • وفي يوم ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) ركب هؤلاء الزعماء طائرة مغربية يقودها طيار فرنسي فلحقت بها طائرات من القوة الجوية الفرنسية وأرغمتها على النزول في مطار الجزائر حيث اعتقلت السلطة الفرنسية الزعماء وألقت بهم في سجون فرنسا • راجع بعض تفصيلات أخرى في (١٢٤) ص ٨٨ـ٨٩ •

١٢٦ـ راجع وقارن (٩٧) ص ٤٤٠ـ٤٤١ •

١٢٧ـ اشترك في هذا الغزو مع الطائرات الاسرائيلية قسم من طائرات القوة الجوية الفرنسية · راجع (١٢٤) ص ١٠٣ ، ١٣٧ـ١٣٨ ·

١٢٨ـ حاولت بعض الصحف البريطانية أن تعطي للعدوان البريطاني صفة شرعية · فذكرت أن معاهدة ١٩٥٤ تعطي لبريطانيا الحق في العودة الى منطقة القناة في حالة حدوث عدوان على مصر أو على واحدة من دول الجامعة العربية أو على تركيا ، متجاهلة استثناء عدوان اسرائيل · « وحتى مع ذلك فليس حق العودة يعني العدوان » · راجع أيضا (١٢٤) ص٢٢ · وراجع عن ادعاءات اخرى لتبرير العدوان وعن الاجراءات المباشرة له الفصلين الثامن والعاشر من نفس المرجع ·

١٢٩ـ اقترح مندوب الولايات المتحدة مستر كابوت لودج دعوة اسرائيل الى الانسحاب ، ودعوة حكومات الدول الاعضاء الى الامتناع عن تقديم المساعدات لها اذا لم تنسحب · وقد استرعى الانتباه أنه لما تقدم ممثل الاتحاد السوفييتي باقتراح مماثل ولكنه ينص على أن يكون انسحاب اسرائيل الى ما وراء خطوط الهدنة · امتنع المندوب الامريكي عن التصويت ·

١٣٠ـ استمرت هذه العمليات اسبوعا كاملا قبل أن يستطيع جندي واحد بريطاني أو فرنسي من وطء أرض مصر · راجع (٢٠٦) ص١٠٠ · (١٢٤) ص١٠٢ ·

١٣١ـ قدم مستر داك همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة استقالته احتجاجا على العدوان· كما قدم وزيران بريطانيان استقالتهما احتجاجا على المغامرة التي أقدمت عليها حكومتهما ، وهما مستر انطوني ناتنج وزير الدولة البريطاني والسير ادوارد بويل وزير الخزانة · راجع (١٢٤) ص١٠٨ ·

١٣٢ـ تعتبر هذه الاغلبية أكبر اغلبية نالها قرار من قبل في تاريخ الامم المتحدة ·

١٣٣ـ حاصرت المدفعية الساحلية بالتعاون مع المدمرة دمياط وعدد من زوارق الطوربيد اسطول العدو وألحقت به أضرارا جسيمة حتى بدا قائده عاجزا عن الانسحاب · وقد خسر مدمرتين وحاملة جنود غرقا ، وتسع قطع بجنودها أسرا ، بالاضافة الى قطع أخرى أصيبت بعطب ·

١٣٤ـ عن خطط القيادة المشتركة البريطانية والفرنسية لغزو منطقة السويس ، وعن ظروفها وملابساتها راجع (١٢٤) ص١٠٢ وما بعدها ·

١٣٥ـ راجع (١٢٤) ص ١١٣ـ١١٤ ·

١٣٦ـ راجع (٢٠٦) ص١٥ ، ٨٩ـ١٠٠ · (١٢٤) ص٥٨ وما بعدها ، ٦٤ـ٦٧ ، ٩٥ وما بعدها ، الفصل العاشر ·

١٣٧ـ وجهت القيادة المشتركة في قبرص اذاعة الى الشعب العربي في مصر ونقلتها عنها محطة الاذاعة البريطانية في لندن ، جاء فيه « اننا مضطرون الى أن نقذفكم بالقنابل أينما تكونوا · تصوروا قراكم تدمرها القنابل · تصوروا زوجاتكم وأطفالكم وأمهاتكم وآبائكم وأجدادكم يهيمون على وجوههم في العراء مخلفين وراءهم للتدمير كل ماكانوا يملكونه ···· وأنتم الجانون على أنفسكم باعتمادكم على عبدالناصر » · راجع عن هذه الاذاعة والمناقشات التي دارت حولها في مجلس العموم البريطاني · وعن الاتهام الذي وجهته المعارضة الى الوزارة البريطانية من أن هدف العمليات الحربية هو القضاء على حكم عبدالناصر ، (١٢٤) ص١١٠ وما بعدها ·

١٣٨ـ راجع عن موقف آخر مخالف لحكومة نوري السعيد مضاد لموقف القومية العربية في (١٢٤) ص ١٠٦ـ١١٢ ·

١٣٩ـ في يوم ١١/٤ أعلنت الحكومة السعودية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الحكومتين البريطانية والفرنسية · كما أعلنت وقف بيع البترول السعودي لهما · وبتوقف

الملاحة في القناة وبتدمير أنابيب البترول العراقي وبتوقف بيع البترول السعودي حرمت بريطانيا من ثلثي استيراداتها من بترول الشرق الاوسط . واضطرت بذلك الى أن تعتمد على الولايات المتحدة في تكملة سد حاجتها . راجع (١٢٤) ص ١٠٦-١٠٧ ، (٢٠٦) ص ٩١-٩٢ . وراجع أيضا (١٣٤) ص ٣٢٦-٣٢٨ .

١٤٠- في مساء ١١/٥ سلم المرشال بولكانين للسفير البريطاني في موسكو مذكرة موجهة الى السير انطوني ايدن جاء فيها « ترى الحكومة السوفييتية من الضروري أن توجه انتباهكم الى الحرب العدوانية التي تشنها بريطانيا وفرنسا ضد مصر والتي لها أخطر النتائج على قضية السلام العالمي ... في أي حال تكون بريطانيا اذا هي وجدت نفسها معرضة لهجوم دولة أخرى أقوى منها وتمتلك كل أنواع قذائف الدمار الحديثة . وهناك دول في الوقت الحاضر لا تحتاج الى أن ترسل اسطولا أو قوة جوية الى السواحل البريطانية . وباستطاعتها أن تستخدم بدلا من ذلك وسائل أخرى كالصواريخ مثلا . اننا عازمون على سحق العدوان وعلى صيانة السلام في الشرق الاوسط بالقوة ... ونأمل في هذه اللحظة الحرجة أن تراعوا الحرص الواجب وان تدركوا النتائج التي تعبر عنها هذه المذكرة . راجع عن هذه المذكرة وعن رد الفعل الذي أحدثته في دوائر الاستعمار (١٢٤) ص١١٥ وما بعدها .

١٤١- راجع (٢٠٦) ص١٠١ وما بعدها . (١٢٤) ص١٠١ ، ١٤٢-١٤٥ .

١٤٢- يذكر (١٢٤) ص١٣٩ « أن الحكومة البريطانية اضطرت الى وقف اطلاق النار لانها لم تضمن تقدم الولايات المتحدة لمساعدتها في حالة ما اذا جاء المتطوعون الروس لمساعدة مصر . راجع أيضا (٤١) ص ٦٨ ، ٧٠-٧٣ .

١٤٣- راجع (٤١) ص ٦٩-٧٢ . وراجع أيضا (٩٧) ص ٤٤١ .

١٤٤- علقت النيويورك تايمز في عددها الصادر بتاريخ ٨/٢٧ على تأميم شركة قناة السويس بقولها : ان اقدام عبدالناصر على تأميم شركة القناة قد حقق له بجرة قلم ما لم تستطع أربع سنوات من حكمه تحقيقه .... انه لا يوجد الان بين أشد المعارضين لحكم عبدالناصر منذ شهر من لا يرحب بانتزاعه القناة ذات الاهمية الحيوية من الدول الغربية التي حكمتهم زهاء قرن ... ان جميع المصريين لا يتأخرون عن الدفاع عنه الى آخر قطرة من دمائهم . راجع (١٩-٦) ص٦٥ .

١٤٥- كان الرأي الرسمي للولايات المتحدة أن الازمة التي نشأت عن التأميم لا تحل بالقوة ، وانما تحل بالمفاوضات وبالضغط الدبلوماسي والاقتصادي على مصر . راجع (١٢٤) ص ٥٤ .

١٤٦- يقدر الاحتياطي المثبت لبترول الشرق الاوسط بنحو ١٧٥ بليونا من البراميل . ومنه، يقدر احتياطي البترول الايراني بنحو ٣٢ بليونا .

١٤٧- راجع (٢٠٦) ص ٧٥ وما بعدها .

١٤٨- راجع وقارن (٩٧) ص ٤٤١ .

١٤٩- راجع تفصيل حديث الرئيس الامريكي الخاص بهذا الموضوع في (٣٥) ص٢٠١-٢١٠.

١٥٠- يبدو أن قصد الرئيس الامريكي هو أن يعلن اعلانا صاخبا للاتحاد السوفييتي ولمصر وللدول العربية المتحررة عن وجود الولايات المتحدة في المنطقة .

١٥١- تم التعاقد مع الاتحاد السوفييتي في ٨ مارس (آذار) ١٩٥٧ على شراء ٢٠٠ الف طن .

١٥٢- راجع (٤١) ص ٥٦-٥٧ .

١٥٣- في حديث للامير فيصل ولي عهد المملكة السعودية ورئيس الوزراء مع مراسل صحيفة أخبار اليوم بالقاهرة وقد نقلته جريدة الجمهورية ببغداد بعددها ١١٣ الصادر بتاريخ ٥-٤-١٩٦٤ . هاجم القواعد العسكرية الاجنبية بصفة عامة ونفى وجود قاعدة عسكرية

« امريكية في الظهران . وقال ، ان هناك اتفاقية معقودة بيننا وبين الويات المتحدة تقضي بأن تستفيد من المطار في مقابل تدريب ضباطنا وجنودنا . واضاف ، ومع ذلك، لقد الغينا هذه الاتفاقية منذ سنتين .

١٥٤ـ راجع وقارن (٩٧) ص ٢٢٨ـ٢٢٩ .

١٥٥ـ راجع (٣٥) ص ٢٢٨ـ٢٢٩ .

١٥٦ـ بعد توقيع اتفاقية التضامن العربي تحدث الملك حسين للصحفيين وقال « ان نظرية الفراغ غريبة . فاننا مازلنا نملأ ارض العروبة ، ولا يملأ فراغ اي مكان الا اصحابه . اني أرى ارتباط الدول العربية باحلاف غربية او شرقية . وان ندعم قواتنا بالشكل الذي يضمن محافظتنا على أنفسنا في المستقبل .... ان توقيع اتفاقية التضامن العربي ما هو الا خطوة أولى ستتبعها خطوات في سبيل الوحدة العربية واعادة مجد الامة العربية . وسنخطو في سبيل ذلك خطوات ايجابية . راجع (٤٠) نشرة يوم ١/٢١ ص ١ـ٢ ، ٥ . ونشرة يوم ١/٢٢ ص ٢ـ٣ .

١٥٧ـ مما هو جدير بالملاحظة أن معاهدة التضامن العربي التي وقعتها المملكة الاردنية مع مصر وسوريا والسعودية كانت في ١/١٩ . وفي ٣/١٤ الغت الحكومة الاردنية ، التي كان يراسها سليمان النابلسي ، بالاتفاق مع الحكومة البريطانية معاهدة ١٩٤٨ وملاحقها وفي ٤/١٠ اقال الملك حسين وزارة النابلسي . وفي ٤/٢٣ وجه اذاعة اتهم فيها مصر بالتآمر ضده . كما قامت الحكومة الاردنية بتقديم شكوى ضدها الى مجلس الامن ، بدلا من أن تقدمها الى جامعة الدول العربية .

المراجـــع

١ ـ البراوي ، دكتور راشد في حرب البترول في الشرق الاوسط ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

١ـ بترول الشرق الاوسط ، نشرات خاصة تصدرها ادارة العلاقات العامة لشركتي شل وآبار الزيوت الانكليزية المصرية (تحت الحراسة) .

٢ ـ البزاز ، عبدالرحمن في محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

٣ ـ البصير ، محمد مهدي في القضية العراقية ، جزءان ، بغداد ، ١٩٢٣ .

٤ ـ البو هلال ، اسماعيل في المسألة العمانية ، مكتب امامة عمان ببغداد ، ١٩٦٢ .

٥ ـ الجمهورية العربية المتحدة في الكتاب السنوي ، ١٩٥٩ .

٦ ـ الحسني ، السيد عبدالرزاق في تاريخ العراق السياسي الحديث ، ثلاثة اجزاء ، صيدا ـ لبنان ، ١٩٤٨ .

٧ ـ ـــــــ في تاريخ الثورة العراقية ، صيدا ـ لبنان ، ١٩٣٥ .

٨ ـ ـــــــ في العراق في ظل المعاهدات ، صيدا ـ لبنان ، ١٩٤٨ .

٩ ـ الخوري ، بشارة في حقائق لبنانية ، بيروت ١٩٦١ .

٩ـ الداود ، دكتور محمود علي في أحاديث عن الخليج العربي ، وزارة الارشاد العراقية .

١٠ـ ـــــــ في تاريخ السيادة العمانية في المحيط الهندي . بحث مستل من مجلة كلية الآداب العراقية ١٩٦٢ .

١١ـ ـــــــ في العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ، ١٥٠٧ ـ ١٩٥٠ ، بحث مستل من العدد الثاني من مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٦٠ .

١٢ـ الدجيل ، حسن في ميثاق بغداد ، بغداد ، ١٦٥٦ .

١٣ـ الدر ، نقولا في هكذا ضاعت وهكذا تعود . دور النفط والمدفع في تحرير فلسطين ، بيروت ١٩٦٣ .

١٤ـ الشعبي ، قحطان محمد في الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن « عدن والمحميات » القاهرة .

١٥ـ العزاوي ، عباس في تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الثالث ، بغداد ، ١٩٣٩ .

١٦ـ الكتاب الابيض في تأميم شركة قناة السويس ، اصدرته الحكومة المصرية في ١٢ اغسطس ـ آب ـ ١٩٥٦ .

١٧ـ المذكرة التي قدمتها الحكومة المصرية في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦ الى جناب السكرتير العام للامم المتحدة .

١٨ـ الموصلي ، محمد طاهر العمري في مقدرات العراق السياسية ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٢٤ .

١٩ـ النشرة الاسبوعية ، خاصة بموضوع تأميم قناة السويس ، تصدرها ادارة الشؤون السياسية بوزارة الخارجية « المصرية » الاعداد ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١١ ، ١٩٥٦ .

٢٠ـ النص ، دكتور عزة في الوطن العربي ، الاتجاه السياسي والملامح الاقتصادية ، دمشق ، ١٩٥٩ .

٢١ـ الهاشمي ، العميد طه في حرب العراق ، الجزء الاول ، بغداد ، ١٩٣٦ .

٢٢ـ بيهم ، جميل في الانتدابات في سوريا والعراق ، صيدا ، ١٩٣١ .

٢٣ـ تشكيلات عصبة الامم ومقاصدها ، مطبعة الحكومة ببغداد ، ١٩٣١ .

٢٤ـ حرب ، محمد طلعت ، قناة السويس ، مطبعة الجريدة ، ١٩١٠ .
٢٥ـ حسين ، دكتور فاضل في تاريخ فلسطين السياسي تحت الادارة البريطانية ، بغداد ، ١٩٥٦ .
٢٦ ـ ——— في مشكلة الموصل ، بغداد ، ١٩٥٥ .
٢٧ ـ خدوري ، مجيد في تحرر العراق من الانتداب ، بغداد ، ١٩٣٥ .
٢٨ ـ رضوان ، فتحي في هذا الشرق العربي ، سلسلة اقرأ ، العدد ١٧٥ ، يوليو ١٩٥٧ .
٢٩ ـ سعيد ، امين في الثورة العربية الكبرى ، الجزء الثاني ، مصر ، ١٩٣٤ .
٣٠ ـ شريف ، دكتور ابراهيم في اوربا ، دراسة اقليمية لاشباه الجزر الجنوبية ، الاسكندرية، ١٩٦٠ .
٣١ ـ ——— في الموقع الجغرافي للعراق واثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي ، جزءان ، بغداد ، ١٩٦٢ .
٣٢ ـ ——— في نهر الاردن ومشاريع انرى ، بغداد ، ١٩٦٢ .
٣٣ ـ صالح ، دكتور زكي في مقدمة في دراسة العراق المعاصر ، بغداد ، ١٩٣٩ .
٣٤ ـ صفوت ، دكتور محمد مصطفى في انكلترا وقناة السويس ، ١٨٥٤ ـ ١٩٥١ ، الاسكندرية ، ١٩٥٢ .
٣٥ ـ علي ، محمد علي في اسرائيل والشرق الاوسط « كتب قومية » العدد ٢٥١ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .
٣٦ ـ عفراوي ، دكتور متي في العراق الحديث ، الجزء الاول ، بغداد ١٩٣٦ .
٣٧ ـ غنيمة ، يوسف رزق الله في تجارة العراق قديما وحديثا ، بغداد ، ١٩٢٢ .
٣٨ ـ فهمي ، عبدالعزيز في الاستعمار عدو الشعوب ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
٣٩ ـ محمد ، دكتور محمد عوض في الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
٤٠ ـ مصلحة الاستعلامات ، مراقبة الشؤون الخارجية ، القاهرة ، نشرات يومية لسنتي ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ .
٤١ ـ هيكل ، محمد حسنين في العقد النفسية التي تحكم الشرق الاوسط ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
١٩٤٢ ـ نوفل ، دكتور سيد في الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، القاهرة ١٩٦١ .
٤٣ ـ وزارة الخارجية (مصر) مجموعة المعاهدات ، ١٩٥٦ ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
٤٤ ـ Admiralty, War Staff: A Handbook of Arabia, 2 Vols., London, 1916-1917.
٤٥ ـ Admiralty, War Staff; A Handbook of Mesopotamia. 4 Vols., London, 1916-1917.
٤٦ ـ Antonius G.; The Arab Awakening, London, 1938.
٤٧ ـ Atiyah, E.; The Arabs. In a Pelican Book, A 350, 1955.
٤٨ ـ Balfour, H.J.M.; Recent Happenings In Persia, London, 1922.
٤٩ ـ Bell, Lady F. (ed.); The Letters of Gertrude Bell, 2 Vols., New York.
٥٠ ـ Beloff, M.; The Foreign Policy of Soviet Russia, 1929-1941, Vol. 2, Oxford University Press, 1942.
٥١ ـ Bovari, M.; Minaret and pipe-line, yesterday, today in the Near East, Oxford University Press, 1939. (Translated by

L.M. Viseking).
Bowman, J.; The New World, New York, 1928. - ٥٢
Buchnan, Sir G.; The Tragedy of Mesepotamia, London, 1938. - ٥٣
Bukharin; Imperialism and Communism, pp. 189-205, in the Foreign Affairs Reader, ed. by H.F. Armstrong, New York, 1947. - ٥٤
Bullard, Sir R.; Brilain and the Middle East from the Earliest times to 1952, New York, 1952. - ٥٥
Candler, E.; The Long Road to Baghdad, 2 Vols., London, 1919. - ٥٦
Caroe, O.; Wells of Powers. The Oilfields of South-Western Asia, London, 1951. - ٥٧
Carter, J.; The Bitter Conflict Over Turkish Oilfields, pp. 492-495, in Current History, Vol. XXIII, Jan., 1926. - ٥٨
Charleswood, H.; The Baghdad Railway and its tributaries, Geographical Journal, July, 1917. - ٥٩
Chesney, F.R.; The Expedition for the Survey of the Euphrates and Tigris, 2 Vols., London, 1868. - ٦٠
Coke. R.; Great Britain and Iraq. In Contemporary Review, September, 1924. - ٦١
Cole, M.G.O.H.; A Guide to Modern Politics, London, 1934. - ٦٢
Cotton, Sir H.; New India, London, 1934. - ٦٣
Cumming, H.H.; Franco-British Rivalry in the Post-War Near East, Oxford University Press, 1938. - ٦٤
Curzon, G.N.; Persia and the Persian Question, 2 Vols., London, 1892. - ٦٥
Craemer, A.R.; Peace, 1921. In Current History, Feb., 1926. - ٦٦
Cressey, G.B.; Crossroads: Land and Life in South West Asia, Chicago, 1960. - ٦٧
Davenport, E.H. and Cooke, S.R.; The Oil Trusts and Anglo-American Relations, London, 1923. - ٦٨
Delaisi, F.; Oil, Its Influence on Politics, London, 1922. (Translated by C.L. Leese). - ٦٩
Demangeon, A.; The British Empire. A Study in Colonial Geography, London, 1925. - ٧٠
Dennin, L.; Trouble Zone, New York, 1945. - ٧١
Dennis, A.L.P.; The Foreign Policy of Soviet Russia, New York, 1924. - ٧٢
Denny, L.; We Fight for Oil, New York, 1928. - ٧٣

Diver, M.; Royal India, London, 1943.
Dulles, J.F.; War or Peace, New York, 1957. - ٧٤
Earl, E.M.; Turkey, The Great Powers and The Baghdad Railway. A Study in Imperialism, New York, 1923. - ٧٥ - ٧٦
Earl, E.M.; The Turkish Petroleum Company. A Study in Oleoginous Diplomacy, pp. 265-279, in Political Science Quarterly, Vol. XXXIX, June, 1924. - ٧٧
Elsom, H.; Classified Geography, Facts, London. (Date is Not Indicated). - ٧٨
Elwwell-Sutton, L.P.; Persian Oil. A Study in Power Politics, London, 1955. - ٧٩
Evans, R., A Brief Oultine of the Campaign in Mesopotamia, 1914-1918, 1926. - ٨٠
Fairgrieve, J. and Young, E.; Human Geography, The World, London. (Date is Not Indicated). - ٨١
Faroughy, A.; The Bahrein Islands, (1759-1951), New York, 1951. - ٨٢
Fay, S.P.; The Origins of the World War, Vol. 1, New York, 1928. - ٨٣
Fay, S.P.; Russia and The Middle East. In current History, May, 1946. - ٨٤
Fay, S.P.; Russia and the Near East. In Current Hsitory, June, 1946. - ٨٥
Fischer, A.J.; Records, London, 1919.
Fischer, L.; Oil Imperialism. The International Struggle For Petroleum, New York, 1926. - ٨٦ - ٨٧
Forbes, R.; Russian Road to India, by Kabul and Samarkand. In Penguin Books, London, 1940. - ٨٨
Foreign Office, Special Report by His Majestey's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the Progress of Iraq during the period 1920-1931, London, 1931. - ٨٩
Forrestal, J.; The Forrestal Diaries, London, 1952.
Foster, H.A.; The Making of Modern Iraq, Norman, University of Oklahoma, 1935. - ٩٠ - ٩١
Foucher, A.; Sur La Frontier Indo-Afghane, Paris, 1901. - ٩٢
Frankel, P.H.; Essenlials of Petroleum, London, 1946. - ٩٣
Fulanain; Hajy Rikkan, Marsh Arab, London, 1927. - ٩٤
Gaillard, G.; The Turks and Europe, London, 1921. - ٩٥
Gibbs, H.; Crescent in Shadow, London, 1952. - ٩٦

Glubb, J.B.; A Soldier with the Arabs, London, 1957. ـ ٩٧
Glubb, J.B.; Britain and the Arabs, London, 1959. ـ ٩٨
Grant, C.P.; The Syrian Desert, London, 1937. ـ ٩٩
Great Britain; Parliamentary Depates, Commons, LV. (July, 28 — August, 15), 1913. ـ ١٠٠
Great Britain; Lausan Conference on Near Eastern Affiairs, 1922-1923, London, 1923. ـ ١٠١
Great Britain; Parliamentary Papers, 1920-1921, London, 1921. ـ ١٠٢
Guedalla, P.; Middle East, 1940-1942, London, 1944. ـ ١٠٣
Haas, W.S.; Iran, Columbia University Press, New York, 1946. ـ ١٠٤
Haldane, Sir A.L.; The Insurrection in Mesopotamia, 1920, London, 1922. ـ ١٠٥
Hall, H.P. (Editor); The Middle East Resources, Problems and Prospects. The Midde East Institute, Washington, 1954. ـ ١٠٦
Hammann, O.; The World Policy of Germany, 1890-1912, London, 1927. ـ ١٠٧
Hanna, P.L.; The Middle East in the Post War World. In Current History, January, 1946. ـ ١٠٨
Hopper, B.; The Persian Regencies. In Foreign Affairs, January, 1935. ـ ١٠٩
Hoskins, H.L.; British Routes to India, Philadelphia, 1928. ـ ١١٠
Hoskins, H.L.; Middle East Oil in United States Foreign Policy, Public Affairs, Bulletin No. 89, Washington, 1950. ـ ١١١
Hoskings, H.L.; The Middle East, Problem Area. In World Politics, New York, 1956. ـ ١١٢
Huzayyin, S.A.; Arabia and The Far East, Cairo, 1942. ـ ١١٣
Ice, J.; The United States Foreign Policy, New York, 1926. ـ ١١٤
Iraq Petroleum Company Limited, Convention Dated 14th. March, 1925 between Turkish Petroleum Company Limited and The Government of Iraq and The Amendments made thereto by the Agreement dated 24th. March, 1931, between the Iraq Petroleum Company Limited and The Government of Iraq. ـ ١١٥
Ireland, P.W.; Iraq, A Study in Political Development, London, 1948. ـ ١١٦
Jones, E.; The Attack from Within. In a Penguin Special, 1939. ـ ١١٧

Kerr, P.; From Impire to Commonwealth. In Foreign Affairs Reader, pp. 57-76, 1947. - ١١٨
Keynes, J.N.; The Economic Consequence of Peace, London, 1920. - ١١٩
Khadduri, M.; Independent Iraq, London, 1951. - ١٢٠
Kirk, G.E.; A Short History of the Middle East from The Rise of Islam to the Modern times, London, 1948. - ١٢١
Kirk, G.E.; A Short History of the Middle East from The Rise of Islam to Modern times, London, 1959. - ١٢٢
Kohn, H.; Western Civilization in the Near East, New York, 1936. - ١٢٣
Johnson, P.; The Suez War, London, 1957. - ١٢٤
Johnson, P.; Journey into Chaos, London, 1958. - ١٢٤أ
Lawrence, T.E.; Seven Pillars of Wisdom, London, 1925. - ١٢٥
League of Nations, Official Journal, February, 1933. - ١٢٦
League of Nations, Official Journal, December, 1932. - ١٢٧
League of Nations, Official Journal, May, 1928. - ١٢٨
League of Nations, Official Journal, September, 1930. - ١٢٩
League of Nations, Official Journal, August, 1934. - ١٣٠
League of Nations, Monthly Summary, Vol. 2, N. 5. - ١٣١
League of Nations, Question of the Frontier between Turkey and Iraq, Geneva, 1925. - ١٣٢
League of Nations, Permanent Mandates Commission, Minute of the Eighteenth Session, 1930. - ١٣٣
Lenczowski, G.; Oil and State in the Middle East, New York, 1960. - ١٣٤
l'Espagnol, de la T., P.; The World Struggle for Oil, New York, 1935. (Translated by C.L. Leese). - ١٣٥
Lewis, Dr. B.; Turkey today, London, 1940. - ١٣٦
Lewis, Dr. B.; The Middle East Reaction to Soviet Pressures, in the Middle East, Spring, 1956. - ١٣٧
Lilienthal, A.; What Price Israel, Chicago, 1953. - ١٣٨
Loder, J.; The Truth about Mesopotamia, Palestine and Syria and The Lebanon, London, 1925. - ١٣٩
Longrigg, S.H.; Four Centuries of Modern Iraq, London, 1925. - ١٤٠
Longrigg, S.H.; Iraq, 1900-1950, London, 1953. - ١٤١
Longrigg, S.H.; Oil in the Middle East, Oxford University Press, 1955. - ١٤٢
Luke, H.C.; Mosul and its Minorities, London, 1925. - ١٤٣

Lutz, H.; Lord Grey and The World War, London, 1928. - ١٤٤
Main, E.; Iraq from Mandate to Independence, London, 1935. - ١٤٥
Massock, R.; Italy from Within, London, 1943. - ١٤٦
Mattison, F.C. (Editor); A Survey of American Interests in the Middle East. The Middle East Institute, Washington, 1953. - ١٤٧
Mears, E.G.; Modern Turkey, New York, 1924. - ١٤٨
Melamid, A.; Political Geography of Trucial Oman and Qatar. In Geographical Review, Vol. XLIII, 1953, pp. 194-206. - ١٤٩
Mikesell, F.R. and Chenery, H.B.; Arabian Oil, American Stake in the Middle East, The University of North Colombia Press, 1949. - ١٥٠
Miles, Col. S.B.; The Countries and Tribes of the Persian Gulf, 2 Vols., London, 1919. - ١٥١
Miksche, F.O. and Combaux, E.; War between Continents, London. (Date is not indicated). - ١٥٢
Moberly, F.J.; Official History of the War, The Campaign in Mesopotamia, 1914-1918, 4 Vols., London, 1923-1927. - ١٥٣
Mohr, A.; The Oil War, New York, 1926. - ١٥٤
Moon, P.T.; Imperialism and World Politics, New York, 1926. - ١٥٥
Morton, G.H.; The Middle East, London, 1943. - ١٥٦
Morton, H.K.; The Far Eastern Republic of Siberia, London, 1925. - ١٥٦أ
Newman, Major E.W.P.; The Middle East, London, 1926. - ١٥٧
Nicolson, H.; Curzon, The last Phase, 1919-1925, Boston, 1934. - ١٥٨
Noskins, H.L.; Middle East in United States Policy, Public Affairs, Bulletin No. 89, Washinkton, 1950. - ١٥٩
Ogg, F.A. and Sharp, W.R.; The Economic Development of Modern Europe, New York, 1930. - ١٦٠
Pares, B.; Rusia and The Peace. In a Penguin Special, 1944. - ١٦١
Parfit, I.T.; Marvellous Mesopotamia, London, 1920. - ١٦٢
Pazhwak, A.R.; Afghanstan (Ancient Ariana), London. (Date is not indicated). - ١٦٣
Philby, H. St. J.B.; Arabian Days, London, 1948. - ١٦٤
Philby, H.St. J.B.; Arabian Jubilee, London, 1952. - ١٦٥

Roosevelt, K.; Arabs, Oil and History, London, 1949. - ١٦٦
Royal Institute of International Affairs, Survey of International Affairs, London, 1925. - ١٦٧
R.I.O.I.A.; German's Claim to Colonies, Oxford University Press, 1938. - ١٦٨
R.I.O.I.A.; Political and Stratigical Interests of the United Kingdom, An Outline, O.U.P., 1940. - ١٦٩
R.I.O.I.A.; The Middle East, London, 1950. - ١٧٠
Seton-Williams, M.V.; Britain and the Arab States, London, 1948. - ١٧١
Shwadran, B.; The Middle East, Oil for the Great Powers, New York, 1955. - ١٧٢
Siegfried, A.; The Mediterranean, London, 1949. - ١٧٣
Speiser, E.A.; The United States and The Near East, Cambridge, Mass., 1950. - ١٧٤
Spillhouse, A.W.; The Background of Geography, London, 1953. - ١٧٥
Stamp, L.D.; Asia, London, 1946. - ١٧٦
Strachy, J.; The End of Impire, New York, 1960. - ١٧٧
Suleyman, H.S.; Oil in Iraq, Baghdad. (Date is not indicated). - ١٧٨
Sykes, B-G. Sir P.; Persia, Oxford, 1922. - ١٧٩
Sykes, B-G. Sir P.; A History of Persia, 2 Vols., London, 1921. - ١٨٠
Sykes, B-G. Sir P.; Afghanistan. In Islamic today, pp. 180-190. - ١٨١
Taylor, A.R.; Prelude to Israel. An Analysis of Zionist Deplomacy, 1897-1947, New York, 1959. - ١٨٢
Temberly, H.W.V.; (Editor); A History of The World Peace Conference of Paris, Vol. VI, London, 1924. - ١٨٣
The Iinternational Year Book and Statesmen's Who's Who, ed. by L.G. Pine, London (Various Years). - ١٨٤
The Statesman's Year-Book, ed. by S.H. Sleinberg, London, (Various Years). - ١٨٥
The Middle East. 1948. Aden, Afghanistan ... etc. In Europa Publication Ltd. - ١٨٦
The Staff of the International Studies Group of the Brookings Institution; The Security of the Middle East. A Problem Paper, Washington, 1950. - ١٨٧
Thompson, C.L.; Palestine: The Promised Land. In Current History, Ap., 1947. - ١٨٨

Treviranus, G.R.; Revolution in Russia, New York, 1944. - ١٨٩
Truesdall, P.; British-American Company, being formed to exploit North Persia. In National Petroleum News, Cleveland, February, 1922. - ١٩٠
Tounsend, M.E.; The Rise and Fall of the German Empire, 1884-1918, New York, 1930. - ١٩١
Tounsend, M.E.; Origins of Modern German Colonialism, New York, 1921. - ١٩٢
Toynbee, A.J.; Territorial Arrangement, in the Treaty of Versailles and After, by Lord Dibble and others, New York, 1925. - ١٩٣
Toynbee, A.J.; Nationality and War, London, 1919. - ١٩٤
Toynbee, A.J.; The Western Question in Greece and Turkey, London, 1920. - ١٩٥
Toynbee, A.J.; Survey of International Affairs, The Islamic World, Vol. 1, 1927. - ١٩٦
Twitchell, K.; Saudi Arabia, Princeton, 1953. - ١٩٧
U.A.R.; Suez Canal Report, Cairo, 1960. - ١٩٨
Van Valkenburg, S.; Elements of Political Geography, New York, 1940. - ١٩٩
Williamson, J.A.; The Foundation and Growth of the British Empire, London, 1934. - ٢٠٠
Wilson, A.T.; Loyalties, Mesopotamia, 1914-1917, O.U.P., 1930. - ٢٠١
Wilson, A.T.; Loyalties, Mesopotamia, 1917-1920, O.U.P., 1931. - ٢٠٢
Wilson A.T.; The Persian Gulf, O.U.P., 1928. - ٢٠٣
Wilson, A.T.; The Suez Canal, O.U.P., 1939. ٢٠٤
Wilson, A.T.; Persia, London, 1925 and 1932. - ٢٠٥
Wint, G. and Calvocoress, P.; Middle East Crisis. A Penguin Special, 1957. - ٢٠٦
Woodhouse, H.; American Oil Claim in Turkey. In Current History, March, 1922. - ٢٠٧
Woodhouse, H.; Anglo-Frinch Discard in Turkey. In Current History, March, 1922. - ٢٠٨
Young, T.C.; The Eastern Mediterranean in the East-West Conflict, in the Threat of Soviet Imperialism, ed. by C.G. Haines, Baltimore, 1954. - ٢٠٩
Readek, K.; The Bases of Soviet Foreign Policy. In The Foreign Affairs Reader, 1947, pp. 171-187. - ٢١٠

فهرس الموضوعات

	الصحائف
المقدمة	٣
الفصل الاول : تولد الاطماع الاستعمارية على البلاد الشرقية	١٦
الفصل الثاني : الخليج العربي مدخل الاستعمار الانكليزي الى الشرق الاوسط ..	١٦
الفصل الثالث : الشرق الاوسط خلال القرن التاسع عشر « اتجاه أهداف السياسة الانكليزية نحو حماية الهند »	٣٥
الفصل الرابع : الشرق الاوسط اثناء السنوات التي سبقت قيام الحرب العالمية الاولى · « الاتجاه نحو تقسيمه الى مناطق نفوذ »	٧٥
الفصل الخامس : الشرق الاوسط أثناء الحرب العالمية الاولى · « الاتجاه نحو استعمار بعض أجزائه وتقسيم البعض الآخر الى مناطق نفوذ »	١٠٤
الفصل السادس : الشرق الاوسط بعد الحرب العالمية الاولى الى عقد معاهدة لوزان في ٢٤ يوليو ١٩٢٣ · «اتساع اطماع الانكليز واتجاهها نحو تكوين امبراطورية انكليزية في هذا الشرق » ..	١١٩
الفصل السابع : الشرق الاوسط حتى الحرب العالمية العالمية الثانية · « فشل الاستعمار الانكليزي في مناطق الهضاب الشمالية من هذا الشرق ونجاحه جزئيا في مناطق سهولة »	١٣٥
الفصل الثامن : الشرق الاوسط في أثناء الحرب العالمية الثانية وفيما بعدها حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق · « نجاح سياسة الاستعمار في تركيا وايران وقيام صراع ضار بين قوى الاستعمار وبين القومية العربية تنتصر فيه هذه القومية »	١٩٠

صدر فى هذه السلسلة :

١ ـ الكتاب الاسود

٢ ـ اتفاق الوحدة

٣ ـ القومية والاشتراكية
الدكتور ياسين خليل ·
مراجعة : الدكتور احمد مطلوب ·

٤ ـ الكونكرس الامريكي ونكبة فلسطين
الدكتور فاضل زكي محمد

٥ ـ فلسطين والغزو التتري الجديد
٦ ـ الذكرى السادسة لثورة تموز
٧ ـ Sixth Anniversary of July 14 Revolution

Foundations of Arabic-Islamic Political thought.
By
Fadhil Zaky Mohamad, Ph. D.

Geographic Study, Social and Economic Development.
By
Dr. Muhammad Rashid Al-Feel

يصدر عن هذه السلسلة
Congress & Foreign Policy
للدكتور فاضل زكي محمد

طبع بمطابع شركة دار الجمهورية للطباعة والنشر - بغداد

هذا الكتاب ..

« وفي وطننا العربي أعظم قوتين استراتيجيتين عالميتين معروفتين في الوقت الحاضر . وأعني بهما زيت البترول وقناة السويس . ولاشك في أن من يمتلك ما يقرب من ثلثي قوة زيت البترول التي تدير عجلات الانتاج في العالم ، سلميا كان او عسكريا ، ومن يمتلك قوة قناة السويس التي ينتقل خلالها قسم كبير من هذا الزيت وقسم كبير اخر من انتاج تلك العجلات ، يمتلك احتمال التفوق في العالم . وقد برهن توقف سير بعض هذا البترول عبر القناة والاراضي السورية ، بسبب العدوان الثلاثي على مصر ، اننا نملك التحكم في مصير أوربا » .

« في ابريل (نيسان) ١٩٤١ قام الجيش العراقي ،بزعامة رشيد عالي الكيلاني ، بحركة ضد الاستعمار البريطاني الممثل في نصوص معاهدة ١٩٣٠ ، وضد الحكم الفاسد الحريص على تنفيذها ، وهي حركة طليعة . وذلك لانها كانت المرة الاولى التي يواجه فيها الاستعمار حركة مسلحة تقوم ضده ويشترك فيها الجيش مع الشعب ، منذ أن استقر له نفوذه في الوطن العربي » .

« القومية العربية تعبير عن معنى العرب قومي ، أو عن معنى ان جميع العرب اخوة . وفي مضمونها شعور ووعي . شعور بالولاء للوطن العربي باجمعه من المحيط الى المحيط يحمله له المواطن العربي في كل مكان فيه . ووعي يرتفع بادراك هذا المواطن الى مستوى الرضاء بتضحية مصلحته الخاصة أو مصلحة حزبه ، عند الضرورة في سبيل المصلحة العربية العامة. وهدفها الاول تحرير أجزاء الوطن العربي وجمعها في وحدة تضم كل قواه . ثم استخدام هذه القوى في القضاء على نواحي الضعف المتخلفة في بنائه ، خارجية كانت أم داخلية » .

٣٠٠ فلس

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074331750